دار الشهيد
نعمان طحاينة
للنشر والتوزيع

من سير أبطال فلسطين (3)

درر الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الرابع

إعداد وتوثيق
الأسير المجاهد
محمد صبحي أبو طبيخ

محمد الطوس • إبراهيم إغبارية • محمد إغبارية • أيمن سدر • محمود عارضة
ربيع أبو الرب • هيثم عنتري • عبدالله البرغوثي • كميل أبو حنيش
يوسف مهداوي • نهار السعدي • أحمد صلاح • أشرف قيسي • علي سايس
عاهد أبو غلمة • حسام مطر • معتز طقز • شادي إمطاوع

درب الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الرابع

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

1444هـ - 2022م

رام الله – فلسطين

تمت الفهرسة في مكتبة وزارة الثقافة الفلسطينية

رقم الإيداع 1876 / 2022

الرقم المعياري الدولي 978-9950-8523-3-4

لا يجوز نسخ أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب أو إعادة إنتاجه بأي شكل أو وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، بدون أخذ ترخيص موثق من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع)

من سير أبطال فلسطين (3)

درر الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الرابع

إعداد وتوثيق
الأسير المجاهد
محمد صبحي أبو طبيخ

دار الشهيد نعمان طحاينة
للنشر والتوزيع
Email: dar.nomaan@gmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[التوبة: 20]

إهـداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أرواح شهداء الحركة الأسيرة في سجون الاحتلال الصهيوني، والتي لا تزال جثامينهم الطاهرة محتجزة في ثلاجات العدو الصهيوني الرافض الإفراج عنهم حتى وهم أموات، فلهم الرحمة والخلود في جنان الرحمن.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل للإخوة العاملين في مؤسسة مهجة القدس كل باسمه ولقبه على ما قدموه من خدمات إنسانية ومادية وإعلامية وثقافية لأبنائهم وإخوانهم الأسرى والمعتقلين في داخل سجون الاحتلال؛ سائلًا الله _عز وجل_ أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

الإنسان مفطور على حب الحرية

بقلم الأستاذ: قدورة فارس
رئيس نادي الأسير الفلسطيني

لم تنتهِ الحرب، والصراع مع الاحتلال الصهيوني مستمر طالما استمر في احتلاله لأرضنا، ولن يرفع الشعب الفلسطيني راية بيضاء، بل سيواصل سعيه الحثيث لنيل الحرية والاستقلال وإقامة الدولة والعودة، وبناءً على ذلك فإن عملية التعبئة والحشد والحث على النضال والكفاح يجب أن تبقى عملية متواصلة متصلة بحيث تحمل الأجيال راية الكفاح والمقاومة جيلًا بعد جيل، ولهذه الغاية النبيلة فإن التوقف عند تجربة أبطال فلسطين ورموز الفعل الاستثنائي في ميادين الاشتباك مع الاحتلال، ليس فقط تعبيرًا عن الوفاء لتخليد ذكراهم مع أنهم جديرون بذلك، ولكن أيضًا من أجل الإبقاء على جذوة الثورة مشتعلة، فنضالهم يجب أن يكون مصدرًا للإلهام حاضرًا في الذاكرة فهو حق لهم ولأسرهم، وهو أيضًا حق للأجيال الصاعدة التي يجب أن تتعرف وتعرف عن كل محطة كفاحية خاضها الشعب الفلسطيني، ورموز كل مرحلة.

ولأننا نخوض صراعًا وجوديًا مع الاحتلال الصهيوني فإن جبهات الصراع متعددة ومتنوعة ولعل أهملها جبهة الرواية، وقد دأب الاحتلال على العمل وبشكل محموم من أجل وصم نضالنا، ونعته بالتخريب والإرهاب إذ تنفق مبالغ طائلة لتشغيل ماكنة عملاقة لهذه الغاية إدراكًا منهم للأهمية الإستراتيجية لهذه الجبهة، وهذا يستدعي ردًا شاملًا من قبلنا من خلال عرض روايتنا بصورة شاملة ودقيقة، ولعل أهم محطة في هذا العمل العظيم تقع في إطار تخليد وتوثيق تجربة الأفراد وتحديدًا أولئك الذين تركوا بصمة واضحة في مسيرة كفاح شعبنا، خصوصًا حين تعرض في سياقها الشامل بكل أبعاده الحياتية والاجتماعية والإنسانية وإبراز جرائم الاحتلال وتأثيرها الكبير على تشكل وعي المواطن الفلسطيني؛ إذ إن النضال والانخراط في صفوف الثورة نتاج حالة تفكير ومعايشة للظلم الواقع من الاحتلال، فالإنسان مفطور على حب الحرية، ومن هنا فإن تناول سيرة المناضلين في سياقها الشامل إنما رفض ونفي رواية الاحتلال الذي يسعى إلى إخفاء جرائمه والتعامل مع هؤلاء المناضلين باعتبارهم عدوانين بالفطرة ويسعون لتقديم الشعب الفلسطيني باعتباره شعبًا عنيفًا يهوى الدماء، ويقدمون أنفسهم باعتبارهم

مستضعفين ومعتدى عليهم، ولذلك فإن التصدي لرواية الاحتلال من خلال الكتابة وتناول مراحل النضال والمقاومة في إطاره الحقيقي والصحيح إنما تبدد تلك الرواية القائمة على التضليل والبهتان.

ولابد من إعطاء هؤلاء الرموز حقهم اليوم وفي المستقبل وقد ضحوا من أجل الشعب ومن أجل حريته واستقلاله، وليس أقل من أن توضع تجربتهم بين يدي أبناء الشعب؛إذ إن كثيرًا من الناس يعرفون اسم هذا المناضل أو ذاك ويعرفون كم من عمره أمضاه خلف قضبان المعتقلات، ولكنهم لا يعرفون بتاتًا أي شيء إضافي عن حالهم أسرهم معاناتهم والظلم الواقع عليهم من الاحتلال؛إذ لم يترك العدو الصهيوني أسرة أو فردًا أو بلدًا أو مخيمًا إلا وأوقع بهم الأذى ومارس التنكيل والقهر بحقهم، وهذه الأمور، تظهر بشكل واضح في سياق عرض السيرة الذاتية للمناضلين الذين تناول الكتاب سيرتهم.

إن الشعب الفلسطيني شعب حي وحيوي ومبدع وعنيد، لذلك فإن مسيرة الكفاح والمقاومة سوف تتواصل وتستمر بمعانيها وأشكالها الشاملة إلى أن يتم دحر الاحتلال عن أرضنا ومقدساتنا، فما واجهه شعبنا العظيم خلال مائة عام وقدرته على الصمود والبقاء إنما هو المؤشر الأهم بأنه سوف ينتصر في نهاية المطاف، فشعب فيه هذا العدد الكبير من الناس المستعدة للتضحية والفداء، وفيه هذه الحالة الشاملة من العمل على الجبهات سوف يحقق أهدافه بالحرية والعودة والاستقلال وإقامة الدولة التي تليق بتضحيات من ضحوا شهداء وأسرى وثكالى وأيتامًا ومهجرين، ونحن بإذن الله على موعد مع النصر والحرية.

الاحتلال يخشى من التاريخ وليس المستقبل

بقلم الأستاذ: حسام بدران
عضو المكتب السياسي لحركة حماس

لقد قيل قديمًا في أدبيات العرب إن أكثر الناس اقتدارًا في صياغة التاريخ هم الذين صاغوا بنوده، أو كانوا مساهمين في كتابته، ومن شاركوا في تدوين أحداثه بالدم والجهاد بالنفس والروح، ولا غرابة إذن حين نرى في هذا الكتاب صدقًا في الطرح، والتقديم والتقدير لثلة من المجاهدين والمناضلين الذين غرسوا أعمارهم في أرض الوطن كي ننعم يومًا بالحرية.

إن الكتابة عن الأسر والأسرى أمرٌ له شجون ولا ينقطع قلمك في التعبير؛ لأنها واحدة من أكثر الأشياء التي تجعل النفس تركض بلا وعيٍ للتعبير عما يدور في داخلها تجاه الذين اختاروا الطريق الأصعب في درب الكفاح من أجل الحرية، نعم إن الأسر والأسرى والسجن هم في أعلى درجات التضحية،فقد يكون سهلًا على المرء أن يغامر في دربٍ ما؛ لكن هذه المغامرة قد تنتهي بانتهاء أجله أو بزوال الابتلاء والألم، لكنها لا تسلبك الحرية على الدوام، والسجن يسلبك الحرية ويضعك في ألمٍ مستمرٍ لا ينقطع، وكلما كان قلبك مليئًا بالأمل كان الألم مضاعفًا؛ لأنَّ الأمل هو الوجه الآخر للألم، فلكم أن تتخيلوا قضيتنا بدون أسرى وكمية المعاناة والتعقيدات التي ستطال الناس والمجتمعات لو لم يكن هناك ثلةٌ يفدونهم بالسجن؟ نعم لقد قدَّم الأسرى حريتهم وأجسادهم وأعمارهم فداءً لشعبهم وفداءً للوطن وفداءً لدين ربهم ليتحملوا عن الناس قسطًا كبيرًا من الوجع في سبيل أن ينال الشعب حريته.

إن أدنى دورٍ يمكن أن نقدّمه هو ألا ننسى الأسرى، وأن يكونوا حاضرين في حياتنا ودعائنا وأدبياتنا وكفاحنا وسياستنا؛ لأنَّ الهدف من سجنهم هو طمسهم وهذا ما يريده المحتل الغاصب لذا كلما أرادوا طمسهم جاء الفلسطينيون ليعلوا ذكرهم في كل المجالات وبمختلف الأوقات، وجعلوا من قضية السجن مفخرةً تعتزّ بها الأجيال الفلسطينية رغم ما في البُعد من مشقة وحزن. لقد استطاع الفلسطينيون أن يجعلوا من بُقع السجن المظلمة، نورًا كبيرًا وضوءًا لن تشتعل قناديل المسجد الأقصى إلا به!

وهـذا دأبُ الفلسـطينيّ توحـده المصائـب، وهـذا مـا ينبغـي أن نكـون عليـه فـلا لـون ولا معتقـد ولا فكـرة تطغـى عـلى فكـرة، وكلّنـا في طريـق التحريـر سـواء، ولـو كان غـير ذلـك، لمـا كان لـون الـدم إلا موحـدًا في طريـق تحريرنـا.

إن الاحتـلال يخشـى مـن التاريـخ، وليـس المسـتقبل، فالتاريـخ هـو نهايتـه ونحـن يجـب أن نـدوّن، وأن نصيـغ روايتنـا المشرفـة لعلـه يـأتي زمـانٌ نجـد مـن يصـوغ مـن هـذه التجـارب عِقْـد الحريّـة الكـبرى حـين تنجـلي ظُلمـة السـجن ويـزول الاسـتعمار وتصبـح السـجون بيضـاءَ ويعـود كلُّ غائـبٍ إلى أهلـه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الاسراء: 51]

الأسير الفلسطيني شعلة الحرية لفلسطين

بقلم الأسير: محمد صبحي أبو طبيخ
سجن ريمون الصحراوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وعلى أصحابه الأطهار وعلى من سار على دربهم واقتدى بهديهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

إن من يتابع همّ القضية الفلسطينية يعلم حجم المؤامرات الكبيرة التي تسعى إلى تصفية هذه القضية وجعلها قضية سطحية لا قيمة لها في هذا الزمان، مرةً عبر التطبيع العربي الذي أصبح خنجرًا مسمومًا في قلب القضية الفلسطينية، ومرةً عبر محاولة التمرير بما عُرف بصفقة القرن، ومرةً عبر الانقسام الفلسطيني، ومرةً أخرى عبر تشديد الحصار على قطاع غزة، ومحاولة تفتيت الضفة الغربية والقدس الشريف وتحويلها إلى بؤر استيطانية لمنع وجود جغرافية فلسطينية متصلة، فكان لابد من قيام أحرار فلسطين وثوارها ومناضليها من كافة الفصائل الفلسطينية للتصدي لسياسات الاحتلال الصهيونية، فكان مصير بعضهم الاستشهاد والبعض الآخر هو الاعتقال ويحكم عليهم بسنوات طويلة ليكونوا جزءًا من الحركة الأسيرة في السجون، ولهذا وبعد النجاح الكبير الذي حققه كتابنا بجزأيه الأول والثاني من سلسلة درب الصادقين والذي أشرفت عليه مؤسسة مهجة القدس؛ كان حقًا علينا الاستمرار في كتابة وتوثيق سيرة الأبطال المناضلين في داخل سجون الاحتلال حيث إن هذا المحتل الصهيوني كان ولا زال يريد للأسير الفلسطيني أن يعيش خارج الزمان، فاقدًا لهويته الفلسطينية ومشلول الإرادة النضالية حتى يتحقق الحُلم الصهيوني لكي الوعي الفلسطيني عبر سلسلة طويلة من الإجراءات اللاإنسانية واللاقانونية وبشكل ممنهج ومدروس، وكل ذلك لإفراغ الأسير الفلسطيني من محتواه الثقافي والفكري والنضالي والوطني والديني إلا أن شيئًا من هذا لم يتحقق؛ لأن الأسير الفلسطيني يعتبر شعلة الحرية لفلسطين فلا يمكن لأي كان ولا لأي جهةً كانت أن تطفئ هذه الشعلة، فترى الأسير الفلسطيني دومًا يمتلئ حبًا وعشقًا ويزداد إيمانًا ويقينًا بأن لحرية الوطن ثمنًا باهظًا ولابد من دفعه، والأسير الفلسطيني رضي بأن يكون هو الثمن لهذه الحرية المشهودة فقضى أجمل أيام عمره في سجون الظلم الصهيوني.

ومن هنا كان لابد من تسليط الضوء على قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين عبر توثيقنا لشريحة منتقاة من أبطال ومناضلي الحركة الأسيرة، فاتخذنا منهم سبعة عشرة مناضلًا لنوثق لهم سيرة ومسيرة كفاحهم ونضالهم، وتجسيدًا لوحدة الكلمة والموقف ووحدة الفصائل الفلسطينية استطعنا أن نجمع بين دفتي هذا الكتاب من سلسلة درب الصادقين مادةً توثيقية لـ 17 مناضلًا من كافة فصائل العمل الوطني والإسلامي من أبناء حركة فتح وحركة حماس والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والجهاد الإسلامي، وقمنا بتقسيم هذه الشريحة ليشمل جزء منها فترة الثمانينيات من القرن الماضي، فكان ذلك توثيقًا لسيرة ومسيرة القائد الفتحاوي أبو شادي الطوس، ثم انتقلنا إلى فترة التسعينيات لتشمل الإخوة محمد إغبارية وأخاه إبراهيم إغبارية من سكان الأرض المحتلة عام 1948م، وشملت هذه الفترة أيضًا القائد الجهادي محمود العارضة المعتقل منذ العام 1996م، وشملت أيضًا فترة التسعينيات المجاهد أيمن سدر من سكان القدس والمعتقل منذ عام 1995م؛ وكذلك وثقنا تجارب بعض الإخوة ممن تم اعتقالهم في انتفاضة الأقصى من سكان الأرض المحتلة عام 1948م والضفة الغربية والقدس الشريف.

وانتهينا بتوثيق قصة أحد الأسرى ممن تم اعتقالهم في هبة الأقصى في عام 2015م، وبذلك نكون قد أرّخنا ووثقنا لهؤلاء الأبطال سيرة ومسيرة كفاحهم ونضالهم من أجل الحرية، وكلهم محكومون بالحكم المؤبد فكانوا بمثابة المصادر الأولية في حصولنا على المعلومات المطلوبة والهامة مع إضافة بعض الصيغ الأدبية في حال لزومها لإخراج المادة بشكل مشوق وجميل؛ هادفين من كل ذلك لإيصال صوت هؤلاء القادة الأبطال إلى كل ضمير حر في هذا العالم؛ لعل قضية الأسرى الفلسطينيين تجد من يناصرها ويؤازرها وينصرها ويهتم بها للوصول إلى حريتهم المنشودة عبر باقي المؤسسات الحقوقية والقانونية والإنسانية من كل أنحاء العالم على العدو الصهيوني لضمان الإفراج عن كل الأسرى والأسيرات الفلسطينيين من السجون.

ونتمنى أن نكون قد قدمنا شيئًا مفيدًا لصالح الحركة الأسيرة في السجون، وأن نكون قد جسدنا المقولة الشهيرة وهي: "أن تنير شمعةً خير لك من أن تلعن الظلام".

أسماء الأسرى المجاهدين

مرتبة هجائيًا حسب تاريخ الأسر لدى العدو الصهيوني

الأسير المجاهد
محمد أحمد عبد الحميد الطوس

مناضل لم تهزمه السجون وكثرة الاعتقالات

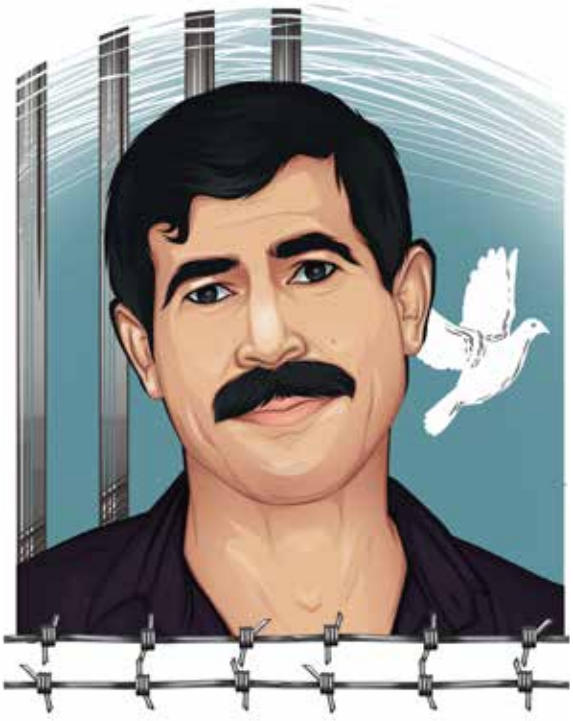

تاريخ الميلاد: 1955/03/06م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه 3 أبناء

مكان السكن: قرية الجبعة – محافظة الخليل

عدد أفراد العائلة: 10

تاريخ الاعتقال: 1985/10/06م

الحكم: مؤبد

حديثنا اليوم عن رجل عاش غربة الوعي والتيه في زمن ضياع البوصلة، وأصرّ على إعادة الهوية المسلوبة لهذا الشعب العظيم، فألبسه هذا الشعب ثوب العزة والوطنية. ارتبط بقبضة تراب ولهفة اشتياق ألهمته حرية التأمل، وكان المثل والقدوة بعطائه اللامحدود وبتاريخه الطويل الحافل بالتضحيات والمجد، لم يكن آخر الرجال، بل كان من أسبقهم للتضحية والتقدم، ولكنهم كانوا أقمارًا لغيرهم ومشعلًا يُنير طريق الثائرين، كانوا هم البدايات لتمرّ على أجسادهم قوافل الشهداء والأسرى والجرحى، وكان ممن بدأ العمل بلا انقطاع، فالوطن بنظرة حرية، والحرية تُغرس وتُعبّد بدماء الشهداء وعذابات الأسرى وآهات الجرحى، وتُروى بدموع الأمهات وعذابات الشعوب، فحريٌّ بنا بل واجب شرعي وأخلاقي ووطني أن نروي قصة هذا المناضل الكبير محمد الطوس (أبو شادي)، ذلك الأسطورة في أسره والذي أمضى ما يزيد على 35 عامًا في سجون الظلام الصهيوني، فرغم أنه لا متّسع للسطور ولا للكلمات أن تعطيه حقه الذي يستحقه منا، لكنّه موجود في قلوبنا بتاريخه المشرف المزروع في كل شجرة زيتون وبرتقال. عشرات الأعوام قضاها المناضل (أبو شادي) الطوس منذ

بزوغ الفجر مطاردًا مشردًا، لكنّه كان سعيدًا؛ لأن ما زرعه من نبتٍ متجذرٍ ومثمر أصله ثابت وفرعه في السماء؛ أثمر أشبالًا وزهرات، فكانوا سياجًا حاميًا لهذا الوطن من الضياع والتفريط والتيه كما يريده الصهاينة ومن لف لفهم.

بلدة الجبعة

ولد المناضل العريق محمد الطوس في قرية الجبعة، وهي قرية صغيرة تقع إلى الشمال من مدينة الخليل وإلى الغرب من مدينة بيت لحم حيث تبعد عنها مسافة 20 كم، وهي على أرض 1948م، وتقع على ثلاث قمم جبلية، وترتفع عن سطح البحر حوالي 600م، ويحدها من الشمال وادٍ عميق تنساب فيه مياه الأمطار شتاءً لتصل إلى البحر المتوسط، اسمه وادي السرار، وخلف هذا الوادي جبال خضراء من أشجارها الطبيعية المتنوعة من بلوط وخروب وسويد وبطم وسيريس، بالإضافة إلى الكثير من الأشجار المثمرة الأخرى، أمّا من الجنوب فيحدّها بلدة صوريف حيث تبلغ المسافة بين مركز البلدتين حوالي 4 كم، ومن الشرق كتلة مستوطنات "غوش عتصيون" التي تبعد حوالي 6 كم عنها، ثم بلدة نحالين أيضًا بنفس المسافة، أما من الجهة الغربية فهي عبارة عن أرض سهلية كانت مصدر رزق للأهالي إلى أراضيهم ومزروعاتهم بعد أن احتل هذا العدو الغاشم جزءًا ليس بالقليل من الأرض، أما سبب التسمية فإننا قد بحثنا عن ذلك لنجد أن الجبع اسم كنعاني قديم، ويعني التلة، أي قمة صغيرة ترتفع عن الأرض، ولا تزال في هذه البلدة آثار هامّة وتاريخية شاهدة على اسمها حيث يوجد بها آثار مختلفة منها البيزنطي واليوناني والروماني وغيرها، ليؤكد هذا الأمر على أن الغزاة جميعًا قد رحلوا وبقيت البلدة بحجارتها وأشجارها ومياهها ورجالها ونسائها وأطفالها. وفي العام 1967م كان عدد سكان القرية حوالي 450 نسمة يعمل معظمهم في مجال المزروعات وتربية المواشي، والجزء الأكبر من الشباب كان يعمل في الجيش الأردني، وبعد حرب عام 1967م غادر أكثر من ثلث سكانها أرض الوطن حيث كان جزء منهم يعمل في دول الخليج ولم يعودوا حتى اليوم. وأراضي هذه القرية الجميلة كانت مزروعة بأشجار الزيتون والتين والعنب واللوزيات بأنواعها والتفاح والتوت والصبر وكذلك البقوليات والحبوب بأنواعها، وهذه القرية تسكنها عائلتان هما عائلة الطوس وعائلة المشاعلة،

منظر عام لقرية الجبعة بمحافظة الخليل

وتاريخ سكناهما في هذه البلدة حسب المؤرخين ليس قديمًا جدًا، ربما لا يتعدّى 300 عام، وكان جزء منهم يسكن منطقة يُقال لها بيت داوير على مسافة حوالي 10 كم شرقًا، ولظروف غير معروفة على وجه الخصوص كانوا قد هاجروا إلى قرية الجبعة لتوفّر الكهوف والمغارات والآبار فيها، فالغابات تلفّها بحزام جميل وبشكل خط دفاعي أولي عن

القرية بالإضافة لارتفاعها على سلسلة جبال، أما اليوم ففي عام 2019م قد بلغ سكانها نحو 1400 نسمة، والسبب وراء هذا العدد القليل هو هجرة الشباب المتعلم من أجل العمل خارج فلسطين، ولا يعودون لارتباطهم بأعمال خاصة بهم، وهذا ما يعرف اليوم بهجرة العقول.

وتعتبر القرية الجبعة واقعة على خطوط الهدنة عام 1948م حيث شهدت هذه القرية مع المحتل أكثر من مرة اشتباكًا وأكثر من موقعة وقُتل في إحدى هذه المعارك 37 جنديًا صهيونيًا تمت محاصرتهم في أحد الجبال وقُتلوا جميعًا، واشترك في هذه المعركة الكثيرون من أهالي القرى المجاورة، وأيضًا حدثت معركة صغيرة على مسافة 10 كم شمال قرية الجبعة وأسفرت عن مقتل 5 جنود صهاينة وتمّ أسر 4 جنود، وأصيب اثنان تمكنا من الفرار إلى داخل خطوط الهدنة، وعلى إثر هذه المعركة في العام 1950م تم تجنيد عدد من الشباب الأردني، وفي حوالي عام 1951م استطاع العدو وضع ألغام في منزلين على أطراف القرية راح ضحيتها حوالي 5 أفراد نساءً وأطفالًا.

في الثورة الفلسطينية المعاصرة التحق الكثيرون من أبناء قرية الجبعة في صفوف الثورة وخصوصًا تنظيم حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، أما العلاقات العائلية والاجتماعية في هذه القرية الجميلة بمناظرها الخلابة وسكانها البسيطين والطيبين والمشهورين بالكرم والجود وحب الوطن والثورة والعلم، ومع ذلك لم تخل هذه القرية من حفنة المندسين والسيئين الذين حاولوا أن يعيثوا الفساد في سكان البلدة، ووقعت هذه البلدة تحت الاحتلال الصهيوني 1967م، وهاجر الكثيرون من أهلها إلى الأردن كما باقي القرى والبلدات، وكان سبب الهجرة الخوف الشديد من ظلم وغطرسة هذا المحتل؛ إذ تخوّف الناس من حدوث إبادة وقتل جماعي كما حدث في العام 1948م، بالإضافة لكون هذه المناطق كانت خاضعة لسيطرة الجيش الأردني، وبالتالي فإن العقلية الفلسطينية في الأراضي المحتلة عام 1967م كان وعيهم وتفكيرهما متماشيًا مع النظام الأردني، وكان هناك حالة من الضياع وغياب الوعي الوطني وغياب الفهم الضروري لطبيعة الحركة الصهيونية والاحتلال الإجرامي، وهناك قاعدة تقول: "إذا أردت مواجهة عدوك، فعليك معرفته من كل النواحي"، وهذا كان مفقودًا عند الجماهير التي صدمتها الهزيمة، وأفقدتها توازنها في الفكر واتخاذ القرار.

مرحلة مفصلية بتاريخ الصراع الفلسطيني

كان المناضل محمد الطوس (أبو شادي) من ضمن الذين غادروا مع والده وإخوانه وأخواته إلى الأردن، وشعر حينها بمرارة الألم والوجع وبنار هذه الغربة، وهو لا يزال لم يتجاوز 12 عامًا إلا أنّه من حسن حظهم لم تستمر غربتهم سوى شهرين حيث عادوا للوطن في ليلة طويلة عبر نهر الأردن. وقد شهدت تلك الفترة مرحلة هامّة ومفصلية وبروز الحركات والتنظيمات الفلسطينية والسياسية والعسكرية رافعين شعار العودة والتحرير، ومع بداية العام 1968م تصاعدت العمليات العسكرية الفدائية ضد أماكن تواجد العدو سواء

في الضفة وغزة أو عبر نهر الأردن إلى أن جاءت معركة الكرامة في 21/ 03/ 1968م، والتي بكل صدق أعادت الأمل للجماهير العربية والإسلامية والفلسطينية والذين كانوا لا يزالون يعيشون الدمار النفسي بسبب الهزيمة غير المتوقعة في ذلك العام،

نُصُب الجندي المجهول هو صرح تذكاري عسكري يقع في الشونة الجنوبية في محافظة البلقاء بالأردن. شُيِّد عام 1976 لتخليد ذكرى معركة الكرامة

وكان المواطنون في القرى ينتظرون سماع صوت الثورة الذي كان يبث في ذلك الوقت من عاصمة الدولة العربية من قاهرة المعز حيث كان يجتمع الصغار والكبار حول المذياع للاستماع للبيانات العسكرية وأناشيد الثورة الفلسطينية، والتي كان ولا يزال لها الأثر الكبير في رفع معنويات الجماهير الفلسطينية التي ألهبت مشاعرهم وأحاسيسهم وجعلتهم يخوضون الصعب دون خوف أو وجل من أجل كرامة الشعب وحرية الوطن المسلوبة، وفي تلك البلدة داهم العدو منزل المناضل أبو شادي واعتدوا بالضرب المبرّح على والده لعدم تسليمه سلاحًا يبحثون عنه، وكذلك من أجل اعتقال أخي المناضل أبو شادي واسمه فوزي كان مطلوبًا للعدو حيث كان قد غادر الوطن متسللًا إلى الأردن ملتحقًا بصفوف الثورة الفلسطينية التي كانت تستقبل في كل يوم المئات من الشباب الفلسطيني الثائر والغاضب في وجه المحتل، فعندنا في فلسطين حينما تنادي الثورة أبناءها فإن شبابها وصغارها وكبارها يُلبّون نداءها، وكان حينها المناضل فوزي قد انتسب إلى حركة فتح التي أصبح اسمها على لسان كل عربي وغربي ولاسيما بعد معركة الكرامة، وتوسّع نشاط الثورة ليُبدع الفدائيون في عملياتهم الجريئة والنوعية ليصل عدد العمليات الفدائية في العام 1969م إلى 30 عملية يوميًا ما بين إلقاء قنابل وكمائن مسلحة وإطلاق قذائف أو الاشتباك المباشر عبر نهر الأردن، وكان حينها مناضلنا أبو شادي عاشقًا للوطن ولحكايات الثورة وأعمالها الفدائية، وقد رسم ملامح شخصيته الثورية منذ صغره.

ملاحقة باكرة منذ الصغر

في عهد الطفولة الصعبة بدأت عليه معالم الذكاء الخارق وأحوال مثيرة للعجب، فما كان من والده إلا أن يقلق كثيرًا على ولده، وكان يكّن له الحب والحنان والشفقة وكأنه أدرك ببصيرته النفّاذة المستقبل الذي ينتظره من آلام وأهوال كأنه حقق في هذا المشهد قصة الدجاجة الشهيرة حيث حاول عبرها التخفيف عن ولده لتنطبق عليهم كما ذكرنا تلك القصة حيث إنه كان يوجد دجاجة احتضنت عددًا كبيرًا من البيض، ولم تلاحظ الدجاجة الأم أي فروق بين فراخها، وفي يوم من أيام الربيع اصطحبت صغارها إلى النهر لتُعلمهم السباحة، لكن أحد الفراخ سارع دون إذن الدجاجة وألقى

بنفسه في الماء، وبدأت الدجاجة الخائفة والمذعورة بالاستغاثة واقتربت من الماء، وإذا بالفرخ الصغير يسبح بمهارة عالية غير مسبوقة للدجاج؛ لأنه لم يكن من صنف الدجاج أصلًا، بل كان عوّامًا من جنس البط، وكذلك كان حال المناضل أبو شادي على غير حالة الأبناء لعائلة الطوس، وعلى غير عادة أبناء جيله وقريته فكان منذ صغره شخصية مختلفة عن المجموع وله اهتمامات خاصة ومميزة، وكان يكبر سنه وأبناء جيله بعقله الراجح وبصيرته قبل بصره.

تم اعتقال المناضل أبو شادي أول مرة بتاريخ 17/ 10/ 1970م بتهمة حيازة أسلحة ومكث حينها أيامًا في التحقيق ثم أُطلق سراحه، ولم يكن يملك حينها سلاحًا ولاسيما أن تلك الفترة كان عمه مطلوبًا للعدو الصهيوني، وكان ضمن مجموعة فدائية يعيشون في الجبال، وكانوا بين فترة وأخرى يأتون إلى القرية ولعائلة المناضل أبو شادي، وذات مرة شاهدهم أحد الأطفال وهم في القرية في منزل المناضل أبو شادي ليصل الخبر إلى العدو الصهيوني، ويتم اعتقال والد المناضل أبو شادي في العام 1971م، وكان قد وقع عمه إبراهيم في الأسر، وبقي المناضل أبو شادي هو وشقيقته وحدهما في هذه الدنيا لاسيما أن والدتهم توفيت قبل ذلك بفترة من الزمن، وكانت شقيقته لا تتجاوز سن العاشرة من عمرها، فأي مصيبة هذه التي حلّت على المناضل أبو شادي وشقيقته؟! فمن لهم ومن يغيثهم ومن يرعاهم؟! ومن سيُدخل الفرحة عليهم؟! ومن سيُنقذهما من براثين الدنيا وسعتها؟! الجواب لا أحد سوى حفظ الله ورعايته لهما، حيث اعتمد المناضل أبو شادي وشقيقته على أنفسهما، واجتمعا معًا في منزلهما يتشاوران ماذا يفعلان بحالهم، فلذلك المنزل كان الانتماء، وهناك رسم المناضل أبو شادي بأصابعه شكل السهم وخطط الفدائيين وعيون الحديد وانتصار الزمن، ولكن باعتقال والده قد سقط المكان وغاب الزمن وسقط المكان بجمع الأهل وصحبه من الأهل. سقط المكان مع انكسار الضحكات وتلاشي الوجوه، وتكدّست أكوام كبيرة من الغبار على ذلك الزمن، فغياب الوالد ولد صبرًا وإحساسًا باليتم، والمناضل أبو شادي لم يعرف طريقًا لليأس والإحباط، فبدأ إلى جانب أخته الصغرى بالقيام بكل مستلزمات الحياة والصمود في وجه هذه المصيبة، وقاما بالطبخ وحدهما، وخبزا على الصاج، وغسلا ملابسهما.

قصته مع مدير المدرسة

كان محمد وشقيقته يحرصان على الذهاب إلى المدرسة لتجري الأيام والشهور، ولم يبق مع المناضل أبو شادي أي مصروف للبيت، وقد نجح في شهادة الثالث الإعدادي وانتقل حينها للدراسة في الصف الأول الثانوي، وتوجّه إلى وكالة الغوث الدولية علّه يجد عندهم المساعدة في سدّ حاجاتهم المادية ليخرجوا له بطاقة تموينية ليأتي ذلك اليوم الذي يتم فيه صرف المؤن على المواطنين المستفيدين من مساعدة الوكالة، ولكن كيف سيقوم المناضل أبو شادي بهذه المهمة ويتغيب عن المدرسة؟! فطلب حينها من مدير مدرسة حلحول أن يغيب عن المدرسة في ذلك اليوم من أجل الحصول على

التموين، فرفض مدير المدرسة إعطاءه الإذن بذلك، ولكن الطريقة ليست رفضًا فقط، بل كانت طريقة ردِ ذلك المدير مشبعة بالألم والإيذاء والتهكم والسخرية والإذلال حيث نادى بأعلى صوته قائلًا: "تعالوا يا أساتذة يا محترمين شوفوا إلّي بدو يغيب عن مدرسته من أجل استلام الطحين"، وهذا الأستاذ الذي لا يزال مذكورًا بشريط الذكريات والأحداث ما زال محفورًا في مخزون ذاكرة مناضلنا أبو شادي جعله يشعر حينها بالمرارة والألم وبحالة اليتم وفقدان النصير له، فشقيقته الجائعة من ينصرها؟ ومن ينتصر له؟ ومن ينتصر لأبيه ولعمه الأسير ولحالتهم الفقيرة؟ فكيف يجرؤ ذلك المدير على رفض هذا الطلب رغم معرفته بوضع والده الأسير وحالتهم التي يُرثى لها، وجاء المناضل أبو شادي في اليوم التالي إلى المدرسة رغم ما شعر به من ألم وذلّ من المدير وعدم الاهتمام لأدنى الحقوق والمطالب الإنسانية ليتفاجأ بقيام مدير المدرسة بطرده منها بسبب غيابه في اليوم السابق من أجل حصوله على التموين، وأظلمت الدنيا في وجهه، واتجه إلى ذلك الرجل الفاضل والوطني في بلدية حلحول واسمه الحاج حجازي مضية، وشرح له حاله وحال أخته وما حصل معه في المدرسة، فما كان منه إلّا أن قدّم له المساعدة المطلوبة والطلب من مدير المدرسة بإعادته إلى صفوف الدراسة، ومضت الأيام والأشهر وتم استدعاؤه من قبل المخابرات الصهيونية من أجل التحقيق معه، ليكون في اليوم الثاني المناضل أبو شادي على موعد وحكاية مع مدير المدرسة حيث كان يخافه أكثر مما كان يخاف العدو، والذين حاولوا أن يحصلوا منه ولو على كلمة واحدة ليتم بها إدانة والده في سجنه، وكان محور التحقيق معه هو أن المناضل أبو شادي كان قد حضّر الشاي للمطاردين وأن والده قد ذبح لهم شاة، وكان حينها ابن عمه شاهدًا أمام والده على الحدث، وكان حينها لا يتجاوز 13 عامًا من عمره، والمحقق يريد معرفة هل كانت تلك الذبيحة خروفًا أو جديًا؟!، وقال المحقق للمناضل أبو شادي يقول والدك إن الذبيحة لفدائيين كانت عبارة عن خروف، وابن عمك يقول إنه ذبح جديًا فما رأيك؟ وجاء الدور لمدير المدرسة أيضًا لماذا غبت عن المدرسة يا محمد؟ فقال له أبو شادي كنت عند مخابرات العدو، فقال له المدير اذهب وأحضر ورقة تثبت ذلك. فقال له أبو شادي يا أستاذ اتصل بالشرطة وهم سيعطونك الجواب، فقال له المدير اخرج من المدرسة فورًا، وتوجه حينها المناضل أبو شادي مرة أخرى إلى ذلك الرجل الفاضل وشرح له ما حدث معه بالتفصيل، فقام حينها ذلك الرجل الفاضل الطيب وأجرى اتصالًا مع مدير المدرسة قائلًا له ألا يكفي معاناة أبو شادي وأخته وظلم الاحتلال لهما واعتقال والدهما؟! هل تريد أن تكون عونًا للمحتل على هؤلاء الأولاد؟! اخجل من نفسك أيها المدير!

تحمّل المسؤولية في غياب والده

تم إعادة المناضل أبو شادي مرة أخرى إلى المدرسة إلّا أنّه ورغم هذا النضال بالعودة للمدرسة واستمرار التعليم برز عائق آخر وقف أمامه، وهو أنّه وجد نفسه لا يملك سوى 70 قرشًا فقط؛ بالكاد ستكفيه وتكفي عائلته، فكان لزامًا عليه أن يبحث

عن مصدر جديد للرزق، وقرر حينها ترك المدرسة والتوجه إلى العمل وإن كان العمل شاقًا حيث عمل لدى المزارعين اليهود. وعمل في كل المجالات حتى في روث الدجاج والغنم والبقر وليس لشيء سوى أنه يريد حماية نفسه وأخته ومنزلهما، وأن يكون على قدر المسؤولية التي حملها رغمًا عنه عندما تم اعتقال والده، واستمر على هذا الحال إلى أن تمّ الإفراج عن والده من السجن بعد عام.

ظاهرة المطاردين والفدائيين

صادف في تلك الفترة وجود ظاهرة المطاردين والفدائيين عشّاق الوطن حماة الأرض والديار، وكانوا حينها يسكنون في الكهوف والجبال الشاهقة، وكانوا ما بين الحين والآخر ينزلون من مكانهم للاطمئنان على المناضل أبو شادي كونه ابن الأسير والمناضل، وتقديم ما يحتاجه من مواد عينية، يرفعون بذلك من معنوياته ويشدون من أزره حيث في أحد الأيام جاءه الشهيد عامر، وكان مطاردًا وشديد الإجهاد والتعب وذلك نتيجة لكمية الغاز الذي استنشقها عندما كان متواجدًا في مخبئه في أحد الآبار حيث كان الاحتلال الصهيوني يقوم بين الفترة والأخرى بإلقاء قنابل الغاز في داخل الآبار والكهوف والمغارات ظانًا أن معظم المطاردين يقصدونها ليلًا أو نهارًا. ونتيجة استنشاقه للغاز تعرّضت رئته للالتهاب الشديد فكان بالكاد يحمل سلاحه، وما هي إلا عدّة أيام حتى تحسّنت صحته وعاد من جديد إلى سابق عهده قويًا مؤمنًا بحتمية الانتصار الأكيد، ويرفع من معنويات كل من حضر. وكان المناضل أبو شادي يحب الشهيد عامر هو ومجموعته ويقدّر أعمالهم الفدائية والجهادية لاسيما أنهم قد شاغلوا العدو ما يزيد عن ثلاث سنوات إلّا أنهم قد وقعوا في كمين عند نهر الأردن حينما غادروا أرض الوطن حيث استشهد البطل عامر وأُصيب إخوانه، وتم أسرهم في العام 1973م في الوقت الذي كانت تمر به الثورة الفلسطينية في منعطف خطير بسبب ما حدث في الأردن بين الملك حسين وجيشه، وما بين قيادة وجنود وكوادر الثورة الفلسطينية بكافة أطيافها حيث خسر الفلسطينيون أطول حدود مع الكيان الصهيوني، وخسروا القاعدة الهامة والاستراتيجية للمقاومة الفلسطينية في الأردن.

فتنة وأدها الله

بينما الشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده مشغول بتلك الأحداث إذ بالعام 1974م تتحرك شياطين الإنس بشرورهم التي عجزت عنها شياطين الجن، فنتيجة لهذه الفتنة خسرت قرية الجبعة اثنين من سكانها من أفضل خيرة رجالها، فكان أحد القتلى أخا المناضل أبو شادي، أما الثاني فبينما كان المناضل يدافع عن نفسه عندما تعرض له ستة أفراد قام بالخطأ بقتل أحد الرجال ولم يعرف ماذا فعل حينها إلا بعد وقت قصير، وتمنّى لو كان هو الضحية. هكذا هم الرجال من أمثال المناضل أبو شادي الذي يحترمه ويقدّره الرجال والذي تمنّى أن يكون هو الضحية من شدة إعجابه واحترامه لذلك الرجل المرحوم الذي تم قتله عن طريق الخطأ، وعلم أبناء القرية أن العدو قد نشر شياطين الإنس لينشروا الفتنة والفساد بين أهالي

القرية ليشغلوهم عن مواجهة المحتل ولتسهل سيطرته على أرضهم ومزروعاتهم، ومحاولة غسل أدمغتهم، وتم اعتقالهم على إثر ذلك في تاريخ 17/ 06/ 1974م، وتمكّن بعدها من الهروب من السجن بعد عام من الاعتقال حيث قام بقص أحد قضبان الشباك، وهرب من السجن، وعاش مشردًا مطاردًا في الجبال ما يقارب عامان وثلاثة أشهر. وكانت أيّامه صعبة وقاسية، ولكنها رائعة، وتمكن من إنشاء علاقات قوية مع الكثير ممن يعملون في تلك الجبال وممن يرعون أغنامهم، وكان معظم أصدقائه من البسطاء والطيبين والمساكين، وكانت حينها أفكاره أثناء وجوده في الأسر تضغط عليه كثيرًا ليتصرف ويقدم على أعمال شرّيرة إلّا أنّ نور الإيمان والهداية كان أقوى من وسواس الإنس والجن، ويعود هذا النور وهذه الهداية للعقلانية وضبط النفس إلى والده _رحمه الله_ الذي كان عاقلًا وواعيًا ومدركًا للعواقب وتدخّلات العدو وزعزعة العلاقات بين الناس، فاستمع الجميع لصوت العقل والرحمة والانضباط لتتم حينها المصالحة بين كافة أطراف المشكلة، وبذلك تكون قد انطوت صفحة سوداء من صفحات تلك البلدة الشامخة، وخلقت هذه المصالحة ظروفًا أفضل لحياة أطفال وزهرات تلك القرية يسودها الأمن والأمان والاستقرار والمحبة والتعاون والاجتماع على كراهية العدو وحب فلسطين أرضًا وشعبًا.

نصائح ذهبية من والد سخي معطاء

رحمك الله يا والد المناضل أبا شادي كم كنت تمتلك من العلم والحنكة في ذلك الوقت، لتؤكد أن العلم ليس حكرًا على المتعلمين فقط، فذلك الحاج كان _رحمه الله_ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك نهل من دروس العلم التي كان يلقيها رجال الدين في المسجد الأقصى في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، وبالتالي فقد كان مؤمنًا إيمان العجائز، الإيمان بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبيًا ورسولًا، آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وأن الأرزاق بيد الله، آمن بقول الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:51]. وهذا الفهم العميق للدين ولما يجري في ذلك الوقت جعل والد المناضل أبو شادي شعلة ملتهبة في وجه المستعمر البريطاني حيث قاتلهم في ثورة عام 1936م وفي حرب عام 1948م واشترك في معركة القسطل ومعركة الشيخ جراح، وقد أُصيب فيها، وفي القطمون بالقدس الشريف،

مقاومون يؤدّون قسم الجهاد في بلدة أبو ديس بالقدس (1947م)

ثم في معركة كفار عتصيون وأصيب بها أيضًا، ثم اشترك في العديد من الاشتباكات مع العدو. وكان هذا الحاج المجاهد والمناضل الكبير والد أبو شادي بخبرته وحنكته قد أوصى ولده بثلاث وصايا

عندما هرب من السجن عام 1975م أولها: أن لا يركب سيارة أو أي وسيلة نقل، ثانيها: أن لا يدخل أي بيت؛ لأن حصار المنزل سهل جدًا، والثالثة: أن لا يسلّم سلاحه لأحد مهما كان، إضافة لعدد من النصائح والإرشادات التي خبرها في تجاربه الشخصية في معترك الحياة مثل كيفية النوم والمشي في الليل وصناعة المواقع الآمنة وتمويهها بشكل جيد، ثم التأكد من عدم كشفها، وكذلك عدم الدخول إلى المغارات أو حتى السير بالقرب منها ليلًا أو نهارًا؛ لأنها دائمًا تكون موجودة على الخرائط العسكرية، وهي عرضة للمداهمة في كل وقت وإلقاء قنابل الغاز بها، وكان هذا الحاج يعمل في تربية المواشي إلّا أنّه كان حكيمًا ومرشدًا ومعلمًا ودائم توجيه النصائح لأبنائه، وأوصى ولده أن يحرص دومًا على مساعدة الناس بقدر ما يستطيع، وأن يُصلح بين المتخاصمين إن استطاع إلى ذلك سبيلًا، وما أن كان يرى سلاحًا جيدًا حتى تدخل الفرحة والسرور إلى قلبه كأنه قد وجد ضالته.

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

أُعيد اعتقال المناضل أبو شادي مرة أخرى وتحرر في العام 1981م، وقال له ضابط المخابرات الصهيوني في الخليل: أبا شادي نحن نعلم أنك ستعود مرة أخرى إلى السجن ونحن سنلاحقك ونتابعك ولن نسمح لك بمواجهتنا أو مفاجأتنا. ومن أجل ذلك أراد المناضل أبو شادي أن يُبعد أنظار المخابرات الصهيونية وعيون جواسيسهم عنه، وذلك عبر إقناعهم أنه مهتم بإيجاد عمل مناسب له حيث طلب من أحد أصدقائه أن يصحبه إلى العمل، وقام صديقه بتسجيله كعامل للبناء، وقال له يا صديقي أنا لا أعرف كيف أبني، فقال له سوف تتعلم، وبعد ساعتين جاءه مسؤول العمل لمشاهدة ما قام به أبو شادي من عملية البناء فأمر على الفور بهدم ما قام ببنائه، ثم ذهب إلى صديق آخر وقام بتسجيله أيضًا طوبرجيًا ووضع له مساعدًا، ولم يقبل حينها بذلك، وقال له أريد منك فقط أن تجلس عندي وتشرب الشاي ولا تقوم بأي عمل واسمك مسجل عندي طوبرجيًا، ولم يعجب المناضل أبو شادي هذا الأسلوب، وأنهى العمل، وفي المرة الثالثة ذهب إلى صديق آخر وقام بتسجيله كما يريد وهو عبارة عن عامل فقط، وفرح أبو شادي بأنه قد أصبح عاملًا وحقق ما يريد، إلّا أنّ الفرح عادة لدى الفلسطينيين لا يدوم كثيرًا، فبعد سقوط المناضل أبو شادي من الطابق الرابع إلى الطابق الثالث، وتم نقله إلى المستشفى وقد كسرت يده، ولم يعد حينها يكتب بخط جميل، وكره خطه منذ ذلك الوقت، وأصر على أن يدهن البيت ليتفنن في عملية الدهان رغم إصابة يده، وكأن الله عوّضه بأن جعله يتقن صنعة من غير معلم، وعندما رأى أصدقاءه ما قام به نصحوه أن يبدأ العمل في مجال الدهان، وأصبحت هذه مهنته وجلبت له مالًا يزيد أربعة أضعاف عن أجرة الطوبرجي، وكان حينها بحاجة ماسة للمال من أجل أمرين! الأول مسدس والثاني الزواج، وحقق الأمرين معًا، فاشترى المسدس وأصرّ والده على أن يتزوج رغم أن ما يملكه لا يتجاوز 400 دينار أردني، وحمل على كاهله ديونًا كبيرة نسبيًا وصلت

إلى 1500 دينار، وقد تزوج عام 1981م واعتقل في شهر 12 من العام نفسه، وبالرغم من أنه في الحالة الطبيعية وعمله المربح فإن العدو الصهيوني لم يكن ليتركه ليعيش بهناء وسعادة كما يتمنى، بل كان ما إن تحدث أي مواجهة حتى يقتحم المنزل ويعتقل المناضل أبو شادي.

شاهد على المجازر بحق الفلسطينيين في لبنا ن

في تلك الأثناء كان مناضلنا أبو شادي قد تمكن من تشكيل خلية عسكرية مكونة من ثلاثة مناضلين أبطال، وتلك الفترة شهدت أحداثًا حاسمة ولاسيما ما حدث في لبنان من حرب أهلية يجمع الكتاب والمؤرخون والشهود أن من افتعلها كان حزب الكتائب الماروني بقيادة بشير الجميل ذلك اليميني المتطرف والذي تلقّى تدريبه العسكري في الكيان الصهيوني هو والمئات من مقاتلي الحزب، وقام حينها ضبّاط إسرائيليون بتدريب وتسليح عشرات الآلاف من الموارنة وغيرهم في لبنان بهدف ضرب الوجود الفلسطيني المسلح، وفي يوم 13/ 04/ 1975م نصب الخونة كمينًا لمحاولة قتل حوالي 50 طالبًا فلسطينيًا عند عين الرمّانة في بيروت الشرقية وأمطروها بوابل من زخات الرصاص، سقط حينها جميع الطلبة شهداء وجرحى ليصل عدد الشهداء إلى 26 شهيدًا، ولم يكتفِ حزب الشيطان الذي تربّى في أوكار الشياطين في الكيان الصهيوني بما فعلوه في مجزرة عين الرمانة، بل قتلوا العشرات من العمال الفلسطينيين الذين عادوا من عملهم في ميناء بيروت، واشتعلت الحرب التي خطّط لها الصهاينة من قلب "تل أبيب"، وكانت حربًا قاسية جدًا أكلت الأخضر واليابس، ولم يسلم منها بشر ولا حجر.

تلك الأحداث كان المناضل أبو شادي قد سمع بها وبتفاصيلها وهو مطارد للاحتلال الصهيوني، وتمكّن من الهرب من السجن بتاريخ 24/ 06/ 1975م، وكان يتابع تلك الأحداث أولًا بأول عبر السماع لجهاز الراديو. وعلى الرغم من مضي أكثر من 40 عامًا على تلك الأحداث إلا أنّها لا تزال مخزونة في ذاكرته، ولا يمكن نسيانها أبدًا بما حدث بها من مجازر رهيبة بحق الشعب الفلسطيني، فكيف يمكن نسيان ما حدث في تل الزعتر والمجازر التي تم ارتكابها بحق الفلسطينيين لم يسبق لها مثيل في أي مكان من العالم حتى في رواندا وأفريقيا لم يحدث ذلك،

مشهد من نزوح اللاجئين الفلسطينيين في مخيم تل الزعتر بلبنان (1976م)

فكانوا يأمرون الأطفال والنساء والشيوخ بالانبطاح على الأرض، ثم تدوسهم المدرعات وسط هتاف النسوة المارونيات وتصفيقهن، بل تعدّى الأمر إلى قيام الرجال المارونيين باغتصاب الفتيات ثم

قتلهن، وكان برنامج يُسري فودة "سريًا للغاية" على قناة الجزيرة قد ورد فيه حقيقة ما جرى، ومن هو المسؤول عن ذلك، ومن الذي خطط لتدمير مخيم تل الزعتر وغيره، ونحن لا نكتب هذه الحقائق من أجل فتح الملفات القديمة، ولكن حتى لا تنسى الذاكرة الفلسطينية والعربية ذلك الظلم بحق الشعب الفلسطيني في لبنان.

تشكيل مجموعة مسلحة

تم اعتقال المناضل أبو شادي بتاريخ 11/ 03/ 1978م حيث حدثت عملية استشهاد الفدائية دلال المغربي، وجرت تلك الفترة حملة إجرامية صهيونية بحق الأسرى والمعتقلين، وكانت السجون حالها يرثى له من جميع الجوانب الصحية والنفسية والطبية حتّى إن الطعام والشراب الذي يتم تقديمه للأسرى يكاد لا يكفي لثلث المعتقلين، فإن أكلوا فإنهم لا يشبعون وإن شربوا فإنهم لا يرتوون، وكان بالفعل وضع السجن بتلك الفترة أشبه بكارثة إنسانية حلت بالأسرى والمعتقلين إلى أن حدث إضراب العام 1977م ليحقق بعض الإنجازات، وبعدها تقرر الإفراج عن المناضل أبو شادي في عام 1981م، وبدأ بتشكيل مجموعة مسلحة، وبعد فترة قصيرة من العام 1982م تم اعتقاله مرة أخرى بسبب اعتراف شخص كان قد قدم المناضل أبو شادي إلى شقيقه المساعدة المطلوبة لعملية هروبه من السجن عام 1980م، ثم ساعده في الخروج إلى الأردن وتم الحكم عليه مدة 10 شهور، وفي هذه الفترة رزقه الله _عز وجل_ بمولوده البكر شادي بعد اعتقاله بشهرين ونصف تقريبًا، أما المناضل الذي تم تهريبه من السجن فهو المناضل أحمد جبريل مسعف، وهو من سكان يطا بمحافظة الخليل، وكان حينها محكومًا 20 عامًا وينتمي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقد تكفل بإخراجه إلى الأردن كل من بسام الجرمي من أريحا وأحمد حسن الخطيب من بيت لحم، وهما من أبناء مجموعة المناضل أبو شادي الأولى وكانا معًا في السجن، ولكن بسبب عدم قدرة الرفيق أحمد جبريل على السباحة طلب منهما مرافقته إلى حين عبور نهر الأردن وعدم العودة إلى الضفة الغربية.

قام المناضل أبو شادي بتشكيل خلية جديدة كان معه فيها الشهيد محمد حسن غنيمات من صوريف الخليل، وكأن الأحداث والتاريخ تعود من جديد، فبالأمس كان والد المناضل أبو شادي في السجن وبقي المناضل أبو شادي وحده في معترك الحياة ليأتي دور المناضل أبو شادي أن يكون بالأسر، وولده يكاد يفتح عينيه فلا يوجد من يكّبر في أذنيه ويضمّه إلى صدره. وخرج من السجن وهو عازم على العناية والاهتمام بعائلته رغم عقله وقلبه وعينيه الشاخصة إلى القدس الشريف، وعمل في مجال الدهان وأصبح وضعه المادي جيدًا. وبعد فترة من الزمن تم اعتقال ابن

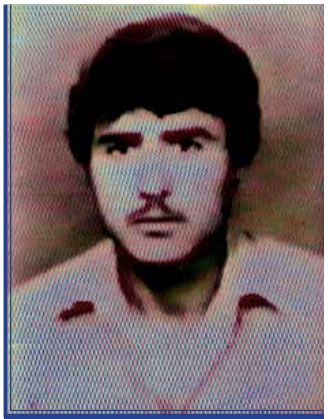
الشهيد المناضل/ محمد حسن غنيمات استشهد في 05/ 10/ 1985م

مجموعته على قضية لم يكن على علم بها، لكنه تمكن حينها من الهرب من السجن في بداية العام 1984م، وما كان من المناضل أبو شادي إلّا أن يتكفّل به هو وأحد الإخوة بكافة النواحي، ونتيجة لعيون الجواسيس المنتشرين في كل مكان لم يتمكن المناضل أبو شادي وأبناء مجموعته من عمل أي شيء حتى جاء شهر مايو (أيار) من عام 1984م حيث كان المطارد محمد حسن يتخذ من الجبال والكهوف والأشجار مخبأ له، وشاهد في أحد الأيام جنديين على مسافة قريبة فأطلق عليهما النار فأصاب أحدهما، مما حرك عيون الجواسيس والعدو على تلك المنطقة وتلك المجموعة، وفي شهر سبتمبر (أيلول) وفي ذكرى مجزرة صبرا وشاتيلا قرر المناضل أبو شادي إحياء ذكرى المجزرة بواسطة الرصاص، وكان حينها هدف المجموعة هو حافلة للمستوطنين من بلدة الخضر ومخيم الدهيشة، وأصيب حينها 7 ركاب صهاينة، وكان من المفروض أن يكون عدد أكبر من القتلى والإصابات إلّا أن السلاح الذي كان بحوزتهم كان قد توقف عدة مرات لسوء الذخيرة التي كانت معهم، وتم الاتفاق بين أبناء المجموعة على تنفيذ عملية أخرى بعد شهر، وكانت في منطقة ما بين بيت لحم والقدس ضد حافلة مستوطنين حيث تمكن المناضل أبو شادي من إطلاق 10 طلقات متقطعة، والمناضل محمد حسن أطلق 3 طلقات، وكانت لحظات صعبة ومأساوية؛ لأن السلاح الذي معهم تعطل مرةً أخرى لرداءة الذخيرة، ولم يكن أمامهم سوى الانسحاب مسافة تزيد عن 25 كم سيرًا على الأقدام متجاوزين حاجز الخوف النفسي وملاحقة العدو لهم وصعوبة الطريق، ومع ذلك تمكّنوا من إيقاع إصابة واحدة في صفوف المستوطنين.

مواصلة العمليات المسلحة رغم خطر الملاحقة

في الفترة الممتدة من شهر سبتمبر (أيلول) من العام 1984م حتى شهر يونيو (حزيران) من العام 1985م تمكنت المجموعة من تنفيذ 8 عمليات أسفرت عن مقتل 3 مستوطنين وإصابة نحو 13 آخرين رغم قلة الخبرة والإمكانيات اللوجستية والمادية وافتقارهم للسلاح والذخيرة المناسبة والجديدة وذاع صيت هذه المجموعة الفدائية مما أدى لزيادة عدد أفرادها، وبنفس الوقت أدى إلى قيام المخابرات الصهيونية بزراعة جواسيسهم في كل مكان، ونتيجة لكثرة الأعداد التي أصرّت على السير قدمًا مع تلك المجموعة الفدائية في أعمالها العسكرية من الطبيعي جدًا الوقوع في الأخطاء، ولكنها أحيانًا تكون قاتلة حيث حدث في تاريخ 02/02/1985م اعتقلت قوات الاحتلال الصهيوني المناضل أبو شادي بعد تنفيذه عملية في الليلة السابقة ليتعرض إلى تحقيق قاسٍ جدًا، ولم يتمكنوا من انتزاع اعتراف منه حينها، وتم الإفراج عنه بعد عشرة أيام، ثم قاموا بوضعه تحت المراقبة والمتابعة الدائمة. وتتابعت العمليات الفدائية ليتم في شهر يونيو (حزيران) من عام 1985م اعتقال المناضل زياد غنيمات الذي نفذ إحدى العمليات هو والمناضل مصطفى غنيمات في منطقة قريبة من بيت جبرين غرب الخليل. وفي 07/07/1985م تمكن الشاباك من اعتقال الأخ مصطفى حسين حين

دخوله لإحدى البقالات لشراء بعض الاحتياجات، أما في ليلة 07/ 07/ 1985م فقد حاصرت قوات صهيونية كبيرة مناطق صوريف والجبعة وما حولها واعتقلوا العشرات، وكان من بينهم اثنان من مجموعة المناضل أبو شادي لم يكن لديهما عمليات مؤثرة، أما أفراد مجموعة المناضل الأساسية وعددهم خمسة أبطال فتمكنوا من اختراق الطوق المتعدد الحلقات، وبدأ المناضل أبو شادي ومحمد حسن بالبحث عن بقية المناضلين، وبعد 16 يومًا تم الالتقاء بالمناضل علي خلايلة، وبعدها بـ 15 يومًا التقوا بالمناضلين محمد عدوان ومحمود النجار، وكان قرار المناضل أبو شادي حينها عدم زيادة عدد أفراد الخلية أكثر من ثلاثة مناضلين إلّا أن المناضل محمد حسن أصرّ على زيادة عدد أفراد هذه المجموعة إلى خمسة مما سبب أخطاء جسيمة وقاتلة، والأهم أن المناضل محمد حسن كانت وجهة نظره حينها تكثيف العمل العسكري ضد الاحتلال، وبدأوا بالعمل على توفير الحاجات الأساسية واللوجستية، ومنها تأمين مكان النوم حيث تمكنوا من إعداد ملجأين في غاية الإتقان والتمويه، ثم مسألة الاتصال بالقيادة، وتأمين الطعام والشراب من غير طلب المساعدة من أحد، وبنفس الوقت عدم الوثوق بأحد مهما كان مقربًا من هذه المجموعة، لتتكلل هذه الاحتياطات الأمنية واللوجستية بقيام المجموعة في تاريخ 25/ 09/ 1985م بتنفيذ عملية عسكرية ضد حافلة صهيونية متجهة نحو كريات أربع مما أدى إلى إصابة 9 صهاينة بإصابات مختلفة، وكانت إحدى النساء لم تسمح للأبطال بإطلاق النار بالقرب من منزلها، وبدأت بالصراخ عليهم بينما كانوا يكمنون لإحدى الحافلات بالقرب من مسجد الذروة في حلحول، وكانوا حينها يستعينون بأضواء المسجد لمعرفة رقم الحافلة، وفي تلك الفترة كانت باصات شركة إيجد الصهيونية تنقل العمال العرب العاملين في الداخل المحتل، وكان رقم باص المستوطنين هو (61 + 62)، ونتيجة لاستمرار شتائم تلك المرأة قام الأبطال بالانتقال من ذلك المكان إلى مكان آخر، وما أن وصلت الحافلة المستهدفة لم يتمكن أفراد المجموعة حينها من إطلاق سوى 10 طلقات فقط؛ لأن المكان الذي تم إطلاق النار منه غير مناسب، والشيء المناسب جدًا هو تمكنهم من الانسحاب من المكان مسافة 25 كم سيرًا على الأقدام باتجاه جبل أبو غنيم.

عملية قتل مستوطنين

وفي يوم 02/ 10/ 1985م تحرك المناضل أبو شادي مع الأخوين محمد عدوان ومحمد حسن حاملين عبوة ناسفة متوجهين إلى مدينة "بيت شيمش" إلى الغرب من مدينة القدس المحتلة، وقبل دخول المناضلين إلى الهدف صادفوا اثنين من الصهاينة، وبدأ النقاش بينهم حول إمكانية قتلهما أو أسرهما، وكان رأي المناضل أبو شادي حينها بعدم التعرض لهما؛ لأنهم في مهمة سرية ومحدودة والقيادة على علم بها، وأي خلل سيؤدي لفشل مخطط العملية، أما رأي المناضلين الآخرين فكان أن يتم قتلهما تحت شعار "عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة"، وكانوا على استعجال من أمرهم لتنفيذ أي عملية لقتل الصهاينة، وذلك لأن الطيران الحربي الصهيوني كان في اليوم السابق قد أغار على

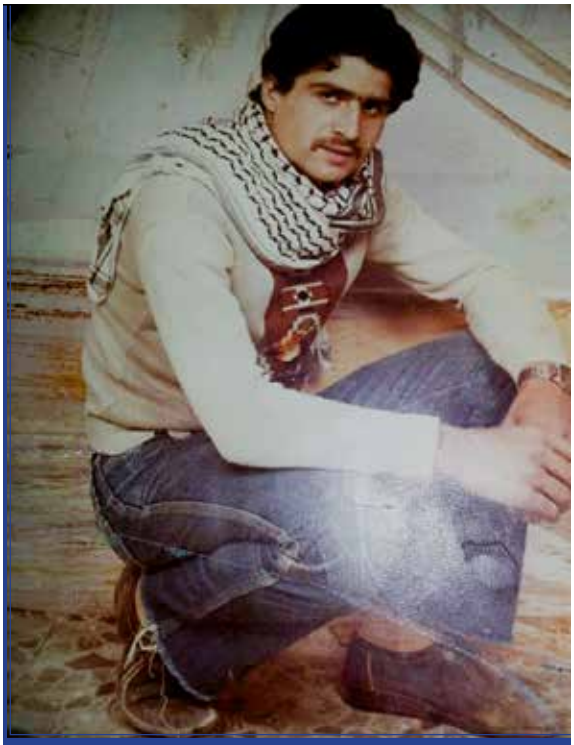

الشهيد المناضل/ محمد عدوان
استشهد في 05/ 10/ 1985م

مكاتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في تونس مما أدى لاستشهاد العشرات، وكانوا حينها يستهدفون الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، ولذلك قرر الأبطال قتل المستوطنَين، وبدأ إطلاق النار في كل مكان، وقرر الأبطال الابتعاد عن المكان وبأقصى سرعة ممكنة، وتم في اليوم الثاني العثور على جثتي الصهيونيين وذلك عندما قامت المجموعة بالاتصال على السفارة الفرنسية وإبلاغها عن مكان الجثث وأن القوة 17 هي المسئولة عن العملية مع أنه في الحقيقة ليسوا من القوة 17، وما أن وصل الشاباك الصهيوني إلى الجثتين حتى بدأ بالبحث عن الأدلة والرصاص الفارغ ورفع البصمات والعثور على الأدلة، ليتبين للشاباك فيما لا شك فيه أن من نفذ العملية هي مجموعة المناضل أبو شادي، وخرج حينها المجرم الهالك رابين على الإعلام وتوعد المجموعة بالاعتقال والقتل، وبدأ حينها الشاباك وجواسيسهم بالبحث عن المجموعة في كل مكان.

انقضاض الذئاب على الأُسود – كمين الشاباك

قرر أفراد المجموعة مغادرة فلسطين إلى الأردن؛ لأن الأوضاع الأمنية لهم لم تعد كما كانت، حيث أصبحت الظروف أصعب ثم أصعب، وكان حينها يوجد تنسيق مع شخص من بلدة يطا في خليل الرحمن واسمه راغب وهو صديق لوالد علي خلايلة، وذلك من أجل تهريب الأبطال محمد عدوان وعلي خلايلة للأردن عن طريق البدو من بئر السبع الذين ينقلون الممنوعات من الأردن حسب قول راغب والذي تبين لاحقًا أنه يعمل مع الشاباك الصهيوني، وكان لدى المجموعة تخوّف حقيقي من وجود خيانة، فتم الاعتماد على رجلين مقربين من المجموعة أحدهما طبيب وهو عم علي خلايلة والثاني صديق له وهو مهندس، وقد طلبوا منهما التحري عن البدو بالإضافة إلى راغب، وبعد فترة من الزمن والمتابعة لم يتمكنا من إعطاء المجموعة أية ملاحظات، وكان في البداية قد تقرر خروج المناضلين علي خلايلة ومحمد عدوان إلّا أنه في الأيام الأخيرة قررت المجموعة أن يكون جميع أفرادها من يخرج إلى الأردن، ثم يعودون في أي وقت لاحق إلى الضفة الغربية، وقامت هذه المجموعة بتخبئة سلاحها، ولم يعلموا حينها أنهم مساقون إلى مصيدة محكمة من الشاباك الصهيوني،

وأن رصاص العدو سيكون موجهًا لهم بلا حواجز وبلا سواتر تحميهم. وتحركت هذه المجموعة نحو بلدة السموع والتقوا بهؤلاء البدو، وكان الليل قد أنزل ستائره، وشعر حينها المناضل أبو شادي بنوع من الخوف والشك وسوء الظن بهؤلاء البدو، وأبلغ بقية أفراد المجموعة بهذا الأمر، لكنهم كانوا بين أمرين لا ثالث لهما: الأول وصول العدو لهم وهذا مسألة وقت حيث أصبحوا مكشوفين للشاباك والجواسيس وعامة الناس مما جعل تحركاتهم تكاد تكون محدودة جدًا، والأمر الثاني هو التوكل على الله والتسليم بالقدر وتسليم أنفسهم لهؤلاء البدو ليدلوهم على طريق الخروج إلى الأردن، وتم حسم الأمر بأن يتوجهوا إلى بدو السموع، وركبوا حينها سيارة مع ذلك الدليل، وما هي إلا مسافة قصيرة حتى داس السائق على الفرامل، ثم فرملة أخرى وإذا بالرصاص يطلق عليهم من كل الجهات، ولم يكن هناك صوت لتلك الطلقات، وكان سلاح الصهاينة مزودًا بكاتم للصوت وبمسافة لا تزيد عن متر واحد فقط، وأصبحت المنطقة رغم حلول الليل مضاءة لكثرة قنابل الإضاءة والرصاص، ولم يكن مع هذه المجموعة سوى مسدس واحد لم يتمكنوا من استخدامه، وكانت الإصابات التي لحقت بهذه المجموعة قاتلة، وبعد لحظات توقف إطلاق النار، ثم تم إطلاق رصاصة مسدس لُيسمع حينها المناضل أبو شادي من يقول أطلقوا مرة أخرى فعاودوا الإطلاق، وبعد توقفهم نادى الجنود الصهاينة على المناضلين، وطلبوا منهم النزول من السيارة من خلف الشادر الذي يغطي سيارة التندر، وطلبوا من المناضل أبو شادي النزول من السيارة وتم تجريده من ملابسه، وخضع لكم هائل من الأسئلة التي نزلت على رأسه كالمطر، ومعظم الأسئلة كانت حول السلاح الخاص بالمجموعة وأين يتم تخبئته؟ ويجيبهم المناضل أبو شادي أنه لا يوجد سلاح، وبدأوا بإنزال بقية أفراد المجموعة الفدائية، وكان اثنان منهم وهما محمد عدوان ومحمود النجار قد استشهدا بعد تلقيا الرصاص من الجهة التي استلقيا فيها في السيارة بسبب الهزات التي سببها السائق الخائن، وعلى ما يبدو أنه قد تدرب عليها كثيرًا ولم يخطر هذا الأمر على بال المجموعة ولاسيما أن أفراد المجموعة قد راقبوا نقطة اللقاء وما حولها، وقبل هذا اللقاء بـ 24 ساعة قاموا بمراقبة المكان تحسبًا لأي طارئ، أما المناضلان محمد حسن وعلي خلايلة فقد كانا مصابين، أما المناضل أبو شادي فقد تلقى إصابتين إحداهما في الركبة اليمنى، وتم وضع أغطية على جثامين الشهداء إلى أن وصلت سيارات الإسعاف بالإضافة لطائرة هيلوكوبتر نزلت على الشارع.

بدأ التحقيق الميداني مع المناضل أبو شادي الذي فقد الشهيدين قبل وقت قصير، وبدأت الأسئلة حول السلاح، وفي كل مرة يجيبهم أنه لا يعرف شيئًا، فيضغطون حينها على إصاباته من أجل التسبب له بألم إلى أن قال لهم بأن السلاح الذي تبحثون عنه تم وضعه في نقطة ميتة قبل أربعة أيام في بلدة أرطاس في بيت لحم، وقد أبلغوا التنظيم عن مكانه، وفي لحظة صمت سمع المناضل أبو شادي أحد الضباط الصهاينة ينادي بأعلى

صوته عودة.. عودة.. عودة، وبعد ثوانٍ معدودة رأى حينها المناضل أبو شادي الضابط وذلك الرجل الذي اسمه عودة يتعانقان، ثم تقدم الضابط باتجاه المناضل أبو شادي ليسأله: أين السائق؟ أين هرب؟ فقال له: لقد رأيتكم تتعانقون، فقال له الضابط: أنت مستيقظ ولم تفقد وعيك بعد! فقال له أبو شادي: نعم أنا واعٍ لكل شيء ولكل ما جرى، فقال له حينها: صحتين (نركب حمار ونصطاد غزالًا)، ليبدأ الجنود بعدها بنقل جثامين الشهداء عبر سيارات الإسعاف، بينما تم نقل المصابين محمد حسن وعلي خلايلة عبر الطائرة إلّا أن هناك ضابطًا كبيرًا رفض ذلك بحجة أن الوضع الأمني صعب جدًا ولا بد من الوصول إلى المكان المخبأ به السلاح،

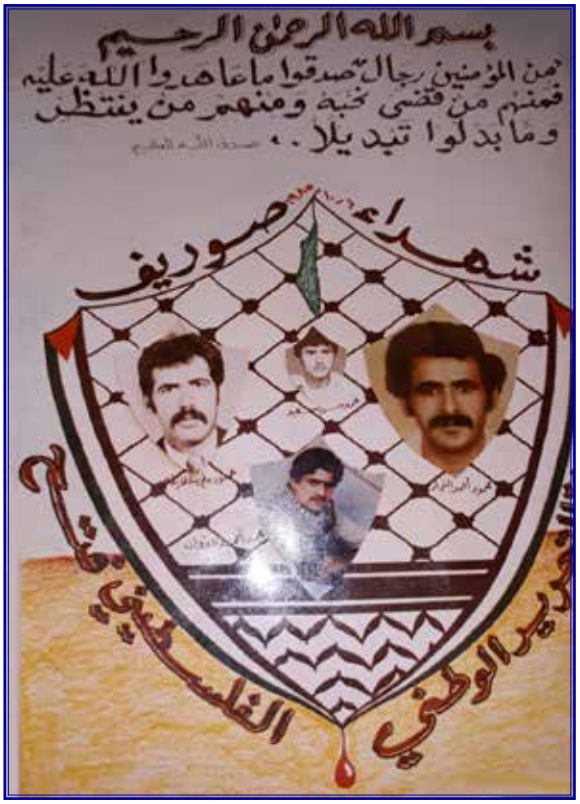

وليس أمامهم سوى إجبار المناضل أبو شادي على ذلك، لأنه إن تأخر في ذلك فإن تنظيم حركة فتح سوف يسبقهم إلى ذلك السلاح وتبدأ خلية جديدة من العمل، وتم تقديم الإسعافات الأولية للمناضل أبو شادي وأجلسوه في أحد مقاعد سيارة الإسعاف ومعه عدد من ضباط الشاباك ووصلوا إلى مدينة الخليل إلى مبنى المقاطعة العسكرية، وأثناء الطريق كان التحقيق الميداني ولم يتوقف دقيقة واحدة، وبعد أن تم الكشف عليه طبيًا وتقديم الإسعافات الأولية المطلوبة مرة أخرى في عيادة الجيش، تم نقله بعدها إلى سيارة عسكرية صهيونية وانطلقوا به إلى بلدة أرطاس ليتم حمله على إحدى النقالات، وكان حينها هذا المناضل أبو شادي مجردًا من ملابسه ويضعون عليه شرشفًا، وصعدت القوات الصهيونية إلى الجبل الذي ذكره لهم ووصلوا إلى المسجد القديم هناك، وكان قد أشار لهم إلى زاوية مخبأ بها السلاح، وبدأ الجنود بالحفر، ليعثروا على نايلون كان قد خبأ السلاح فيه تم أخذه في اليوم الثاني، وحين ظهر النايلون قال لهم: في هذا النايلون وضعت السلاح، فقال الضابط ماذا تعني؟ قال أبو شادي: لقد تم أخذه من طرف آخر لا نعلم من هو، ومع ذلك استمروا في نبش الحجارة لمدة تزيد عن أربع ساعات، وكل لحظة يؤكد لهم أن السلاح كان في ذلك النايلون الذي وجدوه حتى يئس الضباط والجنود من الحفر والبحث عن السلاح، وعادوا إلى مركباتهم متوجهين إلى مشفى هداسا عين كارم بالداخل المحتل وكان ذلك قبيل الفجر.

مرحلة قاسية جدًا من التحقيق

تم استقبال الأسير المناضل أبو شادي في مشفى هداسا عين كارم على طريقة الشاباك الإجرامية الترحيبية الخاصة، ووضعوه على سرير مثبت في الجدران ومخصص للأسرى، وحرصوا على تقييد يديه بالسرير وكذلك رجله اليسرى، وبقيت رجله اليمنى المصابة محررة من قيد السلاسل، وقد أوصى رجال الشاباك الحارسين اللذين يقفان بالقرب من المناضل أبو شادي بألا يسمحا له بالنوم، ليأتي صباح اليوم التالي وقد أخرج الأطباء الرصاصة المستقرة في ركبته، وأدركوا حينها أن هناك فقط إصابتين وليس ثلاثًا كما توقعوا في بداية الأمر، واستمر التحقيق معه مستغلين وضعه الصحي، وكان محور التحقيق حول السلاح وطرق الاتصال مع الخارج، وكان في الماضي قد تنبّه أبو شادي بحنكته وفطرته العسكرية لهذا اليوم، فأخبر أفراد المجموعة أنه في حال حدث معهم مكروه فإن الوحيد الذي يعلم أين السلاح وكيف يتم الاتصال مع الخارج هو فقط أبو شادي، حتى لا يسبب أحد إشكالية لمن يعمل معهم، ولم يكن في تلك اللحظات يعلم هذا المناضل أن رفيقي دربه محمد حسن وعلي خلايلة في وضع حرج وأنهما سوف يستشهدان، وعلم من أحد العاملين العرب في المستشفى أن أحدهما قد استشهد وأن الثاني يخضع لعملية جراحية، وكان هذا العامل يحضر الطعام والشراب للمناضل أبو شادي، والشراب عبارة عن كوب من الحليب وكوب من الماء، وشرب الماء ولم يرغب في شرب الحليب، حينها تتسارع الأحداث ويأتي عصر اليوم الثالث في هذه المصيبة التي وقعت على كاهل الرجل العملاق أبو شادي حيث جاء ضباط الشاباك ومعهم ورقة مكتوب عليها أن السلاح موجود شرق حلحول، وكان الخط العربي المكتوبة به الورقة ضعيفًا جدًا، فرد عليه إن من أخبرك بذلك عليه أن يدلك عليه، وقال له الضابط إن من أخبرني لا يمكن له الحركة، فقال له أبو شادي: عليك أن تنتظر حتى يستطيع الحركة، وبعد ساعة من هذا الحديث جاء ضابط آخر وقال للضابط الذي يحقق مع أبو شادي انتهى أمر الثاني فأبدى دهشته، وعلم حينها أبو شادي ما حصل، فقال لهم: لقد مات الثاني أليس كذلك؟ ثم قال الله يرحمهم، فقال الضابط: ماذا تقول؟ فقال لهم أبو شادي: أقصد الشباب، فقال: هذا ليس صحيحًا، فقال أبو شادي: لقد سمعت ما قاله لك هذا الضابط ولماذا تكذبون؟، فقال الضابط: لقد قلت لنا إنك لا تعرف اللغة العبرية إطلاقًا، ورد عليه قائلًا: أعرفها وأفهمها وأتحدث بها، ولم يكن أمام ذلك الضابط سوى الاعتراف بأن رفيقي درب المناضل قد استشهدا، ولم يتمكن حينها أبو شادي من فتح عينيه من شده نعاسه، ولم يحظَ بفرصة النوم منذ أربعة أيام حتى إنه عندما حاول النوم عند الفجر إذا بأحد الحراس يقوم بسكب الماء على وجهه حتى يبقى مستيقظًا، فهم يريدونه محطمًا نفسيًا وجسديًا ولا يقوى على الصمود في وجه المحققين ليصل إلى مرحلة يكون فيها قد استسلم لكافه أسئلتهم، ومع ذلك بقي صامدًا في وجههم، فكيف وقد استشهد كافه أبناء مجموعته الأبطال

علي خلايلة ومحمد حسن ومحمد عدوان ومحمود النجار؟ وكيف يلين وكيف يخضع ولسان حال كل شهيد منهم يقول للمناضل أبو شادي ما قاله الشاعر معين بسيسو:

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي لا يخفك دم يسيل من السلاح
وانظر إلى شفتيّ أطبقتا على هوج الرياح
وانظر إلى عيني أغمضتا على نور الصباح
أنا لم أمت أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح
فاحمل سلاحك يا رفيقي واتجه نحو القتال
واقرع طبولك يستجب لك كل شعبك للقتال
وارعد بصوتك يا عبيد الأرض هبوا للنضال
يا أيها الموتى أفيقوا إن عهد الموت زال
ولتحملوا البركان تقذفه لنا خير الجبال

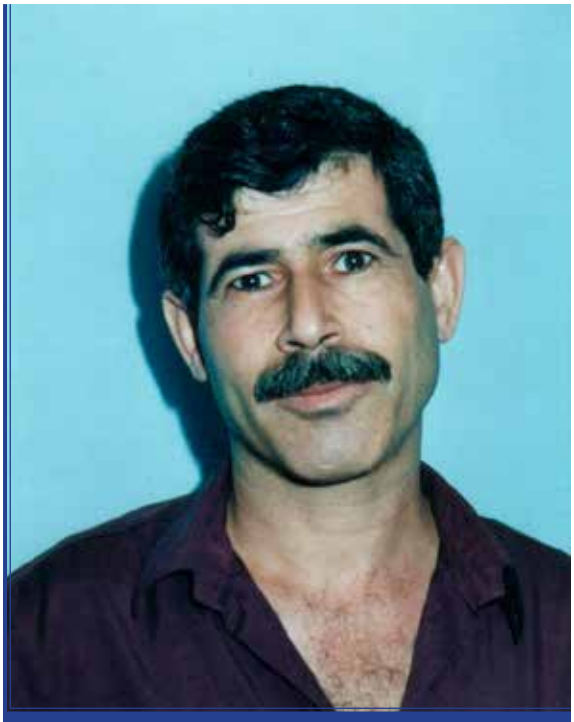

الأسير المناضل/ محمد الطوس قبل اعتقاله

استيقظ المناضل أبو شادي من جديد وقد سكب ذلك الحارس مرة أخرى على وجهه الماء، وكان حينها يشعر بالتعب الشديد ولم يتمكن من فتح عينه، وحاول النوم ولكن الحارس معه أوامر خاصة من الشاباك بعدم إعطائه أي فرصة للنوم، فهجم عليه وضربه، وبدأ المناضل أبو شادي بالصراخ عليه بصوت قوي مما جعل الحارس يشهر مسدسه تجاهه ويهدد بقتله إن لم يكف عن الصراخ، وبدأ المناضل يشتمه ويستفزه لعله يطلق النار عليه ويلحق حينها بأصحابه الأربعة الشهداء الذين لم يغيبوا يومًا عن ناظره وعقله حتى وهو مقيد بالسرير، لكن الحارس كان جبانًا وبدأ بضرب مناضلنا على وجهه بكعب المسدس وعلى رأسه إلى أن تعب ذلك الحارس، وجاء المحققون في صباح اليوم التالي لمشاهدة أثر الضرب العنيف على وجه المناضل وعيناه منتفختان وكان الدم يسيل من وجهه ورأسه، فسأله المحقق من فعل هذا؟ فقال له المناضل أبو شادي: ذلك السافل الحارس القذر، فاتصل المحققون بالشرطة وجاء ضباط أحدهم برتبة جنرال وسأله من فعل هذا؟ فقال لهم: ذلك السافل الحارس القذر، فسألوه لماذا ضربك؟ فقال لهم: من دون سبب، وإذا بالضابط الكبير يقول: أنت يا أبو شادي قد حاولت الهرب، فقال له: هل يستطيع شخص مثلي مقيد من يديه ورجليه في هذا السرير، كيف له أن يهرب؟ فقال ذلك الضابط هكذا يقول الحارس، وانفجر المناضل أبو شادي حينها غضبًا وعنفًا في وجه المحتلين قائلًا لذلك الضابط: أنت نازي، أنت هتلر، حتى هتلر أفضل منك. وحاول ذلك المجرم الوصول إليه

ليضربه، لكن أفراد الشاباك طلبوا منه الخروج من الغرفة، وأثناء خروجه قال للحراس أطلقوا عليه النار في حال حاول الهرب، وكان حينها المناضل أبو شادي يعاني كثيرًا جراء إصابته وعدم نومه لمدة أربعة أيام متتالية، وجراء الضرب الشديد والعنيف الذي تعرض له، والأهم أن نفسيته قد تعبت كثيرًا عندما تأكد من استشهاد جميع أبناء مجموعته، وتم الضغط الشديد عليه من كافة الاتجاهات النفسية والجسدية، وتمكن الشاباك من انتزاع الاعتراف منه حول مكان وجود السلاح ليقوم حينها بإعطائه حقه في النوم وفي العلاج وتنظيف الدماء التي على جسده وكان حينها الدم عليه وقد مرّ عليه خمسة أيام، وأكد لنا المناضل أبو شادي أنه كان بإمكانه عدم الاعتراف على السلاح رغم كل الآلام، لكن ما فعلوه به من إجرام نفسي وجسدي وعدم النوم لأيام جعله جسدًا ضعيفًا لا يعلم ماذا يقول وكيف يفكر حيث إنه بعد ستة أيام تم نقله من مستشفى هداسا إلى مركز تحقيق الخليل.

هزيمة ضباط الشاباك

تم تسجيل اعترافات المناضل أبو شادي كتابةً خلال تحقيق استمر معه 60 يومًا، ثم طلب منه تسجيل طلب خطي ثانٍ حول جميع اعترافاته فرفض حينها مناضلنا أبو شادي: ورفض التعاقد معهم، وجاء أحد الضباط وكان مسؤول الشاباك حينها وكان قد حقق معه في العام 1982م، ولم يأخذ منه أي اعتراف، فقال هذا الضابط للمناضل: هل تعرفني؟ فرد عليه المناضل أبو شادي لم أنسك في يوم من الأيام، فقال الضابط إن لم تعترف بكل شيء وتقم بكتابة ما قمت به فإنك سوف تتكلم من مكان آخر إن لم تتكلم من فمك، وقام حينها مناضلنا بقبول التحدي، وقال له: هل أخذت مني كلمة واحدة في العام 1982م؟ فقال له: لا، فقال له أبو شادي: إن كنت أيها الضابط رجلًا خذ مني بعد هذه اللحظة، فأضرب حينها عن الكلام، وبعد 4 أيام من رجائهم وتوسلهم لمناضلنا بأن يقول لهم ما هو طلبه لكي يتكلم معهم، وقال لهم واثقًا من نفسه معتزًا بقدرته ومقدرته على إخضاعهم وكسرهم إنه لابد من أن يأتي ذلك الضابط الأرعن واسمه (أبراهام) ويقدّم الاعتذار عما فعله وما تكلم به، وبعد ساعة جاء ذلك الكلب صاغرًا واعتذر أمام هامة وقوة وقامة وعناد المناضل أبو شادي. انتصر عليه بصبره وصموده، واسترسل أبو شادي كلامه قائلًا: اسمع يا أبراهام لقد راقبتك وكمنت لك ستة أيام كي أقتلك ولكنك لم تأتِ، فدُهش الضابط لما سمعه وكذلك الضباط الآخرون أصابهم الذهول لما سمعوه، كيف يمكن لهذا المناضل أن يصل بإمكانياته المتواضعة والمحدودة إلى ضابط كبير في الشاباك الصهيوني بكل سهولة، فقال ذلك الضابط مرة أخرى له: لو خرجت يا أبو شادي من السجن فماذا ستفعل؟ فقال له أبو شادي: بإذنه تعالى سأقتلك وأريّح هذا الشعب من شرك وفسادك وظلمك، وأنتصر لدماء إخواني الشهداء الذين قتلتموهم غدرًا، ومن يومها خرج ذلك الضابط، ولم يره المناضل أبو شادي.

مرحلة الأسر وتحدي السجان

ما أن أمضى المناضل أبو شادي فترة التحقيق حتى وجد نفسه في داخل السجن يستقبله الأسرى

بكل ترحاب وسرور ومحبة، وكأن الكثير منهم يعرفون المناضل أبو شادي من العام 1983م عندما كان معهم في السجن، ومكث في سجن الخليل لمدة شهر، ثم تم نقله إلى سجن بئر السبع، وهناك كانت الطامة التي حلت بالأسرى، فالسجن أوضاعه سيئة، والعشرات من الأسرى يسكنون في غرفة واحدة مساحتها 20م2 مع الحمامات، وفي غرفة مجاورة لهم كان هناك نحو 20 أسيرًا معزولًا من سجن جنيد نابلس على إثر إضراب بداية العام 1986م، وكان من بينهم عثمان مصلح (أبو الناجي)، والأخ شريف أبو راس، والأخ منير العيوش، وهؤلاء كانوا يساعدون إخوانهم في الأمور الثقافية لما لهم من خبرة طويلة في هذا المجال وبشكل يومي، وبقى الأسير البطل أبو شادي في سجن بئر السبع إلى حين النطق بالحكم عليه في محكمة اللد العسكرية والتي أصر على عدم الوقوف بها احترامًا للقضاة الصهاينة، وحين سألوه في المحكمة لماذا ترفض الوقوف للقضاة؟ فأجابهم إن الوقوف معناه الاحترام، وأنا لا أحترم القتلة المجرمين الذين يحتلون أرض شعبي ووطني، فتم إخراجه بالقوة من قاعة المحكمة، وتكرر الأمر مرة أخرى في المحكمة الثانية والثالثة. وفي المحكمة الثالثة تم الاتفاق بين النيابة العسكرية وبين المناضل أبو شادي على أن يدخل القضاة إلى قاعة المحكمة في البداية، ثم يدخل المناضل أبو شادي حتى لا يتم إحراج القضاة كما حدث سابقًا، وحتى تستمر المحاكمة كما هو مطلوب، وهكذا تمت الأمور وتم إخباره حينها أنهم قد اتفقوا على الحكم، وسألوه هل تريد الكلام؟ فقال لهم: نعم، وبدأ يتلو آيات من كتاب الله _عز وجل_ ثم دخل في السياسة وحتمية الانتصار، وأن مصيرهم سيكون كما حدث للغزاة الذين اندحروا وبقي الوطن، فتم طرده من القاعة وإعادته لمقر الانتظار في الرملة، ومن هناك سمع أن الحكم الذي صدر بحقه من خلال جهاز الراديو هو المؤبد ليعود شامخًا رافعًا رأسه إلى سجن بئر السبع وسط استقبال مشرف من قبل الأسرى، وبعد يومين تم نقله إلى سجن جنيد في مدينه نابلس،

عائلة الأسير المناضل/ محمد الطوس
على موعد مع الحرية لوالدهم

وفي هذه الفترة كانت أوضاع السجون مأساوية، وتحاول إدارة السجون الانقضاض على الأسرى لاسيما بعد تبادل العام 1985م حيث قال مدير السجون (ميمون) بأن الحيتان قد خرجوا وبقي السمك الصغير، وبالتالي يسهل السيطرة عليهم، وشنت إدارة السجون في العام 1986م هجمةً على الأسرى، وأحدثت الكثير من الإشكاليات وعمليات القمع في أكثر من سجن، وبدأت السجون بالتحرك نحو تنفيذ خطوة استراتيجية بالإضراب المفتوح عن الطعام للتصدي للهجوم الصهيوني، وما أن وصل هذا المخطط حتى بادرت

إدارة السجون بحملة تنقلات واسعة في صفوف الأسرى، وتم عزل العشرات من الكوادر، وكان نصيب حركة فتح في السجون هو الأكبر من بين الفصائل ممن تعرضوا للاعتداء والضرب والعزل، وكان أسرى فتح يشكلون أكثر من 70 ٪ من مجموع الأسرى البالغ عددهم حوالي 6500 أسيرًا موزعين على نحو 12 سجنًا، ورغم إجراءات القمع الصهيونية تمكّن الأسرى من إنهاء كافة الترتيبات لخوض المعركة، وكانت عمليات التعبئة والتثقيف تجري على قدم وساق وبصورة يومية نهارًا وليلًا.

في تاريخ 21/ 03/ 1987م تم إخراج كل شيء يتعلق بالطعام والشراب من كل السجون، وتم تسليم إدارة السجون ورقة للإعلان عن الإضراب وتضمنت كافة مطالب الحركة الأسيرة في السجون، وكانت إدارة السجون حينها في ذلك الوقت ترفض الاعتراف بممثلي الأسرى، وتحاول التعامل مع كل أسير بمفرده، واستمر الإضراب 17 يومًا، وكانت حركة الشارع والتضامن واسعة ومؤثرة في كل المدن والقرى، وكان المناضلون حينها يستمعون إلى خبر هذا الإضراب والتضامن معهم في الخارج عبر جهاز الراديو الذي خبأه الأسرى قبل الإضراب بوقت قصير، وكان يتم تزويد الأسرى بكل الأخبار أولًا بأول وعن حجم التأييد والواسع معهم في الساحة الفلسطينية مما يؤدي إلى رفع المعنويات لكل الأسرى، واستدعى أن تقوم إدارة السجون بإجراء مفاوضات مع ممثلي الأسرى في تاريخ 12/ 04/ 1987م ليلًا، حيث تم الاتفاق على إنهاء الإضراب مقابل تحقيق عشرات القضايا والمطالب التي وافقت عليها إدارة السجون، وبالفعل أصبح الأمر في البداية واقعًا، وتم تسليم الأسرى في صباح 13 أبريل (نيسان) وجبة الحليب الأولى، وبهذا الإضراب تم هزيمة المشروع والمخطط لإدارة السجون الصهيونية الإرهابية، ومع ذلك فقد ماطلت إدارة السجون كثيرًا في الالتزام بما تم الاتفاق عليه مما دفع الأسرى القيام بخطوات احتجاجية على مدار سنتين وأكثر، وبدأ النقاش مرة أخرى بين الأسرى حول ضرورة القيام بإضراب عام موحد يشمل كافة أبناء الحركة الأسيرة حيث في العام 1990م كانت الانتفاضة الفلسطينية في أوج قوتها وعنفوانها إلا أن الجسد الكبير للأسرى لم يكن منظمًا؛ بمعنى أنه لم يكن هناك إضراب موحد يشمل كافة أبناء الحركة الأسيرة، وفي العام 1990م دخل سجن نفحة في الإضراب دون تحقيق شيء يذكر، أما في العام 1991م فقد أقدم أسرى سجن نابلس المركزي على خوض إضراب دون التنسيق مع باقي السجون، وأيضًا انتهى هذا الإضراب بعد 17 يومًا دون أي تحقيق للمطالب.

إضراب العام 1992م

أدركت الحركة الأسيرة أنه لا يمكن لها أن تنتصر إلّا إذا توحدت، واقتنع الجميع بذلك عام 1992م وكان عدد الأسرى نحو 14 ألف أسير فلسطيني، وبدأ جميعهم بالإضراب المفتوح عن الطعام الموحد في كل السجون، وبدؤوا بالإعداد والتخطيط مع كافة الساحات والجماهير الفلسطينية والصحافة والإعلام ليتم الإعلان عن الإضراب بتاريخ 17/ 09/ 1992م حيث بدأ الإضراب تدريجيًا؛ بمعنى أنه بدأ في سجن جنيد في مدينة

نابلس ثم عسقلان ونفحة أولًا، ثم بعد يومين لحق بهم سجن الخليل ورام الله وغزة المركزي وسجن جنين، لينضم إليهم بعد أربعة أيام سجن النقب والفارعة، ووصل عدد الأسرى المضربين عن الطعام 14 ألف أسير، واشتعلت الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة وتحركت الجماهير في مواجهة المحتل، وارتقى شهداء وجرحى وعادت الانتفاضة إلى عنفوانها وزخمها النضالي، وكان ذلك الأسبوع الأول الذي صاحب البدء في عملية السلام المتمثلة باتفاق مدريد، مما دفع السياسيين وقادة الجيش الصهيوني للطلب من إدارة السجون إنهاء هذا الإضراب حتى تعود الانتفاضة إلى حالة من الهدوء النسبي تمهيدًا لمباحثات السلام المرتقبة ليأتي اليوم الـ 13 للإضراب وقد حمل معه الخبر المفاجئ،

زوجة الأسير القائد/ محمد الطوس
في فعالية تضامنية مع الأسرى بالخليل

حيث قام وزير الأمن الداخلي الصهيوني واسمه موشي شاحال واجتمع مع ممثل سجن جنيد، وهو الأسير المحرر والقائد الكبير في حركة فتح قدورة فارس، واستمع منه لكافة مطالب الحركة الأسيرة، وبدأ هذا الوزير بالتنقل بين الأقسام ومعه عدد من الصحافيين والإعلاميين ليحل المساء ويقترح هذا الوزير على الأستاذ قدورة فارس بتعليق الإضراب لمدة 24 ساعة حتى يقوم بدراسة المطالب والرد عليها حيث ذكر لهم أنه يتفهم الكثير منها لخلوها من مسائل تتعلق بالأمن وجلها كانت مطالب حياتية وإنسانية، وبدأت المشاورات المكثفة بين قيادة الإضراب، وتم الاتفاق على إعطاء فرصة لهذا الوزير وتعليق الإضراب لمدة 24 ساعة على شرط عدم الإعلان عن ذلك في وسائل الإعلام، ووافق الوزير على ذلك، وتسلّم الأسرى وجبة الحليب في المساء، والساعة الثانية صباحًا تسلم الأسرى الوجبة الثانية، وقبل الظهر ذكر راديو العدو بأن أسرى سجن جنيد قد أوقفوا إضرابهم عن الطعام مما جعل الاتفاق مع الوزير لاغيًا، وعاد الأسرى حينها مرة أخرى للإضراب محمّلين الوزير المسئولية عن ذلك، واستمر إضرابهم لمدة أربعة أيام أخرى إلى أن جاء اليوم الرابع، وتم الاتفاق حينها مع ذلك الوزير الصهيوني على أكثر من 75 ٪ من المطالب، وكان أفضل ما تم إنجازه وحققه الأسرى خلال الإضرابات حيث لأول مرة يكون لدى الأسرى مروحة وبلاطة كهربائية يستطيعون من خلالها قلي البيض أو طبخ أي شيء بها، ولأول مرة يتمكنون من شرب الكولا

والعصير، ولأول مرة يضعون المرمية أو النعنع على كوب الشاي، ولأول مرة يشبع الأسير الفلسطيني من وجبة الطعام، ولأول مرة يشرب الأسير الفلسطيني فنجان القهوة بالإضافة إلى تخفيف عدد الأسرى داخل الغرف، وغيرها الكثير من المطالب الإنسانية والحياتية والعادلة، وانتقل الأسرى نقلةً نوعيةً داخل السجون وفي نفس الوقت أدّى هذا الأمر لوقوع خلافات بين القيادات الصهيونية حيث صرح المجرم الصهيوني دافيد ميمون تصريحًا اتهم فيه وزير الأمن الداخلي بأنه خضع للمخربين وهم يعيشون في فنادق، ورد عليه الوزير الصهيوني حينها هل تقبل أن تُسجن في غرفة وكل أثاثها من ذهب؟ فوجهة نظره بأن السجن هو السجن طالما أن الأسير لا يشكل خطرًا أمنيًا.

ذكريات ومواقف لا تنسى

وكعادة الأسير الفلسطيني المضرب عن الطعام يبدأ الأسير بالتفكير في كل الاتجاهات، وأكثر ما يخطر على بال الأسير هو والدته وأبوه، الزوجة والأولاد، وكان حال أسيرنا أبو شادي ليس بعيدًا عن ذلك حين تذكر عائلته وأبناءه وإخوته ووالده وزوجته وزوجة والده وإخوانه، وكان أكبرهم حينها أخاه فوزي ولم يتجاوز حينها التاسعة، وكان العدو حينها قد هدم منزل العائلة ومنزل والده بعد اعتقاله ليفترشوا الأرض ويلتحفوا السماء، ثم تمكنوا بمساعدة من حولهم من استئجار بيت إلى أن تم بناء منزل يؤويهم في العام 1987م، ويأتي العام 1990م وقد أقدمت جرافات العدو على هدم المنزل بحجة عدم الترخيص رغم أن رخصة البيت كانت موجوده، ومع ذلك ادّعى العدو أنها مزورة، وبدأت الجرافات بهدم المنزل ومع كل قطعه من المنزل تهدم تشعر عائلة المناضل أبو شادي بأنها قطعة من أجسادهم ولا يسعهم إلا أن يصبروا ويدعوا الله أن يكون في عونهم حتى إن السماء قد بكت عليهم حيث كان الغيث في ذلك اليوم لم يسبق له مثيل، وكأنه أراد أن يوقف عمل تلك الجرافات، والأسوأ مما حدث أنه قد تم منع العائلة من إخراج أغراضها وحاجاتها الأساسية من المنزل ليعودوا مرةً أخرى لما كانوا عليه، لافتراش الأرض والتحاف السماء الماطرة، وكانت تلك الأوضاع والذكريات محفورة في عقل المناضل أبو شادي ولا يمكنه أن ينساها، ولكنها ساهمت في رفع معنوياته أثناء الإضراب ليحقق انتصارًا على الجلاد الصهيوني لعله بذلك قد يكون انتصر مبدئيًا لعائلته وتضحياتهم.

اغتيال أبو جهاد عقب عملية مفاعل ديمونا

استمر مناضلنا أبو شادي في شريط الذكريات ليستحضر تلك الرسالة التي أرسلها الشهيد أبو جهاد بتاريخ 17/ 10/ 1987م يقول فيها إن تبادلًا للأسرى سيتم خلال شهرين ويشمل 650 أسيرًا منهم 450 أسيرًا فلسطينيًا، و200 أسير من سجن الخيام في جنوب لبنان، مقابل الطيار الصهيوني رون أراد وثلاث جثث تعود لمعركة السلطان يعقوب حيث يذكر أنه في نهاية العام تحديدًا في تاريخ 07/ 12/ 1987م كانت الصفقة جاهزة، ولكن مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى دفع رئيس الوزراء الصهيوني الهالك إسحاق

شمير حينها إلى عدم التنفيذ خوفًا من تأثير الأسرى المحررين على الانتفاضة الفلسطينية الأولى لتضيع هذه الفرصة على الجميع، ويضيع هذا الطيار رون أراد في ظروف مجهولة وغامضة إلى الآن. وتأثر المناضل أبو شادي كثيرًا عندما جاءه نبأ استشهاد القائد الكبير أبو جهاد بتاريخ 16/ 04/ 1988م حيث تم اغتياله في مكتبه في تونس وذلك بعد أسابيع قليلة على عملية ديمونا الفدائية والتي تمكنت من خلالها مجموعة فدائية أرسلها الشهيد أبو جهاد من السيطرة على الحافلة الصهيونية التي تنقل مهندسين وفنيين في مفاعل ديمونا النووي حيث وضعت قوات الاحتلال حواجز على مسافة 7 كم من المفاعل النووي وتم احتجاز الحافلة،

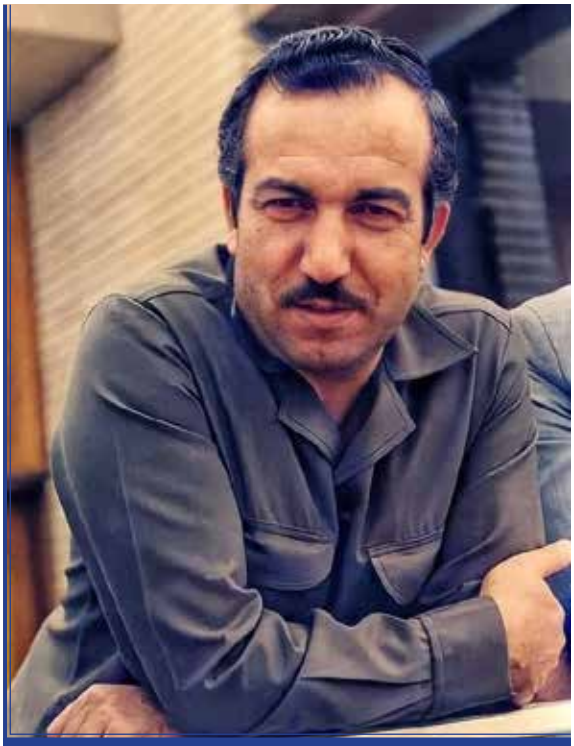

الشهيد القائد/ خليل الوزير (أبو جهاد)
استشهد اغتيالًا بتاريخ 16/ 04/ 1988م في تونس

وكان مطلب هؤلاء الأبطال هو إطلاق سراح الأسرى في سجون الاحتلال، وماطل العدو لإطالة الوقت ووضع المخططات للاقتحام مع معرفتهم أن كل ساعة تمر تزيد من إرهاق وتعب الفدائيين لاسيما أنهم تمكنوا من الدخول لتلك المنطقة سيرًا على الأقدام قادمين من صحراء سيناء المصرية، ولطبيعة الفدائيين الفلسطينيين ففي قلوبهم رحمة تجاه الأطفال والنساء والضعفاء، وهذا يثبت للجميع مما لاشك فيه بأن المقاتل والفدائي الفلسطيني ليس إرهابيًا على الإطلاق وإن صنفه الغرب بقوانينه الظالمة بأنهم إرهابي؛ لأن الإرهابي لا يفرق بين صغير وكبير وبين شيخ وطفل وبين امرأة ورضيع فكلهم سواسية، بينما في فلسطين نحن لسنا إرهابيين نحن طلاب حق وحرية وانعتاق من ظلم المحتل، ولهذا ما أن رأى الفدائيون امرأة حاملًا في تلك الحافلة وهي مهندسة حتى تم إطلاق سراحها، ولكن هذا رغم ظهورهم الرائع في التعاطف مع المرأة إلا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيرًا حيث كانوا قد أبلغوا الجميع أن الحافلة مليئة بالألغام وأي حركة من قبل الشاباك أو الجيش أو أي قوة صهيونية خاصة سيتم تفجير الحافلة بمن فيها إلا أن تلك المرأة أدلت أمام الشاباك بكل ما رأت في داخل الحافلة لتعطي لهم عدد الفدائيين ونوع سلاحهم وكم عدده، وأخبرتهم أنه لا يوجد متفجرات في داخل الحافلة، وقام الشاباك والقوة الصهيونية الخاصة بوضع خطة للاستعداد لاقتحام تلك الحافلة، وقام القناصة بإطلاق النار على هذه المجوعة مما أدى لاستشهادهم جميعًا، ومقتل مهندس صهيوني واحد، وكان

الاغتيال لهذا القائد الوطني قد شكل حالة ثورية ونضالية وجهادية لا مثيل لها في كل أنحاء فلسطين، مما زاد زخم المقاومة الفلسطينية ضد العدو. وفي الوقت الذي كان فيه الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة منتفضًا في وجه المحتل، كان شعبنا الفلسطيني يُذبح في لبنان ولاسيما بعد خروج الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية منها عام 1982م ليستفرد المحتل عبر عملائه ووكلائه في لبنان بالإضافة للحرب الأهلية في لبنان وحرق المخيمات الفلسطينية والاصطفافات غير المبررة، والتي كان الخاسر الأكبر فيها هو الشعب والقضية الفلسطينية.

عملية السلام المشئومة وخيبة أمل الأسرى

ما سبق من تحديات للقضية الفلسطينية أدى إلى موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على مبادرة مدريد للسلام في العام 1991م، وكان حينها الأسرى في تلك السنوات يتابعون كافة تطورات القضية الفلسطينية أولًا بأول عبر تلقيهم الرسائل العديدة التي تتناول تلك الأحداث من قبل قيادة الفصائل الفلسطينية، وكانت تجري جلسات ثقافية وفكرية تضعهم بصورة الأوضاع السياسية بشكل عام والإقليمية وبكل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية وصولًا إلى العام 1993م عندما تم الإعلان عن اتفاق أوسلو المشئوم، وصاحبه في داخل السجون الأمل بالتحرر من الأسر وصولًا إلى الحل السياسي المفضي إلى قيام دولة فلسطينية على الأراضي المحتلة عام 1967م والتي حددت العام 1999م زمنًا نهائيًا للتفاوض، وهنا قد برزت معضلة حقيقية على الصعيد الفلسطيني أو الصهيوني حيث ومن خلال السنوات العجاف السبع من العام (1993م – 2000م) واجه اتفاق أوسلو المشئوم حالة ثورية معارضة بشقين: المعارضة العسكرية عبر العمليات الاستشهادية التي نفذتها حركتا حماس والجهاد الإسلامي في ذلك الوقت،

مشهد من مراسم توقيع اتفاق أوسلو (1993م)

والشق الثاني عبر معارضة سياسية لبعض فصائل منظمة التحرير مثل (الجبهة الشعبية)، أما على الصعيد الصهيوني أيضًا فقد واجه الاتفاق تحديًا من اليمين الصهيوني المتطرف وعلى رأسه الهالك شارون والمفسد نتنياهو، وكان المستوطنون يجوبون الشوارع رفضًا لهذا الاتفاق، وفي نفس الوقت أيّد اليسار الصهيوني والعربي هذا الاتفاق، أما على صعيد الحركة الأسيرة فكانت تتطلع للحرية حيث تم إطلاق سراح الدفعة الأولى ضمن الاتفاق وعددهم 5500 أسير في 04/ 05/ 1994م وبعد شهرين تم إطلاق دفعة ثانية من الأسرى، ولكن لم يتم الإفراج عن أي مناضل فلسطيني قتل أو جرح صهيونيًا واحدًا، وبالتالي خاب أمل هؤلاء المناضلين من هذا الظلم الذي تعرّض له الأسرى في السجون، وامتد هذا الظلم عندما تسلّمت السلطة المدن

الفلسطينية التي خرج منها الاحتلال الصهيوني حيث تم نقل الأسرى من تلك المناطق إلى المدن في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، وكان ذلك في شهر مايو (أيار) من العام 1995م ليبدأ أسرى حركة فتح بخوض الإضراب السياسي في شهر يوليو (تموز) من العام 1995م مطالبين بالإفراج عنهم إلّا أن القيادة الفلسطينية لم تتمكن من تحقيق حلم الأسرى في الحرية، ففي الوقت الذي وافق فيه وزير العدل الصهيوني آنذاك، على إطلاق سراح 3500 أسير أثناء عملية التفاوض مع السلطة رفض هشام عبد الرازق ونبيل شعت هذا العرض وطالبا بإطلاق سراح كافة الأسرى الفلسطينيين والعرب حيث كان العدد حينها 4500 أسير، وحولوا ملف الأسرى إلى ملف المفاوضات في طابا التي كان يديرها الرئيس الراحل ياسر عرفات ورئيس الوزراء الصهيوني شمعون بيرس حيث اقترح الأخير في ملف الأسرى إطلاق سراح 1700 أسير فور توقيع الاتفاق، وبعد 6 أشهر يتم إطلاق 1500 أسير والباقي عند المرحلة الثالثة وهكذا، ولكن لم يصل العدد الكلي إلى 3500 أسيرًا في دفعتين، ولكن مرة أخرى تعطل هذا الأمر بسبب اغتيال رئيس الوزراء الصهيوني الهالك رابين مما انعكس آنذاك على وضع الحركة الأسيرة وأصابهم الإحباط واليأس، فكيف للقيادة الفلسطينية أن تسمح ببقاء الأسرى في السجون في الوقت الذي انتهت فيه الانتفاضة الفلسطينية وحالة العداء ما بين منظمة التحرير الفلسطينية وإن كان بشكل نسبي مع المحتل، وأصبح هناك من ينادي بالسلام والتعايش مع الاحتلال. وعندما يتم الحديث عن الأسرى تعود العداوة إلى ما كانت عليه سابقًا، ثم تم الاتفاق على مذكرة واي ريفر وتم خلالها الحديث عن إطلاق سراح 750 أسيرًا فلسطينيًا إلّا أن العدو الصهيوني كعادته يتقن جيدًا حالة الكذب والخداع حيث أطلق سراح 100 أسير جنائي ما اضطر أسرى سجن نفحة للشروع بالإضراب المفتوح عن الطعام لمدة 10 أيام، ولم يكلّ الأسرى أو يملوا من مناشدة القيادة الفلسطينية في إطلاق سراحهم ليأتي العام 1999م وقد سقطت حكومة الإرهابي نتنياهو، وجاء المجرم باراك إلى سدة الحكم ووعد بالانسحاب من لبنان، وتم ذلك ووعد بإطلاق سراح 350 أسيرًا وتم ذلك، وعليه تم تجميع الأسرى في سجن نفحة وبه قسمان، وعسقلان، أما في الشمال فقسم في هداريم وقسم في سجن شطة، وكان العدد لا يتجاوز 100 أسير، بالإضافة إلى 450 أسيرًا من الأحكام البسيطة في سجن مجدو، ليستمر مسلسل المعاناة ويأتي العام 2000م وقد تم الإعلان عن المبادرة السياسية في كامب ديفيد الثانية بين السلطة والجانب الصهيوني برعاية أمريكية، وقبل هذا الموعد تم التخطيط من قبل الأسرى الفلسطينيين وخاصة أسرى حركة فتح للدخول في إضراب مفتوح عن الطعام من أجل ضمان إطلاق سراحهم، وإذ بحركة حماس في السجون تعلن عن الإضراب المفتوح في شهر مايو (أيار) من العام 2000م، وبعد 16 يومًا من إضرابهم دخل أسرى حركة فتح في الإضراب واستمر 17 يومًا ليأتي إليهم رفاق دربهم السابقون من الأسرى المحررين وقد أصبحوا مسئولين عن الأسرى في السلطة الفلسطينية وهم: الأستاذ هشام عبد الرازق وقدورة فارس لإبلاغ الأسرى حينها أن وزير العدل الصهيوني يوسي بيلين مستعد لتحديد حكم الأسرى

المحكومين بالمؤبد للجميع بـ 25 عامًا مع ضمان ثلث المدة إلا أن الأسرى رفضوا هذا العرض، ولم يكونوا على استعداد أن يبقوا في السجن 6 أشهر أخرى،

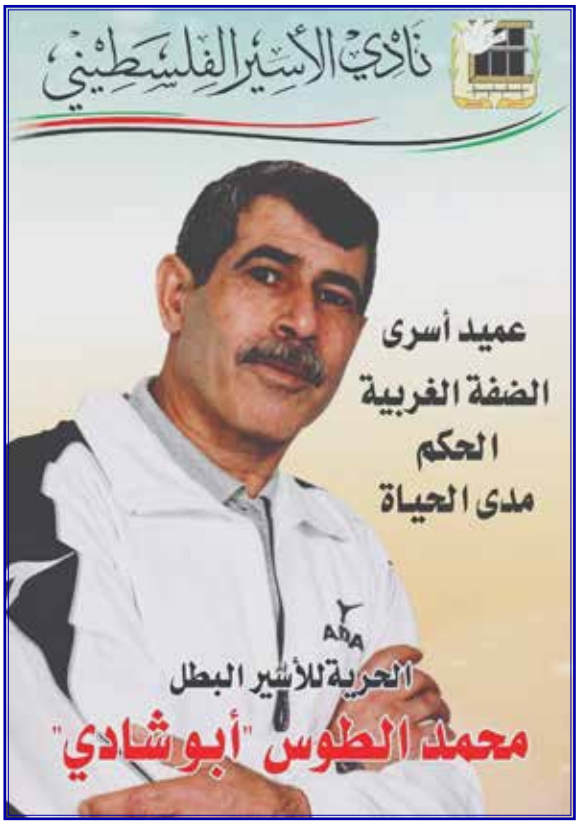

وأخذوا وعدًا مقطوعًا من رئيس السلطة ياسر عرفات لنيل حريتهم جميعًا من الأسر في أي توقيع على اتفاق جديد، وكان الأسير المناضل أبو شادي مفعمًا بالأمل الكبير بحريته وحرية كل الأسرى، وكان متشوقًا جدًا للقاء زوجته وأبنائه وعائلته وأبناء بلدته بعد أكثر من 15 عامًا من الغياب عنهم، وبعد طول معاناة قضاها في سجون الاحتلال لم يعرف يومًا طعمًا للراحة في الأسر وكل أيامه إما تفتيش وإما إضرابات وإما قمع وإما عزل وإما منع للزيارات، أما هذا الأمل فلم يدم طويلًا.

اندلاع انتفاضة الأقصى

اندلعت انتفاضة الأقصى عام 2000م، وحدث ما حدث في الضفة وغزة، وأصبح اتفاق أوسلو جنازير للدبابات وفي طي النسيان، وتم اجتياح الضفة، وقاتل مخيم جنين بمائة رجل مقابل أقوى جيش في الشرق الأوسط، واستمر القتال لأيام طويلة وصمد أبطال الجهاد الإسلامي وحماس وفتح والشعبية والديمقراطية، وصمدت الفصائل صمودًا أسطوريًا في معركة مخيم جنين، ومن ثم تم حصار مقر المقاطعة في رام الله، وفرض العدو حصارًا على الرئيس ياسر عرفات إلى أن استشهد مسمومًا في عام 2004م، وكان الأفق السياسي مسدودًا بالوصول إلى الهدف المنشود، وهو إقامة الدولة المستقلة، وكذلك كان أمل المناضل أبو شادي وباقي الأسرى ضعيفًا في الحرية، وما كان من الحركة الأسيرة إلّا خوض إضراب مفتوح عن الطعام في العام 2004م لتحسين الأوضاع الداخلية في السجون، وانتهي هذا الإضراب بالفشل ما مكّن إدارة السجون من الدخول بخصوصيات الأسرى وتقسيمهم إلى عدة تقسيمات وتصنيفات، فمثلًا أسرى الضفة الغربية لوحدهم وأسرى غزة لوحدهم وأسرى جنين لوحدهم وأسرى مخيمات وقرى رام الله لوحدهم، وأسرى كل قرية لوحدهم مما سهل الطريق أمام العدو لتفتيت الحركة الأسيرة، ليأتي الانقسام الفلسطيني الأسود في صيف العام 2007م ويلقي بظلاله على واقع الحركة الأسيرة، ويتم عزل أسرى حماس عن أسرى حركة فتح، وما زال هذا الانقسام بصفحته السوداء في تاريخ الشعب الفلسطيني حتى

الآن. ورغم العديد من المحاولات لإعادة المصالحة والتوافق والوحدة إلّا أن العدو الصهيوني قد وجد ضالته في هذا الأمر، وأصبح يغذّي الانقسام بشكل مباشر وغير مباشر، وأصبحت القضية الفلسطينية في خطر حقيقي في وسط المعارك التي تخاض في دول عربية تحت مسمى الربيع العربي الذي لم يكن ربيعًا، بل كان إجرامًا ودمارًا على القضية الفلسطينية، ولم تعد القضية الفلسطينية في أولويات العرب، ولم تعد القدس قبلتهم، بل أصبحت "تل أبيب" والبيت الأبيض قبلة المطبعين، ويقول هنا المناضل أبو شادي: "إن ما يهمني في هذا الأمر هو المصالحة الوطنية لنكون جميعًا في مواجهة مؤامرات تصفية قضيتنا الفلسطينية التي تسعى أمريكا وإسرائيل لتنفيذها باسم صفقة القرن في ظل ظروف عربية سيئة ومحزنة، وظروف دولية غير مبالية بغير مصالحها، ولكن بوحدتنا سنفشل كل المؤامرات ونصون حقوقنا وصولًا للنصر ولو بعد حين".

بعدما توجهنا بسؤال هام للمناضل أبو شادي حول سبب انتهائه لحركة فتح ولم يزال يصر على فتحاويته في هذا الزمن؟ أجابنا قائلًا: "إن فتح هي صاحبة الرصاصة الأولى، وهي صاحبة القرار الوطني المستقل الذي دفعت من أجله سيلًا من الدماء، ولأن حركة فتح واقعية وتخطت كل حقول الألغام على مدى مسيرتها الطويلة، ومع احترامي لكل التنظيمات الفلسطينية إلّا أنّ هناك من ربط أجندته بأجندة خارجية أما على صعيد الحركات الإسلامية ففي نظري إلى الآن ورغم قوة حضور هذه الحركات الإسلامية إلا أنها تعتز بالمشروع الوطني الإسلامي السياسي الذي يستطيع الوصول للحكم بشكل ديمقراطي، والأهم أن يستمر في ذلك الحكم"، ومع ذلك فإن مناضلنا أبو شادي الذي يملك قلبًا حيًا نابضًا بالأمل والفرح والسعادة ومتفائل بمستقبل واعد له ولأهله وشعبه، فأحيانًا يظن الناس أن الأسير عندما يتم أسره لسنوات طويلة تتوقف حياته عند اليوم الأول لاعتقاله حيث يتوقف عقله عن التفكير والقدرة على مجاراة الزمان والمكان، ومع ذلك ينشأ شيء اسمه الزمن الموازي، وهو المصاحب للأسير في سنوات عمره فهو وحده الذي يحدد كم الوقت وماهية الوقت، هو الوحيد الذي يستطيع أن يتعامل مع الفصول الأربعة لتصبح فصولًا خمسة عبر فصل خامس يضعه لنفسه كما يريد، ويحل له ويستطيع أن يعيش زمنه كما يريد بلا قيود ولا منازع وبلا تعليق من أحد، فتراه يحلّق دومًا بأحلامه نحو السماء فلا يحدّه شيء ولا يقف أمامه شيء؛ لأن وجهته ليست من ضمن الجهات الأربع المعروفة، بل له وجهة خامسة خاصة به صنفها لنفسه لتكون خاضعه له وتحت تصرفه متى أراد، وكل ذلك من أجل أن يتمكن الأسير من الهروب من آلامه وأحزانه وشريط ذكرياته المحفور في عقله ويرفض الخروج ولو للحظة واحدة، ويبقى الأسير يعيش عذابه وقهره ومعاناته، فوجود الأسير الفلسطيني في داخل السجن هو بحد ذاته قهر للنفس للذات الإنسانية حيث يفقد الإنسان حريته ويصبح أسير الجدران والأسلاك الشائكة، لا يسمع سوى صوت مفاتيح الأبواب وهي بيد السجان، لا يسمع سوى صوت

السجان وهو يوقظ الأسير من نومه باكرًا إمّا للتفتيش أو للعدد الصباحي، ويكون فيها الأسير غارقًا في النوم يتمنى لو أنه لم يتم إيقاظه ليكمل حلمه الذي كان عن حريته ولقائه بأحبابه، ففي السجن يدخل السجان في كل تفاصيل حياة الأسير فلا يوجد خصوصية للأسير على الإطلاق هناك أوامر وقوانين تضعها إدارة السجون وعلى الأسير أن يتعود عليها مُكرهًا تجنبًا للعقوبات الكبيرة إن لم يحسن التعامل، فلا يأكل إلّا ما يقدّم له، ولا يشرب إلّا ما يحصل عليه من المحتل، ولا يلبس إلا ما يسمح به عبر زيارات الأهل، ويبقى الأسير دائمًا وأبدًا مشتاقًا لكل شيء في زمنه قبل الاعتقال حتى الأماكن كان لها رائحة زكية في أنفه، ولكن مع ذلك يبقى المناضل أبو شادي بعيدًا عن الأهل والزوجة والأبناء والإخوة والأخوات، بعيدًا عن الأصدقاء والمعارف، وبلده وجمالها وبهائها وحسنها وهوائها النقي إلا من رائحة المستوطنات القذرة.

فقدان الأحبة

بعد سنوات طالت ثم طالت فَقد مناضلنا أبو شادي رفيقة دربه وسنده وعموده الفقري في هذه الدنيا، وهي زوجته أم شادي، تلك الزوجة الفاضلة والمعلمة المربية التي تحملت عبء العائلة في كل شيء كونها تعمل مدرسة في إحدى المدارس، وهي التي ربت أبناءه الثلاثة ليصبحوا رجالًا وقد تزوجوا وأصبح لديهم أبناء، وهذه الزوجة أمضت نصف عمرها في تربية وتعليم أبنائها والعناية بعائلة زوجها، وأمضت النصف الآخر في زيارة زوجها متنقلة من سجن إلى آخر، إلى أن توفاها الله -عز وجل، نعم إنها السنين تمضي والأشهر والأيام تمضي،

تشييع جثمان الزوجة الصابرة/ أم شادي الطوس
توفاها الله بتاريخ 02/ 01/ 2015م

ولا يزال المناضل الفتحاوي أبو شادي خلف القضبان، وقد استثنته كافة عمليات التبادل وكل الاتفاقيات السلمية وكل دفعات الإفراج السابقة، فمتى سيأتي اليوم الذي يقف هذا الشعب والقيادة الفلسطينية بكافة أطيافها وألوانها ومشاربها مع هذا المناضل الكبير أبو شادي لينعم فيما بقي له من عمر بأمن وأمان وحرية بين أهله وعائلته وأبنائه وشعبه؟! ولا نراه إلا أقرب مما يتصور البعض.

الأسير المجاهد

إبراهيم حسن محمود إغبارية

روحٌ فلسطينية ثائرة لم تبدّل تبديلًا

تاريخ الميلاد: 1965/02/19م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة مشيرفة – الداخل المحتل

عدد أفراد العائلة: 9

تاريخ الاعتقال: 1992/02/26م

الحكم: 3 مؤبدات و15 عامًا

حكايتنا اليوم عن رجل مجاهد ورائد من رواد المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة عام 1948م، وواحد من المجاهدين الذين غرسوا جذورهم في تراب المدن والقرى الفلسطينية دفاعًا عن الشعب والأرض فكان كالمارد الهادئ، ولكنه الهدوء الرزين الذي يسبق العاصفة لتسمع كلامه كأنه الرعد، ينطق بالحق ويدافع عنه وينتصر للمظلومين ويتصدى لكل معتدٍ، ولا يغضب إلا من أجل الله، فأتاه الله بسطة في الجسم استعملها في إحياء الفريضة (الجهاد) التي أماتها وغيبها كثير من الناس، مما سهل على العدو اقتلاع الشعب من أرضه وارتكاب المجازر بحقه. وبالرغم من قوة بأسه ترى قلبه يرق تجاه المظلومين والضعفاء والأتقياء والأنقياء، ويحنو عليهم كحنو الأب على أطفاله، وهو باختصار مثال للصدق والتفاني والأمانة وصلابة الموقف وشجاعة الحق في مواجهة الباطل، إنه المجاهد الكبير إبراهيم حسن إغبارية (أبو جهاد).

الطفولة والنشأة

يعتبر الأسير المجاهد إبراهيم إغبارية هو الثاني من بين إخوته، تلك العائلة متوسطة الحال من عائلة إغبارية حيث وُلد هذا المجاهد عام 1965م، هذا العام الذي شهد قوة وعنجهية

وغطرسة المحتل الذي كان يفرض قانون الحكم العسكري على أراضينا المحتلة عام 1948م، ويضيّق عليهم سبل العيش والحياة ويمنعهم من التواصل حتى مع إخوانهم من الضفة وغزة ومحيطهم العربي والإنساني، فكانت القبضة الأمنية تشتد وطأتها على سكان الداخل المحتل، مما جعل المجاهد إبراهيم يفتح عينيه على النضال منذ نعومة أظفاره على مأساة وطنه فلسطين، تلك المأساة التي اضطرته أن يحيا حياة الألم والمعاناة وهو في سن الطفولة المبكرة، ولكنه لم يستسلم لظروف المأساة، وتعلم كباقي أبناء فلسطين تحت وطأة الاحتلال وبدعم من عائلته المحبة للعلم فكان من الطلبة المتفوقين والأذكياء في دراستهم، وكان يلقب وهو صغير بالبليغ البارع؛ لأنه كان الأول في معظم المواد وخاصة مادة اللغة الإنجليزية وقواعد اللغة العربية والرياضيات، وكان من شدة ذكائه يجيب عن السؤال قبل أن ينتهي أستاذ المادة من كتابة السؤال على اللوح، وكان محل اهتمام كبير من قبل المدرسين والطلبة؛ لطبيعة شخصيته القوية حيث لم يكن يتجاوز اثني عشر عامًا من عمره حتى العام 1976م في يوم الأرض الخالد حيث دفع طلبة المدرسة للتوقف عن الدراسة والمشاركة في فعاليات هذا اليوم التاريخي.

مسيرة جماهيرية بالداخل المحتل في يوم الأرض

ترك الأسير المجاهد إبراهيم إغبارية مقاعد الدراسة وهو لا يزال في بداية المرحلة الإعدادية حيث تغلبت عصاميته على الواقع، فأراد الاعتماد على نفسه وأن يستقل بكل شيء عن عائلته، ولجأ إلى تعلم مهنة الألمنيوم، ورغم أن مدير مدرسته قد توجه إليه طالبًا منه التوجه إلى صفوف الدراسة إلا أن عزيمة وإصرار المجاهد إبراهيم بالاعتماد على نفسه جعله يتوجه للعمل في مجال الألمنيوم حيث أبدع في مهنته لدرجة إعجاب الناس به، وما أن بلغ من عمره سبعة عشر عامًا حتى تمكن من بناء منزل مكون من ثلاثة طوابق، كما قدم مساعدة لأخيه الذي يكبره سنًا من أجل بناء منزل والزواج، وهذا لم يكن ليثنيه عن مواصلة جهوده في تحريض الشباب الفلسطيني في الداخل المحتل للتصدي للاحتلال.

كان يقود الأولاد والشباب من أبناء قريته إلى الجبال المطلة على الشارع الرئيسي، وهو شارع العفولة الخضيرة لرمي الحجارة على السيارات المارة في الشارع، وكان هذا الحدث يتكرر على فترات متباعدة كان رجلًا رغم صغر سنه، وبالفعل استقل في عمله عن ذلك الرجل اليهودي صاحب مصنع الألمنيوم والذي تعلم عنده في مدينة العفولة كل ما يتعلق بالألمنيوم وهو في عمر ثلاثة عشر عامًا، وتمكن وهو في سن الخامسة عشرة من أن يفتتح محل الألمنيوم في بيته، ولديه عامل عمره واحد وثلاثون عامًا ومتزوج، واشترى المجاهد إبراهيم سيارة للعمل يقودها عامله؛ لأنه في ذلك الوقت لم يكن قد حصل على رخصة السياقة، وكان في بداية

حياته مفعمًا بالأمل وحب العمل والعطاء في ظل الإصرار والطموح منقطع النظير.

تبلور الهوية الوطنية

تبعًا لنشأته فإن لأسرته ذات الاهتمام بالقضايا الوطنية والدينية وإسهام الظروف السياسية التي مر بها وطنه فلسطين في تغذيته للروح الوطنية والثورية والدينية؛ متأثرًا لحد كبير بالثورة الإسلامية في إيران وبالمد الإسلامي الثوري، كما لعائلته من أمَّه الفضل الكبير في تأسيس وتدعيم الحركة الإسلامية في أم الفحم، ولذلك سكن عقل وروح المجاهد إبراهيم حلم إقامة الدولة الإسلامية وتحرير فلسطين على يد جيش إسلامي كبير يعزز ذلك إليه حب الإسلام والعمل على نصرته بأي ثمن لاسيما أنه بالأصل ومنذ أن بلغ عمره ستة عشر عامًا التزم بالصلاة والعبادة وارتياد المساجد لدرجة أنه كان أول من يقوم بفتح المسجد، وكان يؤذن في بعض الأوقات، وبذلك يكون المجاهد إبراهيم قد بدأ مرحلة جديدة من حياته عندما انخرط في الأنشطة الدينية ليكون سباقًا إلى العمل وخدمة الناس وقضاء حوائجهم إرضاءً لله عز وجل، مما جعله محبوبًا جدًا لدى عامة الناس، ولا يزال يتذكر ذلك اليوم عندما كان في سن السابعة عشرة من عمره في أحد الأعراس في بلدة مشيرفة حيث أرادوا أن يجمعوا التبرعات في هذه المناسبة من أجل تزفيت الشارع الرئيسي للبلد، وكان بجواره صاحبه المقرب وفي هذا العرس قام المقاول والكثير من الأغنياء بالتبرع في ذلك الوقت بمبلغ 200 $، وكان مبلغًا كبيرًا في ذلك الوقت، فما كان منه إلا أن قام هو وصاحبه بالتبرع بمبلغ 600 $ فاندهش الجميع مما رأوه، فكيف لشاب في مقتبل العمر أن يتبرع بهكذا مبلغ، إنه الدين الذي يهدي الإنسان وجعله يبذل كل شيء من أجل الله وفي سبيل الله، وكان تدينه وحبه الشديد لله والوطن مقدمًا على كل شيء، على عمله وماله وتعليمه، ولم يكن يتقبل فعل عصابات كاهانا الذين كانوا يقتحمون أم الفحم وعدة بلدات في الداخل الفلسطيني ويعيثون فيها الفساد ويعتدون على العرب، مما جعل أهالي بلدة أم الفحم وفي مقدمتهم المجاهد إبراهيم يتصدى لتلك العصابات الصهيونية بكل ما أوتي من قوة، مؤكدًا أن هذه الأرض للفلسطينيين وفقط للفلسطينيين ولمن يعتز بفلسطينيته، مثلما قال الشاعر:

فلسطينيٌ أنا اسمي فلسطيني
نقشت اسمي على كل الميادين
بخطٍ بارزٍ يسمو على كل العناوين
حروف اسمي تلاحقني، تعايشني، تغذيني
تبث النار في روحي وتنبض في شراييني
فلسطيني أنا اسمي فلسطيني

مضى المجاهد إبراهيم بخصاله وصفاته الوطنية واضعًا نصب عينيه هدفًا هامًا وعامًا وهو عدم الرضوخ للمحتل الصهيوني مهما كلف الأمر، وفي نفس الوقت عليه الاعتماد على نفسه في العمل والاهتمام بعائلته، فكان طموحه أن يقوم بإنشاء شركة للألمنيوم ويباشر ببناء ثلاثة طوابق إلا أنه آثر على نفسه واختار طريق الجهاد، وكان قلبه يعتصر ألمًا على كل مشهد يشاهده أو خبر يسمعه

مما يتعرض له الفلسطينيون في الداخل الفلسطيني والشتات ليزداد غضبًا على من يستهدف الشعب الفلسطيني لاسيما أن سياسة تكسير العظام التي اتبعها الهالك إسحاق رابين في انتفاضة العام 1987م قد أثرت في كل أحرار وشرفاء الوطن العربي والإسلامي لهول ما شاهدوه من إجرام حقيقي، فلا يزال المجاهد إبراهيم إغبارية يكنى بأبي جهاد تيمنًا بخليل الوزير أبو جهاد (رحمه الله) الذي اغتالته القوات الخاصة الصهيونية في تونس عام 1988م،

الشهيد القائد/ خليل الوزير (أبو جهاد)
استشهد اغتيالًا بتاريخ 16/ 04/ 1988م في تونس

كما علم المجاهد أبو جهاد أن ما تتعرض له الأقلية العربية في الداخل المحتل من معاناة سياسية واقتصادية وثقافية وحضارية كله ممنهج ومبني على أسس وقوانين أقرتها ولا تزال تقرها الحكومات الصهيونية المتعاقبة.

التمييز ضد فلسطينيي الداخل

إن الفلسطيني في الداخل المحتل يتعرض يوميًا لاستفزازات ومضايقات العدو، وقد طالت كذلك الحياة الخاصة للأقلية العربية حيث إن الأفضلية في التوظيف في الأساس لصالح اليهود، وهذا يشمل القطاعين الصحي والتعليمي، وإن فرضنا أنه تم توظيفهم فإن رواتبهم تكون أقل من رواتب اليهود، بالإضافة إلى محاولات طمس الهوية العربية الفلسطينية وسرقة التاريخ، هذا عدا عن نشر كتب التاريخ التي تشرعن المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية أو تشغيل العرب ووصفهم بأوصاف عنصرية والتحريض ضدهم، كما يتلاعبون بالإرث القيمي والهوية الوطنية الفلسطينية ورسم المستقبل وفق الرؤية الصهيونية، كما تقوم ماكنة صناعة القوانين العنصرية في العصر الحديث والمعاصر لإصدار القوانين العنصرية ضد فلسطينيي الداخل وبوتيرة متسارعة كان آخرها قانون القومية لشرعنة تهجيرهم متى سنحت الفرصة لهم، وسبقه أيضًا جملة من القوانين من مصادرة الأراضي كما جرى في العام 1976م حيث قام الكيان الصهيوني بمصادرة واحد وعشرين ألف دونم من قرى سخنين وعرابة البطوف ودير حنا وعرب السواعد، وعلى إثرها اندلعت انتفاضة اليوم الخالد، وأصبح هذا اليوم يومًا وطنيًا في حياة الشعب الفلسطيني خاصة في الداخل المحتل، والأنكى مما سبق أنه تجرى محاولات فاشلة تريد منع تعدد الزوجات خشية ارتفاع النمو الطبيعي للفلسطينيين وضياع الصبغة اليهودية، وعلى هذا الأساس قدمت مشروع القانون وزيرة القضاء الصهيونية (إيليت شاكيد) وجعل الفلسطينيين يفتقدون ميزة التفوق الكمي والنوعي، وهناك العشرات بل المئات من الإجراءات والقوانين والممارسات الصهيونية للتضييق على الفلسطينيين

في الداخل المحتل لجعلهم يغادرون الأرض الفلسطينية إلى دول العالم المختلفة، وهذا ما دعا إليه وزير الدفاع الصهيوني السابق ليبرمان. ولذلك كان يحرص المجاهد إبراهيم دومًا على الحصول على سلاح للدفاع عن نفسه والتصدي لتصرفات عصابة (كاهانا) الإرهابية، وحتى لا يتعرض لما تعرض له فلسطيني عام 1948م، فبدأت علاقاته تمتد من الداخل الفلسطيني للضفة الغربية ليشكل سلسلة من العلاقات الاجتماعية والأخوية الصادقة ساهمت في بلورة الفكر الوطني والديني لديه، وهناك دلت تلك الأيام على أول الوعي، وأول الطريق، وأول الخطوات، وكان لوعيه وإدراكه أهمية كبرى في قصته مع التاجر اليهودي الإيراني.

أخلاق وكرم المجاهد إبراهيم

كان المجاهد إبراهيم يتعامل مع تاجر يهودي من أصل إيراني يعمل في مجال الألمنيوم، وكان دائم الحضور إلى منزل المجاهد إبراهيم، وقبل العملية بفترة كان هذا اليهودي في منزل المجاهد إبراهيم في زيارة عمل بعد أن أكرمه وأراد مغادرة المنزل، كان في هذه الأثناء المجاهدون محمد ويحيى إغبارية وأبو إياد جبارين ينتظرون هذا اليهودي خارج المنزل من أجل قتله وخطف سلاحه، فكانوا يتابعون تحركات هذا اليهودي لحظة بلحظة وهذا دون علم المجاهد أبو جهاد في الأمر، لكن حق الضيافة على المجاهد أبو جهاد يتطلب منه كإنسان مسلم وعربي التصرف بأخلاق الإسلام العظيم، ولم يدع أحدًا يعتدي عليه مهما كلف الأمر لاسيما أنه دخل بيته آمنًا، وأنه يساعده في مجال العمل، ولذلك رافقه إلى الخارج حتى أركبه في سيارته وتأكد أنه بأمان، مما أدى إلى فشل مخطط المجموعة الجهادية، وكان في هذه الأثناء المجموعة الجهادية تعمل وتخطط دون علم المجاهد أبو جهاد، ولم يكن ينتمي إليهم حتى تلك اللحظة حيث كان دائمًا في مجال العمل في الألمنيوم، وقد تزوج في العام 1989م من بنت خالته وعاش معها ثلاث سنوات قبل السجن وثلاث سنوات بعد الاعتقال إلا أنه حدث انفصال بينهما لسبب ظروف الأسر والاعتقال.

مرحلة التعرف على المجموعة

بينما كان المجاهد إبراهيم في عمله في أحد المحلات التابعة له وإذا به قد وجد حقيبة فيها بعض الأغراض كالسلاح الأبيض، وبدأ يراقب من يقف خلفها ولماذا وكيف وصلت هذه الحقيبة إلى هنا؟! وعلم بعد المتابعة عن هذه الحقيبة وما بداخلها أنها تعود لأخيه المجاهد محمد إغبارية وأصحابه يحيى وأبو إياد جبارين، وعلم حينها ماذا يفعلون وقرر الانضمام إليهم، وبدأ مشواره الجهادي والفعلي إلى جانبهم رغم أن له امتدادًا وتعاطفًا جهاديًا سابقًا مع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وتعززت لديه فكرة الجهاد الإسلامي، وبدأ نشاطه مع هذه المجموعة الربانية.

التعاطف مع الجهاد الإسلامي

رأى المجاهدون الأربعة في الجهاد الإسلامي التنظيم الأكثر قربًا لقلوبهم وأفكارهم، والأكثر وضوحًا في مبادئه وفي مشروعه الثوري، كما أن الجهاد الإسلامي كان ولا يزال وسيبقى يعبر عن هوية إسلامية تلهب المشاعر وتحقق الآمال للشعوب، ويتطلع إلى إقامة الدولة الإسلامية وتحرير فلسطين، ولا يكون ذلك إلا بالعمل على شعار مهم وهو خصوصية الجهاد وعالمية الدعوة، وبعد نقاش وحوار طويل ومعمق بين أفراد المجموعة الجهادية قرر أن يتم البدء في العمل الجاد والبحث عن وسائل وأدوات جهادية قتالية من أجل تنفيذ عملية عسكرية ونوعية ضد العدو، وأن هذه الفترة بالفعل بحاجة ماسة لمن يقوم بعمليات عسكرية نوعية لرفع الروح المعنوية للمقاومة الفلسطينية التي كانت في العام 1992م بدأت تخبو شيئًا فشيئًا؛ لصعوبة الظروف الإقليمية والدولية وآثارها السلبية على القضية الفلسطينية حيث حصلت عدة أحداث خطيرة أثرت سلبًا على الثورة الفلسطينية، ومنها ما حدث في لبنان وانسحاب المقاومة الفلسطينية من بيروت إلى عواصم الدول العربية، فجاءت انتفاضة العام 1987م رفعة للمقاومة الفلسطينية حيث تم استغلالها من قبل الراحل ياسر عرفات وبقية القيادة الفلسطينية، وفي نفس الوقت أصبح العدو في مأزق حقيقي أمام العالم نتيجة قمعه الوحشي للمتظاهرين السلميين الفلسطينيين، وجاء طوق النجاة لأعمالهم القذرة عبر مساعدة أمريكا مستغلين حرب الخليج ونتائجها وانعكاساتها على كل المنطقة للدعوة إلى عقد مؤتمر دولي للسلام في مدريد ومن أجل أن تدرك القيادة الفلسطينية أنها معنية بالوصول إلى حل سلمي وسياسي للقضية الفلسطينية، وكان لابد من المحاولة الجدية لإنهاء الانتفاضة، أي انتفاضة عام 1987م حيث بدأت البوادر لذلك بتجفيف منابع الأموال، فتوقف الدعم المالي الذي كان يقدم لمجموعات الفهد الأسود التابعة لحركة فتح، وكما بذل العدو الصهيوني عبر أجهزة أمنه المختلفة جهدًا كبيرًا في اعتقال الغالبية العظمى من قيادة وكوادر الفهد الأسود سواء في مدينة جنين أو في باقي أنحاء الضفة الغربية، مما شكل ضربة لقوة المقاومة وتزعزعت الثقة بين الجماهير وبين القيادة الفلسطينية، وكان لزامًا على هذه المجموعة الجهادية الربانية المتعاطفة مع الجهاد الإسلامي أن تعيد زمام المبادرة إليها من جديد نحو استهداف العدو الصهيوني، فكان توقيت عمل هذه المجموعة بأنه أمر إلهي، ويؤكد للجميع بأن فلسطين كل فلسطين هي أرض إسلامية عربية فلسطينية، لا يمكن لبشر على وجه الأرض مقايضتها أو التفاوض عليها أو التفريط بذرة رمل منها مهما كانت الظروف المحلية والإقليمية والدولية صعبة، وأن الحقوق لا تسقط بالتقادم، وأن أي عملٍ جاد تقوم به هذه المجموعة سيحقق انتصارًا حقيقيًا؛ لأنهم قدموا الواجب على الإمكان، وفي حال استشهادهم سيكون لأصحاب الكهف شعلة إيمانية جهادية في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، وتسير الأجيال على نهجهم الجهادي والثوري، وبدأت المجموعة بعملية استكشاف واستطلاع من أجل الحصول على

السلاح المستخدم في العمليات العسكرية المرتقبة، وكان هناك عدة اقتراحات وخطط وتوجهات إلى أن شيئًا من ذلك لم يتحقق إلى أن اهتدى المجاهد أبو جهاد إلى فكرة معسكر جلعاد الصهيوني.

اختيار المعسكر كهدف

بدأ المجاهدون الأربعة محمد جبارين (أبو إياد) ويحيى اغبارية (أبو جامع) ومحمد اغبارية (أبو عبد الله) وإبراهيم اغبارية (أبو جهاد) البحث عن هدف صهيوني ضعيف وغير محصن، سواء كان ذلك موقعًا أو جنودًا عبر خطف السلاح من أيديهم، وفي نفس الوقت كان سعيهم لا يستهدف المدنيين رغم أن المجتمع الصهيوني كلهم مقاتلون وكلهم جنود، وأي جيش في العالم يكرِّس نفسه في خدمة الدولة إلا أن الأمر في الكيان الصهيوني يختلف من حيث إن الدولة كلها تكرِّس من أجل خدمة الكيان الصهيوني، وما إن تمت كل محاولات الاستطلاع تبين أنه لا يوجد هدف عسكري سهل المنال، وذهب المجاهدون لاستطلاع معسكر جلعاد، وتم أكثر من مرة التوجه إلى منطقة المعسكر ومحيطه لجمع المعلومات المطلوبة حوله، وتحركات الجنود، وكيف يدخلون؟ ومن أين يخرجون؟ وكم يكون عددهم؟ وما هي التحصينات المحيطة بالمعسكر؟ وبعد تسجيل كافة التفاصيل المطلوبة تم نقاشها داخل المجموعة لوضع الخطة المناسبة، وتمّ إعطاء كل فرد في هذه المجموعة مهمة خاصة، وتم الاتفاق على مسألة مهمة وهو أن الهدف هو الحصول على السلاح، وإن حدث صدام أو عراك مع الجنود يجب قتلهم والاستيلاء على سلاحهم، ثم الانسحاب إلى المكان الآمن وفق الخطة المرسومة، وقرروا تعيين موعد للعملية عندما تكون الأمور كلها جاهزة.

الإعداد للعملية

من أجل تنفيذ هذه العمليات لابد من التحضير الجيد للأدوات المستخدمة، وتوجه حينها المجاهد أبو جهاد وقام بشراء كل ما يلزم من أدوات وأغراض للمطاردة إن حدثت مثل كيس للنوم وكشاف ليلي وأحذية ومنظار ليلي وحقيبة ظهر وعدة أمور أخرى، وأصبحت الخطة وأدواتها جاهزة من أجل البدء في العملية لاقتحام معسكر جلعاد حيث كان اعتقاد وتوجه المجموعة الجهادية التي أسمت نفسها (أحباب محمد) إيجاد كهف للإيواء فيه عبارة عن مغارة وعدم العودة إلى بلدتهم بعد العملية، وتم إطلاق مسمى هذه الحالة وهو النفير العام، أي استمرار الجهاد والقتال، إما النصر وإما الشهادة.

يوم العملية، ليلة الجمعة

تحركت المجموعة الجهادية يوم الخميس، ليلة الجمعة، حيث وضعوا أمتعتهم وعتادهم في داخل سيارة من نوع بيجو، وقاد السيارة المجاهد أبو جهاد، وتوجه الأبطال إلى الجبال التي تبعد عن المعسكر مسافة 5 كيلومترًا على الأقل، وكانوا يعلمون سابقًا أن في هذه الجبال يوجد كهف، وتم إنزال عدتهم وعتادهم من السيارة ووضعوها في الحقائب الشخصية، وتوجهوا نحو الكهف، بينما المجاهد أبو جهاد عاد بالسيارة إلى بلدته ووضعها في مدخل البلدة؛ ليتصرفوا بها في حال احتاجوا

إليها، وعاد بعدها إلى الجبال حيث يتواجد الشباب، وعندما وصل المجاهدون إلى الكهف من أجل النوم لليلة واحدة وهي ليلة الجمعة؛ لأنهم ليلة مساء الجمعة سيتوجهون إلى معسكر جلعاد، وهنا لابد من الإشارة لأمرين، الأول أن هؤلاء المجاهدين عندما وصلوا إلى الكهف وجدوه مليئًا بالمياه ولا يمكن النوم به، ولذا تم وضع الأمتعة والحقائب على أطرافه الداخلية حتى لا يصيبها البلل، وعادوا إلى بيوتهم للنوم رغم أنهم بلغوا عائلاتهم وزوجاتهم أنهم ذاهبون مع رجال الدعوة، والأمر الآخر أن الموعد الذي تم تحديده للعملية هو 14/ 02/ 1992م، وهذا التاريخ له معنى وهو عيد الحب للعاشقين والعاشقات والهابطين والهابطات لتؤكد هذه المجموعة لكل من يعنيه الأمر هو أن الحب الحقيقي هو حب الله -عز وجل-، والموت في سبيله ثم في سبيل حرية الوطن، وما أجمله من موت، وهو أغلى من عيد العشاق وأغلى من الزوجة والأحباب والأصحاب والدنيا كلها.

بات المجاهدون في بيوتهم وذهبوا إلى صلاة الجمعة ومن بعدها توجهوا إلى الكهف، وكان وصولهم عند وقت العصر، تناولوا عدة القتال وتقدموا نحو التلة التي تطل على المعسكر، وبدأ المجاهدون ينتظرون حلول الظلام، وكانوا يراقبون التحركات في المعسكر كأن كل شيء أمامهم كصفحة من كتاب وكان الانتظار صعبًا، فكانوا بين الحين والآخر يتجولون في المكان، أما الطقس فكان باردًا جدًا لاسيما وأنها أثلجت قبل 10 أيام من العملية، وسميت تلك السنة سنة الثلجة، وصلى المجاهدون المغرب وبدؤوا يذكرون الله ويسبحونه ويحمدونه ويستغفرون ويدعون ويتلون آيات الله عز وجل إلى حين موعد الانطلاق نحو المعسكر، وكان الوقت الذي وضعوه هو بعد منتصف الليل حيث عادة في هذا الوقت يكون الجنود الصهاينة في نوم عميق، وتكون لحظات ثقيلة على النائم مما يسهل عملية الاقتحام، ولكن بعد صلاة العشاء قرر المجاهدون أن يناموا نومة أهل بدر، أي نعاس خفيف ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: 154]، ولم يكن بحوزتهم حينها سوى ساعة واحدة وجديدة مع المجاهد أبو إياد، وبينما كان المجاهد أبو جهاد في حالة ما بين النائم واليقظان رأى سعدان في أجمل هيئة لم يرى مثلها من قبل، وكلما اقترب منه ازداد جمالًا ونورًا وشفافية حيث يرى منه العروق، وعند وصوله على بعد 20 متر تقريبًا وقف وابتسم وكان يحمل في يده صدرًا من الحلوى وضعها تحت شجرة وذهب من حيث أتى، وما أن استيقظ المجاهدون من بعد أمنة نعاسًا وإذا بالمعسكر يعج بالضباب، فسأل أحد المجاهدين: كم الساعة؟ فأجاب على الفور المجاهد أبو إياد

وهو الوحيد الذي لديه ساعة أنها توقفت عن العمل بالرغم من أنها جديدة، وكان الاتفاق أن يتم الهجوم على المعسكر بعد منتصف الليل، وكيف لهم الآن وقد تعطلت الساعة أن يعلموا كم هو الوقت؟ فأيقن حينها المجاهدون أن الله عز وجل هو الذي يحدد لهم الموعد، وهو الذي سيرشدهم ويحميهم ويحفظهم، فقرروا الانطلاق وتوجهوا إلى المعسكر، واقترب المجاهدون من ساحة المعسكر بعد أن تجاوزوا الخنادق المعدة للتدريب، وشاهدوا صناديق موجودة على أطراف منصة العرض التي عادة ما يقف عليها الضباط الصهاينة، فظنوا أنهم قد وجدوا السلاح، واقترب إلى الصناديق المجاهدان إبراهيم ويحيى إغبارية، وبدؤوا بعملية الزحف دون أن يصدروا أي أصوات للحفاظ على سلامتهم، وبدؤوا بفتح الصناديق بلهفة شديدة، وإذا بها مليئة بالصحون والملاعق وأدوات أخرى للطعام، فخاب أملهم، ثم اقتربوا لمكان آخر مبني من الزينكو، وإذا به مطبخ للجنود، فما كان أمامهم سوى التوجه نحو الخيام عدة أمتار، وكان هذا المكان الذي يتواجدون فيه مظلمًا جدًا رغم أن المعسكر مزود بالكهرباء وكشافات ليلية، وفي وسط المعسكر يوجد خيمة والحارس يتحرك ذهابًا وإيابًا ومن فوقه سقف من شادر يحفظه ويحميه من المطر، فما أن اقترب منه المجاهد أبو جهاد وهو في مكان مظلم والحارس في مكان مضيء داس حينها المجاهد أبو جهاد على لوج من الزينكو بالخطأ، وأحدث صوتًا وضجيجًا، ووجه الحارس الصهيوني سلاحه نحو المجاهد أبو جهاد رغم أنه لا يراه، وصرخ صرخة باتجاهه، وتوجه حينها إلى المجاهدين أبو إياد وأبو عبد الله، وطلب منهما أن يلتفا من خلفه ويقتلاه إلا أنهما توجها إليه مباشرة، فما أن رآهما حتى هرب كالأرنب نحو الخيمة التي بها عدد من الجنود، ولحق به المجاهدان أبو إياد وأبو عبد الله ودخلا على الخيمة، فشعر حينها المجاهد أبو جهاد أنهما سوف يموتان؛ لأن الجنود سوف يطلقون عليهما النار فلحق بهما ليموت على ما ماتا عليه، بينما بقي المجاهد يحيى إغبارية خارج الخيمة ينتظر، اقتحم المجاهد أبو جهاد الخيمة وهو يكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، فزلزلت قلوب الصهاينة وبث الله في قلوبهم الرعب، وكان متوقعًا أنه ما إن يدخل حتى يطلق عليه النار ويستشهد، وكان يحمل بيده سكينًا طويلًا، وإذ بجندي صهيوني طويل القامة وعريض المنكبين أمامه فغرس المجاهد أبو جهاد السكينة في جسده، وألقى سلاحه وتناول المجاهد أبو جهاد السلاح عن الأرض وأطلق عليه النار، ولم يكن به رصاص، وكان هناك جندي آخر وبيده بندقية فأخذ يضرب المجاهد أبو جهاد بمقدمة البندقية بقوة شديدة على فكه الأيمن وعلى عنقه، وكان عندما حمل البندقية ترك السكين من يده، وبدأ يحمي نفسه من ضرب الجندي له بالبندقية، واستخدم يده اليسرى للدفاع، وأما يده اليمنى فكان يبحث بها عن شبرية كان قد وضعها في حقيبة على بطنه للاحتياط، فجاء الوقت ليستخدمها فما أن تناول الشبرية حتى تعرض لضربة شديدة أفقدته وعيه، وما أن عاد إليه وعيه إذا به نائم على الأرض والجندي بيده الشبرية وهو يمسك بيده الشمال يد الجندي التي يمسك بها الشبرية، وكان فوقه يريد طعن المجاهد أبو جهاد بكل قوة، وما حصل

في هذه الحالة يصعب تصديقه، وكأنه العجب العجاب كيف حدث ذلك لا يعلم حتى الآن المجاهد أبو جهاد، وكان المجاهد أبو جهاد يتعرض لهجوم الجندي الصهيوني عليه بشبرية، وما كان منه إلا أن يقول سأموت شهيدًا، وبينما يحاول المجاهد أبو جهاد أن يدفع الجندي عنه حتى يتذكر فيلمًا عن قصة حرب أمريكا في فيتنام حيث إن جنديًا فيتناميًا يحمل بندقية وعلى رأسه سكين، والجندي الأمريكي لا يحمل بيده أي شيء فتعاركا، فمسك الجندي الأمريكي السكين من رأس البندقية بيده وبدأ يشدها إليه فنزف منه الدم، ولكنه تمكن من أخذ البندقية وقتل الجندي الفيتنامي، فهذا المشهد رغم ما حاول أن يصوره الفيلم أن الفيتنامي هو المعتدي وأن الأمريكي هو المعتدى عليه إلا أن المجاهد أبو جهاد أخذ العبرة مما شاهده، فأمسك الشبرية من شفرتها والجندي الصهيوني أمسك بالنصل حتى أفلتها، وبدأ المجاهد أبو جهاد بطعن الجندي في أماكن متعددة من جسده ولكنها غير قاتلة؛ لأنه كان ممدودًا على الأرض وضرباته كانت عشوائية وبانفعال شديد، وما كان من الجندي إلا الخروج من الخيمة مضرجًا بالدماء، ولم يتمكن المجاهد أبو جهاد من الإجهاز عليه، وفي هذه الأثناء دخل المجاهد يحيى إلى الخيمة، وقال للمجاهد أبو جهاد بأن هناك جنديًا أو ضابطًا قادمًا إلى الخيمة، ورأى أحد الجنود مضرجًا بدمائه، فقال بالعبري: "ما زيه؟"، أي ما هذا؟ وإذا بطعنات المجاهدين أبو جهاد ويحيى تنهال عليه من كل جانب فوقع على الأرض خارج الخيمة مضرجًا بدمائه، وما إن هم المجاهد أبو إياد بالخروج من الخيمة حتى سمع أنين هذا الضابط وأجهز عليه، وفي هذه اللحظات تمكن كل مجاهد من الاستيلاء على بندقية (M16) وخرج من الخيمة، أما المجاهد أبو جهاد في أثناء العراك كان قد وضع البندقية التي استولى عليها تحت الأسرة داخل الخيمة فاضطر حينها بالعودة للخيمة للبحث عنها فوجدها، وخرج من الخيمة على عجل، ولحق بإخوانه المجاهدين الذين كانوا قد ابتعدوا عن المعسكر مسافة 750 مترًا تقريبًا.

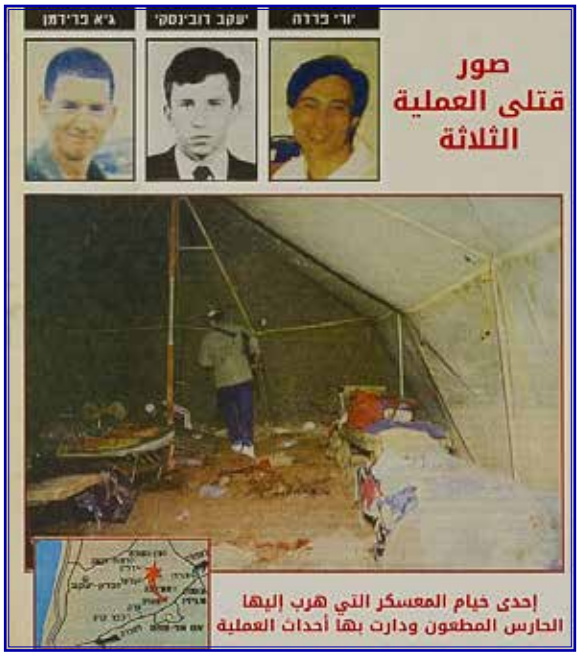

والجدير ذكره أنه عندما خرج المجاهد أبو جهاد ومعه قطعة السلاح قام بوضع أعلام سود صغيرة الحجم مكتوب عليها لا اله إلا الله محمد رسول الله، ووضعها على إحدى الخيام، وكان الجهاد الإسلامي عادة يقوم بتوزيع هذه الأعلام، وأيضًا أثناء خروجه شاهد جنديين صهيونيين يشاهدان المشهد والضحك على وجوههما ولا يعلمان ما حدث ولاسيما أن المجاهدين كانوا يلبسون لباس

الجيش الصهيوني، فما إن ابتعد المجاهد عن المعسكر علم الجنود أن هذا هجوم، وأن هؤلاء هم من نفذوا هذا الهجوم، فبدأوا بإطلاق النار تجاه المجاهد أبو جهاد وهو يسمع صوت الرصاص بقربه فقال لنفسه مرة أخرى ما قاله سابقًا سأموت شهيدًا، وأصابت إحدى الرصاصات لوحًا من الزينكو مما أحدث صوتًا مرعبًا جعل الجنود يأخذون الأرض وهم في حالة خوف ورعب شديد، وبينما هم كذلك كان مجاهدونا الأبطال قد صعدوا إلى أحد الجبال المليئة بالأشجار البرية مثل الصنوبر والسرو، وكانت تمر بجانب المعسكر قناة ماء، وبدأ المجاهد أبو جهاد يسير بداخلها متجهًا لإخوانه المجاهدين نحو الجبل، وكلما شعر أن المياه أصبحت أكثر عمقًا يخرج منها محدثًا أثرًا بأنه يسير باتجاه قرية معاوية المجاورة، ثم يعود إلى الماء مرة أخرى، واستمر على هذا الحال إلى أن وصل إلى الجبل ليجتمع مع إخوانه المجاهدين، وكان متعبًا جدًا ولاسيما أن إصابته في عنقه قد سببت له الألم الشديد بينما لم يتمكن الجنود الصهاينة من اللحاق بهم، ولم يعرفوا بالضبط إلى أين توجهوا.

توجه هؤلاء المجاهدون الذين كان من المفترض الوصول إلى الجبل، وهو جبل إسكندر، وهذا الجبل يقع على حدود أم الفحم مع قرية عانين في محافظة جنين الملاصقة، والجبل عبارة عن منطقة أحراش وهو أعلى جبل في هذه المنطقة، وقال حينها المجاهد أبو جهاد لإخوانه المجاهدين بأنه عليهم تركه والاستمرار في السير، وكانوا حينها يحاولون مداواة جرحه، قائلًا لهم: "اذهبوا أنتم، أما أنا إن كتب الله لي الحياة سألحق بكم، وإذا استشهدت تكونون قد ابتعدتم عن المكان وتكونون بأمان وتكملوا مشوار الجهاد في سبيل الله كما اتفقنا عليه". ووافق المجاهدون، وبقي المجاهد الفدائي أبو جهاد جالسًا تحت شجرة زيتون، ومرت فوقه طائرة صغيرة ولم تره، وبدأ يزحف ما بين الأشجار ويتنقل من مكان إلى آخر، وبدأ يشعر بانقطاع نفسه، فتذكر حينها أنه قد وضع حبات من التمر في حافظة البطن التي على جسده، فتناول شيئًا من التمر وشعر حينها بالتحسن، وانطلق بالسير عبر قناة مائية بالقرب من بيته، وما إن وصل إلى بيته كان المجاهدون ينتظرونه هناك، فبادرهم بسؤال مهم وهو لماذا لم تذهبوا للمكان المتفق عليه، وأين السلاح؟ فقالوا له إن السلاح وضعناه تحت درج المسجد حيث إنه خوفًا من رؤية الطائرات لهم لم يذهبوا للمكان المطلوب في جبل إسكندر، ودخلوا حينها إلى المسجد، وكانت حينها الساعة الواحدة والنصف، وهذا يعني بتقديرهم أنهم هاجموا المعسكر في حوالي الساعة العاشرة ليلًا، وبدؤوا في استبدال ملابسهم والاستحمام، وتم جمع كل الملابس التي نفذوا بها العملية، وقام المجاهد أبو جهاد بحرقها، ولم يترك لها أي أثر، وكان حينها المجاهد أبو إياد مصابًا في ظهره إثر طعنة بالشاعوب، وكان حينها المجاهد أبو عبد الله في لحظة من اللحظات ترك الشاعوب وخرج خارج الخيمة وتناوله أحد الجنود وطعن به المجاهد أبو جهاد في ظهره، والتف المجاهد أبو جهاد ليأخذ الشاعوب من الجندي مرة أخرى وطعنه وقتله، فكانت علامات التعب

والإرهاق واضحة على المجاهد أبو جهاد، فقرر التريث ليتم في الصباح نقل المجاهد أبو إياد إلى بيته وكان حينها الجيش والشرطة الصهيونية تنتشر في كل مكان، بينما تمكن المجاهد يحيى إغبارية من الذهاب إلى بيته في قرية مشيرفة الفوقة، وتم الاتفاق فيما بينهم أن يقوم المجاهد أبو عبد الله بالذهاب كل أسبوع لأم الفحم للاجتماع مع المجاهد أبو إياد في أحد المساجد للتنسيق والإعداد والتخطيط لعملية عسكرية جديدة ليكون الهدف هو مركز شرطة عارة الصهيوني، وبقي الأمر الأكثر أهمية لهذه المجموعة هو أين السلاح؟

قصة السلاح

بعد أن تم وضع السلاح تحت درج المسجد كان عادةً الأولاد الصغار يلعبون هناك، وبدأت درجات الحرارة بالارتفاع، وزاد عدد الأولاد الذين يلعبون، وبالتأكيد من السهل جدًا أن يتم رؤية هذا السلاح، وبالتالي سيصل الخبر بالشكل الأكيد للشاباك الصهيوني، وذلك بدا واقعًا حيث بدأ الشاباك الصهيوني بمراقبة المكان من قبل أحد الجواسيس الذي كان يجلس قبالة المسجد على تلة أو جبل، وفيما بعد علم المجاهدون أين الخلل؛ ليتبين أنه عندما وضع المجاهدون السلاح تحت درج المسجد كانوا قد مروا بجوار أحد البيوت، وكان صاحب هذا البيت قبل فترة بسيطة قد احترق له جرار زراعي، وكان له أعداء كثر فما إن مروا بجانب بيته على أطراف البلدة حيث كان بيته مواجهًا للمسجد حتى رأى صاحب البيت ثلاثة رجال توجهوا إلى المسجد، ودخلوا حماماته، ثم ذهبوا إلى منزل المجاهد إبراهيم إغبارية، وبما أن عم زوجة صاحب البيت جاسوس ومعروف للجميع، ويسكن في منزل بلا ترخيص هو وأولاد أخيه، فتحدث صاحب المنزل بما رأى أمام زوجته وهي بطابع الفضولية نقلت ما سمعت إلى عمها وأولاد عمها الآخرين، فتوجه هذا الجاسوس إلى الشاباك وأخبرهم بكل شيء، وكلف أحد أبناء أخيه بمراقبة من سيأخذ السلاح بعد أن علم الشاباك بمكانه حيث تلقى هذا الجاسوس ثمن هذه المعلومة بالحصول على ترخيص للمنزل ومبالغ مالية وأسلحة مرخصة، وبدأت الأمور تتدحرج وتتعقد أكثر فأكثر بعكس ما تمناه أبناء المجموعة حيث إن ابن أخي الجاسوس الكبير بدأ بالمراقبة بشكل دقيق، وكان هذا الشاب خاطبًا لفتاة من بلدة مشيرفة الفوقة، ولديه سيارة فاخرة جدًا وحديثة، وفي أحد اللقاءات التي كانت تتم بين المجاهدين أبو عبد الله وأبو إياد في أحد مساجد أم الفحم تقرر التريث بعدم الهجوم على مركز عارة الصهيوني، وكانت وجهة نظر المجاهد أبو إياد أن الجواسيس يراقبون كل شيء، ولذلك هناك صعوبة كبيرة في التحرك لعمل شيء، فاقترح المجاهد أبو جهاد بأن يأخذ كل مجاهد سلاحه من تحت درج المسجد، وهو حر التصرف والاعتناء به، ورفض المجاهدون هذه الفكرة وطلبوا من المجاهد أبو جهاد التصرف وأخذ السلاح من تحت الدرج؛ لأن بقاءه هناك يعني أن الشاباك سيحصل عليه، وعندها الرجوع إلى نقطة الصفر، والبحث عن سلاح من جديد.

المجرم إيهود باراك في موقع العملية (أرشيف 1992م)

وبعد اثني عشر يومًا من تاريخ العملية، وفي يوم الخامس والعشرين وليلة 26/ 06/ 1992م اتفق المجاهدان أبو جهاد وأبو عبد الله على جمع السلاح ووضعه تحت درجات بيت المجاهد أبو جهاد ودفنه، وفي تلك الليلة رأى المجاهد أبو جهاد في المنام أن حية سوداء اللون كبيرة كُبر الرجل، لها رأس كبير تجلس في تلك التلة المقابلة، فاقترب منها ثم ابتعد عنها دون أي أذى، واتفق المجاهد أبو جهاد مع أخيه المجاهد أبو عبد الله على أن يذهب المجاهد أبو عبد الله ليصلي العشاء، وأن يذهب المجاهد أبو جهاد بسيارة ليسير فيها فترة من الزمن في البلدة، وحين يخرج المصلون من المسجد يبقى المجاهد أبو عبد الله في المسجد ويأخذ السلاح من تحت الدرج، ويخرج به من المسجد، عندها يكون المجاهد أبو جهاد في انتظاره في السيارة إلا أن المجاهد أبو عبد الله أصابه شيء من الارتباك، ولم يتمكن من إحضار السيارة، وعاد حينها المجاهد أبو جهاد إلى المنزل، ونام ليلته ورأى نفس المنام، وهو منام الحية السوداء، ولكن هذه المرة اقتربت منه كثيرًا ولدغته وآذته ولم يعرف حينها تفسيرًا لهذا المنام، وفي اليوم الثاني تم عكس الأدوار ما بين المجاهد أبو جهاد وأخيه المجاهد أبو عبد الله حيث أن المجاهد أبو عبد الله سيقود السيارة وأبو جهاد سيصلي في المسجد، وبعد خروج المصلين سيأخذ السلاح، وما إن تقدم المجاهد أبو جهاد نحو السلاح حتى شعر بما شعر به المجاهد أبو عبد الله من خوف وارتباك كبير رغم أن طبيعة المجاهد أبو جهاد لا يخاف من شيء فلا يخشى إلا الله إلا أنه تغلب على ذلك ووضع السلاح في كيس من الخيش وخرج من تحت درج المسجد به، منتظرًا قدوم المجاهد أبو عبد الله في السيارة، وإذا بالجاسوس ينزل من التلة بجوار البيت، ويذهب باتجاه عمه الجاسوس، فاستغرب حينها المجاهد أبو جهاد من هذا الأمر حيث إن لهذا الجاسوس سيارة فاخرة، فلماذا يمشي في البرد والمطر بدون سيارته حيث في حقيقة الأمر وفي ذلك الوقت لم يكن يخطر في بال أبو جهاد أن هذا الرجل جاسوس، وجاء بعد هذا الحدث المجاهد أبو عبد الله بسيارته ليركب معه المجاهد أبو جهاد لكي يتوجها لمنزل المجاهد أبو جهاد لتخبئة السلاح تحت درج المنزل، ولدفع أية شبهة لاسيما أن طبيعة الإنسان في البلدة أو القرية يحب الفضول ومعرفة كل شيء، فكان لابد للمجاهد أبو جهاد أن يخرج من بيته في تلك الليلة لمنزل عائلته حتى ساعة متأخرة من الليل.

الاعتقال

عند منتصف الليل وقبل أن ينام المجاهد أبو جهاد إذا بصوت أرجل وسلاح وسيارات

جيش وشرطة صهيونية تمر بجانب البيت؛ لأن بيته يقع على الشارع الرئيسي، ففتح المجاهد أبو جهاد الشباك فإذا بعشرات الجنود والآليات العسكرية محيطة بالمنزل، وصرخ أحد الجنود أو الضباط أغلق الشباك، وقال للجنود إنه في الغرفة الوسطى، فأيقن المجاهد أبو جهاد أن الأمر قد كشف، فأيقظ زوجته وقال لها إنه يوجد اقتحام للبيت، وتم تفجير باب البيت، واقتحموا البيت بشكل عنيف وهمجي وأشهروا السلاح في وجه المجاهد أبو جهاد، ولم يشعر بأي خوف، وكان سلاح وعصي في انتظار المجاهد أبو جهاد، وبكل رباطة جأش صاح بالجنود وقال لهم كيف تدخلون بهذه الهمجية، وصرخ الجنود في وجهه ارفع يديك ولا تتحرك، وتم إدخاله إلى داخل الغرفة وتقييد يديه بسلك المسجِّل، وكان ضابط الشاباك الصهيوني قد وصل إلى المنزل، وبدأ يطرح الأسئلة على المجاهد أبو جهاد، وما كان من المجاهد أبو جهاد إلا أن ابتسم في وجه ضابط الشاباك وقال له: ماذا تريد منا؟ فرد عليه قائلًا: أين البلطات التي اشتريتها يا أبو جهاد؟

فقال له المجاهد أبو جهاد: "عن أي بلطات تتحدث، فأنا لديّ مصنع ألمنيوم ولا أحتاج إلى بلطات". وشعر حينها ضابط الشاباك بأن كلام المجاهد أبو جهاد جدي وصادق، ففك يديه، وقال له: "البس حذاءك، والبس الجاكيت فقط، نحن نريد منك أن تأتي إلى مركز شرطة عارة لتجاوب على بعض الأسئلة". وتم وضع الكلبشات في يديه بالإضافة إلى وضع كيس على رأسه، وفي هذه الأثناء كان الجنود يحفرون تحت الدرج حيث يوجد السلاح، وكان المجاهد أبو جهاد يدعو الله عز وجل أن يعمي أبصارهم، فوضعوا المجاهد أبو جهاد في الجيب الصهيوني، ووصل الجنود إلى السلاح، وبدأت أصوات الضحك تعلو أكثر فأكثر، فهرع الضباط إلى الجيب الذي به المجاهد أبو جهاد وهم مسرورون ومبتسمون، وصرخ أحد الضباط في وجه المجاهد أبو جهاد، وقال له: "ها نحن وصلنا إلى سلاح الجنود الذين قتلتموهم، نعم إنه سلاح الجنود وأرقام السلاح عليه، وكل شيء يدل على أنه سلاح جنودنا". وبدأ يسأل أبو جهاد: من معك؟ فقال له: "لا أحد فهذا السلاح للفهد الأسود جاء به وخبأه هنا أيمن جرادات". فقال الضابط: "وهل معك أحد من هذه القرية؟". فرد عليه: لا أحد، وبدأ حينها المجاهد أبو جهاد يقص عليه قصصًا مفبركة حول كيفية وصول السلاح إليه عبر المناضل أيمن جرادات حيث إن الشهيد الأسير المحرر أيمن جرادات أحد قادة الفهد الأسود في الانتفاضة الأولى، وكان له عدة عمليات ضد العدو، ولذلك أراد المجاهد أبو جهاد أن يحرف الأنظار عنهم ويوجهه إلى أحد المطاردين المشهورين في مدينة جنين، والذي هو بالأساس أهم المطلوبين للشاباك الصهيوني، وأنه إذا نسبت هذه العملية للمناضل أيمن فإنها لا تزيده إلا شرفًا وكرامة وعزة وبطولة ولن تضره بشيء.

وبعد ضغط الشاباك على المجاهد أبو جهاد كان لابد من وضع خطة وقصة مفبركة للشاباك الصهيوني حتى يتم تصديقها، فقال له إن البطل أيمن جرادات جاءه في الساعة الواحدة والنصف

ليلًا وطرق الباب، فخرج إليه المجاهد أبو جهاد، فإذا بأيمن يشهر سلاحه عليه، وطلب منه أن يسير معه مسافة خمسين مترًا مبتعدًا عن المنزل، وإذ بثلاثة شبان يخرجون من بين الأشجار، وكانوا ملثمين ومعهم كيس من الخيش، وبه أربع قطع سلاح، وهدد المجاهد أبو جهاد أنه إذ لم يقم بتخبئة السلاح عنده سوف يقوم بقتله، وبالتالي قام بوضعه تحت درج المنزل، وهذه القصة التي استنتجها من خياله لدى ضابط الشاباك كانت منطقية بالنسبة للشاباك لاسيما أن الفهد الأسود قد أعلن عن هذه العملية عبر إذاعة أحمد جبريل في سوريا، واستمرت هذه القصة في التداول بين أفراد الشاباك إلى أن حضر المجاهدان أبو إياد جبارين ويحيى إغبارية، وكذلك اعترف أخوه المجاهد أبو عبد الله، وكان والده أيضًا حينما سئل عمن كان معه أجابهم أن المجاهدين أبو إياد جبارين ويحيى إغبارية وأبو عبد الله إغبارية كانوا معه في البيت، وإنما كان اعتراف المجاهد أبو جهاد أنه كان لوحده في البيت مع زوجته، وتعارضت الروايات وبدأت تتضح الخيوط لدى الشاباك الصهيوني، ونتيجة رفضه التعاطي مع المحققين تم شبح المجاهد إبراهيم على كرسي صغير من الخشب، وكان مقيد الرجلين واليدين، ورأسه مغطى بكيس رائحته نتنة جدًا، وكان يتم فتح مسجل واستيريو بشكل عالٍ وصاخب جدًا ومزعج، وأحيانًا يقومون برمي قطة على المجاهد أبو جهاد وهو مشبوح من أجل تخويفه، كل ذلك لم ينل من عزيمته وإرادته وصموده، وكان دائم الذكر والتسبيح والتهليل؛ لأنه يعلم أنه لا حافظ له إلا الله -عز وجل-.

الأسير المجاهد/ إبراهيم إغبارية
داخل سجون الاحتلال الصهيوني

وفي إحدى زيارات المحامي طلب منه أن يحضر له قرآنًا، وبعد جهد كبير تمكن المحامي من إحضار المصحف بشكل خفي حيث تمكن من إخفائه تحت ملابسه؛ لأن الأسير في التحقيق يمنع عنه كل شيء حتى القرآن الكريم، ولذلك تبادل عدة محققين عليه واستخدموا كافة الأساليب منها أسلوب الصديق وأسلوب العدو، وأحيانًا في أثناء التحقيق يتم تشغيل المدفأة حتى إذا خرج من التحقيق للشبح في البرد القارس يصاب بالمرض، وعندما علم المحققون أن تلك الأساليب لم تنجح معه بادروا إلى استخدام أسلوب الهز العنيف، وقد يفقد الأسير حياته نتيجة لذلك، وفي كل مرة يستخدم الشاباك أسلوبًا جديدًا معه وليس آخره أسلوب استخدام إحضار العائلة حيث تم اعتقال

والـد المجاهـد إبراهيـم وكذلـك زوجتـه، وبعـد اثنـي عـشر يومًـا دخـل المجاهـد أبـو جهـاد إلى غرفـة التحقيق فوجـد زوجتـه معتقلـة ومغطـاة الـرأس وذلـك للتأثـير عليـه حتـى يـدلي بالاعـتراف، وبـدأ ضبـاط الشـاباك يوجهـون الأسـئلة لهـا حـول العمليـة بأنـه مـن كان مـع المجاهـد أبـو جهـاد ليلـة اقتحـام المعسـكر، فـكان المجاهـد أبـو جهـاد يقطـع الحديـث ويجيبـه أنـه لا أحـد، وتـم الضغـط عـلى أبيـه بنفـس السـؤال فظـن والـده إن ذكـر لهـم مـن معـه سـوف يخـرج مـن التحقيـق، فقـال لهـم أنـه كان معـه المجاهـدون الثلاثـة يحيـى إغباريـة ومحمـد جبارين ومحمـد إغباريـة، وبـدأ الشـاباك كعادته الإيقـاع بأفـراد هـذه المجموعـة عـبر القـول بـأن أفـراد المجموعـة قـد اعترفـوا عليـك ولا داعـي للإنـكار، وبالعكـس وبالفعـل إلى حـدٍ مـا نجـح الشـاباك في هـذا الأمـر إلا أن المجاهـد أبـو جهـاد هـو الوحيـد الـذي لا يوجـد لديـه اعـتراف حـول العمليـة، وكان الشـاباك يحقـق معـه ليـس عـلى العمليـة فقـط وإنـما عـلى علاقتـه بحركـة الجهـاد الإسـلامي في فلسـطين لاسـيما وأن أفـراد المجموعـة قـد اعترفـوا أن المجاهـد أبـو جهـاد قـد امتلـك مسدسًـا للجهـاد الإسـلامي، وهـو أنكـر كل التهـم الموجهـة إليـه، وعندمـا أيقـن الشـاباك أنـه بالفعـل قـد قـام المجاهـد أبـو جهـاد بإصـلاح المسـدس قـال حينهـا المجاهـد أبـو جهـاد إنـه وجـد المسـدس في مـكان نفايـات الألمنيـوم، وأخـذه عـلى اعتبـار أنـه ألمنيـوم واكتشـف بعدهـا أنـه مسـدس مـن نـوع ألمـاني وغـير صالـح، وقـرر عـلى الفـور رميـه مـرة أخـرى بـين نفايـات الألمنيـوم إلا أن هـذه الروايـة لم تقنـع الشـاباك، وقـال لهـم عندمـا كنـت أكـذب عليكـم صدقتمـوني، وعندمـا قلـت لكـم الحقيقـة كذبتمـوني، وطلبـوا منـه أن يذهـب معهـم إلى قريـة مشـيرفة مـن أجـل ارشـادهم إلى المـكان الـذي عثـر فيـه عـلى المسـدس، وكانـت فرصـة لـه أن يـرى بلدتـه مشـيرفة مـن جديـد، ومـع ذلـك لا يوجـد لأفـراد الشـاباك أي شيء، وبـدأوا يواجهـون المجاهـد أبـو جهـاد بحقيقـة العمليـة، وأن أفـراد المجموعـة قـد اعترفـوا عليـه ولا داعـي للإنـكار، وعندهـا قـال لهـم إنـه غـير معـترف بعمليـة القتـل، وإن الهـدف مـن العمليـة هـو الحصـول عـلى السـلاح مـن المخـازن مـن داخـل معسـكر جلعـاد وليـس عمليـة قتـل، وأصر عـلى موقفـه هـذا لحينـما تـم إدانتـه عـلى اعترافـات أفـراد المجموعـة ووجهـوا لـه تهمـة محاولـة القتـل والتعاطـف مـع حركـة الجهـاد الإسـلامي.

مرحلة العصافير

بعـد فشـل معظـم محـاولات الشـاباك الصهيوني للاعـتراف مـن قبـل المجاهـد أبـو جهـاد اضطـر الشـاباك إلى إرسـاله إلى قسـم العصافـير (الجواسـيس)؛ لنـزع الاعـتراف مـن قبـل المجاهـد أبـو جهـاد حيـث تـم إرسـاله إلى قسـم عصافـير مدينـة القـدس، وأوهمـه جهـاز الشـاباك أنهـم قـد أرسـلوه إلى المركـز العـام لشرطـة القـدس لكـي يتأكـدوا مـن أقوالـه وبصماتـه. ومـا أن دخـل إلى قسـم العصافـير حتـى جلـس معـه مسـئول العصافـير وعرفـه عـن نفسـه أنـه أبـو محمـد، وكان حينهـا المجاهـد أبـو جهـاد صائـمًا في شـهر رمضـان مـن العـام 1992م، فـما إن جـاء موعـد أذان المغـرب حتـى تقـدم أحـد العصافـير ليصـلي بهـم صـلاة المغـرب فلـم يقـرأ جهـرًا، فعلـم المجاهـد إبراهيـم أن هـؤلاء هـم جواسـيس ممـا زاد مـن شـكوكه، وبـدأ مسـئول العصافـير يطـرح عليـه الأسـئلة حـول إن كان

المجاهد أبو جهاد حمل سلاحًا في حياته أم لا؟ فقال له المجاهد أبو جهاد: نعم لقد مسكت مسدس من نوع 14، وهنا أخطأ المجاهد أبو جهاد خطأ كبيرًا بإدانته، وسأله مرة أخرى من أين حصلت على هذا السلاح؟ فقال له حصلت عليه من محمد سعيد جبارين من بلدة مشيرفة، وكان في عمر السبعينات، وقد أعاد له المسدس، ولكن هذا الرجل قد توفي وقد أصابه مرض حيث قطعت يده ثم توفي، وقد حاول المجاهد أبو جهاد أن يذكر قصة تلو الأخرى للخروج من المأزق الذي أدخل نفسه فيه حول المسدس؛ ليمكث ثلاثة أيام في قسم العصافير ثم تمّ إعادته إلى التحقيق لمدة أسبوعين آخرين في الجلمة ثم تمت إدانته كما ذكرنا سابقًا، وإرساله إلى عزل الرملة.

مرحلة السجن

تم نقل المجاهد أبو جهاد بعد أن مكث في أقبية التحقيق لمدة شهرين ونصف إلى سجن الرملة، قسم العزل الانفرادي ليكون إلى جانبه في ذلك القسم أبطال الجهاد الإسلامي وأصحاب العمليات النوعية ضد العدو الصهيوني مع المجاهدين الأسير المحرر ياسر داوود من سكان القدس، والشيخ صلاح شحادة ومحمد أبو جلالة وتوفيق أبو نعيم وعبد الهادي غنيم والعديد من الأسرى المعزولين، وحاول في أول ثلاثة أيام في العزل الانفرادي طعن سجان صهيوني بسكين مصنع يدويًا، وأحدثت إشكالية كبيرة وتم قمع الأسرى ونقلهم إلى قسم آخر في عزل الرملة، وكان في الغرفة التي تقابله الشيخ صلاح شحادة وبقي في العزل لمدة عام وبضعة أيام إلى أن بدأ الإضراب المفتوح عن الطعام عام 1992م، حيث رأى المجاهد أبو جهاد في المنام أنه سينتقل إلى سجن آخر وهو سجن عسقلان وهذا ما حدث معه فعلًا، وتم نقلهم جميعًا من العزل الانفرادي إلى السجون، ولم يكن هذا الإضراب الأخير للمجاهد أبو جهاد وإنما تبعه الإضراب عام 1995م، 1996م حيث كان إضرابًا سياسيًا خاضه قادة وكوادر حركة فتح، وكذلك فصائل م.ت.ف احتجاجًا على السلطة الوطنية الوليد التي تركتهم في السجون بعد توقيع اتفاق أوسلو عام 1993م. وشارك أبطال الجهاد الإسلامي إخوانهم في هذا الإضراب واستمر نحو أسبوعين، وكان ذلك في سجن بئر السبع، أما في عام 2000م فقد خاض اضرابًا مفتوحًا عن الطعام دعمًا للأسرى في سجن هداريم، أما في عام 2004م فكان هناك إضراب عن الطعام قبل الإضراب العام بعدة أسابيع، وكان في سجن هداريم واستمر 13 يومًا، وكان له حينها يومان، وكان هدف الإضراب هو عدم إدخال الطعام لهم من فتحة صغيرة من أسفل باب الغرفة وإنما المطلوب فتح الباب وإدخال الطعام، ويتم التعامل مع الأسير كإنسان وليس كشيء آخر.

الأسير المجاهد/ إبراهيم إغبارية مع شقيقه محمد برفقة والديه الكرام خلال زيارتهم لهم في السجن

الإضراب التاريخي عام 2004م: بعد أن فشلت الحركة الأسيرة في الحصول على طلباتها من مصلحة السجون قررت قيادة الحركة الأسيرة خوض الإضراب في كل سجون الاحتلال من شماله إلى جنوبه، وكان المجاهد أبو جهاد أحد قادة هذا الإضراب ممثلًا عن الجهاد الإسلامي في سجن هداريم، واستمر الاضراب في هداريم 18 يومًا إلا أن شيئًا لم يتحقق من مطالب الأسرى لأسباب كثيرة.

في العام 2011م بينما كان الرفيق أحمد سعدات، الأمين العام للجبهة الشعبية في العزل الانفرادي قام أسرى الجبهة الشعبية بخوض الإضراب لإخراجه من العزل متضامنًا معه أسرى الجهاد الإسلامي ومنهم المجاهد أبو جهاد، وأثناء هذا الإضراب حدثت صفقة وفاء الأحرار في 18/ 10/ 2011م مما أفشل ذلك الإضراب لاسيما أن معظم الأسرى القدامى من الجبهة الشعبية قد تم الإفراج عنهم في هذه الصفقة، وخرجوا للحرية وهم مضربون عن الطعام.

لقد كان المجاهد أبو جهاد داخل السجون شعلة من العمل والعطاء اللامحدود في دفاعه عن حقوقه وحقوق إخوانه الأسرى، فلم يخضع للسجن ولا السجان الذي حاول طعنه في أول أيام له في العزل الانفرادي، وحاول عبر إضراباته المتعددة أن يثبت أن كل ممارسات مصلحة السجون وضباطها لن تثنيه عن مواصلة درب الصادقين في مواجهة العدو الصهيوني، وخير مثال على ذلك ما حدث معه في العام 2001م في سجن شطة المركزي حيث إن إدارة سجن شطة تمكنت من الإمساك بثلاثة هواتف خلوية في السجن، وفي اليوم التالي حضرت وحدات تفتيش خاصة إلى جميع أقسام سجن شطة الأمنية، وتم اقتحام غرفة المجاهد أبو جهاد، وكان هناك اتفاق مع إدارة السجن بعدم التفتيش العاري، وحاولت هذه الوحدة إجبار الأسرى على التفتيش العاري فرفض المجاهد أبو جهاد هذا الأمر، وأمسك به أحد الضباط لإرساله إلى الزنازين كعقاب له لرفضه الانصياع لقرارات وحدة التفتيش، وكان يضغط هذا الضابط على يديه المقيدتين بالحديد فطلب منه المجاهد أبو جهاد عدم الضغط على يديه؛ لأن هذا يسبب له الألم الشديد، وهنا تدخل ضابط الأمن الصهيوني من أصل درزي اسمه صقر وأصبح فيما بعد مديرًا لأحد السجون وهو سجن ريمون فأمسك برقبة المجاهد أبو جهاد، وبدأ حينها الأسرى الذين شاهدوا الحدث بالتكبير والتطبيل على الأبواب رفضًا لهذا الاجراء التعسفي، وتم اقتياده إلى خارج القسم من أجل ضربه بعيدًا عن أنظار الأسرى، وبعد أن أخرجوه من القسم بأحد الممرات تم وضع وجهه على شبك حديدي وضربه ضربة قوية، فلم يرضَ الخنوع فوجه ضربة قوية للضابط نفسه والضابط الذي معه فوقع ضابط الأمن على الأرض وأصيب بعدة رضوض وأُغمي حينها على المجاهد أبو جهاد من شدة الضرب، واستيقظ بعدها ليجد نفسه في عيادة السجن، وجاء مدير السجن إليه في العيادة واعتذر منه على ما حدث، وقال له لابد من نقل واحد من

الاثنين إما أن يتم نقل ضابط الأمن أو نقل الأسير أبو جهاد، وتم نقل الضابط إلى سجن الرملة ليحقق المجاهد أبو جهاد انتصارًا جديدًا على مصلحة السجون، وكل هذا والصمود والتحدي لم يكن ليحافظ عليه المجاهد أبو جهاد إلا بسلاح العلم.

والدة الأسيرين المجاهدين/ إبراهيم ومحمد إغبارية في فعالية تضامنية مع الأسرى بالضفة المحتلة

مرحلة العلم والتعليم

تمكن المجاهد أبو جهاد من اليوم الأول في السجن بالعمل على صقل شخصيته في العلم والتعلم وطرق الأبواب وفتح الكتب ونفض عنها الغبار، وبدأ الاهتمام بنفسه فكريًا وثقافيًا والحصول على الكثير من الدورات الثقافية في مجالات شتى، وبعضها كان متقدمًا مثل التنمية البشرية، بالإضافة إلى دراسته في الجامعة العبرية بكالوريوس علاقات دولية والذي بقي عليه فصل واحد من الانتهاء منه حتى قام العدو بحرمانه من التعليم، فما كان منه إلا القيام بإعطاء العديد من الدورات الثقافية والدينية ومراسلة الجمهور العربي في الداخل المحتل عبر كتابته على الفيسبوك، وكان سلاح العلم الذهني والبدني يخرج من حيز المكان الضيق والمغلق إلى عالم أكثر اتساعًا وأكثر فرحًا وأملًا، ومع ذلك كان وما زال يحن إلى بلدته ووطنه وإلى صدر أمه وإلى كل ذرة رمل في ذلك المكان الذي ولد فيه، وكلما اشتاق أكثر ذهب مسرعًا إلى تلك الخارطة المرسومة في ذاكرته ليخرج منها صورًا وأحداثًا وذكريات منها ما هو مفرح وما هو محزن.

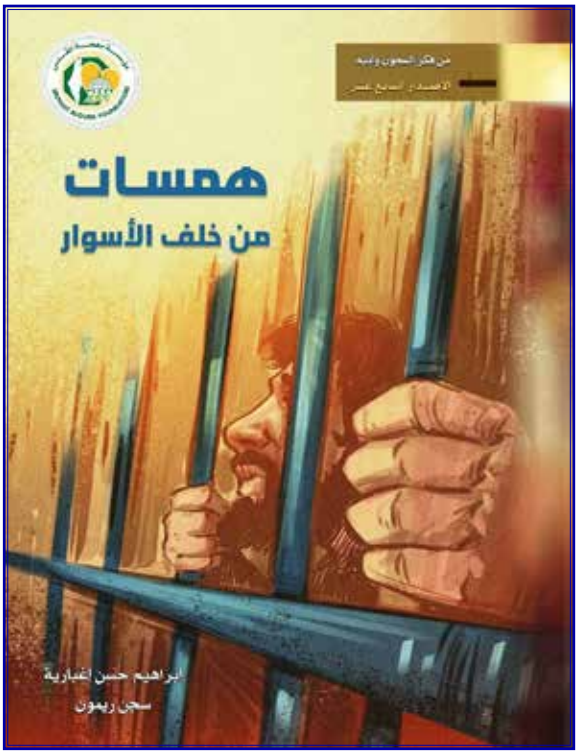

أهم المحطات المفرحة والمؤلمة

إن أهم المحطات في حياة الأسير أبو جهاد هي استشهاد الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي (أبو إبراهيم)، ولاسيما أن المجاهد أبو جهاد عشق فكرة حركة الجهاد الإسلامي وأهدافها ومنطلقاتها وأدبياتها، عندما كان له امتداد وتواصل مع هذه

الحركة الربانية، فما أن سمع باستشهاد الدكتور أبو إبراهيم حتى حزن عليه طويلًا، لم ينته هذا الحزن والألم ليأتي خبر وفاة أخيه الكبير محمود في تاريخ 05/ 01/ 2012م وكان عمره حينها 51 عامًا، متزوج ولديه أبناء، وكان هذا المصاب صعبًا ولا يطاق، ولكن التزام المؤمن لا تهمه النوائب طالما كل ما يحدث للإنسان قدر الله -عز وجل- فعلى المؤمن أن يحمد الله -عز وجل- على السراء والضراء، وأن يصبر ويصطبر؛ لأن الأجر على ذلك عظيم جدًا كيف لا والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: 10]، فلم تمضِ إلا سنوات معدودة بعد هذا المصاب حتى جاءه خبر وفاة والده بتاريخ 28/ 04/ 2016م، فأي مصيبة هذه التي يستطيع المجاهد أبو جهاد أن يصبر عليها، لا يستطيع ما يفعله سوى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 156].

هذه هي سنة الحياة فرح وسرور وألم وحزن وشجون، وعلى المسلم أن يتحمل كل ما يحدث له، ويحتسب ذلك عند الله -عز وجل-، فالصبر الذي صبره المجاهد أبو جهاد والذي أمضى حتى الآن 29 عامًا في سجون الاحتلال لا يكافأ إلا بالعمل على إطلاق سراحه في صفقة مشرفة تعيده إلى بلدته مشيرفة، معززًا ومكرمًا، يجتمع مع الأهل والأحبة بعد طول غياب. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء: 51].

الأسير القائد/ إبراهيم إغبارية (يمين)
برفقة شقيقه الأسير القائد/ محمد إغبارية (المحكوم مدى الحياة)

الأسير المجاهد

محمد سعيد حسن محمود إغبارية

الواجب فوق الإمكان حفاظًا على فلسطين

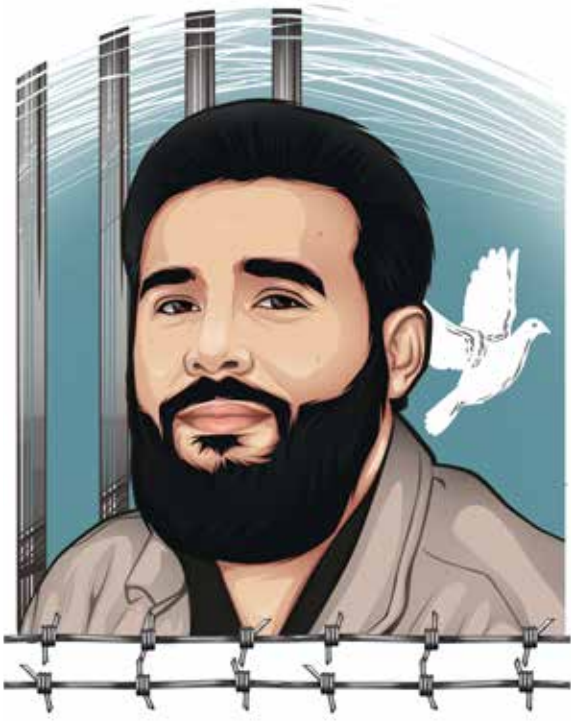

تاريخ الميلاد: 1968/01/31م

الحالة الاجتماعية: متزوج

مكان السكن: بلدة مشيرفة – أم الفحم

عدد أفراد العائلة: 9

تاريخ الاعتقال: 1992/02/26م

الحكم: 3 مؤبدات و15 عامًا

نقف اليوم للحديث عن رجلٍ من أراضينا المحتلة عام 1948م، انسلخ من عمره الغالي أجمل ما فيه خلف قضبان الأسر، ولكنه جعل منها أملًا كان وما زال يحلم بأن يرى جيلًا جديدًا يخلّد من أشعلوا الفتيل، جيلًا يُقدّس الماضي الذي يعتبر الحاضر امتدادًا له، فهو رجلٌ لا يمكن لأحد أن يدرك عمقه وحقيقته إلا من عرفه عن قرب، فهو لا يحب الأضواء ولا يسعى وراء الظهور والشهرة ويعمل بصمت عجيب؛ متألقًا في عطائه ويشعر بحاجة الناس ولا يتردد في إغاثة الملهوف ويداه مبسوطتان ينفق على من يشاء بقدر استطاعته، فهو كريم النفس، أبيّ الروح، طيّب المعشر حَسَن الخلق، ليّن الجانب مع أصحاب القلوب الصافية، مبادرٌ يتقدم على الآخرين بعطائه، وينافسهم على الخير وخدمة الناس عملًا بسنة الحبيب محمد –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ لله تعالى عبادًا اخْتَصَّهُم بحَوائِجِ الناسِ، يَفْزَعُ الناسُ إليهِم في حَوَائِجِهِم، أولئكَ الآمِنُونَ من عذابِ الله".

النشأة

تراه تتجلى فيه قوة الإنسانية وروحها التي تعطي الحياة معناها وتوازنها وتحميها من قوى الشر

والفساد الصهيوني، فتراه قد تمرد على الواقع الذي فرضه الاحتلال على شعبنا في الداخل الفلسطيني باستهداف كل مناحي الحياة إنه المجاهد محمد سعيد حسن إغبارية (أبو عبد الله) الذي وُلد في ذلك اليوم الشتوي من عام 1968م، ذلك العام الذي وقف شاهدًا على احتلال ما تبقّى من فلسطين التاريخية في العام 1967م والذي تكلل بعام العزة والكرامة والإباء حيث انتصرت فيه المقاومة الفلسطينية بسلاحها البسيط وإرادتها اللامحدودة في معركة غير متكافئة في أهم معركة مع العدو الصهيوني هي معركة الكرامة، فكان ميلاد هذا المجاهد لأسرة بسيطة تشيع فيها العصامية ودفء الحنان ورقة المشاعر، فوالده كان مزارعًا يملك أرضًا يُشرف عليها بنفسه يتعهدها ويزرعها، فورث من والده حسن إغبارية حب الأرض وفلاحتها مما جعله يعي باكرًا معنى الأرض ومعنى بذل الغالي من أجلها، ووالدته تلك المرأة الفلاحة التي نالت حظًا كبيرًا من هدي الرحمن جعلها أمًّا صالحة هادية مهدية،

منظر عام لقرية مشيرفة بالداخل المحتل

أنارت قلوب نساء تلك القرية المسماة مشيرفة، تتشرف بها القرية وأهلها على الرغم من أن هذا المجاهد قد أمضى طفولة هادئة منظّمة في أسرة متماسكة متجذرة في أرضها، رفضت الخروج من أرضها في العام 1948م أو النزوح إلى أي شبر آخر، ولذلك قد فتح المجاهد عينيه على النضال منذ نعومة أظفاره على تلك المأساة، وهي مأساة الشعب الفلسطيني التي جعلت العديد من العائلات الفلسطينية مشردة بأصقاع الأرض، فما كان من هذا المجاهد وهو لا يزال طفلًا بعمر الورد إلّا أن يسير إلى جانب أبيه بالاهتمام بالأرض وزراعتها، ليعيش كما باقي الأطفال في تسلق الأشجار وقطف الأزهار وملاحقة الفراش مما جعله يكثر من التأمل المصحوب بالصمت على الرغم من أن واقع الحياة التعليمية الفلسطيني في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م كان صعبًا ومؤلمًا جدًا، وذلك لعدم وجود قرار حقيقي لدى الحكومات الصهيونية المتعاقبة بالعمل الجاد للارتقاء بالواقع التعليمي لدى العرب ولاسيما بعد فترة من الحكم العسكري في ستينيات القرن الماضي، وهذا عبارة عن نظام عنصري ممنهج يهدف إلى إذلال الفلسطيني وتطويعه وتركيعه وكسر إرادته، ودفعه للرحيل عن أرضه الضاربة جذورها في أعماق التاريخ فلا ينفع معهم ذلك. وكانت محاولات كثيرة لجعل المعلمين العرب إمّا بشكل مباشر أو غير مباشر يعملون عبر تقصيرهم في واجبهم العلمي لتعليم الصغار من أجل أن يكون عقل الطفل الفلسطيني خاليًا من العلم لتسهيل عملية غسل الدماغ وجعله يتقبل فكرة الاحتلال؛

لذلك كانت معظم العائلات الفلسطينية في الداخل المحتل تحرص حرصًا شديدًا على أن يتلقّى أبناؤها فرصة التعليم في المدارس مهما كانت ظروفهم الاقتصادية صعبة، لذلك حرصت عائلة إغبارية على إرسال ابنها محمد إلى المدرسة، وأحيانًا كثيرة لم يكن هناك فائدة كبيرة من قبل المعلمين، وأحيانًا تكون الصفوف مكتظة مما يضطر المدارس إلى فتح صفوفها وصفوف أخرى في أماكن سكنية أخرى، ومع ذلك استمر المجاهد محمد بالتعليم ليترفع من صفٍ إلى آخر معتمدًا على فطنته وذكائه وحسن استماعه واهتمامه بالعلم، وكان دائم التوفيق ما بين دراسته الابتدائية وما بين العمل في زراعة الأرض ورعي الأغنام، مما أكسبه شخصية قوية البنية ذات تأمل وبعد نظر.

الانتماء لفلسطين رغم محاولات كيّ الوعي

لقد جعلت عائلة إغبارية أبناءها يحبّون الأرض كما يحبّون أنفسهم؛ لذلك ساهمت في إفشال مخططات العدو الصهيوني في محاولة منه لغسل الأدمغة الفلسطينية وكي الوعي واختراقه ليتقبل فكرة الاحتلال؛ ولذلك لم يرضَ المجاهد محمد أن يُلوّث مبادئه الأصلية التي تربّى عليها، وأظهر هويته الوطنية التي حاول المحتل أن يطمسها إلى الأبد، فما إن بلغ المجاهد محمد 12 عامًا من عمره حتى تم الإعلان عن إحياء ذكرى يوم الأرض في 30 مارس من كل عام حيث يتم إحياؤه في جميع المؤسسات في الأراضي المحتلة عام 1948م، وكانت مدرسة المجاهد محمد هي المدرسة الوحيدة التي لم تشارك في إحياء هذه الفعاليات والنشاطات الوطنية فبادر بذاته وأصرّ على المشاركة في إحياء تلك الذكرى التي فجّرت بركان الغضب في الداخل المحتل، وامتد لهيبها لأرجاء الوطن. وفي المرحلة الإعدادية من الدراسة بدأ المجاهد محمد يكتشف ذاته، فاحتل مركز الصدارة والتميز العلمي في مدرسته، وكلما اشتد عوده تتدفق منه الوطنية أكثر فأكثر ويتدفق معها العزم والإيمان والوعي، ويزداد عنفوانًا وإصرارًا على التسلح بالعلم ليس فقط العلم الأكاديمي، وإنّما العلم الوطني والأخلاقي والثوري من دون إرشادات أو توجيه من أحد إلا قليلًا من البيت، فقد كان يتابع الأخبار لاسيما ما يخص الشعب الفلسطيني، والوجود الفلسطيني في لبنان له أثر بالغ في صقل شخصيته الوطنية، وفي العام 1982م تم اعتقاله لمدة أسبوعين من قبل الشرطة الصهيونية لمشاركته في مظاهرات الاحتجاج لارتكاب مجازر صبرا وشاتيلا في شهر سبتمبر (أيلول) من نفس العام، وهذه المظاهرات عمّت فلسطين المحتلة، وتمّ استنزافه عبر المحاكم الصهيونية الصورية بدلًا من الاعتناء بالأطفال وصغار السن العرب تقوم باعتقالهم وتوقيفهم لموعد المحاكمة، فلا يأبه لحقوق طفلٍ أو شاب أو شيخ؛ لأن الفلسطيني بنظرهم وإن كان صغيرًا فإنه يشكل خطرًا على الأمن الصهيوني. وقد خرج المجاهد محمد من السجن أكثر صلابة وعزيمة، وكان الإفراج عنه قد حمل الفرح والسرور لاسيما أنها جاءت في وقت لم يسلم فيه المدرسون ولا الطلبة من الملاحقة الصهيونية، ونحن هنا نورد هذه الكلمات لأجل أن نتذكر معًا تلك الحكاية

الجماعية عندما كان الطريق صعبًا، لكنه أوضح أيام لم تكن الكهرباء قد وصلت لقرية المشيرفة وغيرها من البلدان والقرى العربية، ولم يكن الاحتلال قد رفع قبضته الأمنية الإجرامية عن المواطنين الفلسطينيين في الداخل، ولذلك كان في يوم الإفراج عن المجاهد محمد فرحة كبيرة لمناسبة هامة، وهي أنه تم الإفراج عنه في ليلة عيد الأضحى المبارك، وثانية أنه في تلك الليلة تم تزويد قرية مشيرفة بالكهرباء مما أنار حياتهم، والأهم أن قلب أمه قد عاد ينبض فرحًا وسرورًا وبهجة في عناق ولدها الذي غاب عنها أسبوعين ليكون بعد ذلك على موعد لزيارة البلدات والقرى المهجرة في الداخل المحتل مما ساعد على تشكل هويته الوطنية حيث كان دائم التجوال في قرية اللجون التي تقع على تل قليل الارتفاع في الطرف الجنوبي الغربي من مرج بن عامر، تلك القرية التي استرجعها صلاح الدين الأيوبي عام 1187م من أيدي الصليبيين، ودُفن فيها اثنان من علماء المسلمين وهم علي الشافعي توفي عام 1310م وعلي بن الجلال توفي عام 1400م. وفي أواخر القرن التاسع عشر انتقل إليها نفر من سكان أم الفحم لاستغلال أراضيها الزراعية، ثم أقاموا منازلهم حول ينابيع المياه، لاسيما في جوار الخام، وما زال قبر الشهيد يوسف الحمدان من الوطنيين البارزين الذين استشهدوا في ثورة 1936م باديًا للعيان ليكون شاهدًا على عروبتها ووطنيتها، وكانت أطلال القرية الرَحبة وينابيعها العذبة تُحفّز مشاعره من الداخل، وكل جزء فيه خاصة أن عائلته كانت إحدى الحمائل التي سكنتها وتم تهجيرهم منها عام 1948م بعد خوض معارك ضارية بين هذه القرية الوديعة وبين مستوطنة "مشمار هعيمق" المجاورة، وكذلك قيامه بجولات إلى قرى مهجّرة أخرى كعين المنسى والكفرين قضاء حيفا مما عزز انتماءه الوطني، وكان محفزًا له للذود عن حياض الدين والوطن فترى المجاهد محمد قد عاش الإجحاف والظلم والعنصرية التي يتعرّض لها المواطن الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة عام 1948م.

التفوق في الدراسة

بدأ الوعي يتطور شيئًا فشيئًا لدى أسيرنا المجاهد محمد، ولما بلغ المرحلة الإعدادية لم يكن في بلدته مشيرفة مدرسة إعدادية مما جعله ينتقل إلى مدرسة أخرى في بلدة كفر قرع، ورغم نظراتهم لهم كغرباء إلّا أنّ ذلك لم يؤثر على محبته واحترامه لهم ولتلك البلدة، وفي هذه البلدة. وفي مدرستها كما ذكرنا سابقًا تمَّ اعتقاله الأول في العام 1982م، ومن ثم انتقل للمرحلة الثانوية في مدرسة الثانوية الشاملة فرع الإلكترونيكا في الفوج الثاني في بلدة أم الفحم والتي تبعد عن قريته زهاء 5 كم من الجنوب الشرقي، وقد نجح وتفوّق والتحق بكلية بيت سيفرد (معهد للهندسة) لمدة سنتين،

طاقم تدريس في المدرسة الشاملة في أم الفحم

بالإضافة لسنة تربية بنفس المعهد ومن ثم تم توظيفه في المدرسة الثانوية الشاملة في أم الفحم التي تخرّج منها ليعمل فيها مدرسًا حيث كان فيها تلميذًا، ثم عاد إليها مدرسًا لمدة أقل من سنة، وللعلم كان بينه وبين أحد الأساتذة في ذلك الوقت بعض الإشكاليات، وبعد سنتين عاد إليه ليكون زميلًا له في الدراسة ولمدة أقل من سنة أصبح قادرًا على الزواج في شهر 8 من العام 1991م.

المضايقات والاستفزازات الصهيونية

إن المواطن الفلسطيني في داخل الأراضي المحتلة كان ولا يزال يدفع ثمنًا باهظًا نتيجة العنصرية الحاقدة تجاه الأقلية العربية بعد أن كانت هي الأكثرية والأغلبية، وأصبحت اليوم على هامش الحياة في الداخل المحتل، ويعتبر الفلسطيني في داخل الكيان جزءًا من الشعب الفلسطيني في انتمائهم ووطنيتهم وهم سكان فلسطين الأصليون، وقد تحولوا إلى أقلية في وطنهم في أعقاب نكبة عام 1948م، كما أنهم جزء من الأمة العربية من حيث انتماؤهم القومي والحضاري والثقافي، ويشكّل هؤلاء الصامدون ما يقارب 20 ٪ من الشعب الفلسطيني ومثلها يقارب مجموع المستوطنين داخل الكيان الصهيوني، ومع ذلك فإن الحكومات الصهيونية المتعاقبة كانت ولا زالت تتعامل مع اليهود كفوقيين ومع العرب الفلسطيني كدونيين؛ يبعث إلى الأقلية برسالة تشير إلى ضآلة إمكان تغيير الوضع ضمن الظروف الديمغرافية والسياسية السائدة، ولا تزال الأقلية العربية لهذه اللحظة تواجه تيارًا كبيرًا من القوانين العنصرية والسادية الظالمة بحقهم سواء كانت قوانين تتعلق بالحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى الدينية، ومن جهة أخرى هنالك العديد من التحديات التي واجهت الأقلية العربية وتمثلت بعلاقتها مع الحركة الوطنية والتي كانت بالنسبة إلى منظمة التحرير الفلسطينية هي قضية هامشية، بمعنى تجاهلت المنظمة التي تكون الأقلية العربية عبر ممثليها شركاء في إقامة المؤسسات الوطنية والسياسية التي أنشئت في المهجر الفلسطيني خلال الستينيات، ولم تطرح (م.ت.ف) من جانبها قضايا تتعلق بالعرب في الكيان الصهيوني على طاولة المفاوضات، ومن جانب آخر التماسك الوطني في الأقلية العربية يشهد تحديات خطيرة وحالة انقسامات حادة على أسس عشائرية ووظائفية وسياسية، وترتكز هذه الحالة على أوضاع معيشية صعبة ومقلقة في عدة مجالات أهمها النمو الديمغرافي المرتفع إلى جانب الفقر والضائقة الاقتصادية وتبلور هوية فلسطينية إسرائيلية جزئية، وغياب تصور بشأن المستقبل المنشود للعرب كجزء من مواطني "إسرائيل" لخوض تلك التحديات سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى منها الوطنية، ونعطي فقط لمحة بسيطة ومتواضعة لمعاناة المواطن داخل أراضي 1948م، وليكن على سبيل المثال لا الحصر في مجال التعليم خاصة في مادة التاريخ حيث قانون التعليم ينص على أن هدف المدرسة هو غرس (القيم الثقافية الإسرائيلية) أي الولاء لدولة (إسرائيل وشعب إسرائيل)، وتمت ترجمة هذه الأهداف علميًا في المناهج الإجبارية التي شملت موضوعات التوراة والتاريخ الصهيوني، وكذلك في موضوعات الوطن مثل الجغرافيا والآثار والطبيعة.

تبلور الهوية الدينية للمجاهد محمد

لقد حاولت الحكومات الصهيونية عبر سياساتها المختلفة أسرلة الفلسطينيين، وجعلهم يتأثرون بالمعتقدات والتقاليد اليهودية، وكانت محاولات جادة وحثيثة وممنهجة ومدروسة لحرف المجتمع العربي في الداخل عن الدين والتمسك به، وإحلال الانحلال مكانه ليسهل عملية كي الوعي الفلسطيني بقضيته الوطنية، وأواخر التسعينيات وبداية الثمانينيات كانت جموع الناس في ابتعاد حقيقي عن الدين وشعائره مما جعل الشباب الفلسطيني يتجه نحو الشهوات والملذات والسهرات والمجون واللهو إلى تأسس تيار ديني كان له امتداد سابق لكن ليس بالوتيرة المعروفة هذا اليوم، وجاء تأسيس تيار عريق إسلامي ومنه تأسس عام 1979م منظمة سرية شبه عسكرية تحت اسم (أسرة الجهاد)، آمن أعضاؤها بالجهاد المسلح ضد العدو وجاءت بعد الثورة الإسلامية في إيران إلى أن تم اعتقال أفراد هذه المنظمة في عام 1989م، وبعدها تطورت الحركة الإسلامية كحركة دينية اجتماعية سياسية حيث في العام 1983م ظهرت حركة الشباب المسلم التي بادرت لإقامة جمعيات في كل بلدة بها مسلمون، واستعانت بالمساجد لتنظيم اللقاءات والدعوة إلى العودة للدين الحنيف وإلى الانخراط في عمل الحركة وجمع التبرعات وشعارهم (الإسلام هو الحل). في هذه الفترة كانت عائلة والدة المجاهد محمد تسكن في أم الفحم التي انتشر فيها المد الإسلامي، وأصبحت قوة يحسب لها ألف حساب، فكان أقرباؤه لهم الفضل بعد الله _عز وجل_ في تكوين ونشأة هذا المدّ الإسلامي الجديد، وتأثر المجاهد محمد بهم، وحرص كل الحرص في سنوات الثمانينيات على ضرورة التمسك بالتعاليم الدينية وعدم الانجذاب نحو الدنيا ومغرياتها رغم توفرها بشكل كبير، بل أصبح في الثمانينيات نائبًا لرئيس الحركة الإسلامية في بلدة مشيرفة، وتأثر كثيرًا بوالدته التي يعود لها الفضل بعد الله _عز وجل_ بإحضار الجلباب والحجاب إلى بلدة مشيرفة مما جعل نساء القرية يقتدين بها، ويقدمن على تعاليم الدين عبر الجلسات الدينية والإيمانية والثقافية والعلمية والوعظ والإرشاد، وبذلك يكون الوعي الوطني والديني قد تبلور بشكل كبير.

والدة الأسيرين المجاهدين/ إبراهيم ومحمد إغبارية على موعد مع الحرية لأبنائها الأبطال

انتفاضة عام 1987م

عاش المجاهد محمد حالة الإجحاف والظلم والعنصرية التي يتعرض لها المواطن الفلسطيني في الداخل المحتل، وكان لانتفاضة الحجارة عام

1987م أثرها البالغ على تشكل الهوية الوطنية لديه حيث كان يتابع أحداثها عن كثب مما يتعرض له أطفال الحجارة عبر تكسير العظام واستخدام القوة المفرطة التي يمارسها العدو الصهيوني برئاسة الهالك إسحاق رابين مما أثّر على عواطفه وتعاطفه مع شعبه في الضفة والقدس المحتلة وقطاع غزة، فغذّى لديه الرغبة في عمل شيء ما لنصرة شعبه وقضيته ليكون ذلك تحديًا للاحتلال الصهيوني لاسيما أن الرئيس الصهيوني حاييم هرتصوغ حذّر العرب الذين تضامنوا مع إخوانهم في انتفاضة 1987م من فصلٍ آخر من المأساة الفلسطينية وهو تهديد ضمني بطردهم، أمّا المجرم الصهيوني إسحاق رابين فقد حذر عرب الـ 48 قائلًا لهم: "لقد عرفتم وشاهدتم المأساة في الماضي البعيد، وسيكون من الأفضل لكم عدم العودة إلى تلك المأساة"، في تصريح ضمني بمعنى أنه عازم على القضاء على أي شيء يهدد الأمن الصهيوني.

فكرة العمل الجهادي

لقد اعتقد المجاهد محمد بأنه بعملية جهادية ضد المحتل ممكن لها أن تغير شيئًا مما يتعرض له الشعب الفلسطيني من عنجهية الاحتلال والمجازر، وتشكّلت الخلية (النواة الأولى) بداية من المجاهد يحيى مصطفى إغبارية (أبو جامع) صاحب فكرة الجهاد، وكان المجاهد محمد حسن إغبارية معه، ثم انضم إليهم اثنان آخران وهما شقيقه إبراهيم إغبارية (أبو جهاد) ومحمد توفيق جبارين (أبو إياد) من أم الفحم وجميعهم محكومون بالمؤبدات، وفي البداية كانوا في حيرة من أمرهم ماذا يصنعوا وتحيّروا ماذا سيكون شكل العملية،

وتبلور لديهم موقف الذهاب إلى لبنان والانضمام إلى حزب الله للتدريب وشن عمليات من هناك، وكان حزب الله في أوج تألقه في عمليات نوعية وجريئة كانت ملهمة ومحركة للثورة في نفوسهم، وذهبوا لرأس الناقورة، ولكن لم يحالفهم الحظ في اجتياز الحدود الفلسطينية اللبنانية بسبب المعارك الضاربة بين الكيان الصهيوني وحزب الله فأُسقط هذا الخيار، وبعد التفكير بشكل جيد في هذا الأمر اهتدوا لفكرة جديدة بعد انضمام المجاهد إبراهيم إليهم باقتحام معسكر جلعاد الذي يبعد عن قرية مشيرفة زهاء 5 كم، ورغم أنهم كانوا يفتقدون الإمكانيات المالية للجهاد في سبيل الله إلّا أنّهم قدموا الواجب على الإمكان، وعرفوا بأن إرادتهم المعنوية سوف تنتصر على القوة المادية للاحتلال في حال ثبتوا على نهجهم وتوفرت الظروف الملائمة لذلك فدقت ساعة الصفر.

عملية معسكر جلعاد البطولية

قامت المجموعة المجاهدة برصد المعسكر بدِقّة متناهية، وكان الجنود يغادرون المعسكر يوم الجمعة في إجازة، ويبقى عدد قليل من الحراس، وكان هدفهم ليس القتل وإنما جمع السلاح ليشكّل

لهم العتاد الذي يمكنهم من مواصلة مسيرتهم الجهادية أطول فترة من الزمن، وفي يوم الجمعة بتاريخ 14/ 02/ 1992م في الساعة الحادية عشرة ليلًا رابطوا من بعد صلاة المغرب وترقبوا ورصدوا تحركات الجنود في المعسكر من مسافة قريبة قادرة على رصده، وأمضوا وقتهم في الدعاء والابتهال لله _عز وجل_ وتلاوتهم للقرآن الكريم، وما أن تهيأت الفرصة المناسبة حتى قاموا باقتحام المعسكر وهجموا على الحارس الذي فرّ للخيمة المتواجد بها الجنود فكان سلاحهم هو السكاكين والبلطات والمناجل وشاعوب (الدقران)، ومن ثم اقتحموا خيمة الجنود التي فرّ إليها الحارس، واشتبك كل واحد منهم مع جندي، وقد شاهدوا جنديًا ترتعد فرائصه ولا يستطيع التدخل من شدة الهلع والرعب والصدمة التي أصابته بسبب مباغتة المجاهدين من المعسكر، وقد دافع المجاهد محمد إغبارية (أبو عبد الله) عن نفسه حينما هاجمه جندي بسلاحه حتى انحنت السكاكين، لكن دون أن يصاب بأذى، وألقى السكين أرضًا وعاد أدراجه مرة أخرى للبحث عن سلاح آخر ليدافع به عن نفسه، ووجد بلطة ملطخة بالدماء أثناء الاعتراك مع العدو فالتفت حينها إلى الخلف وإذ بثلاثة جنود مجندلين وجندي آخر مصاب بجروح خطيرة، وقد شرعوا بجمع سلاح الجنود واستغرق وقت العملية أكثر من ثلاث إلى خمس دقائق، وعند الاستعداد للخروج من الخيمة على إثر الصراخ الذي سمعه، قام أحد المجاهدين برفع باب الخيمة والثاني سدد له طعنة قاتلة مات على إثرها، وكان هذا الضابط من بين الثلاثة جنود المجندلين، وتم الاستيلاء على سلاحه من نوع جاليلو بالإضافة إلى الاستيلاء على ثلاث قطع أخرى من نوع (M16)،

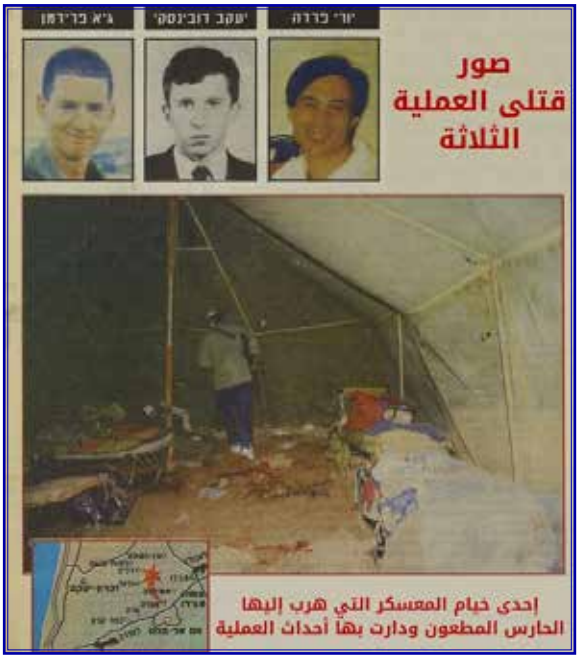

وأصيب أثناء هذه العملية المجاهد محمد جبارين (أبو إياد) في ظهره، وكذلك المجاهد إبراهيم إغبارية في أصبعه أثناء الاشتباك بالسلاح الأبيض، وأثناء الانسحاب التقط بعض الجنود أنفاسهم ممن تواجدوا في أماكن أخرى، وبدأوا في إطلاق النار العشوائي على المجاهدين الذين لم يكن لديهم القدرة على استخدام السلاح الذي غنموه، ثم عادوا إلى أحد بيوت المجاهدين منهم عند موعد الفجر، وبعد الفجر ذهب كلٌ منهم إلى بيته لمتابعة الأخبار، فقامت قوات صهيونية كبيرة من الجنود وطائرات مروحية باقتحام قرية معاوية القريبة من بلدة مشيرفة بعد تتبع آثار المجاهدين ظنًا منهم أنهم انطلقوا منها.

الاعتقال

بعد اثني عشر يومًا أي في تاريخ 26/ 02/ 1992م تم اعتقال الشقيقين المجاهدين محمد وإبراهيم إغبارية فقد اقتحمت قوات كبيرة منزلهما، وقامت بالعبث في محتوياته وتخريبه والاعتداء عليهم بالضرب المبرح، ومن ثم تم اعتقال المجاهدين يحيى إغبارية ومحمد جبارين في تاريخ 03/ 03/ 1992م، وتعرّضا لما تعرّض له أبناء جلدتهم من قبل، واستمر التحقيق معهما أقل من شهر بقليل، وتعرضا لأشد أنواع العذاب الجسدي والنفسي، وتعرّض المجاهد إبراهيم للشبح في الشتاء القارص، وتم ضرب المجاهد محمد على رأسه في الحائط إلى أن نزفت الدماء، ليجدا أنفسهما بعد التحقيق الإجرامي معهما فيما يسمى بسجن نيتسان (الرملة) الذي يفتقر لأدنى مقومات الحياة الإنسانية ومليء بالجرذان ونافذته على مستوى سطح الأرض، ولا يوجد لديهما أي نوع من الكانتينا، وكان يتم إخراجهما لساحة الفورة لمدة ساعة واحدة فقط مقيدي الأيدي والأرجل، ومكثا فيه مدة عام و15 يومًا؛ ليأتي ذلك الإضراب التاريخي في العام 1992م لينهي معاناة هذين البطلين ويتم إخراجهما من العزل في بداية العام 1993م إلى سجن نفحة الصحراوي، وكانا قد شاركا هذا الإضراب بشكل إسنادي ولمدة 8 أيام، وكان هذا العزل الانفرادي هو الأصعب في حياة الأسرى، ويتمثل في نوعين من العزل وهما:

الإكسات (الانفرادي): وهي عبارة عن غرف صغيرة مساحتها ضيقة جدًا أحيانًا لا تتجاوز المترين المربع وتختلف مساحتها من سجن لآخر، وعادةً يُحتجز بها أسير أو أسيران على الأكثر لتكون عقوبة بحق الأسير، وهي أخف من عقوبة الزنازين التي تستخدمها إدارة السجون لعزل قادة وقيادة الحركة الأسيرة ومن تصنفهم على أنهم خطرون على أمن الدولة، ويُسمح بها للأسير ما يُسمح به للأسرى في السجون من حيث الفورة وزيارة الأهل واقتناء الكتب، وإن كانت على نطاق ضيق ومحدود، وتكون العادة ما بين الأسير والسجان قائمة على المواجهة والتحدي بحيث يتم إعلام السجان بمدى خطورة هذا الأسير المعزول، وفي بعض الأحيان يكون قرار العزل من قبل الشاباك الصهيوني لاعتبارات أمنية.

الزنازين: وهي عبارة عن غرف صغيرة جدًا بلا شبابيك ومساحتها أيضًا تختلف من قسم لآخر ومن سجن لآخر، وتكاد تتراوح مساحتها ما بين مترين وثلاثة أمتار، وتتسع لأسير وربما لأسيرين وأحيانًا لثلاثة إن احتاج الأمر، وتكون إما في أقسام التحقيق وإما في أقسام السجون، وتُستخدم كفترة عقوبة على الأسير سواء كان في التحقيق أو كعقوبة قاسية على الأسير الذي خالف القوانين داخل السجون كعدم تنفيذ أوامر ضابط السجن ومقاومة الإجراءات التعسفية وغيرها، ويتم في هذه الحالة مصادرة كل ما يملكه الأسير من مقتنيات وحاجات خاصة ويتم حرمانه أيضًا من كل ما هو مسموح للأسير داخل السجن وحرمانه من زيارة الأهل وامتلاكه الكانتينا والتدخين والراديو والكتب والدفاتر والقلم... إلخ.

مرحلة السجن

لقد أدرك الأسير المجاهد محمد إغبارية من اللحظة الأولى وكما باقي الأسرى خطورة مخططات وأهداف العدو المتمثلة في قمع الأسير الفلسطيني جسديًا ونفسيًا وشل قدراته الجسمانية والعقلانية عبر كي الوعي حتى يدرك أنه لا مجال لمواجهة المحتل، وأنه يجب عليه الانصياع والاستسلام للمحتل عبر ما يسمى بمصلحة السجون، وأن كل ما هو مطلوب منه هو تناول الطعام والشراب وانتظار الموت، ولهذا فقد بادر مجاهدنا محمد إغبارية بعد وقت قصير من اعتقاله للنضال من أجل الارتقاء بالعمل الذهني والنفسي ليكون سلاحه في مواجهة المخططات الصهيونية، فقد كان لابد من ملء الفراغ بكل ما هو مفيد ومُجدٍ لاسيما وأن الأسرى يواجهون إجراءات تعسفية من قبل مصلحة السجون المناهضة للقانون الدولي والحضارة والثقافة والعلم، فيجد الأسرى بأن التجربة وحالة اللامفر والتحدي التي عبروها بالمطالعة والقراءة والكتابة هي عناصر بنّاءة كأسلوب مثالي وفعال لكسر الروتين والرتابة ومقاومة محدودية الواقع والزمان والمكان في الأسر، وبذلك يتم التحليق العلمي والفكري إلى العالم الواسع والفضاء والتحرر نظريًا ونفسيًا من وطأة الأسر وقيوده وتعويض مراحل الحرمان من التعليم أو الانقطاع عنه بسبب الاعتقال. وبهذه الانطلاقة الفكرية والثقافية تكون الحركة الأسيرة قد صنعت ميزان قوى انتصرت به على المحتل وتمرّدت عليه، فلا يمكن لأي قوى على وجه الأرض أن تقوم بتكبيل عقل الأسير او جعله معطلًا عن التفكير، وليس أي تفكير، إنه التفكير الإبداعي والإيجابي، فلا يمكن إخماد الصوت الحر رغم المكان الضيق وفي وسط الوحوش الضاربة التي ما إن تسنح لها الفرصة حتى تنقضَ على الأسرى لتنهش لحومهم وتنشب مخالبها فيهم، والأسير يجوب العالم والفضاء ويعبر المحيطات والقارات ويختصر الزمان والمسافات من خلال الكتاب والصحيفة والكتابة والرسم والمقال، وبذلك يتم تفريغ الاحتلال من أهدافه وتحوله إلى مشروع غير مجدٍ بل إلى مشروع خاسر تمامًا. فكان من اللحظة الأولى للأسير محمد صولات وجولات في ميدان العلم والتعلم، فعكف على دراسة العلم الشرعي وبشكل ممنهج،

شكر وتقدير

تتقدم مؤسسة إبداع للدراسات والتدريب واللجنة التحضيرية لمؤتمر الشباب الثاني

"نحو جيل شبابي قيادي مخلوقات وروّاد" بالشكر الجزيل من

الأستاذ/ محمد سعيد حسن اغبارية

لمشاركته في المؤتمر بورقة عمل بعنوان

دليل القادة في فن القيادة

وعمل على حفظ وفهم آيات الرحمن، ثم بعد فترة من الزمن وبضغط وإلحاح شديد من قبل عميد الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال كريم يونس حيث طلب من المجاهد محمد الانتساب إلى الجامعة العبرية وكان في بداية الأمر غير مقتنع بهذا الأمر إلا أنه وبعد عام من الحديث معه قام بالانتساب إلى تلك الجامعة، وخلال تسع سنوات من العام 1996م إلى العام 2005م استطاع المجاهد محمد الحصول على بكالوريوس العلوم الإنسانية

والاجتماعية بالإضافة إلى الماجستير في الدراسات الديمقراطية، وما إن أنهى المجاهد محمد دراسته من الجامعة العبرية حتى شعر أنه في فراغ قاتل ولابد من إعادة ملء هذا الفراغ ولا يكون ذلك إلا بالعلم والتعلم، وبدأ بمطالعة أمهات الكتب وخاصة في الأدب العربي والروايات ووجد نفسه وروحه عطشة للغة العربية، واستهوته فكرة كتابة الروايات والقصص والخواطر والمهم أن يكتب كل ما يجري في خلجات صدره وعقله لاسيما وأن الكتابة تعبر عن جوهر وفكر الكاتب وتوجهاته، فأراد من خلالها أن تكون رسالة مفيدة للجيل الشاب الجديد الذي تحاول آلة الدمار الصهيوني أن تجعل منه جيلًا مسخًا لا يقرأ ولا يفهم ما يقرأ، وبذلك استطاع بجهوده الكبيرة تحقيق أهدافه عبر التأليف ليحقق تميزًا ونجاحًا باهرًا تحقق بما يلي:

1. فقد ألّف الرواية الأولى بعنوان رحلة حكيم في سجن السبع في العام 2007م.
2. ألّف كتاب خواطر مع شعر شعبي بعنوان لمعات في عتم الزنازين في العام 2008م.
3. ألّف الرواية الثانية قناديل لا تنطفئ في العام 2012م.
4. ألّف الكتاب الرابع بعنوان ولدي يكتب من وراء القضبان.
5. ألّف كتاب تأملات في كرامة الإنسان.

وليس هذا فحسب بل استطاع عبر تاريخه الطويل في القراءة المطالعة والإبحار في سفينة العلم أن يمتلك القدرة الكاملة على إعطاء الدورات والجلسات الثقافية في مواضيع مختلفة تحقق للأسرى الفائدة العظيمة، بالإضافة إلى مخاطبته الجمهور الكبير من المواطنين الفلسطينيين في الداخل المحتل عبر كتاباته القصيرة على شكل أفكار وخواطر فكرية ونثرية، وأصبح له جمهور واسع ويتسع يومًا بعد يوم.

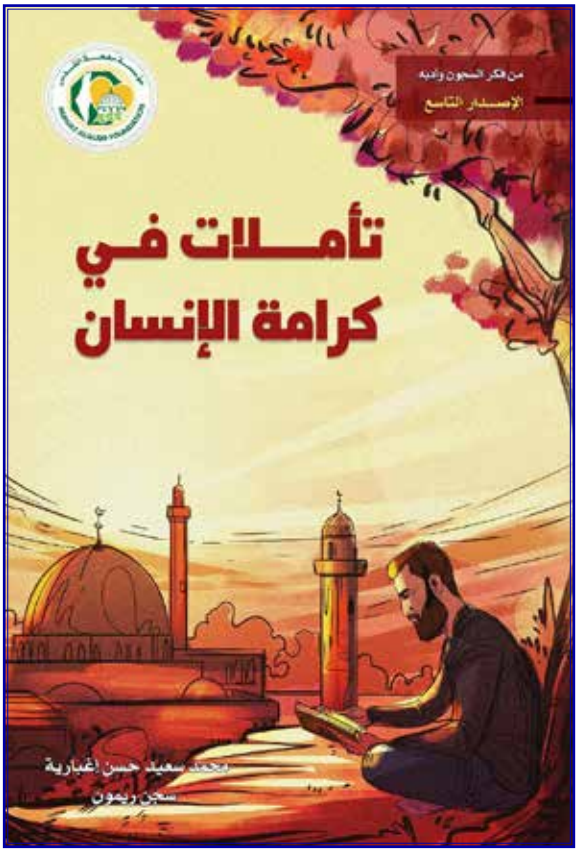

هذه الهمة العالية والإبداع الكبير لم يكن ليحصل عليه لولا قدرته على مواجهة التحديات والصعاب سواء على صعيد المواجهة مع السجان أو على صعيد الصبر على المصائب ومواجهة الأحزان، وخاصة عندما جاء خبر وفاة أخيه الكبير محمود، وكان يبلغ من العمر حينها 51 عامًا وكان مريضًا بالسرطان ومتزوجًا ولديه أبناء. وكان هذا الخبر صعبًا ومؤلمًا على المجاهد محمد لاسيما وأن له أخًا آخر في نفس القضية وفي نفس المحنة وهي محنة الأسر،

وكان لهذا الحدث تداعياته على الأخوين محمد وإبراهيم، والأهم على والدتهما الصابرة المحتسبة التي صبرت على معاناة ولدها البكر وصبرت على سجن ابنيها إبراهيم ومحمد اللذين يدخلان الآن عامهما الـ 28 في سجون الاحتلال، فقد ضربت الحاجة أم محمود والدة الأسيرين محمد وإبراهيم إغبارية المثل في الصمود والتحدي والتضحية، كيف لا وهي التي زرعت في أبنائها معنى حب الوطن والنضال وتميزت عن غيرها من نساء العالم؟!،

الأسير المجاهد/ إبراهيم إغبارية مع شقيقه محمد برفقة والديه الكرام خلال زيارتهم لهم في السجن

فبدلًا من أن يحقق الاحتلال الصهيوني أهدافه بإحباطه لعزيمة المرأة الفلسطينية فإذا بها رغم مصابها وألمها وجلدها وصبرها تستعيد زمام المبادرة لتضع كل إمكاناتها في خدمة وطنها ومجتمعها فحققت بذلك أروع مثل للصمود والصبر والعطاء في بلدة مشيرفة وباقي البلدات العربية في الداخل المحتل، وكذلك الزوجة الفلسطينية عندما يتم اعتقال زوجها ليحكم عليه بعشرات السنوات تعلم أن مسألة الإفراج عنه ليس بالأمر السهل، فإن من الطبيعي لهذه المرأة أن تطلب الطلاق من زوجها وتبدأ مشوارًا جديدًا من حياتها، ولكن هذا لم يحدث مع زوجة المجاهد محمد (أبا عبد الله) حيث أن (أم عبد الله) كانت ولا تزال منذ زواجها في العام 1991م واقفة إلى جانب زوجها الأسير وفية له ولعائلته ولسيرته الجهادية لتكون خير زوجة لخير زوجٍ، وكذلك المجاهد أبو عبد الله في كتاباته وحديثه دائم التأمل في هذه المهجة الحنونة الوفية التي كانت له سندًا وعونًا في السراء والضراء، تنام على أمل الالتقاء بزوجها في الصباح وتصبح على أمل اللقاء بزوجها في المساء لا تعرف التعب وغير مكترثة بالعمر ولا يعنيها منه سوى العمر الذي يجمعها بزوجها، بالرغم من أن القدر لم يكتب للمجاهد محمد بالحرية بالصفقات الماضية سواء صفقة حزب الله عام 2004م و2008م وصفقة شاليط 2011م والدفعة الرابعة 2014م، ومع ذلك بقيت معنويات زوجته عالية لا لشيء إلا لشيء واحد؛ إنها الزوجة الأبية الوفية للزوج الأبي والوفي، ويبقى السؤال الأهم متى يلتقي الزوجان؟ وأين؟، والجواب في ظل أي وردة؟، وردة الحب الذي لا يموت، وكما قال الشاعر محمود درويش:

أَمُوْت اشْتِيَاقَا
أَمُوْت احْتِرَاقَا
وَشَنَقَا أَمُوْت
وَذَبْحا أَمُوْت
وَلَكِنَّنِي لَا أَقُوْل:
مَضَى حُبِّنَا، وَانْقَضَى
حبنا لا يموت

الأسير المجاهد
أيمن عبد المجيد عاشور سدر

قائد قسامي صنديد أبدع في جهاده

تاريخ الميلاد: 1966/05/21م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ولد

مكان السكن: البلدة القديمة – محافظة القدس

عدد أفراد العائلة: 13

تاريخ الاعتقال: 1995/05/13م

الحكم: مؤبد و30 عامًا

هي القدس إذن، بل مدينة السلام، وهي إيليا وهي يبوس، وهي أرض المحشر والمنشر، هي قبلة المسلمين الأولى، وفيها صلى الأنبياء بإمامهم وقائدهم محمد _صلى الله عليه وسلم_، وفيها ثاني المسجدين وثالث الحرمين، وهي آية من كتاب الله _عز وجل_ القائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]؛ لذا فهي أرض مقدسة ثائرة في وجه الظلم والعبودية، لا يسكنها إلا الأبطال والعظماء الذين يحاولون على مدار التاريخ أن يمسحوا عن عيونها دمعة الألم والحزن لما أصابها من احتلال واغتصاب صهيوني.

نشأة مقدسية بامتياز

لبّى نداء الواجب وحمل اللواء ونذر نفسه للدفاع عن القدس الشريف، فكانت ابتسامته تتصدر وجهه الجميل وعيونه شاخصة نحو جبال القدس وتلالها ووديانها وقباب المسجد الأقصى وبريق الصخرة وصوت جرس الكنائس، وسمعه يمتلئ بضجيج أصوات الباعة المتجولين في شوارع وأزقة القدس القديمة علّهم يجدون من

يشتري بضاعتهم، فعجائز القدس يجلسن في سوق القطانين وأمام باب العامود يبعن ورق العنب الخليلي، وضمنًا من البقدونس للتبولة الفلسطينية الشهيرة، وأما أسوار القدس وجدران المسجد الأقصى فتشهد على آثار حضارة إسلامية منذ فجر الإسلام مؤكدة أن الأسوار والأرض فلسطينية، وستبقى كذلك مهما حاول المحتل تشويه الحقائق والتزوير، فمن يسكنها هم الأبطال، ومن احتلها واغتصبها سيكون مصيره إلى زوال. وهذا تراه كله في قسمات وتجاعيد هذا الرجل الخمسيني القسامي الكبير المقدسي أيمن سدر (أبو محمد) الذي ولد في مدينة القدس المحتلة لعائلة فلسطينية بامتياز من عائلة سدر تعود جذورها إلى نسب كردي جاءوا مع محرر القدس القائد صلاح الدين الأيوبي عندما جاء مجاهدًا الصليبيين، فسكنت هذه العائلة مدينة الخليل والقدس، وهاجر جزء من العائلة من مدينة الخليل إلى مدينة القدس ليتم إحصاؤهم عام 1967م على أنهم من سكان مدينة القدس وليس الخليل، وسكنوا البلدة القديمة في باب الحديد في حوش الخطيب، وولد هذا المجاهد في ذلك المكان المقدس ليشرب ماء القدس العذب، ويستنشق هواءها المشبع برائحة الشهداء العطرة، وكانت عائلة سدر تشعر بأنها قد ملكت الدنيا لوجودها على أرض مدينة القدس.

تحدى الواقع يتيمًا منذ طفولته

بدأ والد المجاهد أيمن بالعمل وبكل جد وحيوية ونشاط ليمتزج عرقه ودمه في تراب وحجارة القدس أثناء عمله، وطوّر نفسه وتعلم مهنة الطبخ؛ ليصبح طباخًا ماهرًا أبدع فيها كثيرًا علّه يستطيع أن يوفر احتياجات وطلبات أبنائه حيث تتكون هذه العائلة بالإضافة للأب والأم من ستة ذكور وخمس بنات،

الحاج/ عبد المجيد سدر (والد الأسير القائد/ أيمن سدر) توفاه الله قبل لقائه ابنه الأسير محررًا

وترتيب مجاهدنا أيمن الرابع بين إخوانه، لكنه تمكن من التربع على عرش قلوب إخوته وأخواته فكان محبوبًا منذ صغره، واهتموا به كثيرًا وأدخلوه ليتعلم في المدرسة البكرية في باب حطة لدراسة المرحلة الابتدائية وسط اهتمام شديد من عائلته على ضرورة أن يواصل الدراسة إلا أن فرحة واعتناء

أمه به لم يدم طويلًا فما إن بلغ من عمره أحد عشر عامًا حتى توفيت والدته، فكيف لطفل صغير أن يتحمل فقدان أمه، فقدان حبها وحنانها ودفء قلبها وحضنها، فكانت الدنيا قد أظلمت في وجهه إلا أن الحياة من سنة الله أنها مستمرة متجددة بتدافع كوني معلوم، وكان أبوه وإخوانه وأخواته إلى جانبه في ألم الفراق والحزن الشديد الذي حفر عميقًا في عقله ووجدانه سنوات طويلة حتى يومنا هذا، واستمر المجاهد في دراسته مصرًا على إكمال مشواره التعليمي، وتلقى دراسته الإعدادية والثانوية في المعهد العربي في أبو ديس لاسيما أن أحوالهم المادية كانت صعبة للغاية، فالمنزل الذي يؤويهم كان مستأجرًا وبالكاد يستطيع دفع أجرة البيت إضافة إلى ضرائب العدو الصهيوني الباهظة التي تفرض على الفلسطيني المقدسي من أجل جعله يخرج من مدينة القدس مهاجرًا إلى مكان آخر، ومضطرًا إلى بيع أرضه أو منزله.

شاهد على الوقائع

ساحات المسجد الأقصى كانت مقصدًا ومهوى للأطفال الصغار للضحك واللعب والمزاح، فكانت ساحاته متنزهًا للأطفال، فما أن يشعروا بالملل والضجر حتى يذهبوا إلى ساحات المسجد الأقصى ليشعروا حينها بالأمن والأمان، وما أن يرى الأطفال بريق ولمعان قبة الصخرة وهي تعكس أشعة الشمس حتى يقع في قلب الأطفال الطمأنينة والسكينة، وكان أطفال القدس ومنهم المجاهد أيمن شُهادًا على كل ما حدث من اعتداءات، ومع ذلك هناك فسحة من الأمل الجميل لهم، وهو وجودهم في بلد طاهر مقدس فيه معراج الرسول ﷺ، وكانت جرائم الاحتلال بحق المسجد مستمرة لاسيما أن فترة السبعينيات من القرن الماضي قد شهدت الكثير من المواجهات مع ذلك المحتل في مدينة القدس، وكان لموقع منزلهم دور هام في صقل شخصية المجاهد أيمن وزيادة وعيه لما يحدث، فمنذ صغره يتابع ما يحدث في ساحات الأقصى من اقتحامات متكررة من قبل المستوطنين الصهاينة، ولا يزال يتذكر مجاهدنا تلك الحادثة في المسجد الأقصى عندما وقعت الاشتباكات العنيفة بين المصلين ووحدات الجيش الصهيونية ومستوطنيه المهاجمين المعتدين، وتمكن المصلون من إنقاذ أحد الجرحى، وهو من سكان قطاع غزة، وتم إسعافه في منزل المجاهد أيمن مما فتح المجال أن يكون منزلهم ملجأ للعديد من المتظاهرين والمصلين، وازداد وعيًا يومًا بعد يوم حول أهمية ومكانة القدس ومسجدها وطبيعة هذا الاحتلال الدموي المتعطش لقتل الأبرياء الفلسطينيين. وكان هذا الأمر إضافة لطبيعة الحي الذي يسكنه مجاهدنا وقربه عن أقدس مكان وأطهر بقعة، ومن ذلك استمد شخصيته الإسلامية لتكون له رؤية خاصة في الأحداث فيما بعد، بل له دور حقيقي بها، وقرر أن يقسم وقته الثمين ما بين دراسته وبين مساعدته لوالده في العمل أثناء الإجازات، وما بين أداء فروضه الدينية في المسجد الأقصى. وكان لدراسته في المعهد دور كبير في نضج وعيه أكثر فأكثر لاسيما أن الإخوان المسلمين في تلك الفترة كان لهم قوة

وحضور كبير في هذا المعهد، وكانوا يسيطرون على الإذاعة المدرسية، ولا يزال يتذكر تلك الأناشيد الإسلامية التي كان يسمعها بالإضافة إلى الطابع الإسلامي الذي يمثله المدرسون وخاصة الأستاذ علي أبو راس ومحمد التايه، ولم يكن الإخوان المسلمون وحدهم الحاضرين في هذا المعهد، بل كان هناك عدد لا بأس به من اليسار الفلسطيني وحزب الشعب، وكان حينها الطلبة يتعرضون لمضايقات واستفزازات مستمرة من قبل الاحتلال، ويتم اعتقال العديد من طلبة هذا المعهد، ويتذكر مجاهدنا حينها كيف تم اعتقال أخيه ماجد وقد حكم عليه خمس سنوات في العام 1975م، وكيف كانت والدته -رحمها الله- تستيقظ من ساعات الفجر الأولى كي تقوم بتحضير نفسها لتزور ابنها ماجد في السجن، وكان إلى جانبها حينها ولدها أيمن الذي يرقب حركات والدته العفوية وهي تحاول عدم نسيان أي شيء خاص بالزيارة سواء تصريح الزيارة أو هويتها أو طعامها أو احتياجات ابنها في داخل السجون، وذاق حينها المجاهد أيمن طعم الألم والمعاناة في زيارة أخيه السجين، ولا تزال عائلته حتى اللحظة تعيش مرارة الألم منذ 25 عامًا منذ اعتقاله.

كل تلك الأمور جعلت من مجاهدنا أيمن تكون له رؤية جامعة ارتكزت على التنوع الوطني والثوري، وولَّدت لديه أسئلة عديدة دفعته للبحث عن إجابات خاصة مع غياب الإسلاميين عن الميدان الجهادي في تلك الفترة لاسيما أن نشاط القوميين واليساريين والوطنيين كان كبيرًا وفعالًا ومؤثرًا ومشهودًا له، وكان له نوعًا ما سيطرة على نشاطات الطلبة مما جعل المجاهد أيمن ينخرط في النشاط الطلابي دون أن ينخرط في الفكر اليساري، وإنما في الجانب الثوري فقط، وكان محصنًا دينيًا وثقافيًا ويسعى لتجسيد النشاط الإسلامي في وسط جموع الطلبة وقد شهدت مرحلة الثمانينات اعتقال أحد إخوة المجاهد أيمن الذي كان يعمل في مجموعة عسكرية فدائية تابعة لحركة فتح، وتمكنت من زرع مجموعة من العبوات الناسفة ضد ضباط في جهاز الشاباك الصهيوني مما دفع المحتل إلى مطاردتهم، ولجأ أخوه حينها للخروج من فلسطين إلى الأردن، وقادته خطاه للمشاركة في حرب لبنان الأولى وفي معارك الدفاع عن بيروت، وكان لتلك الأحداث دور في إطلاق دوافع المجاهد أيمن للعمل المقاوم، ويتذكر تلك الليلة المقاومة التي كان بها المجاهد أيمن إلى جانب رفاق دربه في رحلة إلى مدينة نابلس، وأثناء وجودهم في الباص قاموا بالهتاف لصالح الثورة الفلسطينية ورفضًا للمحتل، وقام جنود الاحتلال باعتقال جميع ركاب هذا الباص واقتيادهم إلى سجن نابلس المركزي، وقضوا ليلتهم في السجن ثمنًا للنفس الحماسي المقاوم، وكانت بصدق ليلة مقاومة، عاش فيها واقع حياة السجن كما عاشها أخواه من قبله.

اندلاع انتفاضة الحجارة

في العام 1983م قرر مجاهدنا أيمن أن يترك الدراسة للعمل بجانب والده ويعينه على طلبات أسرته من مأكل ومشرب ومصروف للبيت، ومع ذلك كانت عزيمته على متابعة الأحداث كبيرة، ويتذكر عندما قام التنظيم اليهودي بمحاولة

الاغتيال ضد رؤساء البلديات في الضفة الغربية، كما يتذكر روابط القرى التي كانت مشروعًا هدف منه المحتل تطويع إرادة الشعب وجعله تبعًا له، كما كان أيضًا لزيارة أنور السادات وصلاته في المسجد الأقصى وقضية مشروع الحكم الذاتي في اتفاقية كامب ديفيد الأولى أثره الكبير على حياته في تطوير رؤيته السياسية في معرفة الخصم والحليف، وهذا ما عجَّل بعملية بحثه عن إجابات نظرية، لكنها كانت عملية أكثر في العام 1984م حين سافر إلى الأردن بمساعدة قريب له، وبدأ بالبحث حينها عمن يساعده في تجهيز عبوات ناسفة، وهو ما استطاع اكتسابه في الأردن وحاول تطبيقه لدى عودته، ولكن دون أي نتائج تذكر إلا أنه ومع عودته من الأردن انطلق الحدث الأكبر والأكثر تأثيرًا في حياة الشعب الفلسطيني، وهو الانتفاضة الكانونية في العام 1987م، وكان حدثًا أساسيًا في إطلاق رؤيته النضالية مما دفعه للانطلاق أكثر في الانتماء السياسي، وكان له قبل ذلك اطلاع على حركات إسلامية كحزب التحرير واهتمام بالإخوان دون انخراط رسمي، ولكن وجوده في الأقصى سمح له بالاختلاط مع شباب الإخوان، ولا يزال يذكر منهم أيمن حجازي وعبد أبو سنينة وحسام بلبل حيث التزم معهم في أسرة إخوانية كان نقيبها أبو حافظ، وكانت نشاطات هذه الأسرة المشاركة في الأيام الجهادية وسماع المحاضرات الدينية، وانصب اهتمام وتساؤلات مجاهدنا على مسألة غياب الاتجاه الإسلامي عن ميدان الجهاد والمقاومة كما باقي الفصائل الفلسطينية، وكانت الإجابات المتوفرة حينها تقول إن الإسلاميين موجودون في حالة إعداد للمواجهة القادمة.

مشهد متكرر للمواجهات مع قوات الاحتلال الصهيوني خلال انتفاضة الحجارة (1987م)

مع اندلاع الانتفاضة بلغ مجاهدنا أيمن من العمر 21 عامًا، وكان قد أنهى دراسته في المعهد ليذهب إلى دراسة الميكانيكا، ثم توقف ليقبل على مشروع جديد، وهو الإشراف على كافتيريا وأيضًا لم ينجح به بسبب أحداث الانتفاضة المتصاعدة في مدينة القدس لتكون مشاركة القدس وأهاليها بفعاليات وأحداث انتفاضة قوية ومبكرة، وذلك لاقتراب القدس من الاحتلال وسياسته المتمثلة في سياسات التهجير وفرض الضرائب ومضايقة التجار ومنع المصلين من ارتياد المسجد، وكان لهذا الاحتكاك المباشر تحفيزًا ودافعًا للمقدسيين لمقاومة المحتل أكثر، مما ولّد المشاركة بفعالية كبيرة لمشاركة أهل القدس كون ساحات الأقصى شكلت تحريضًا دفع لتشابك العقائد مع مشاعر الظلم اليومي في كل يوم يتم إهانة المسلمين والرجال والنساء والشيوخ والأطفال والشباب، فأثار حالة ثورية متصاعدة رغبة في الخلاص من المحتل وحتى ذلك الوقت لم يكن مجاهدنا أيمن مؤطرًا بشكل رسمي، ولكن الأرضية موجودة وهي إخوانية، وكان يبحث عمن يعطيه الفرصة للعمل ضد الاحتلال.

الانخراط في صفوف حركة حماس

مع انطلاقة حركة حماس بدأ المجاهد أيمن العمل في نشاطاتها وذلك في شهر مايو (أيار) من العام 1988م، وشارك في العمل الجماهيري بشكل تلقائي، وقد جاءه أحد الإخوة للطلب منه مساعدته في مهمة معينة، وهي رسالة النشاطات كالكتابة على الجدران وفعاليات الانتفاضة المختلفة لطبيعة التواجد المكثف للصهاينة في كل مكان في مدينة القدس، وكان العمل والمواجهة ليس بالأمر السهل، ومع ذلك قرر مجاهدنا أيمن توسيع نشاطاته الجماهيرية، ولكن مع أخذ كل الاحتياطات الأمنية والسرية، وتم اختيار شعارات ذات طابع وطني تجمع الناس ولا تفرقهم، كما تجنبوا شعارات دينية في حارات النصارى حرصًا على أن يكون النسيج الاجتماعي مبنيًا على التفاهم والتقدير والاحترام وعدم الاختلاف، ويجمعهم حب الوطن.

بدأ مجاهدنا أيمن أيضًا بالتوجه نحو بعض العناوين بحثًا عن آلية ومدخل للعمل العسكري ضد المحتل، وتوجه حينها إلى أحد الأشخاص، وكان جوابه أن المرحلة صعبة ولابد من الحيطة والحذر وعدم التسرع والتهور، ولم يأتِ الوقت المناسب بعد، وجاء ذلك اليوم الأسود في تاريخ الشعب الفلسطيني حيث في تاريخ 08/ 10/ 1990م حدثت مجزرة الأقصى، وكان هناك دعوات لاقتحام المسجد الأقصى المبارك، وفي المقابل كان هناك دعوات إلى كافة أبناء الشعب الفلسطيني للنفير العام لحماية المسجد الأقصى المبارك، وبدأ الرباط من صلاة الفجر وكانت أشبه بصلاة الجمعة، وكان واضحًا تمامًا أن العدو يتربص ويتجهز للمجزرة وكان هذا مبيتًا لدى الاحتلال وأفراد شرطته في مدينة القدس، وأثناء قيام اللجان العاملة والإدارية بالاعتناء بالمصلين واحتياجاتهم

وآلية حمايتهم تفاجأ المصلون بضرب الحجارة باتجاه تجمع الشرطة والجيش في منطقة باب السلسلة وباب المغاربة وحائط البراق، ورد أفراد الشرطة الصهيونية باستخدام الرصاص الحي مما أدى إلى ارتقاء العديد من الشهداء، وتحولت ساحات المسجد الأقصى إلى ساحة للحرب، واستمرت المواجهات حتى وقت المغرب وتم نقل الجرحى لمشفى المقاصد، ولا يزال يتذكر مجاهدنا اتشاح القدس بالسواد، وكانت هذه المجزرة الصهيونية قد شحنت صواعق الغضب في وجدان المجاهد أيمن وغيرته كثيرًا لاسيما أنه في تلك الفترة كان يجهز لزفافه، وكان الحدث قد شغل مكانًا من التفكير في داخله للبحث عن آلية للرد على هذه المجزرة.

الاعتقال الأول

كان مصير مجاهدنا أيمن في تاريخ 13/ 02/ 1991م الاعتقال الأول، واستمر التحقيق معه لمدة 26 يومًا في تحقيق المسكوبية، وقد جعلت هذه المحطة مجاهدنا يرى ما كان قد تعلمه وقرأه نظريًا من أساليب للتحقيق في حلقات الأسر الإخوانية، وهذا ما شحنه بالصمود وساعده بعدم الاعتراف، ومع ذلك فقد حكم عليه لمدة عام ونصف على خلفية نشاطات لحركة حماس، وأمضى منها 6 أشهر فعلية في سجن أوهليكدار في سجن بئر السبع قسم (4)، وهناك انكشف أمامه معاناة الجماعة الإسلامية والتي تمثل أبناء حماس والجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال، وكان ممنوعًا عليهم أن يعيشوا في السجون بشكل مستقل وبأسماء فصائلهم كما هو الحال لدى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، ولم يكن أي تواجد للإسلاميين في الغرف، وانتشر الأفراد المتدينون بالغرف الأخرى؛ لأنهم كانوا مجبرين للعيش تحت إطار حركة فتح، وتم إدخاله حينها إلى غرف حركة فتح، وطلبوا منه الالتزام بجلساتهم التنظيمية ورفض ذلك، وحاول استغلال التقارب السياسي بين حركة حماس واليسار، ثم تم العمل على إيجاد غرفة مشتركة بين اليساريين والإسلاميين تجمع أسرى حماس والجهاد واليسار، ومن ضمن قيادات الجهاد الإسلامي الذين كانوا معه في الغرفة الشيخ المجاهد الأسير المحرر عادل الخياط وهاني بيضون، وهذا الأمر دعا حركة فتح لتقوم بوضع أحد أسراها في هذه الغرفة مما سبب إشكالية كبيرة كان نتيجتها أن انتزعت الجماعة الإسلامية غرفة خاصة بالجماعة الإسلامية، وما هي إلا أشهر حتى وجد نفسه في الحرية المنقوصة، وخرج أكثر إصرارًا على مواصلة الدرب والبحث عما يجول في خاطره، وهو العمل العسكري لاسيما أنه في مطلع العام 1992م كانت حركة المقاومة الإسلامية حماس قد شكلت جناحها العسكري وأسمته كتائب الشهيد عز الدين القسام، وحاول مرارًا وتكرارًا الوصول إليهم دون جدوى.

بداية العمل العسكري

قرر المجاهد أيمن مع خمسة مجاهدين آخرين تشكيل خلية عمل عسكري وبشكل ذاتي وبأموالهم الخاصة وبخبراتهم المحدودة ودون تخطيط وإعداد حقيقي، وكان عملهم كله ارتجاليًا، وتم شراء سيارة

لضرورتها للعمل المقاوم، وتم وضع خطة من أجل القيام بعملية خطف جندي صهيوني، لكنهم لم يتمكنوا من الحصول على السلاح، فقرروا الاعتماد على السلاح الأبيض الذي بأيديهم، وكان بعض أفراد هذه المجموعة يعملون في مشفى المقاصد، وتمكنوا من الحصول على مواد مخدرة لاستخدامها في العملية، ولكن بقي السؤال الأهم: هل سيتم الاحتفاظ به؟ ولكنهم قرروا قتله ودفنه، وحفر قبرًا له في مكان بعيد عن مدينة القدس بالقرب من مستوطنة معاليه أدوميم، وبدأت عملية بحث المجموعة عن جندي صهيوني، وخرجوا في المرة الأولى ولم يوفقوا، ثم في الثانية ثم مرة أخرى، بدأ المجاهد أيمن وهو سائق السيارة بالبحث في شوارع مدينة القدس عن جندي صهيوني ووجد جنديًا على أحد المحطات الصهيونية، وأثناء الحديث مع هذا الجندي بإقناعه للصعود في السيارة تردد هذا الجندي، ولم يتمكن حينها المجاهد أيمن وأفراد مجموعته من اختطافه، وتفرق بعدها أفراد المجموعة، وعاد كل منهم إلى حياته الطبيعية وأعماله بناءً على طلبهم إلا أن مجاهدنا لم يستسلم أبدًا، وكان لا يزال مستعدًا ومصرًا على العمل العسكري وتزامنت تلك الفترة مع قيام مجموعة عسكرية من حركة حماس، ومنهم المجاهد أيمن أبو خليل وعصام قضماني وغيرهم من الأبطال؛ بخطف جندي وقتله بتاريخ 20/ 04/ 1994م، كما خططوا بتاريخ 12/ 08/ 1994م لتنفيذ عملية أمام منزل الهالك أرئيل شارون في قلب مدينة القدس في البلدة القديمة حيث أرادوا استهداف الحراس، وأثناء طريقهم في باب الساهرة حدث اشتباك مع العدو وأصيب المجاهد عصام قضماني، وتم مطاردة باقي أفراد المجموعة، واستشهد الشهيد طارق أبو عرفة والشهيد راغب عابدين، وتمكن المجاهدان حسن النتشة وعبد الكريم بدر من الإفلات من قبضة المحتل، وكانا مصابين، وحاول بعض المارة من الناس الذين شاهدوا الكمين الذي نصب لهم بالقرب من منطقة الرام إنقاذهما وعلاجهما، وكان المجاهد حسن على علاقة طيبة مع المجاهد أيمن، وعلى علم مسبق بأن المجاهد أيمن يبحث عمن يساعده في الوصول إلى الجناح العسكري للعمل ضد المحتل، وأرسل حينها المجاهد حسن رسولًا إلى المجاهد أيمن، وما أن وصله هذا الرسول وسأله هل أنت أيمن؟ أجابه: نعم، فسأله من أنت؟ فقال أنا من طرف صديقك حسن، وقد دخل الشك هنا إلى قلب المجاهد أيمن، وطلب منه النزول من سيارته ليتحقق منه، فإذا به يقر عن قصة لا يعلمها سوى أيمن وحسن، واطمأن حينها المجاهد أيمن، وعلى الفور خرج مع الرسول للقاء حسن في مدينة أريحا، وكان معهما المجاهد عبد الكريم، وطلبوا منه أن يوفر لهم المال والسلاح، وكما تعرف على هوية الرسول الذي جاءه، وكان من سكان قطاع غزة، واسمه زياد أبو ندى، وكان حلقة الوصل مع كتائب القسام، وتم الاتفاق على أن يحصل المجاهد أيمن على السلاح من غزة بينما يوفر المبلغ المطلوب؛ لأن السلاح من غزة لم يصل إلى يديه، أما المال فقد تم توفير المبلغ المطلوب للمجاهد حسن وتوجه به إلى مدينة أريحا ليخبرهم بما حصل

معـه، وكانـوا حينهـا سـيتوجهون إلى مدينـة نابلـس للقيـام بعمليـة خطـف جنـدي صهيـوني، واجتمعـوا مـع القائـد الشـهيد صـلاح دروزة، ثـم مـع مجموعـة المجاهـد جهـاد يغمـور.

لقائه القائد محمد الضيف

أصبـح حينهـا اتصـال المجاهـد أيمـن مبـاشرة مـع قطـاع غـزة، وكان اللقـاء الأول لـه مـع القائـد الكبـير محمـد الضيـف في أحـد المنـازل الـذي يتبـع لعائلـة حـرز، وكان لهـذا القائـد أثـر طيـب وتأثـير غـير محـدود عـلى المجاهـد أيمـن، فقـد وجـده إنسـانًا قويًـا خلوقًـا ذا هيبـة وصاحـب مبـدأ ويحمـل مشروعًـا تحرريًـا حيـث كان يطمـح في العـام 1994م بالحصـول عـلى الصواريـخ والهـاون لتحريـر غـزة مـن قطعـان المسـتوطنين، وقـد عاشـه واقعًـا بعـد عـشر سـنوات، وكان هـذا اللقـاء الأول الـذي جمـع المجاهـد أيمـن بقـادة كتائـب القسـام، واتفـق حينهـا مـع القائـد محمـد الضيـف عـلى آليـة للعمـل العسـكري في مدينـة القـدس المحتلـة، ولكـن أراد هنـا المجاهـد أيمـن العمـل بمفـرده دون أن يكـون لديـه مجموعـة عسـكرية حفاظًـا عـلى الأمـن والسريـة التامـة، وأعـرب حينهـا عـن اسـتعداده لمسـاعدة الكتائـب في كل شيء.

القائد القسامي/ محمد الضيف (أبو خالد)
القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام

أول عملية عسكرية

طلـب حينهـا القائـد محمـد الضيـف أن يقـدم مسـاعدة في عمليـة إطـلاق نـار في وسـط مدينـة القـدس ردًا عـلى مجـزرة الحـرم الإبراهيمـي الشريـف، وأراد أن تكـون العمليـة في سـوق (محانيـه يهـودا) إلّا أن المجاهـد أيمـن أراد مكانًـا آخـر أكثـر أهميـة حيـث يتواجـد جنـود وضبـاط وقـادة في الجيـش الصهيـوني والمسـتوى السـياسي أيضًـا، وكان هـذا الهـدف قريبًـا مـن مقـبرة

مأمن الله القريبة نسبيًا من منطقة المسكوبية، ووافق حينها القائد محمد الضيف على هذا الهدف، وعاد حينها المجاهد أيمن للقدس للفحص الدقيق لهذا الهدف وهذا الموقع، وعاد مرة أخرى لقطاع غزة للاجتماع مع القائد العام للكتائب، وتم استقباله في إحدى البيارات في قطاع غزة، وكان المجاهدون يقومون بتسجيل وصية الاستشهاديين الذين سيطلقون النار في العملية، وهم الأبطال حسن عباس 19 عامًا من حي الدرج في غزة، وعصام الجوهري مصري الجنسية جاء من مصر لكي ينفذ العملية في مدينة القدس، وناما في تلك الليلة في منزل المجاهد أيمن، ووصلهم السلاح وهو عبارة عن قطعتي كلاشنكوف وذخيرة وقنابل يدوية ستصلهم في اليوم التالي، وقرر حينها المجاهد أيمن اصطحاب الاستشهاديين إلى مكان العملية؛ ليكونوا على دراية بطبيعة المكان وكانا حينها على استعداد تام لتنفيذ العملية، وفي اليوم التالي تم استلام السلاح والذخيرة والقنابل في نقطة معينة في مسجد عثمان في منطقة سميراميس في مدينة رام الله، ولكن بقي السؤال الأصعب كيف سيقوم المجاهد أيمن بإدخال السلاح إلى مدينة القدس؟ وقرر أن يستقل سيارته وبها السلاح ويمر بهما عبر الحاجز الصهيوني في منطقة الرام بشكل مباشر باعتقاد منه أن الجيش الصهيوني لم يشك في أمره، وتوكل على الله وبدأ بتلاوة القرآن والدعاء لله ﷻ بأن يحفظه من مكر الجنود، ومر على الحاجز وكأنه غير موجود، وحاول الاستشهاديان تنفيذ العملية في المرة الأولى إلا أنهما لم يتمكنا من ذلك إلى أن نجحا في تاريخ 09/ 10/ 1994م في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلًا من تنفيذ العملية البطولية،

الاستشهاديان/ حسن عباس وعصام الجوهري
استشهدا بتاريخ 09/ 10/ 1994م

وارتقى البطلان شهيدين وتم قتل مجندة صهيونية وإصابة العشرات، وللعلم في تلك الليلة كان أيهود أولمرت رئيس بلدية القدس في ذلك الوقت قد اجتمع مع وزير الخارجية الأمريكي (كريستوفر)، وكانوا يفتخرون بأن القدس هادئة ولا يوجد بها عمليات عسكرية وخاصة بعد عملية السلام حيث جن جنون أولمرت والعدو الصهيوني.

انسحب المجاهد أيمن بحذر من المكان وقد شاهد سيارات الإسعاف التي هرعت على المكان لإنقاذ الجرحى، وكان الاستشهاديان الأبطال على عجلة من أمرهما ويريدان الالتحاق بركب الأنبياء والشهداء والصديقين، فما أن ترجلوا من سيارة المجاهد أيمن حتى قاما بإطلاق النار في كل مكان وهما يرددان صيحات الله أكبر، وكانت معية الله معهما فاتخذهما الله شهيدين وحفظ الله المجاهد أيمن من الاعتقال، وكانت هذه أول عملية للمجاهد أيمن مع كتائب القسام، وأول عملية لإطلاق النار في مدينة القدس للكتائب، وحققت صدى إعلاميًا كبيرًا، وللخبرة الأمنية

الكبيرة للمجاهد امتنع عن الاتصال بقيادة الكتائب في قطاع غزة على الرقم الأرضي الذي تم تزويده به لمدة شهر، وأثناء وجوده في طبريا اتصل بهم وأخبرهم بما حدث، وكانوا في حالة قلق دائمة عليه وعلى مصيره حيث ظنوا أنه اعتقل.

التدبير لتنفيذ عملية استشهادية

عاد المجاهد أيمن من جديد إلى قطاع غزة، واجتمع مع الأبطال والقادة في كتائب القسام، وقرر في هذه المرة المجاهد الكبير محمد الضيف الإعداد والتجهيز لعملية استشهادية جديدة بواسطة المتفجرات، وفي هذه الزيارة تعرف مجاهدنا أيمن على المجاهد البطل سعد العرابيد، وهو من قادة كتائب القسام واستشهد فيما بعد، وأيضًا تعرف على الشهيد عدنان الغول الذي جاء من سوريا حديثًا إلى غزة، وتم التخطيط والإعداد للعملية الاستشهادية حيث اختار المجاهد أيمن الهدف بحيث لا يكون هدفًا مدنيًا بعد رصده لحافلة صهيونية يصعد بها كل يوم عدد من الجنود والضباط من سلاح الجو الصهيوني بالزي الرسمي الكامل وفق تعليمات وإرشادات محددة لهم يوميًا، بحيث تنتظر الحافلة الصهيونية في الساعة السادسة وعشرين دقيقة صباحًا، وآخر موعد لصعود الجنود هو السادسة والنصف، وبعدها يغلق سائق الحافلة الباب ولا يسمح لأحد بالصعود على إلى الحافلة حيث يطلب من الجنود والضباط إبراز هويتهم للتأكد منهم، وكان هذا الهدف مهم جدًا من ناحية أمنية واستخباراتية، وما إن سمع القائد محمد الضيف هذا الكلام من المجاهد أيمن حتى شرح الله صدره على هذه العملية وللهدف الذي اختاره المجاهد أيمن، وأصدر الضيف التعليمات بالإسراع في تنفيذ العملية، وقد خرج المجاهد أيمن بعد هذا اللقاء من قطاع غزة ومعه الاستشهادي أيمن راضي من سكان خانيونس، وتم تزويده بهوية مزورة حتى يستطيع الخروج من قطاع غزة عبر معبر إيرز، وبالفعل خرج المجاهد أيمن سدر مع الاستشهادي وما إن أتاهم الجنود على حاجز إيرز حتى طلبوا منهما إبراز هويتيهما، وكان الاستشهادي يحمل بطاقة هوية مزورة، وتم السماح للاستشهادي صاحب الهوية المزورة بالعبور، بينما تم توقيف صاحب الهوية الصحيحة؛ لأنها كانت شبه مهترئة ولولا أن كان معه رخصة السياقة لتم اعتقاله، ووصلا بعدها بسلام إلى مدينة القدس ولكن من الذي سيزودهما بالمتفجرات؟ لقد تم الاستعانة بوسيط من قطاع غزة توجه بشكل مباشر مخصوص للضفة ليجتمع مع القائد يحيى عياش وحصل منه على شنطة المتفجرات، وتم وضعها في نقطة ميتة لدى المجاهد الأسير خالد غيظان (أبو طارق) في قرية قبيا بمحافظة رام الله، وما أن حصل على الشنطة حتى قرر أن يضعها في سيارته، وأن يمر عبر حاجز الرام كما حدث معه في عمليته الأولى، وتم إدخال المتفجرات إلى مدينة القدس، وبقيت مشكلة أخرى عالقة، وهي كيف سيصعد الاستشهادي إلى الحافلة وفقًا لشروط وقوانين الحافلة؟ ولذلك جاء القرار من القائد محمد الضيف بأن يتم التفجير بالقرب من الحافلة، وتم تجهيز الاستشهادي وشراء ملابس جديدة يرتديها اليهود وشنطة سوداء وتسجيل رقم الحافلة من أجل وضعه في بيان الإعلان عن العملية.

في الصباح الباكر من يوم 25/ 12/ 1994م في الساعة السادسة والنصف قام المجاهد أيمن سدر باصطحاب الاستشهادي أيمن راضي من المنزل، ووضع السيارة على بعد 50 مترًا من الهدف، وهو محطة الباصات المركزية في مدينة القدس، وكان الاتفاق ما بين المجاهد أيمن سدر والاستشهادي أيمن راضي بألا يغادر المجاهد أيمن سدر المكان إلا بعد سماع صوت الانفجار حتى لا قدر الله إن حدث أي خلل يعود الاستشهادي إلى السيارة ويتم مغادرة المكان،

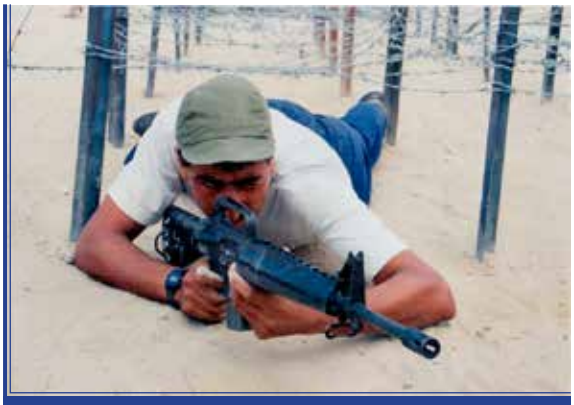

الاستشهادي/ أيمن راضي
استشهد بتاريخ 25/ 12/ 1994م

وما هي إلا لحظات حتى سمع المجاهد أيمن صوت الانفجار الضخم وتم إصابة 26 صهيونيًا بجراح مختلفة، وشاهد سيارات المخابرات الصهيونية والشرطة والإسعاف متوجهة إلى مكان العملية، ولكن لماذا لا يوجد قتلى في العملية؟ كانت الإجابة عن هذا السؤال أن العبوة الناسفة المعدة للعملية كانت عبوة موجهة بحيث كان يجب على الاستشهادي توجيهها نحو الحافلة إلا أنه في الحقيقة كانت موجهة بعكس الحافلة مما قلل الخسائر البشرية، ومع هذا الخطأ اكتسبت هذه العملية صدى إعلاميًا لدى كل وسائل الإعلام وأثارت بذلك حفيظة السلطة الفلسطينية كون عملية السلام لا تزال في مهدها الأول.

قرار بخطف جنود صهاينة

بعد نجاح هاتين العمليتين قرر القائد العام لكتائب القسام محمد الضيف بأن تكون العملية الجديدة هي خطف جندي صهيوني إلّا أن هذا الأمر لا يمكن للمجاهد أيمن القيام به لوحده، وهو بحاجة ماسة إلى تجنيد عدد من المجاهدين للعمل معه، فتوجه حينها إلى المجاهدين المقدسيين موسى علامي ونضال أبو رميلة وعرض عليهما الأمر، فوافقا عليه وعلى خطف جندي باسم كتائب القسام، واصطحبهما معه إلى قطاع غزة، واجتمعوا مع قادة الكتائب وتدربوا على السلاح، ووضعوا عدة سيناريوهات لعملية الخطف التي سيتم عبرها إدخال الجندي المخطوف إلى قطاع غزة، وبعد فترة عاد المجاهد أيمن للوقوف في المكان الذي سيتم عبره إدخال الجندي الصهيوني منه إلى قطاع غزة وكان في ساحة مفتوحة في منطقة البريج، وكان معه في تفقد هذا المكان أحد قادة الكتائب بالإضافة إلى القائد الكبير يحيى عياش الذي لم يعلم حينها أنه يحيى عياش، واكتشف المجاهدون أن هذا المكان لا يصلح لإدخال الجندي المخطوف من خلاله، ووضعوا السيناريو الثاني وهو شاحنة سيتم تخصيص خزانة بها يوضع فيها الجندي بحيث يتم التمويه بشكل لا يلفت النظر، واستمر الإعداد والتخطيط لهذا العمل فترة ليست بالبسيطة،

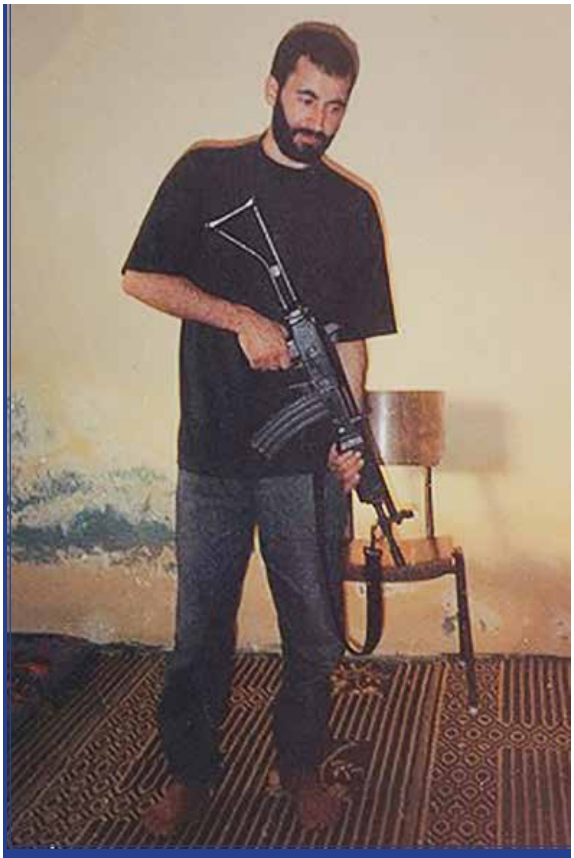

الشهيد القائد/ يحيى عياش
استشهد اغتيالًا بتاريخ 05/ 01/ 1996م

وتم العودة مجددًا إلى قطاع غزة، واجتمع مع القادة الأبطال الضيف وعياش وحصل على مبلغ 15 ألف شيكل، ولكن لم يتمكن من الحصول على السلاح، وقرر المجاهد أيمن استخدام السلاح الأبيض في عملية الخطف، كما تم الاتفاق على الإعداد والتجهيز لعمليتين استشهاديتين بواسطة المتفجرات، وكان من المفترض أن يعودا في المرة القادمة لاصطحاب الاستشهاديين، ولم يكن يعلم حينها أو يتوقع مجاهدنا أن هذا هو اللقاء الأخير الذي جمعه بالقائدين الضيف والعياش، وحصل فيه على مبلغ 15 ألف شيكل إضافة إلى هاتف من نوع (برزما) أي كبير الحجم، وتم تزويده بالشيفرة التي يمكن عبرها الحديث مع الضيف، واتفقوا على بدء عملية الخطف والعمليات الاستشهادية، وخرج من قطاع غزة بالهاتف والمال إلى مدينة القدس.

الاعتقال

أثناء اقترابه من حاجز إيرز شعر المجاهد أيمن أن هناك أمرًا غير طبيعي، فقرر الاتصال بالقائد محمد الضيف فإذا بالقائد يحيى عياش يرد عليه قائلًا بأن الضيف غير موجود وخرج إلى مكان ما، ولم يشأ حينها المجاهد أيمن أن يذكر ما حدث معه للقائد يحيى عياش، وما هي إلا لحظات حتى تم محاصرة المجاهد أيمن واعتقاله واقتياده إلى معسكر الجيش الصهيوني، واستلمه حينها رئيس جهاز الشاباك الصهيوني في مدينة القدس المحتلة روني الشيخ، وتم التحقيق معه ميدانيًا فأنكر كل شيء، فسألوه عن المال والهاتف وذكر لهم قصة مختلفة، لم يقتنعوا بما ذكره، وتم اقتياده إلى المسكوبية في مدينة القدس، وأثناء التحقيق معه كان التحقيق مستمرًا حتى لحظة الوصول إلى المسكوبية، وتم استقباله بكل أساليب القمع والضرب والتعذيب الجسدي، ولا يوجد أسلوب يتوقعه بشر إلا وتم استخدامه، وشعر مجاهدنا أيمن أنه ميت في التحقيق لا محالة من شدة العذاب الذي مورس بحقه، ومع ذلك لم ينطق بكلمة واحدة، وكان الشابان اللذان خطط معهما لخطف الجندي الصهيوني قد تم اعتقالهما واعترفا على نيته بعملية الخطف، وكان قبلها قد وقع عدة عمليات للخطف.

أبرز عمليات خطف الجنود التي نفذها مجاهدو القسام

وللعلم فإن حركة حماس وتحديدًا جناحها العسكري كتائب القسام لهما الفضل بعد الله _عز وجل_ في القيام بالعديد من عمليات خطف الجنود الصهاينة من أجل الوصول إلى عملية التبادل؛ لإطلاق سراح الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، ومن أبرز هذه العمليات:

1. أسر الرقيب "آفي سابورتس" بتاريخ 17/ 02/ 1988م بعد أن تم تجريده من سلاحه وأوراقه الرسمية، وذلك من داخل الخط الأخضر، وتم في وقت لاحق قتله والتخلص من جثته.

2. خطف الجندي إيلان سعدون بتاريخ 03/ 05/ 1989م، تم خطفه من قبل حركة حماس وكانت محاولات لعقد صفقة مع الأسير المحرر محمد شراتحة، بوساطة عبد الله نمر درويش الذي بعثه بيرس في ذلك الوقت إلى السجن للتفاوض.

3. خطف الجندي الصهيوني "نسيم توليدانو" بتاريخ 13/ 09/ 1992م، تم خطفه وإلقاء جثته على قارعة الطريق بعد انتهاء المدة المعطاة للصهاينة.

4. محاولة أسر الجندي "يوهوشع فريدبرغ" أثناء توجهه إلى قاعدته بتاريخ 07/ 3/ 1993م، وتم الاستيلاء على بندقيته الرشاشة، ثم قتله بعدما حاول المقاومة، وألقيت جثته على طريق القدس تل أبيب السريع.

5. حاولت كتائب القسام أسر الملازم شاهار سيماني بتاريخ 20/ 04/ 1993م، لكنه قاوم عملية الأسر، فتم قتله والاستيلاء على سلاحه ووثائقه الشخصية.

6. اختطاف الباص رقم 25 بتاريخ 01/ 07/ 1993م، وبعد مطاردة للباص استشهد قائد المجموعة الشهيد ماهر أبو سرور بعد أن قتل مستوطنة وجرح عددًا من الصهاينة.

7. أسر الجندي نخشون فاكسمان بتاريخ 11/ 10/ 1994م، وفشل رابين في إنقاذ الجندي، واستشهد ثلاثة من المجاهدين وقتل الجندي المخطوف، وكانت والدة الجندي قد ناشدت حركة حماس قائلة لهم أنا أناشدكم بسورة الأنفال أن تطلقوا سراح ابني.

الجندي الصهيوني/ نخشون فاكسمان
تم خطفه بتاريخ 11/ 10/ 1994م

8. أسر الجندي "شارون أدري" من مدينة القدس المحتلة في صيف العام 1996م قبل أن تقتله وتحتفظ بجثته سبعة أشهر كاملة.

آخر محاولة كانت خطف الجندي جلعاد

شاليط بتاريخ 25/ 06/ 2006م، وتم تحرير 1027 أسيرًا في العام 2011م، وكانت أول عملية تبادل في فلسطين، وأخيرًا الأمل معقود الآن على مصير الجنود المأسورين لدى حركة حماس في غزة.

مرحلة قاسية من التحقيق

عندما تم اعتقال المجاهد أيمن فرح ضباط الشابك كثيرًا؛ لأنهم أحبطوا عملية خطف لجندي صهيوني ونقله إلى غزة، وإضافة لأفراد مجموعته تم اعتقال العشرات من عائلته وأصدقائه وجيرانه والعشرات من أبناء حماس في مدينة القدس المحتلة إلا أن هذا المجاهد أصر على تحدي الشابك الصهيوني، ومضى الشهر الأول دون أن ينتزعوا منه أي اعتراف حيث اعتقد أن عدم اعترافه ينتهي بالحكم المخفف لعدة سنوات، ثم يتم الإفراج عنه إلا أن الشاباك قام بنقله إلى تحقيق عسقلان والذي كان عبارة عن مسلخ حقيقي، ومورس بحقه أصناف وألوان العذاب، وتفنن المحققون في تعذيبه وشبحه، فلم يكن أمامه سوى الإضراب المفتوح عن الطعام لمدة 15 يومًا، ومع ذلك لم يكترث الشاباك لإضرابه، وتم استغلاله للضغط الجسدي عليه وإنهاكه وانتزاع الاعتراف منه، وتم تقديمه للمحكمة لتمديد فترة اعتقاله، وهناك كانت قاضية صهيونية وهي من ترأس هذه المحكمة وقد أبدت تعاطفها مع المجاهد أيمن عندما سمعت قصته وإضرابه عن الطعام وطول مدة التحقيق معه، وأخبرها أنه لم يرَ عائلته منذ فترة طويلة، وأنه يريد الحديث معهم عبر الهاتف، فأصدرت القاضية قرارًا إلى الشاباك الصهيوني إما أن يحضروا مواد تدينه أو يتم إخلاء سبيله، بالإضافة إلى السماح له بإجراء مكالمة هاتفية مع عائلته إلى أن حدث ما غير مجرى المحكمة وقلبها رأسًا على عقب حيث همس أحد الضباط في أذن القاضية، فإذا بالقاضية تنتفض وكأن هذه القاضية ليست هي نفسها التي كانت قبل دقائق، واحمر وجهها وقالت عليك أيها الأسير أيمن أن تموت في السجن، وهذا الأمر يؤكد أن الشاباك الصهيوني يتحكم في القضاء الصهيوني وأن محاكمهم ليست سوى محاكم صورية، وتم إعادته من جديد إلى غرف التحقيق والعذاب والإجرام الصهيوني.

في أحد الأقسام وأثناء وجود المجاهد أيمن في غرف الشبح الإجرامية تقدّم إليه عدد من ضباط الشاباك الصهيوني، واقتادوه إلى إحدى الغرف وقالوا له: "اسمع نشرة الأخبار المسائية"،

الأسير المجاهد/ عبد الناصر عيسى
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 19/ 08/ 1995م

فما إن سمعها حتى علم أن هناك عملية استشهادية في منطقة (رامات أشكول) داخل أحد الباصات، وأرادوا أن يعلموا من يقف وراء هذه العملية والحقيقة هي أن الأسير المجاهد عبد الناصر عيسى (أبو حذيفة) هو من يقف وراء هذه العملية، ونتيجة رفض المجاهد أيمن التعاطي معهم تم نقله إلى تحقيق المسكوبية، ولم يتوقف العذاب بحقه حتى لحظة واحدة، عذاب فوقه عذاب، وبدأت صحته بالتراجع وجسده كلما تقدم الزمن يصبح هزيلًا أكثر فأكثر، وتم مواجهته حينها باعترافات الآخرين عليه، وأصبحت هيكلية كتائب الشهيد عز الدين القسام وطرق الاتصال والتواصل مكشوفة لدى الشاباك الصهيوني وذلك بعد اعتقال أحد الإخوة من قطاع غزة، وكان حلقة الوصل مع الضفة الغربية حيث اعترف بكل شيء مما جعل جهاز الشاباك الصهيوني يعلم بكافة الخيوط لدى الكتائب، وشكل هذا الأمر صدمة عنيفة للمجاهد أيمن بالإضافة إلى اعترافات الآخرين عليه مما جعله يدلي باعترافاته التي لم تضف شيئًا لجهاز الشاباك، ومع ذلك أصر الشاباك أن يجعله يعترف بكل شيء حتى ما قام به من تفاصيل في العام 1987م، وأنهى ما يقارب خمسة شهور في أقبية التحقيق حتى تم وضعه في غرف الانتظار في المسكوبية تمهيدًا إلى نقله للسجون.

إجراءات تعسفية

كانت أوضاع الأسرى في هذه الغرف صعبة جدًا، وتزامن وجودهم في هذه الغرف مع وقوع عملية نفذتها مجموعة الأبطال حسن سلامة وأكرم القواسمة وأيمن الرازم في الباص رقم 18، وأرادت إدارة السجن المسكوبية نقل الأسرى إلى مكان آخر إلا أن الأسرى رفضوا ذلك لطول المسافة التي سيحملون بها أغراضهم، وفي صباح اليوم التالي وبينما كان أفراد إحدى الغرف يتناولون طعام الإفطار والغرفة الثانية جميعهم نيام، تقدمت وحدات قمع صهيونية مدججة بالسلاح والهراوات، وبدأوا بالاعتداء على جميع الأسرى بشكل وحشي وقاموا بتكسير عظام الأسرى، وحضر إليهم المجرم الصهيوني مسئول جهاز الشاباك الصهيوني في مدينة القدس آنذاك (روني الشيخ)، وقال لضباط وجنود الوحدات القمعية أن يتوصّوا بالمجاهد أيمن خيرًا كونه المسئول عن عملية التفجير في مدينة القدس، وتم نقل المجاهد أيمن إلى المشفى تحت أوضاع صعبة، وما إن عاد إلى المسكوبية حتى بدأت مرة أخرى وحدات القمع بالاعتداء على الأسرى، ويأتي الفرج المنتظر للمجاهد أيمن بنقله إلى سجن عسقلان، وتم إدخاله إلى قسم (12)، وما أن أمضى الشهر الأول حتى تم نقله مع عدد من الأسرى إلى سجن أوهليكدار في سجن بئر السبع إلى قسم (4) الذي أصبح معبارًا للأسرى فيما بعد، وهناك تعرف على المجاهد الكبير يحيى السنوار وعلى المجاهد محمد دخان، وعلى غيرهم من قادة وكوادر حركة حماس، وعاد بعدها إلى سجن عسقلان مرة أخرى.

مواجهة السجان

في تلك الفترة قررت إدارة السجون الصهيونية افتتاح أقسام وغرف جديدة في سجن نفحة الصحراوي، وتم نقل المجاهد أيمن إليه، وتميزت تلك الفترة في التسعينات بالالتزام والانضباط

الشديد لأفراد حركة حماس، فكانت فترة أشبه بالانضباط العسكري، وهناك برامج إدارية وثقافية مكثفة لا يمكن لأحد رفضها أو عدم تطبيقها، ورغم هذا التشدد إلا أنه أدى إلى زيادة وعي الأسرى بدينهم وقضيتهم وحقيقة عدوهم، فأصبحوا على علم أكثر فأكثر بكل الأوضاع السياسية التي تحيط بالقضية الفلسطينية وهموم الحركة الإسلامية، وهذا الأمر قوبل بمواجهة من إدارة السجون بأساليب قمعية شديدة تحت ذرائع ومسوغات لا قيمة ولا صحة لها حيث كان يتم بين الفترة والأخرى إجراء تفتيش (البوسطة) بحق الأسرى،

الأسير القائد/ أيمن سدر
برفقة ابنه الوحيد خلال زيارته له في السجن

وهذه التفتيشات يقوم بها شرطة النخشون المسئولون عن نقل الأسرى في البوسطات، ولذلك سمي بالبوسطة ومهمتهم إجراء التفتيش داخل غرف الأسرى، ويتعمدون خلط جميع أغراض الأسرى مع بعضها البعض، ويتم خلط السكر والأرز بالملابس مع كل شيء، والهدف هو إذلال الحركة الأسيرة وكسر إرادتها بالقوة إلا أن الأسرى لم يقبلوا بمثل هذا الاستفزاز، وقررت حركة حماس في سجن نفحة التصدي لمثل هذا النوع من التفتيشات مما جعل إدارة السجن تقوم بالاعتداء على الأسرى بالهراوات ورش الغاز والاعتداء على غرفة الأسير المحرر المجاهد توفيق أبو نعيم، وتم معاقبة الأسرى بمنعهم من زيارة الأهل لمدة شهرين، ومنعهم من شراء الكانتينا لمدة شهرين، وهذا العقاب شمل كل الأسرى في سجن نفحة وليس فصيلًا بعينه، حيث في تلك السنوات كان الأسرى موحدين في نضالهم ضد إدارة السجون، ثم تكرر الاعتداء الوحشي في سجن نفحة على الأسرى عندما خرج أحد أفراد حركة فتح عندما جاءت القوة الصهيونية للعدد المسائي من باب غرفته أمامهم طالبًا منهم أن يسمحوا له أن يتناول علبة صلصة البندورة الموجودة في المردوان والبعيدة عن الغرفة بضعة أمتار فقط، فتم الاعتداء عليه ورشه بالغاز مما جعل الأسرى يستنفرون، وبدأوا بالتكبير وحدثت قمعة صهيونية إجرامية بحقهم، ثم حدثت القمعة الثالثة في سجن نفحة عندما قام ضابط الاستخبارات الدرزي واسمه (خنيفس) بمحاولة استفزاز أفراد حركة حماس مما جعل المجاهد القسامي الأسير المحرر مصطفى رمضان يقوم بالتصدي للضابط وضربه وإلقائه على الأرض، وقامت الشرطة الصهيونية بالاعتداء الوحشي على مجموع الأسرى في نفحة، وعزل المجاهد مصطفى رمضان، وشكل المجاهد مصطفى حالة من الانتصار المعنوي للأسرى في السجون وكسر حالة الخوف والرعب، وأصبح الأسرى

أكثر استعدادًا للاعتداءات الصهيونية على الأسرى في السجون، وفي النصف الثاني من التسعينيات تم الحديث على أن من ينتمي لفصائل م. ت. ف ولم يقتل يهوديًا سيكون له نصيب في إفراجات العملية السلمية، وأما من يعارض أوسلو فسوف يتم حرمانه من الحرية مما أثر على العلاقة ما بين الفصائل في السجون حتى أنه أثر على العلاقات الداخلية ما بين أفراد حركة فتح نفسها حيث بدأت الإفراجات التي حدثت ولم يتم الإفراج عن المؤبدات وأدى إلى تعطيل البرامج الثقافية والإدارية، وكأن الحياة تعطلت، بينما حركة حماس والجهاد الإسلامي كانتا أكثر تمسكًا بتلك البرامج الإدارية والثقافية، وأكثر تمسكًا بدينهم وأفكارهم وإصرارهم على هزيمة المشروع الصهيوني بقتل الحالة الثورية للحركة الأسيرة.

محاولات للتحرر من الأسر

ورغم ما حدث في العام 1997م عندما تم الإفراج عن الشيخ المجاهد أحمد ياسين، كان يظن حينها أبناء حركة حماس في السجون أن ما حدث في محاولة اغتيال المجاهد خالد مشعل في الأردن سوف يؤدي للإفراج عن كل أسرى حماس في السجون وهذا لم يحدث، وما كان منهم إلا أن يفرحوا بحرية شيخهم ومؤسس حركتهم، ولم تتأثر برامجهم الإدارية أو الثقافية، وكانوا على أمل كبير في قيادة حركتهم أنهم سوف يبذلون كل جهد ممكن لإطلاق سراحهم، وفي نفس الوقت كان هناك عدة محاولات للهروب من داخل السجون حيث في نفس العام 1997م حاول المجاهد نضال زلوم والمجاهد حافظ قندس والمجاهد جهاد غبن وغيرهم الهروب من سجن عسقلان، وتمكنوا من الخروج من المكان الذي سيمكنهم من صعود الباصات التي ستنقل العائلات التي جاءت لزيارة أبنائها إلا أن أمرهم قد كشف في اللحظات الأخيرة، ثم تبعها محاولة مجاهدي حركة حماس في سجن عسقلان القيام بحفر نفق من إحدى الغرف وقام به المجاهد أيمن أبو خليل وهارون نصر الدين وزاهر جبارين ومروان أبو رميلة وماجد أبو قطيش، وتم اكتشاف هذا النفق ومعاقبة المجاهدين، وبدأت الاتهامات من قبل حركة فتح إلى حركة حماس أنهم بعملية الهروب هذه يريدون تخريب الإنجازات في سجن عسقلان،

الأسير المجاهد/ أيمن سدر
داخل سجون الاحتلال الصهيوني

وتصاعدت الأمور عندما تم اكتشاف إدارة السجون أن أحد أفراد الجهاد الإسلامي وهو عبد الحليم البلبيسي (أبو عماد) قد ساعد أفراد حزب الله في سجن عسقلان في الحصول على أجهزة اتصال خليوي ما جعل فصائل م. ت. ف تطلب من إدارة السجون الفصل التام ما بين أسرى الجهاد وحماس وحزب الله من جهة، وتم نقلهم إلى نفحة، وفصائل م. ت. ف من جهة أخرى وإبقاءهم في سجن عسقلان، وهذا ما حدث بالفعل، وشكل هذا الأمر بداية لحالة من الانقسام الفصائلي ما بين الأسرى إلا أن مسألة الفصل هذه لم تدم طويلًا وسرعان ما عادت الأمور إلى نصابها الطبيعي، ولاسيما أن الأسرى توحدوا جميعًا في خندق المواجهة عندما خاض أسرى سجن هداريم في العام 2000م الإضراب المفتوح عن الطعام رفضًا لسياسة إدارة السجون التي حاولت إجبارهم على زيارة الأهل من الشباك الزجاجي وليس عبر الشبك، وقد حقق هذا الإضراب إنجازات هامة هي إخراج المعزولين والعودة إلى زيارة الأهل كما كانت بلا زجاج وانتزاع الموافقة على تركيب الهاتف العمومي وغيرها من القضايا إلا أن اندلاع الانتفاضة الثانية قد عطل ما تم الاتفاق عليه مع إدارة السجون، وأصبح وضع الحركة الأسيرة في السجون صعبًا جدًا لاسيما أن أعدادًا كبيرة من الأسرى ومن كافة الفصائل الفلسطينية قد دخلت إلى السجون، وكان هناك نقص كبير في عدد القيادات والكوادر من أصحاب الكفاءات الإدارية والثقافية والتنظيمية مما جعل استيعاب هؤلاء الأسرى الجدد صعبًا جدًا، فلم يكن سهلًا فرض البرامج الإدارية والثقافية، كما أن إدارة السجون استغلت حالة الترهل التي يعيشها الأسرى وبدأت بسحب الإنجازات من أيدي الأسرى، وتمكن الأسرى الجدد من إدخال الأجهزة الخلوية إلى السجون وبكميات كبيرة مما شكل حالة من الصدمة لإدارة السجون، وبدأت بسحب الإنجازات والاعتداءات على الأسرى عبر وحداتها القمعية الإجرامية، وكان لابد من لجم هذا العدو عبر الإضراب المفتوح عن الطعام في العام 2004م والذي خاضه معظم أبناء الحركة الأسيرة إلا أن هذا الإضراب المفتوح حقق الفشل الكبير لأسباب موضوعية وذاتية.

تشكيل قيادة للمقاومة داخل السجون

بدأت حركة حماس تعكف على تشكيل قيادة موحدة لها في سجون الاحتلال، وتم تشكيل الهيئة القيادية العليا في السجون في الأعوام (2004 – 2005م)، وكان قد سبقها في الماضي بوادر ومحاولات تشكيل جسم موحد من أجل ضبط الحالة الأمنية في السجون، وتم تجسيد هذه الفكرة لأفضل منها عبر تشكيل الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة حماس في السجون التي تمكنت من تحقيق إنجازات هامة أهمها إدخال برامج التعليم سواء الدبلوم أو البكالوريوس على السجون إضافة إلى ضبط الأمور المادية من كانتينا ومخصصات للأهل، ثم انعكست تجربة حركة حماس على حركة الجهاد الإسلامي الذي استطاع في العام (2008 – 2009م) تشكيل الهيئة القيادية العليا لحركة الجهاد الإسلامي في السجون، وكذلك فعلت باقي الفصائل باستثناء حركة فتح.

عملية استشهادية داخل السجن

ما سبق لا يعني أن حركة حماس لم تكن منضبطة أو قوية أو قادرة على إصدار القرارات، والدليل أنه في العام (2001 – 2002م) حدثت حادثة تفتيش مذلة ومهينة بحق إحدى النساء من قطاع غزة جاءت للزيارة في سجن نفحة، وقررت حركة حماس إعدام ضابط الأمن الصهيوني في سجن نفحة واسمه (قرشون)، وأصدرت تعليماتها إلى عناصرها في سجن نفحة بإعلان حالة الاستنفار العام، ولذلك تمكن المجاهد القسامي الأسير المحرر هاني جابر وأصر على موافقة حركة حماس بالسماح له بالقيام بعملية استشهادية في سجن نفحة خلالها يقوم بقتل ضابط الأمن الصهيوني، وتمت الموافقة على ذلك، وقرر حينها المجاهد هاني جابر عدم الوقوف للعدد المسائي حتى تقوم إدارة السجون بنقله إلى الزنازين، وأعدّ نفسه وشحذ سكينه وخرج معهم إلى الزنازين فكان في الخارج ينتظره مدير السجن وأحد الضباط وأحد أفراد الشرطة بالرغم من أنه مقيد من يديه إلا أنه تمكن من طعن مدير السجن في قلبه، وكذلك طعن الضابط والشرطي، وتم نقل مدير السجن على المشفى في حالة صعبة جدًا، ورغم ردة الفعل الأليمة من قبل إدارة السجون بحقهم في سجن نفحة إلا أنها كانت رسالة إلى كل ضباط السجون بأننا لم ولن نسمح بتفتيش أهلنا بشكل مذل أو مهين، وأن من يحاول المساس بكرامتنا وأعراضنا سيتم قتله، وتوقفت إدارة السجون عن أسلوبها في تفتيش الأهالي لتتمكن حركة حماس من التغلب على كافة مشاكلها في السجون.

مؤمن بوحدة الحركة الأسيرة

بعد تشكيل الهيئة العامة وأتى الخبر السار، وهو فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية في العام 2006م إلا أن هذه الفرحة لم تدم طويلًا حيث وقع الانقسام الفلسطيني في قطاع غزة، وانعكست آثاره على الأسرى في سجون الاحتلال، فقد تم وضع أسرى حماس في أقسام خاصة بهم دون تواجد لحركة فتح فيها، وكان لهذا الأمر إيجابيات منها تمكينها من خوض الخطوات النضالية ضد إدارة السجون دون عوائق، وتمكنت من فرض برامجها الإدارية والثقافية بشكل سلس، بينما السلبية أنه ساهم في انقسام الحركة الأسيرة مما شكل خطرًا حقيقيًا على وحدة الحركة ومنعها القيام بخطوات نضالية جماعية ضد إجراءات مصلحة السجون.

الأسير القائد/ أيمن سدر (يمين)
وبجانبه الأسير القائد/ مروان البرغوثي (سجن هداريم)

كان مجاهدنا أيمن دومًا يؤمن بالعمل على توحيد الحركة الأسيرة وضرورة الإيمان بأن الانقسام داخل السجون سيؤدي إلى حالة من الضعف والترهل والانكسار للحركة الأسيرة، وحاول

جاهـدًا بـكل قوتـه وإمكانياتـه عـبر عملـه في تنظيـم حركـة حمـاس في السـجون أن يكـون عـلى توافـق كبـير مـع كافـة الفصائـل الفلسـطينية، ولذلـك فـإن معظـم فصائـل العمـل الوطنـي الإسـلامي تكـن لهـذا المجاهـد الكبـير الاحـترام والتقديـر اللامحـدود لعطائـه وتفانيـه في الدفـاع عـن أبنـاء الحركـة الأسـيرة، وفي الدفـاع عـن حقوقهـم المسـلوبة، وعـزز ذلـك عـبر سلسـلة طويلـة مـن النشـاط الفكـري والثقـافي حيـث حصـل عـلى شـهادة البكالوريـوس في تخصـص إدارة الأعـمال، كـما حصـل عـلى عـشرات الـدورات الثقافيـة في كافـة المجـالات المتاحـة، وتمكـن مـن إعطـاء العديـد مـن الـدورات الثقافيـة لـلأسرى القادمين الجـدد مما جعلهم يرتقـون في مسـتواهم العلمـي والثقـافي، وأصبـح لديـه الخـبرة الكبـيرة في مجـال القضـاء في داخـل السـجون.

صدمة كبيرة

بقـي تاريـخ 18/ 10/ 2011م هـو الأصعـب في حيـاة المجاهـد أيمـن، عندمـا حدثـت صفقـة وفـاء الأحـرار الأولى، ولم يتـم الإفـراج عنـه بهـذه الصفقـة، وكانـت كل توقعاتـه وتوقعـات زوجتـه أم محمـد وولدهـا محمـد بأنـه لا يمكـن أن تتـم الصفقـة دون الإفـراج عـن المجاهـد أيمـن، وتمـر الأيـام ويتـم الإعـلان عـن الصفقـة على قنـاة العربية، وعلـم المجاهد أيمـن في حينهـا وبشـكل رسـمي مـن قيـادة حمـاس أن العـدو الصهيـوني رفـض الإفـراج عنـه وتحفـظ عليـه، وبقـي السـؤال الأهـم كيـف سـيخبر زوجتـه بذلـك؟ تلـك الزوجـة التـي كانـت حينهـا تسـتقبل عـشرات المكالمـات مـن صديقاتهـا وأقربائهـا مهنئين إياهـا بقرب الإفـراج عـن زوجهـا، وكانـت مقتنعـة تمامًـا بحريـة زوجهـا، ولذلـك توجـه المجاهـد إلى والـد زوجتـه لكي يسـاعده في إخبـار أم محمـد بحقيقـة الأمـر إلا أن والـد زوجـة المجاهـد أيمـن لم يقتنـع أن المجاهـد أيمـن لـن يتـم الإفـراج عنـه، بـل قـال حينهـا لـه: عـلى مـا يبـدو يـا أيمـن قـد أحببـت البقـاء في السـجن ولا تريـد الخـروج منـه، فقـال لـه: يـا عـماه والله إن اليهـود قـد تحفظـوا عـلى اسـمي ورفضـوا الإفـراج عنـي، وقـال لـه والـد زوجتـه: تريـد أن تقنعنـي بكلامـك ضـد الأخبـار عـلى وسـائل الإعـلام وشـبكة النـت تؤكـد لنـا أنـه سـيتم الإفـراج عنـك، ولم يعلـم حينهـا مـاذا سـيفعل المجاهـد أيمـن، فقـرر أن يصـارح زوجتـه بالخـبر الصحيـح، ولكنـه سيء جـدًا، ومـا إن سـمعت حتـى أجهشـت بالبـكاء وقالـت لـه: لقـد دفعنـا أموالنـا وبيوتنـا ورجالنـا وكل مـا نملـك مـن أجـل رفعـة حركـة حمـاس، أهكـذا يكـون الوفـاء بـتركك في السـجن؟!، ولم يتمالـك نفسـه حينهـا المجاهـد أيمـن وشـعر أن الدنيـا قـد أطبقـت عليـه، وكأن روحـه تصعـد مـن جسـده رويـدًا رويـدًا،

مشهد من تحرر الأسرى في صفقة شاليط (2011م)

وبـدأ الأسرى الذيـن بقـوا في السـجن يتذمـرون للتعبير عـن غضبهـم ووجعهـم وآلامهـم وتعبهـم وعـدم ثقتهـم

بأحد، ولكن الثبات الثبات! فسلمهم الله جميعًا من الوقوع بالمعصية أو الظن بالله ﷻ وكأن الأسرى حينها عاشوا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:10]، ولكن سرعان ما عادوا إلى رشدهم وصوابهم واستغفروا الله ﷻ ليأتي يوم الجمعة فقرر الأسرى في نفحة أن يخطب بهم الشيخ صالح دار موسى من الأسرى غير المفرج عنهم، يعظ الأسرى المفرج عنهم ويوصيهم بأن يبذلوا كل جهودهم لتحرير من تبقى في السجن، وتأتي المشاعر المختلطة ما بين الفرح والحزن، والأصعب كان عندما خرج الأبطال من السجن وهم يقبلون رؤوس من تبقى من الأسرى، وكان شعور المجاهد أبو محمد ما بين أن يفرح لإخوانه وبين أن يحزن لعدم الإفراج عنه.

وما أن خرج الأسرى وتم بث صورهم على قناة الأقصى وشاهدهم المجاهد أيمن حتى طلب من أبناء غرفته وكان عددهم قبلها عشرة أسرى قد تحرر منهم خمسة وبقي خمسة، وكان في حالة إحباط شديد، طلب منهم أبو محمد أن يقفوا على أرجلهم وأن يبدأوا بالنشيد والهتاف مفرغين عن أنفسهم اليأس والإحباط، وفي عدد المساء كان المجاهد أبو محمد قد تعرف على أحد الضباط فما إن رآه الضابط حتى قال له لقد تركوك يا أيمن جماعتك في السجن، وكان هذا الكلام مستفزًا فرد عليه المجاهد أيمن: نعم تركوني ولكنهم سيخطفون من جديد وسيحررونني، وما هي إلّا عدة أشهر حتى عاد الأسرى إلى حياتهم العادية في السجون والتزموا ببرامجهم الإدارية والثقافية واهتموا بدراستهم الجامعية، وكانوا أكثر إصرارًا على مواصلة النضال ضد إجراءات إدارة السجون.

إضراب الكرامة

قرر الأسرى بعد أن أعدوا العدة وهيّأوا الظروف وتحاوروا وتناقشوا مع الفصائل الفلسطينية وعقب اجتماع كل من قيادة الجهاد وحماس والشعبية والديمقراطية الإضراب المفتوح عن الطعام في العام 2012م، والهدف هو إخراج المعزولين وإعادة زيارة أهالي قطاع غزة وتحسين الأوضاع الحياتية للحركة الأسيرة، واستمر هذا الإضراب الذي تم تسميته بإضراب الكرامة لمدة 28 يومًا وسط تعاطف كبير من أبناء شعبنا الفلسطيني والعربي والدولي، ولأول مرة يتدخل المصريون في هذا الأمر تبعًا لتغيير النظام في مصر في ذلك الوقت، وكانت معنويات الأسرى حينها أثناء إضرابهم عالية جدًا رغم محاولة إدارة السجون لكسر الإضراب، وكان حينها المجاهد أبو محمد يرفع معنويات المضربين ويقوي من عزيمتهم وإرادتهم، وقبل الفك بيوم واحد بدأ الأسرى المضربون عن الطعام بالطرقً على الأبواب، وتم استغلال هذا الحدث لدى ضباط الشاباك بالتحدث مع المجاهد أيمن أن يعمل على تهدئة الأوضاع في سجن نفحة، فقال لهم: "لا مانع من ذلك بشرط أن يخرج هو وعدد من المجاهدين إلى الأقسام الأخرى لتهدئتهم"، وما إن دخلوا مجتمعين إلى قسم (12) في سجن نفحة حتى ظنّ الأسرى حينها أن الإضراب قد انتهى وأنهم قد انتصروا، وأن أبو محمد سدر ومن معه هم لجنة الإضراب ولجنة الحوار، وبدأ

الأسرى حينها بالتهليل وتكبيرات العيد احتفاءً بالانتصار إلا أن الحقيقة عكس ذلك تمامًا، فلا الإضراب توقف ولا هم لجنة الإضراب ولا هم لجنة الحوار، فقط جاؤوا للاطمئنان عليهم ومعرفة آخر الأخبار لديهم، فكان هذا الحدث مفرحًا ومؤلمًا للمجاهد أيمن، وجاء اليوم التالي تمامًا وقد حمل معه بشائر الانتصار الحقيقي وبالفعل تحقق ما أراده الأسرى من الإضراب وخرج المعزولين من العزل الانفرادي، وعادت زيارة أهالي قطاع غزة، وما إن دخل الأسيران المعزولان حسن سلامة (أبو علي) وأحمد المغربي بعد 72 ساعة إلى داخل سجن نفحة إلى القسم الذي يتواجد به أفراد حركة حماس حتى حملوهم على الأكتاف وسط هتافات تمجيد لكتائب الشهيد عز الدين القسام، وكان أفراد الشرطة الصهيونية في القسم ينظرون إليهم باستغراب شديد، فهذا بالقانون ممنوع من إدارة مصلحة السجون إلا أنهم لم يتمكنوا من منعهم من الهتاف بشكل عالٍ، وكان هذا المشهد حسب ما يرويه المجاهد أيمن بأنه مشهد عز ومجد وشموخ لا يمكن نسيانه.

إيمان بالفرج القريب

كثيرة هي الأحداث والتواريخ التي حدثت في السنوات التي أمضاها المجاهد أيمن والتي لن ينساها أبدًا، وكثيرة هي الذكريات التي لا تزال في عقل ووجدان المجاهد لاسيما تلك الذكريات العائلية، فكيف له أن ينسى ذكرى زواجه؟ وكيف له أن ينسى فضل زوجته عليه؟ تلك الزوجة الفاضلة والصابرة والمرابطة في مدينة القدس التي حفظت زوجها واعتنت بتربية ولدها محمد وسهرت عليه الليالي لكي يصبح شابًا قويًا خلوقًا مؤدبًا محبوبًا من قبل الجميع، وقامت بتعليمه وإرشاده، فكان نعم الابن لنعم الأب،

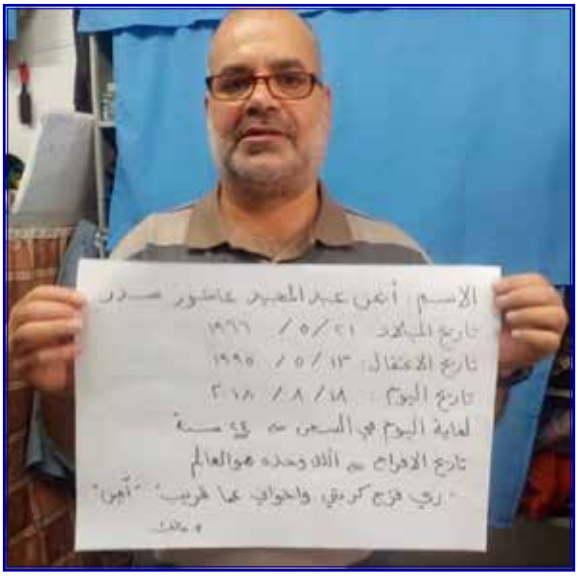

فمعاناة زوجات الأسرى لا يمكن للأحرف والسطور أن تتحدث عنها؛ لأنها بحاجة إلى مجلدات، فهن خير نساء الأرض وخير رجال الدنيا، كيف لا وقد طافت زوجة المجاهد أيمن من شمال فلسطين إلى جنوبها ومن سجن لآخر لزيارة زوجها الأسير، وفي كل زيارة تدعو الله أن تكون الزيارة الأخيرة لها علَّ الله أن يفكّ قيد زوجها، وتبدأ بركات السماء تتحقق شيئًا فشيئًا، حتى حصل العدوان الإجرامي على قطاع غزة في صيف العام 2014م ليكرم الله _عز وجل_ عائلات الأسرى وزوجاتهم وأبناءهم وهم أنفسهم بأن مكَّن الله المقاومة من أسر الجنديين شاؤول وهدار ليكون هناك الأمل الحقيقي بالحرية، ومنذ ذلك اليوم والأسرى يعيشون أملًا واقعًا، وفي

كل عـام جديـد يتجـدد الأمـل، ويتمنـون الحريـة في مطلـع العـام الـذي يليـه، هـا قـد مضـت سـنوات، ولم يبـقَ إلا القليـل لإنجـاز الوعـد الصـادق الأمـين الـذي سـيفضي إلى حريـة الأسرى تمهيـدًا إلى حريـة المسرى، والتـي يتمنـى مجاهدنـا أيمـن أن يكـون مـن ضمـن كوكبـة المحرريـن؛ لينعـم بـدفء عائلتـه ويضـم ولـده محمـد إلى صـدره علّـه يعيـد إليـه مـا تـم حرمانـه منـه منـذ أن كان طفـلًا، فمتـى يـا تـرى سـيصّلي إلى جانـب زوجتـه وولـده في سـاحات المسـجد الأقـصى بعـد طول غيـاب لأكثـر مـن 25 عامًـا عـلى التـوالي؟

الأسير المجاهد
محمود عبد الله علي عارضة

القائد العنيد، مُحطّم نظرية الأمن الصهيونية

تاريخ الميلاد: 1975/11/08م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة عرابة – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 13

تاريخ الاعتقال: 1996/09/21م

الحكم: مؤبد

إن من سنة هذه الحياة بأن الرجل لا يتركه الزمن ولا تتركه الحياة لوحده، فحياته تدافع عنه، والزمن يقف دومًا إلى جانبه، فكيف لا وله تاريخ حافل بالعطاء اللامحدود وورث من عائلته وأجداده وبلدته حب الأرض وطهرها ونقاءها، ما مكنه أن يقف في وجه الريح ثابتًا متجذرًا في أرضه رافعًا رأسه معلنًا صوته لكل العالم قائلًا لهم كما قال الشاعر محمود درويش: "على هذه الأرض ما يستحق الحياة"، فقرر أن يحيا كما يريد لا كما أراد المحتل، ولهذا فإن كل السطور والأحرف والكلمات تقف بخجل شديد أمام هذه الهامة والقامة، كيف لا ونحن نقف أمام رجل مندفع كالبركان، وشامخ بكل عنفوان صانع للرجال والبطولة كتب منذ 25 عامًا تاريخه بصفحات من المجد والخلود؟، فكان مجاهدنا وبطلنا محمود عبد الله عارضة هو الوطن، وهو الأرض، وهو الفدائي، وهو العطاء، لذلك ولد في زمن عظيم مليء بالأحداث حيث كان عمله ومشواره الجهادي عظيمًا.

ميلاد ونشأة البطل

ولد بطلنا الأسير محمود عبد الله عارضة في العام 1975م أي بعد عامين على حرب أكتوبر

(تشرين أول) في شهر رمضان عام 1973م بين مصر والكيان الصهيوني والتي كان لها تداعيات إيجابية وسلبية على القضية الفلسطينية، وشهدت الضفة وغزة في تلك الحرب حالة هامّة من رفع المعنويات والأمل والثقة وإبراز نشاط الثورة والثوار الفلسطينيين، ونجحوا في القيام بأكثر من 78 عملية عسكرية في فترة الحرب، وحاول المحتل جاهدًا أن يطمس بكل قوة أخبار تلك الأعمال التي تناولت ضرب الإذاعة الصهيونية في 6 أكتوبر (تشرين أول)، ومهاجمة القوافل العسكرية والبحرية مثل قاعدة عتليت البحرية ومهاجمة معسكرات مثل معسكر المظليين في القنيطرة في 7 أكتوبر (تشرين أول)، وأيضًا مهاجمة وتفجير بعض مستودعات العدو مثل ما حدث في جبل أم الحواويط في 7 أكتوبر (تشرين أول)، وأيضًا مهاجمة مراكز الشرطة ومستودعات النفط في كفار ساديم شرق حيفا في 8 أكتوبر (تشرين أول)، وزرع الألغام ونسف أنابيب النفط بين إيلات وعسقلان في 9 أكتوبر (تشرين أول)، وأشار في ذلك السياق الكاتب أسعد عبد الرحمن في كتابه (الحرب العربية - الإسرائيلية الرابعة: وقائع وتفاعلات) بأن هذه الحرب قد أدت إلى ارتفاع مستوى معنويات الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، وازداد أمله بالحرية والانعتاق من المحتل الصهيوني ولاسيما أن صورة الجندي الصهيوني وجيشه الذي لا يقهر قد تم إسقاطها غير أن هذه الاندفاعية وللأسف الشديد لم تستمر بهذا الزخم حيث بادرت مصر إلى التوقيع على معاهدة سلام مع الكيان الصهيوني مما أخرجها من الصراع العربي الصهيوني، وكان هذا الخروج سببًا مباشرًا في اشتداد الهجمة الصهيونية الإجرامية على الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده، ومع ذلك فإن المقاومة الفلسطينية بقوة إيمانها وإرادتها الصلبة وثقتها بنصر المقاتل الفلسطيني وعدالة قضيته قد استمرت في استهداف المواقع والدوريات الصهيونية، كما حدث في عملية الخالصة أو ما يطلق عليها "كريات شمونة" في الجليل الأعلى بتاريخ 11/ 04/ 1974م، وعملية بلدة ترشيحا "مستعمرة معالوت" بتاريخ 15/ 05/ 1974م،

السفير ٢٥

احتلوا... قاتلوا... ونسفوا أنفسهم!

وتكررت العمليات في ذلك التاريخ والعام الذي ولد به المجاهد محمود ليكون العام 1975 حكاية وتحولًا ملحوظًا لقوة المقاومة الفلسطينية حيث بدأت الثورة الفلسطينية تتسلح بالأسلحة الحديثة مثل الصواريخ المضادة للطائرات والرشاشات الثقيلة، وظهر ذلك جليًا في إحدى المعارك التي قام بها الثوار الفلسطينيون وكانت مجموعة مكونة من 30 فدائيًا تمكنوا في يناير (كانون ثاني) من العام 1975م من إحباط هجوم صهيوني على قرية كفر شوبا في منطقة العرقوب بلبنان شنته قوات صهيونية

قوامها 200 جندي، وتوالت عمليات الثوار فيما بعد بكل قوة وزخم ونشاط وقدرة واقتدار، وكان بصدق ميلاد هذا البطل بداية لتطور حقيقي في أداء المقاومة لينشأ مجاهدنا محمود ويترعرع في ظل عائلة مناضلة مكافحة أحبت هذا الوطن الأسير وأحبتهم الأرض، وكان والد المجاهد محمود على علاقة توأمة مع الأرض ليعتني بها، باعثًا سحر الوطن في شرايين طفولة المجاهد محمود وإخوته، فكان يحرث الأرض ويبذرها ويجني ثمارها ويحرص على سقايتها وإن لم يجد الماء سقاها بدماء شرايينه. وكان والد المجاهد محمود مهتمًا كثيرًا للشأن الفلسطيني والهم الوطني والإسلامي، ولذلك أفرز لأبنائه وبناته مساحة لا بأس بها من الحرية والتعبير لنشاطاتهم الوطنية ضد المحتل، أما والدة محمود هذه الشجرة المثمرة المورقة الخضراء المتجذرة في أرضها رغم عدم تمكنها من تعلم القراءة والكتابة إلا أنها كانت مدرسة في تعليم أبنائها معاني الحب والانتماء لفلسطين أرضًا وشعبًا، وكان لديها من المشاعر والأحاسيس الوطنية ما يفوق كل متعلمي الأرض، وزرعت في أبنائها معاني قلّ ما توجد في البشر، وجعلتهم يقدمون لفلسطين كل شيء في حياتهم، ولهذا رغم ضيق الحال والعيش وقلة المادة والإمكانيات إلا أنّ الحاج عبد الله وزوجته الحاجة فتحية عارضة رزقهما الله بـ 6 أولاد وخمس إناث، ومع ذلك أصرّت والدتهم وبدعم من والدهم على تعليم أبنائهما في المدارس؛ لأنهم علموا جيدًا أن العلم هو السلاح الأمثل لمواجهة مشروع الحركة الصهيونية، ولابد أن يكون جنبًا إلى جنب مع البندقية،

الشيخ القائد/ خضر عدنان برفقة الشيخ القائد/ طارق قعدان في زيارة اجتماعية لعائلة الأسير القائد/ محمود عارضة

وقد صدق الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي حينما قال: "المثقف أول من يقاوم وآخر من ينكسر"، وفي تلك الأجواء عاش مجاهدنا محمود طفولته الجميلة بين إخوته وأخواته وأبناء عائلته في تلك البلدة الشامخة بقيادتها وأبطالها وشهدائها وأسراها وبمناظرها الخلابة الخضراء، وعاش على ذكريات روتها العائلة له عن سيرة الأبطال، منهم من قادة العمل الوطني والإسلامي في بلدة عرابة كالشهيد أبوعلي مصطفى، والقائد صالح رأفت، والشهيد خالد محمد جواد أحد أبطال عملية ميونخ، وساهم ذلك في تكوين شخصية هذا البطل لاسيما أنه منذ الصغر كان مهتمًا في مدرسته ويستمع إلى أساتذته مما شكل له الوعي والحس الوطني قبل أن يكبر.

انتفاضة العام 1987م

كان انطلاق انتفاضة الحجارة في شكلها ومضمونها وعنفوانها قد شكل وعيًا كبيرًا لحقيقة القضية الفلسطينية بكل تبعياتها، وأصبح هذا المحتل الصهيوني الذي أرعب الفلسطينيين بعد احتلال

الضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967م نمرًا من ورق، لا يقوى على مواجهة أطفال فلسطين الذين يتصدون للجيش الصهيوني بصدورهم العارية وبألعابهم وبحجارتهم الصغيرة، وأصبح أطفال فلسطين من أشهر الأطفال في كل العالم وأسماهم الإعلام بأطفال الحجارة، وكان مجاهدنا محمود من هؤلاء الأطفال، ولما أصبح شبلًا قويًا يافعًا انتمى إلى أطفال الانتفاضة كما بقية الأشبال، وأصبحت الانتفاضة رمزًا للنضال ضد الظلم والاستعمار والاستبداد، وقد دخل هذا المصطلح إلى كل لغات العالم الحية؛ لأنها لم تكن مجرد حركة احتجاج إنسانية أو شعبية اتسمت بمشاركة جماهيرية لشعب عشق الكفاح والحرية الذي خرج عن بكرة أبيه بكافة فصائله وتياراته ونسائه وشيوخه يحملون الجرح في كفّة والعزيمة في الكفّة الأخرى، وقد خرجوا يواجهون جيشًا حقق انتصارًا ساحقًا على جيوش عربية مجتمعة، وكان عطاء الشعب اللامحدود في الإقدام والمواجهة قد غيرت الصورة التي رسمها الاحتلال عن الشعب الفلسطيني بأنه شعب يعيش في كنف الاحتلال يأكل ويشرب، وأن هذا الاحتلال ليس له ماضٍ ولا تاريخ ولا جذور في هذه الأرض، فجاءت الانتفاضة مؤكدة للعالم أن هذه الأرض هي للفلسطينيين وحدهم وأنه لا وطن لهم سواه، وأن هذا المحتل عبارة عن استعمار واحتلال إحلالي استيطاني إجرامي لابد من دحره مهما كلّف الثمن؛ لذلك بدأ العمل الفدائي في فلسطين عبر فصائله المختلفة، وتشرب المجاهد محمود عشق العمل الفدائي الفتحاوي حيث كان لحركة فتح صولات في الانتفاضة الأولى وشكّلت حركة فتح الشبيبة الفتحاوية ولجان العمل الشعبي والقوات الضاربة ومجموعات الفهد الأسود، وأصر المجاهد محمود على حمل السلاح وامتشاقه واستخدامه، وكان شعلة في مواجهة المحتل الصهيوني، سرعان ما يستمع إلى أغاني الثورة الفلسطينية فتراه قد اندفع إلى ميادين المواجهة متسلحًا بإيمانه والتزامه الديني وحسه الوطني وشجاعة قلبه، وكان الشاباك يتابع تحركاته أولًا بأول ليتم اعتقاله.

الاعتقال الأول

في تاريخ 24/ 08/ 1992م تم اعتقال مجاهدنا البطل محمود من منزله، وكان هذا الاعتقال اعتقالًا إجراميًا لا يصدق فيه ولا يعبر عنه إلا الشاعر سميح القاسم في ديوان دخان البراكين عندما قال: "ذات يوم فاجأوني، دفعوا أمي وأختي جانبًا، واعتقلوني، كالتماثيل الترابية كانوا، بوجوه فقدت ضوء العيون، يوم جاءوا فجأة واعتقلوني، وعلى الأوصال والأسلاك، جروني طوال الليل لكن، ظل مرفوعًا جبيني، كنت بستان جراح، راية حمراء ومنشور كفاح، حين صر الباب في بعض السجون، قبل ميلاد الصباح وبلا رعشة هدب، قتلوني، قتلوني ذات يوم، يا أحبائي، ولكن، ظل مرفوعًا جبيني".

وكان في هذا العام مخطط الشاباك الصهيوني قمع الانتفاضة واعتقال كافة النشطاء تمهيدًا لاتفاقية سلام قادمة، وتعرّض مجاهدنا محمود لأساليب قمعية عديدة رغم أنه لم يبلغ من العمر

سوى 17 عامًا، وأراد حينها المحتل الصهيوني تحطيم هذا النموذج من الشباب الفلسطيني حتى يتم كي وعيه، ويصبح لديه الخوف من العودة إلى ممارسة النشاط الثوري مرة أخرى،

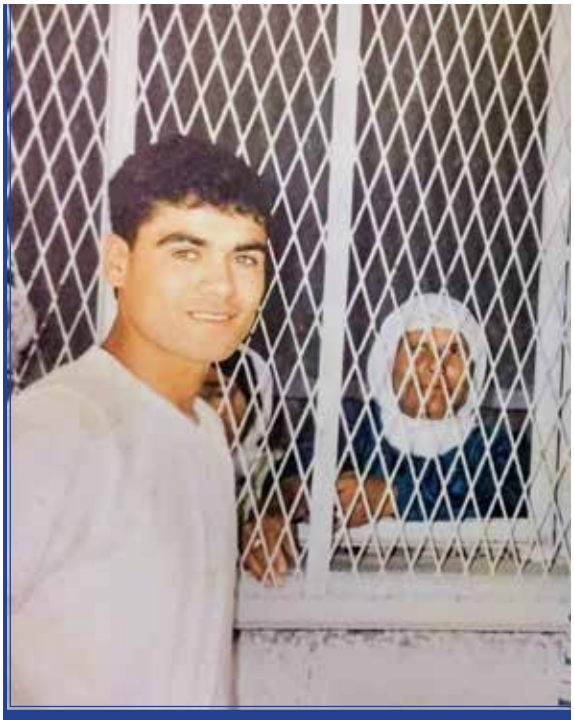

الأسير القائد/ محمود عارضة
برفقة والدته الصابرة خلال زيارتها له في السجن

وكان المحققون يستخدمون سياسة إجرامية بحق المعتقل الفلسطيني لكسر إرادته وتحطيم معنوياته؛ ليصبح مغيّب الوعي تمامًا، ومع ذلك حاول المجاهد محمود جاهدًا أن يطبق ما تعلمه في جلسات حركة فتح في خارج السجون حول الصمود في التحقيق وكيفية مواجهة أساليب المحققين والخروج بأقل الخسائر من هذا العذاب، وحُكم على هذا المجاهد مدة ثلاث سنوات ونصف، التقى خلالها بأخيه المجاهد أحمد، أحد أبز قيادات ونشطاء مجموعات عشاق الشهادة التابعة لحركة الجهاد الإسلامي التي أسسها الشهيد القائد عصام براهمة.

الانتماء إلى حركة الجهاد الإسلامي

كان العام 1982م عامًا هامًا ومفصليًا وقاسيًا على الحركة الوطنية الفلسطينية والمقاتلين الفلسطينيين في لبنان، فقد بادر العدو بمهاجمة الفصائل الفلسطينية في لبنان برًا وبحرًا وجوًا وبمساعدة عملائهم وجواسيسهم في لبنان، فانعكس ذلك على القضية الفلسطينية برمتها، وأجبرت القيادة الفلسطينية على مغادرة لبنان إلى عواصم الدول العربية كتونس والجزائر واليمن وسوريا وغيرها، وأصبح الشعب الفلسطيني في الضفة وقطاع غزة يتيمًا بلا قائد، ولكن سرعان ما نهض هذا الشعب من حالة الانهزام النفسي منطلقًا بانتفاضته الكانونية في العام 1987م، وأصبحت القصائد الشعرية والأناشيد والأغاني الوطنية دافعًا ومحفزًا للشباب لمواجهة المحتل، وانتشرت أيضًا الأناشيد الإسلامية والكتيبات الإسلامية الداعية إلى أسلمة المجتمع الفلسطيني وجعل الشعارات المتداولة بين المتظاهرين إسلامية لا وطنية، وكان المجاهد محمود حينها قد وقع بين الأناشيد الوطنية والثورية الفتحاوية وما بين حسه ومشاعره الدينية، وكان قد وقع بين يديه مجلة لحزب التحرير الإسلامي تتحدث عن لبنان وفلسطين والكيان الصهيوني، وشعر حينها أن فلسطين بكل ما يتعلق بها لها علاقة مباشرة بالإسلام والدين، وتسرب إلى ذهنه أن الثوار الفلسطينيين هم إسلاميون وأنهم

سوف يحررون فلسطين، ونشأ في قلبه وعقله حب الدين الإسلامي، وبدأ يبحث عن كل شيء يزوده بمعلومات إسلامية، وبدأ أثناء وجوده في السجن يميل إلى التيار الإسلامي لاسيما بعد أن خاب أمله بالثورة الفلسطينية التي كان يعتقد أنها إسلامية وسوف تحرر الوطن، وجاء اتفاق أوسلو ليقضي على أحلامه وتوقعاته، وكان لوجوده في سجن جنيد في مدينة نابلس أثر كبير حيث التقى بأخيه أحمد وأصدقاء أخيه وهم ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي، ومنهم الشيخ عبد الناصر جاموس (أبو الشريف) والشيخ نضال زلوم (أبو أنس) والشهيد القائد صالح طحاينة والأسير المحرر محمود الصرصور وغيرهم من الأبطال، وكان أبناء الجهاد الإسلامي في السجون في ذلك الوقت أشبه بخلية إيمانية زادها التقى والورع والزهد وقيام الليل وكثرة التهجد وحب المطالعة والثقافة والرياضة، وكانت بصدق مثالًا للقادة ونموذجًا للإنسان، كيف لا وقد أضافوا لكل ذلك الجهاد والمقاومة، وأصبحوا أسرى معتقلين في سجون الظلم الصهيوني؟! وكانت الفصائل ولا تزال تحترم وتقدّر أبناء حركة الجهاد الإسلامي أنها الحركة الوحيدة التي ترفض الدخول في معترك الانتخابات التشريعية، وأنها الوحيدة التي لم تقبل على نفسها أن تحمل السلاح في وجه أي فلسطيني، وأنها الوحيدة التي بقيت مستمرة في مواجهة المحتل دون الاكتراث للكراسي والمناصب والسلطة، ولذلك كان الشيخ نضال زلوم (أبو أنس) يهتم كثيرًا بالمجاهد محمود عارضة عبر جلساته الدينية والإيمانية وزوده بكتب دينية وفكرية قيمة، وتفسير الصابوني للقرآن الكريم مما جعله يعيد التفكير في كل سنوات عمره التي مضت بشغف كبير عن الدين، والتقت جملة من العوامل الدافعة لانضمامه لحركة الجهاد الإسلامي،

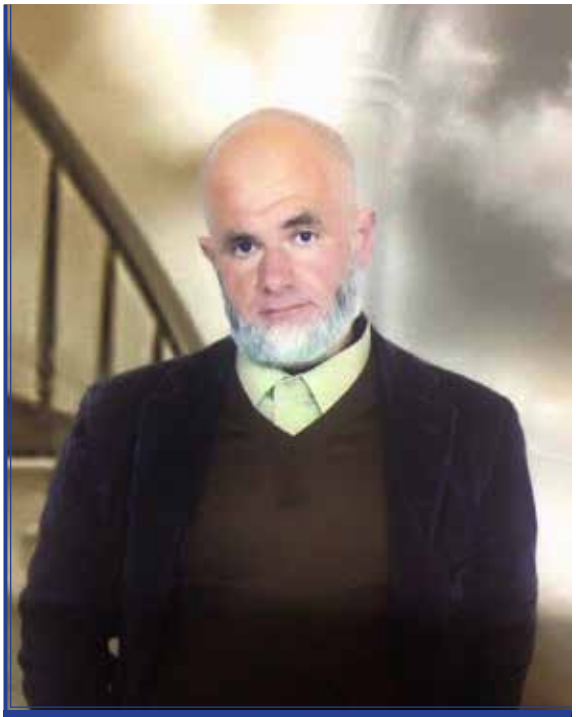

الأسير الشيخ/ نضال زلوم
محكوم مدى الحياة، واعتقل بعد حرية مؤقتة بتاريخ 18/ 06/ 2014م

منها اجتماعه بأخيه أحمد (شقير) وبقيادة الجهاد الإسلامي، ومنها الكتب التي يقرأها، ومنها ما جاءت به القيادة الفلسطينية عبر اتفاقية أوسلو مما جعله ينتقل إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي ويصبح شعلة ثورية إيمانية ملتزمة منضبطة في مواجهة المحتل، وكتب الله _عز وجل_ له الحرية قبل موعدها عبر إفراجات السلطة وفق الاتفاقيات السلمية، ومنذ اللحظة الأولى لحريته كانت عيناه ترنوان نحو القدس الشريف لعله يستطيع أن

يمسح دمعها الذي لم يتوقف منذ أن غادرها صلاح الدين، علّه يكون بأعماله القادمة نموذجًا لجيل صلاح الدين.

الانخراط في العمل العسكري

كان شهر يناير (كانون الثاني) من العام 1996م عامًا هامًا للمجاهد محمود حيث تمكّن من الاجتماع بأحد أهم قادة الجناح العسكري للجهاد الإسلامي هو الشهيد صالح طحاينة، وكان قد تمكن من الهرب في مطلع العام 1996م من سجن النقب الصحراوي، وجاء حينها إلى منزل المجاهد محمود لزيارتهم، ولا يدري العشاق أين سيلتقون في القبر أم في السجن أم في ظل وردة. التقى المجاهدان محمود وصالح في ظل البندقية ليسيرا جنبًا إلى جنب وكتفًا بكتف وأصابعهم على الزناد، وبدءا التخطيط والإعداد تحت شعار تقديم الواجب على الإمكان حيث من اللحظة الأولى التي التقى بها الأبطال سأل المجاهد محمود أخاه صالح هل أنت جاهز للعمل؟ فسُرَّ حينها المجاهد صالح كثيرًا وقال: نعم، وسنبدأ إن شاء الله قريبًا، وما هي إلا أشهر قليلة حتى أعدّا العدة وخططا للعمل في ظل مجموعات عشاق الشهادة العسكرية، وتم تحديد الهدف الأول سيارة للمستوطنين بالقرب من بلدة بديا بتاريخ 16/ 06/ 1996م، وما أن وصل المجاهد محمود عارضة إلى المكان حتى بدأ بإطلاق النار على سائق السيارة، وكان شرطيًا صهيونيًا وقتل على الفور، ثم قام بإطلاق النار على زوجته التي تجلس بقربه وأصيبت بإصابات بالغة، وكان لديه أطفال في السيارة رفض المجاهد محمود أن يطلق عليهم النار؛ لأنه قد فهم الدين الإسلامي فهمًا عميقًا وعملًا بوصية الحبيب -صلى الله عليه وسلم- عدم التعرض للأطفال رغم أن هؤلاء الأطفال عندما يكبرون قليلًا سيحملون السلاح في وجه الشعب الفلسطيني، وسيكون من السهل عليهم قتل أي إنسان، أما المجاهد محمود وأخلاقه الدينية والوطنية والثورية فلا تمكنه أن يكون قاتلًا لمجرد القتل فقط، بل عرف جيدًا أن قتل الصهيوني ما هو إلا وسيلة للدفاع عن شعب أعزل يتعرض كل يوم إلى العذاب بكافة أنواعه.

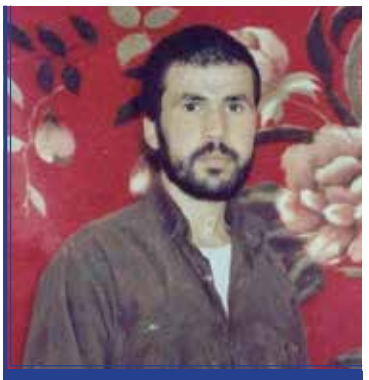
الشهيد القائد/ صالح طحاينة
استشهد اغتيالًا بتاريخ 04/ 07/ 1996م

كان العام 1996م عامًا مليئًا بالمخاطر حيث تم استهداف الحركات الإسلامية حماس والجهاد الإسلامي من قبل العدو لإعطاء الفرصة لاتفاق أوسلو أن يمضي قدمًا رغم أن نتنياهو كان ولا يزال وسيبقى من سيأتي بعده يضرب بعرض الحائط كل الاتفاقيات؛ لأنها بنظر العدو لا تساوي الحبر الذي كتبت به، بينما عبّرت حركة الجهاد الإسلامي عن موقفها تجاه العملية السلمية لا بالقلم والورقة فقط بل بالدم النازف عبر سلسلة عملياتها العسكرية والاستشهادية مما جعل العدو يوقن أنه رغم اغتياله للأمين العام الدكتور فتحي

الشقاقي في العام 1995م إلا أن البذرة الصالحة التي زرعها قد أنجبت أبطالًا أمثال محمود عارضة وصالح طحاينة، وقرر العدو أن يعثر على أماكن تواجد المجاهد صالح طحاينة لاغتياله، وبالفعل تم اغتياله عام 1996م، وهذا الاغتيال والسلاح الغادر والطاعن في الظهر هو أسلوب في الخساسة وضعف القوة العسكرية في المواجهة، وهو أسلوب العصابات وقطاع الطرق ودول الإرهاب المنظم العاجزة عن مواجهة خصومها مما سبب اغتيال العديد من القادة والأبطال ممن أضاءوا في حياتنا قناديل لن تنطفئ على طول المدى، ولكن رغم غياب هذا الفارس الأبِي عن الجهاد وميادين العز إلّا أنّه كان وسيبقى حيًا في قلوب الآلاف من المجاهدين الظامئين للجهاد والمقاومة، فامتشق المجاهد محمود سلاحه من جديد إلى جانب صديقه المجاهد المحرر سعيد اللحلوح حيث قررا أن يستمرا على نهج القائد صالح في المقاومة وقتل المستوطنين. وتمكنا من تنفيذ عملية في بلدة باقة الشرقية وأصيب بها عمال رومانيون معتقدين أنهم مستوطنون، ثم أضافوا لمجموعتهم مجاهدًا آخر وهو أمجد عارضة، وبدأت هذه المجموعة بتوسيع نشاطها العسكري إلّا أن الإمكانيات المادية وقلة السلاح ورداءة نوعيته كانت عائقة أمام تنفيذ عمليات عسكرية نوعية بالإضافة إلى قوة عمل الأجهزة الأمنية الفلسطينية.

الاعتقال الثاني

في يوم 21/ 09/ 1996م تم اعتقال المجاهد محمود عارضة مرة أخرى من منزله، وعلى ما يبدو لم يكن لدى الشاباك الصهيوني حينها أي معلومات حول نشاط المجاهد محمود العسكري لاسيما أنه كان هناك مخطط لمجموعة المجاهد محمود في تاريخ 22/ 09/ 1996م، أي في اليوم التالي للاعتقال، وكان سيتم تنفيذ عملية جديدة في بلدة بديا كما حدث في أول مرة إلّا أن اعتقال المجاهد محمود منع تنفيذ هذه العملية، وقدّر الله للمجاهد محمود حياة أخرى ملؤها الصبر والصمود والاحتساب والذكرْ إنه السجن، هذا السجن الذي يخشاه كل الناس إلّا الفلسطيني الذي رغم كرهه له؛ لأنه يشبه الموت يعتبر أن به الكثير الكثير من المعاني الإيجابية التي تجعل الأسير ينتقل من عالم الدنيا إلى الإعداد،

الأسير المجاهد/ محمود عارضة
داخل سجون الاحتلال الصهيوني

إلى عالم أكثر وعيًا وفهمًا وأكثر إيمانًا بالله ثم فيما قدره الله، وأمضى محمود مدة أربعين يومًا في التحقيق، وتم ممارسة كل أساليب القمع والترهيب والترغيب بجسده، ولم ينطق بكلمة واحدة؛ لأنه صاحب تجربة سابقة ولا يجوز لمن له تجربة أن يعترف إلّا أن هذا القرار تغير في لحظة تفكير معينة وقرر أن يعترف بشيء محدود لسببين: الأول حالة الخوف الشديد من الاعتقال الإداري حيث إن هذا الاعتقال قد أضر بالكثير من المناضلين الفلسطينيين حيث يسمح في دولة الكيان باعتقال الفلسطيني إداريًا وبدون تهمة وبدون لائحة اتهام وبدون تحديد مدة زمنية، وقد تم اعتقال عشرات الآلاف من الفلسطينيين بهذا الأسلوب، وكان هذا الأمر يشكل حالة من الهوس الشديد للفلسطينيين، وأراد المجاهد محمود أن يعترف بشيء بسيط حتى لا يتم تحويله للاعتقال الإداري، والسبب الثاني حتى لا يظهر صمته وصموده في التحقيق أن لديه شيئًا ما يخفيه ويصر على إخفائه، وحتى لا يظهر أمامهم أنه أسطورة في التحقيق إلّا أنّ هذا الأمر كان خطيرًا جدًا على المجاهد محمود وأخطأ خطأً فادحًا في ذلك حيث في التحقيق لكل كلمة ثمن، وعادة ما يكون ثمنًا باهظًا جدًا، وتم بعدها تقديم لائحة اتهام بحقه، وأخذت المحكمة والشاباك قرارًا بإعادة ما تبقى من حكمه السابق وهو عشرة شهور حيث تم الإفراج عنه في إفراجات السلطة عام 1996م، وكان قد تبقى من مدة حكمه عشرة شهور، ثم قرروا إعطاءه مدة مع وقف التنفيذ وهو خمسون شهرًا اعتقد حينها أن أموره رغم صعوبة ما حدث أفضل بكثير من المؤبد، وأنه بعد عدة سنوات سيتم الإفراج عنه إلّا أن الأمور عادة لا تأتي كما يتمنى الأسير، فما أن أمضى سنة في الأسر حتى تم اكتشاف أمر المجموعة بكافة تفاصيلها ليكون كشف هذه المجموعة ضربة قوية للجناح العسكري للجهاد الإسلامي في محافظة جنين، وبدأت حكاية هذه المجموعة عندما تم تجهيز رسالة من قبلها، تم شرح تفاصيل كل العمليات وأسماء أفراد المجموعة وحاجاتهم، وتم إغلاقها بشكل محكم، والطلب من شخص بالنسبة للمجموعة محل ثقة إلّا أنه كان في حقيقة الأمر جاسوسًا، وقد خرج من فلسطين ومعه الرسالة، وكانت موجهة إلى الأمين العام الدكتور رمضان شلَّح في سوريا، وأثناء عبوره للأردن قام بتسليمها للشاباك الصهيوني، وقاموا بفتح الرسالة وتوثيق كل ما ذكر فيها، ثم طلبوا منه أن يذهب بها إلى العنوان المطلوب في سوريا، وبالفعل وصلت الرسالة، ولكن الأمين العام أخبر المجموعة أن الرسالة، وصلت ولكن كانت مفتوحة، وتم التحقيق مع هذا الجاسوس واعترف بكل شيء، وأُخذ القرار بقتله في العام 1997م إلّا أن هذا الأمر لم ينفذ، وكان هذا الخطأ الكبير الذي قد أوقع سرايا القدس في العام 2005م في مأزق خطير حيث إن هذا الجاسوس هو نفسه من قام بمساعدة الشاباك باغتيال قائدين من سرايا القدس هما الشهيد أحمد الطوباسي من مخيم جنين والشهيد نضال أبو سعدة من طولكرم، وكانت خسارتهما كبيرة جدًا، وعلى إثر ذلك تمكن هذا الجاسوس من الهروب إلى مدينة العفولة المحتلة، ولم تغلق سرايا القدس معه الحساب حتى الآن؛ لذلك كان كشف أمر هذه المجموعة قد أدّى لإعادة المجاهد

محمود للتحقيق مرة أخرى والحكم عليه بالمؤبد، وتم اعتقال باقي أفراد المجموعة، وهم الأسرى المحررون سعيد اللحلوح وأمجد عارضة، وأيضًا تم اعتقال شقيق المجاهد محمود وهو ردّاد عارضة ظنًا منهم أن له علاقة بهذه المجموعة، وتم الإفراج عنه بعد 6 أشهر، وأعيد اعتقاله من جديد حيث بعد استشهاد القائد صالح طحاينة واعتقال المجاهد محمود عارضة وأبناء مجموعته؛ تولى القائد الشهيد إياد الحردان مسئولية الجناح العسكري للجهاد الإسلامي وكان يسمى حينها بالقوى الإسلامية المجاهدة (قسم)، وقد نظّم وجهّز مجموعة عسكرية مكونة من الأبطال محمد المرداوي وعبد الله عارضة والمحررين رداد عارضة وسامي عريدي، وقد نفذوا سلسلة من العمليات العسكرية في العام 1999م وتم اعتقالهم جميعًا، وكان من بينهم المجاهد رداد عارضة وحكم عليه 20 عامًا.

أُم صابرة محتسبة

توالت المصائب على عائلة عارضة حيث تم اعتقال أخيهم الرابع شداد في مطلع انتفاضة الأقصى، وحكم عليه بثلاث سنوات ونصف، وكانت والدتهم المجاهدة الحاجة فتحية عارضة نموذجًا للأم الفلسطينية الصابرة المحتسبة التي حرمها الاحتلال الصهيوني من فلذات أكبادها الأربعة،وكثير من الروايات الدينية والتاريخية والكثير من الشعراء والكتب تحدثوا عن مسألة الصبر، أمّا أن يعيشها الإنسان فهذا أمر آخر، فالحاجة تعلّمت الصبر وعلّمت الدنيا معنى الصبر،

والدة الأسير المجاهد/ محمود عارضة
على موعد مع الحرية لابنها الأسير

وتحملت المعاناة والألم لفراق أبنائها لتأتي محنة جديدة وهي اعتقال فلذة كبدها ابنتها (هدى) بتهمة الانتماء لحركة الجهاد الإسلامي وعزمها على تنفيذ عملية استشهادية، وكان ذلك في العام 2005م، وتم الإفراج عنها في العام 2007م بعد قضائها مدة ثلاث سنوات ونصف، ولا تعلم الحاجة فتحية ماذا تفعل وكأن هموم الدنيا قد تجمعت فوق رأسها. وبدأ مسلسل زيارة أبنائها في السجون بحلقاته المتواصلة والتي لم تنته حتى اللحظة، فيومًا تزور ولدها أحمد في سجن عسقلان والطريق من مدينة جنين إلى عسقلان صعبة وشاقة، وفي اليوم التالي للزيارة يكون موعد جديد من المعاناة والألم لزيارة أحد أبنائها في سجن آخر، ثم في اليوم الثالث زيارة لابنها الثالث، ثم الرابع، ثم في الخامس والأصعب من ذلك كله يكون هناك زيارة لابنتها وفلذة كبدها هدى، واستطاعت أن تتحمل التعب والمشقة والصعوبات الجمة في متابعة أبنائها الأبطال في السجون، لكن لم تكن لتكون قوية أمام ابنتها هدى، ومع ذلك فإن الأم الفلسطينية

لديها من القوة والصبر والصمود ما تعجز عنه كل جيوش العالم، فهي منذ العام 1992م وهي تجوب فلسطين المحتلة من شمالها إلى جنوبها، ولم يبق سجن إلا وذهبت إليه لزيارة أبنائها، وللعلم أن هذه الحاجة أصبحت تسمى في عرابة بوالدة عمداء الأسرى حيث إن ولدها أحمد قد أمضى 20 عامًا، وولدها رداد أمضى 20 عامًا، وولدها محمود محكوم بالمؤبد، وقد مضى على اعتقاله مرتين حتى الآن نحو 27 عامًا، فأين حقوق المرأة وحقوق الإنسان وأصحاب الأقلام الحرة والصحافة والإعلام ليوثق قصة هذه العائلة المناضلة بامتياز والتي لم تنته معاناتها حتى اللحظة؟.

العنيد الباحث عن الحرية

نتيجةً لنشاطه الدؤوب وسعة صدره وقدرته على التأثير في الآخرين بفكره ووعيه وإيمانه بعدالة قضيته؛ أصبح المجاهد محمود عارضة أحد أبرز أسرى الجهاد الإسلامي، وهو ما مهد لانتخابه عضوًا في الهيئة القيادية العليا لأسرى الحركة، ونائبًا للأمير العام للهيئة في سجون الاحتلال.

ولم يكتفِ بطلنا بالعمل الدعوي والفكري داخل قلاع الأسر فقط، بل استل سيفه من عرينه، وأراد بكل عزيمة وإصرار أن يكسر قيده بيده بعد سنوات عجاف من الأسر، حيث حاول انتزاع حريته مرتين عام 2012م عبر الفرار من السجن، وفي إحداها حفر نفقًا أسفل سجن شطّة الصهيوني إلّا أنّ أمره كُشف، وعُزل بالسجن الانفرادي لأكثر من عام.

عملية انتزاع الحرية البطولية

لم تنكسر عزيمة محمود أو تتراجع نتيجة فشله في الهروب من الأسر سابقًا، بل كانت دافعًا ومحفزًا قويًا للاستمرار والبحث عن الحرية بكافة السبل، وهو ما حققه بتاريخ 06/ 09/ 2021م عبر عملية انتزاع الحرية التي شكلت منعطفًا تاريخيًا ومفصليًا في تاريخ الحركة الأسيرة، وشكلت ضربةً مؤلمةً وقويةً لما تسمى إدارة مصلحة السجون، وحطّمت ما تسمى نظرية الأمن الصهيونية ومرّغتها في التراب على مرأى ومسمع العالم بأسره.

حيث بزغ فجر الاثنين 06/ 09/ 2021م على الشعب الفلسطيني معلنًا انتصار الكف على المخرز، انتصار الأسير على سجانه، بعد أن وفق الله القائد محمود عارضة برفقة الأسرى محمد عارضة ويعقوب قادري وأيهم كممجي ومناضل انفيعات من أبناء حركة الجهاد الإسلامي والأسير السادس زكريا الزبيدي من حركة فتح، لانتزاع حريتهم عبر نفق حفروه من تحت سجن جلبوع أحد أكثر سجون الاحتلال تحصينًا وأشدها أمنًا، لكن معية الله كانت مع الأسرى الستة الأبطال، التي أخذت عمليتهم وصيتها بالانتشار مع ساعات الصباح الأولى، وبدأ الإعلام المحلي والعربي والعالمي تسليط الضوء أكثر على الأسرى الأبطال وعملية انتزاع الحرية بقيادة محمود تزامنًا مع تكثيف الاحتلال الصهيوني هجمته على الأسرى وأبناء شعبنا في الضفة والداخل المحتل، مجيّشًا كل طاقاته في عملية البحث عن الأسرى الستة واختفائهم رغم كل ما

يملكه العدو من ترسانة أمنية وعسكرية تغنّى بها منذ نشأته.

وبعد خمسة أيام من الحرية وتنسّم عبيرها في الداخل المحتل استطاع الاحتلال الوصول لكل من القائد محمود عارضة ويعقوب قادري في مدينة الناصرة، فيما أعيد اعتقال المجاهدين محمد عارضة وزكريا الزبيدي بعد يومين بين قريتي عرب الشبلي وأم الغنم عند سفوح جبل الطور جنوب مدينة الناصرة، أما المجاهدان مناضل انفيعات وأيهم كممجي فقد نجحا في الوصول إلى مدينة جنين والتخفي في أحد المنازل إلى أن باغتهم الاحتلال وحاصرهم بعد نحو 14 يومًا من عملية التحرر.

تم إعادة اعتقال الأسرى الستة، أبطال عملية الفرار من سجن جلبوع بعد أن دفع الاحتلال الصهيوني بالآلاف من جنوده وعناصر الأجهزة الأمنية والقوات الخاصة وقصّاصي الأثر، الذين استخدموا طائرات مروحية مسيرة ووسائل تكنولوجيا متطورة في عمليات البحث عن الأسرى.

هجمة شرسة على أسرى الجهاد

عملية انتزاع الحرية وتبعاتها الكبيرة والعظيمة على الشعب الفلسطيني بما حملته من إنجازات أبرزها إعادة تسليط الضوء من جديد على قضية الأسرى في ظل تلاحق الأحداث وتسارعها في المنطقة، تزامن مع هزيمة صهيونية نكراء جعلت من ترسانة الاحتلال الأمنية أضحوكة في كل العالم، وهو ما دعا إدارة مصلحة السجون الصهيونية للتكشير عن أنيابها بعد أن جنّ جنونها إزاء ما فعله الأسرى العزل، وبدأ الاحتلال أشد حملة همجية

عنصرية بحق الأسرى في كافة السجون خاصة أسرى الجهاد الإسلامي، الذين تعرضوا للعزل والضرب والاعتداء والحرمان من كافة حقوقهم إضافة لحملة بشعة من التنقلات والتشتيت على غرف الفصائل الأخرى أضف لذلك اتخاذ قرار حازم بأن لا يتواجد أسيران من الجهاد الإسلامي في ذات غرفة الأسر داخل أقسام السجن، وكان على رأس الأسرى الذين تعرضوا للعزل والاعتداءات أمير الهيئة القيادية العليا لأسرى لحركة الجهاد الإسلامي الأخ المجاهد زيد بسيسي ورفاقه في الهيئة القيادية، ما دفع أسرى الجهاد لإعلان النفير داخل السجون وبدء عصيان ضد مصلحة السجون ومواجهة كل هذه الوحشية بصدورهم العارية عبر إحراق الغرف وعدم الإذعان لقرارات الاحتلال داخل الغرف.

واستمر هذا الحال نحو 40 يومًا على التوالي خُتمت بمعركة أمعاء خاوية أضرب خلالها أسرى الجهاد الإسلامي عن الطعام نحو 9 أيام ليُعلن بعدها الاحتلال قبول مطالب أسرى الجهاد الإسلامي مذعنًا لكافة شروطهم، وبهذا سجّل أسرى الجهاد مرةً أخرى انتصارًا جديدًا على الاحتلال وقادته.

رسالة الأسير محمود عارضة لوالدته

بعد أن تمكّن محامي هيئة شؤون الأسرى والمحررين رسلان محاجنة من زيارة الأسير القائد محمود عارضة للاطّلاع على ظروفه بعد اعتداء الاحتلال عليه وعزله للتحقيق معه، ومعرفة تفاصيل عملية نفق جلبوع؛ وجه محمود رسالة مؤثرة لوالدته، جاء فيها: "بعد التحية والسلام.. حاولت المجيء لأعانقك يا أمي قبل أن تغادري الدنيا، لكن الله قدر لنا غير ذلك، أنت في القلب والوجدان وأبشرك بأني أكلت التين من طول البلاد، والصبر والرمان، وأكلت السماق والزعتر البري، وأكلت الجوافة بعد حرمان 25 عامًا، وكان في جعبتي علبة العسل هدية لك، سلامي لأخواتي العزيزات باسمة، ربى، ختام، وسائدة، وكل الإخوان فأنا مشتاق لهم كثيرًا، تنسمت الحرية ورأينا أن الدنيا قد تغيرت، وصعدت جبال فلسطين لساعات طويلة، ومررنا بالسهول الواسعة، وعلمت أن سهل عرابة بلدي، قطعة صغيرة من سهول بيسان والناصرة، رغم المرارة وصعوبة المطاردة والجوع، لو كانت هذه الأيام الخمسة هي كل حياتي لوافقت، الداخل حلو ديروا بالكم عليها (بلادنا)... ببحث عن حريتي وحرية شعبي ووجوده، هذا جزء من واجبي تجاه وطني".

دوافع عملية انتزاع الحرية

وفي رسالة أخرى أرسلها المجاهد محمود مع محامي هيئة شؤون الأسرى والمحررين أفصح قائد عملية التحرر عن جزء من دوافع العملية البطولية قائلًا: "السبب الرئيسي لحفر النفق هو نيل الحرية التي طال عليها الزمن، وقد تم حفر النفق ردًا على استشهاد الأسير محمد الأشقر واستشهاد الأسير كمال أبو وعر، ولذات السبب كان حفر النفق في سجن شطة سنة 2012م،

الأسير القائد/ محمود عارضة
خلال جلسة محاكمة له بعد عملية تحرره من سجن جلبوع

النفق جاء احتجاجًا على الظروف المأساوية وسحب الإنجازات من الأسرى بالسجون، والوضع المزري للأسيرات، بالإضافة إلى ظروف العزل السيئة وعدم تنفيذ مطالب الإضراب الكبير للأسرى عام 2017م، النفق قد تم تسميته (الطريق إلى القدس)، ونُهدي هذا العمل للمقاومة ولشعوبنا العربية والإسلامية ولأحرار العالم، ولغزة وفاءً لما قدمته من أجل الأسرى، نعتبر أننا انتصرنا وطرقنا الخزان كما قال الكاتب الكبير غسان كنفاني، وأوصلنا رسالتنا للعالم أننا دعاة حرية وأصحاب حق، ولنا مظلومية وعلى العالم أن يقف بجانبنا من أجل تحرير أرضنا، وللاحتلال أقول: عملنا هذا هو حق مشروع، وأنا مسجون عندكم ليس بإرادتي ولا أوافق على قوانينكم، والظروف الحياتية في الزنزانة صعبة جدًا وباردة جدًا، ولم أبدل ملابس السجن وقميص الشاباص منذ اليوم الأول للاعتقال، أنا لست إرهابيًا، إنما أنتم محتلين وأنتم من تمارسون الإرهاب بحقنا كشعب فلسطيني، ونحن ندافع عن أنفسنا".

رسالة القائد محمود عارضة إلى غزة

بعد مرور نحو شهرين على عملية انتزاع الحرية وجه الأسير القائد محمود عارضة رسالة لغزة من داخل عزله الانفرادي في سجن أيالون، نشرتها مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى والجرحى وجاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. بعد التحية والسلام. أرجو من الله أن يحفظكم ويرعاكم وبارك الله فيكم على جهودكم.

ورسالتنا إلى غزة، أننا كنا في جبال الجليل الأسفل تشرئب أعناقنا وتطير هممنا في السماء عاليًا تعانق روح القسام ونحن نسمع الصدى القادم من غزة، ليرعد ويبرق ويهدد ويواسينا في الطريق، وكأن السكينة كانت تنزل علينا بفعل سرايانا.. نحن كنا معكم وكنتم معنا، نحارب من حاربكم ونسالم من سالمتم، سمعنا أصواتكم وكأنها من بدر وحطين تنادي ورثة الشهداء أن الدم الدم والهدم الهدم.

بارك الله فيكم وبارك الله في غزة العزة، وسلامنا إلى غزة وإلى كل ألوانها وأطيافها السياسية. من هنا من عزل أيالون الانفرادي، نجدد لكم أيها الأحرار عهد الدماء التي سالت في مذبحة اللد، وأننا نربط بذاك الخيط الممدود من مسجدها إلى الشجاعية ومخيم جنين ولن نحيد عن العهد إن شاء الله.

التحية إلى شعبنا العظيم الذي وقف يدًا واحدة وقيدًا واحدًا يحنو على الفارين على درب الصوري والجمل وزهدي قريقع وصالح طحاينة وكل الذين انتزعوا حريتهم بأيديهم، لقد كسرنا هيبتهم وحطمنا

أنياب الوحش وحولناه إلى وهم من غبار".

المثقف لا ينكسر

ومن هذه المعاناة وفي ظل مواجهة المحتل في السجون أصرّ المجاهد محمود على أن يكون نموذجًا للأسير المجاهد القارئ والواعي المثقف، فلم يقبل أن يستسلم لظلم وقهر السجن والسجان حيث إن الأسير عندما يفقد خصوصية الحرية تصبح الحياة لديه لا قيمة لها، لكن الدافع يبقى دافعًا ومحفزًا للأسير كي يمضي قدمًا، فالأسير الذي يسجن على قضية وطنية جهادية سياسية يكون صاحب هدف ورؤية وفكرة ورسالة ومبدأ، ولذلك يكون مستعدًا وعلى الدوام للتضحية اللامحدودة فكيف إذا أضفنا لذلك كله الدافع الديني والإيماني؟! فعندها سيملك الأسير عزيمة وإرادة جبارة في صعود دائم، فالأسير يعيش حياة الأسير ليس كما الآخرين، فالزمن لا قيمة له في السجن حيث يمضي الزمن في السجن سريعًا، وأفضل من عبّر عن الزمن وقيمته الكاتب الفلسطيني المتألق بكر أبو بكر عندما قال: "إن الزمان قيمة متحركة متحررة لا تنتظر ولا تقبض عليها برموش العين، ولا ينفع معها حصار أو مقلاع، فديمومة المكان تتناقض مع عصبية الزمان الذي يتحول من حولنا بحرية التجاوز والتعدي ويرسم الحرمان للبعض كما يرسم الابتعاد للبعض الآخر، فيرسم الأسى للبعض كما يرسم الفرحة للآخر"، وبالفعل فإن وصف بكر أبو بكر كان دقيقًا جدًا، فالأحبة والإخوان والعائلة أصبحوا بعيدين جدًا عن خصوصية ومكان وزمان الأسير، ومع ذلك فإن الأسير منذ لحظة اعتقاله يسعى من تلقاء نفسه إلى المحاولة الجادة والحثيثة لإعادة برمجة دماغه وأهدافه وحياته ليضبط الإيقاع كما يريد، فتراه يقبل على كل ما به من فائدة في الطعام والشراب والعلم والرياضة والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين، إنّه يعي جيدًا أنه إن لم يفعل ذلك فإن السجن سيقضي عليه رويدًا رويدًا دون أن يشعر ليصبح كسولًا عاجزًا مستسلمًا متشائمًا فيتعرض للاكتئاب والمرض النفسي ويعكس ذلك على محيطه وعائلته، فأدرك المجاهد محمود هذا الأمر فأقبل على حفظ كتاب الله _عز وجل_ وبدأ بالتهام الكتب،

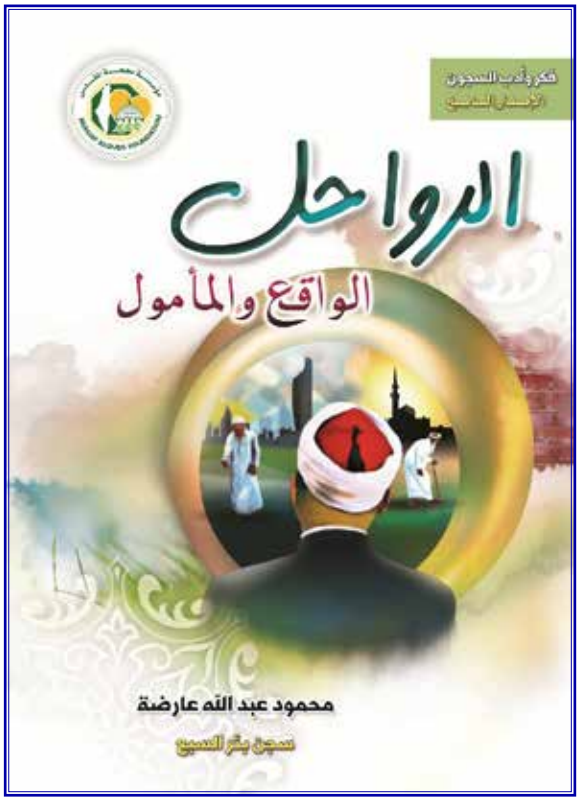

بل أمهات الكتب لينطلق في تربية وتعليم الأسرى القادمين الجدد ليخرج منهم أبطالًا شجعانًا متعلمين واعين لقضيتهم الفلسطينية ليتصدوا للمشروع الصهيوني الداعي إلى تجهيل الفلسطينيين ليُضيّع

حقّهم ومطالبتهم به لتحقيق المقولة الصهيونية: "الكبار يموتون والصغار ينسون"، فالعلم والقراءة مسألة هامة جدًا لكل الأجيال وخاصة للأسير الفلسطيني، وقد صدق المجرم الصهيوني مناحيم بيغن حينما قال وهو يتحدث عن السجن بأنه: "يعطيك فرصة للتفكير العميق"، وهذا في الحقيقة كلام صحيح ولا يكون إلّا للأسير وكذلك قال نلسون مانديلا من داخل سجنه: "السجن والسجان يتآمران عليك ليقتلاك ويقتلا فيك الروح وما من سلاح أقوى من العلم والقراءة لرد هذه المؤامرة"، ولن ننسى المعلم الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي عندما قال: "اقرأ ثم اقرأ ثم اقرأ حتى ينطفئ نور عينيك"، فكان بصدق المجاهد محمود عارضة نموذجًا للصبر والمثابرة والعطاء اللامحدود، فيتجاوز كل مراحل القمع الصهيوني في السجون وفي كل المحطات القاسية، وتجاوز كل معاناة وألم الإضرابات عن الطعام، وتجاوز فقدان الأهل والحبة والأصدقاء، وتجاوز الظلم الكبير الذي وقع عليه في تجاوزه وعدم إطلاق سراحه سواء في صفقات التبادل أو في إفراجات السلطة الفلسطينية، وكل ذلك لأنه آمن أن له رسالة ومبدأ وهدفًا يسعى إليه لإنشاء جيل مثقف واعٍ قادر على قيادة الجماهير الفلسطينية وخوض ميادين العزّ والفخار بهم، كما هو حال ميادين العز في قطاع غزة من الذين كانوا ولا زالوا يبذلون الجهد الكبير في الدفاع عن إنسانيتهم ورفضًا لحصارهم وجوعهم وعطشهم، فقدّموا ثمنًا لذلك حيث لونوا الخط الفاصل بين غزة وفلسطين المحتلة باللون الأحمر، وأصبحت عظام الشهداء على الحدود وقد تحولت إلى كثبان من الرمل معلنة الاعتذار للقدس الشريف بعدم قدرتهم على التحرير، فبكى الأسرى وبكتهم فلسطين وستبكي السماء والورود، ولكن نحلم يومًا أن يزهر العمر ليكون لنا وطن رائع مثل هذا الوطن، ولذلك ترى المجاهد محمود اليوم في داخل سجون الاحتلال وقد مضى من عمره 44 عامًا وأمضى منه في سجون الاحتلال 27 عامًا ولا يزال يحلم بالمستقبل المنشود الذي يتمنى أن يكون كزمانه وليس كما يريد الاحتلال، بل لا بد أن يكون هذا المستقبل كما يريد الإسلام أن يكون، وكما تريد فلسطين له أن يكون. وعلى هذا الجيل القادم والحالي أن يعي جيدًا كل مخططات التغريب والاستفراد والتجهيل، وأن تكون الفصائل الفلسطينية والتي بنظر المجاهد محمود رغم أدائها الرائع إلّا أنّها لا تزال تحبو حبوًا في مشروعها الوطني في مواجهة الاحتلال الصهيوني، ولذلك أصر المجاهد محمود على أن يلجأ إلى أسلوب الكتابة، فكتب العديد من المقالات والعديد من الدراسات وألف عدة كتب لعل هذا الجيل يستفيد منها في حياته، وتنقذه من وعورة الطريق والنفق المظلم منها كتاب (الرواحل) و(فقه الجهاد)، و(تأثير الشيخ الغزالي على حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، منهجًا وفكرًا).

ولا يسعنا إلّا أن نقول للمجاهد محمود بأن بورك جهادك وعطاؤك، بوركت عائلتك المناضلة، وبوركت عرابة بك، وبوركت حركتك الأبية بأمثالك، وهناك نهاية لمعاناتك ولآلامك، وكما قال نزار قباني عن المناضلين: "مهما تأخروا فإنهم يأتون في حبة الحنطة أو في حبة الليمون، يأتون في الأشجار والرياح والغصون، من حزننا الجميل ينبتون، ومن شقوق الصخر سيولدون".

الأسير المجاهد
ربيع رفيق شريف أبو الرُب

قائد جهادي ورفيق الشهداء

تاريخ الميلاد: 1977/05/01م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة قباطية – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 8

تاريخ الاعتقال: 2002/04/07م

الحكم: مؤبد و35 عامًا

نقف اليوم لنروي حكاية مجاهد فلسطيني الهوية والانتماء سار على هدي شموس توزعت في سماء فلسطين، خلّدت ذاكرة الوطن الجريح وأنارت درب المستقبل من أجل أن تبقى فلسطين حرة عربية، فسطّر صفحات مشرفة ناصعة عبر الجهاد والمقاومة والتحدي، فسار في طريق ذات الشوكة بكل قدرة واقتدار لتحقيق المجد والعزة له ولعائلته ولبلدته ولحركته الأبية، إنه المجاهد ربيع أبو الرب ابن العائلة الفلسطينية الوطنية والمشهورة.

قباطية ملاذ الفدائيين

عائلة أبو الرب تعود جذورها إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرع الحسن، أي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فابتدأ تاريخها في فلسطين، جدهم الأكبر أبو الرب الذي قدم من العراق إلى قباطية في فلسطين وكنّي بأبي الرب نسبة إلى رُبّ الخروب حيث إن الرواية الشعبية المأثورة تروي قصة رجل درويش زاهد متصوف دائم الذكر أتى على مجموعة من نساء آل خزيمية في بلدة قباطية عندما كنّ يطهون الخروب، وكان شديد العطش والتعب، رث الثياب، طلب

منهنّ الزاد والماء فطلبن منه أن يشرب من قدر الخروب الذي يغلي على النار تهكمًا لمظهره الرث وغرابة تصرفاته، فقد حسبنه مجنونًا، وعندما فعل ما طلبن منه كانت الدهشة عظيمة فأخذنه إلى بيت كبير الحمولة "المختار"، الذي كان له ابنة جميلة اشتد مرضها دون أن يتمكن أحد من شفائها أو تشخيص مرضها، فبادر أبو الرب بإخبار مختار آل خزيمية عن مرض ابنته، فاستغرب الرجل لمعرفة الغريب دون أن يخبره أحد، وأضاف أبو الرب أنه بإمكانه شفاءها بعون من الله _عز وجل_ على شرط أن يتزوجها فوافق المختار، ولما رقى أبو الرب ابنة المختار بآيات قرآنية وشفاها الله _عز وجل_ وجاء يوم الوفاء بالوعد أي الشرط ليكتشف أبو الرب ليلة دخلته على عروسته الحسناء أنها ليست هي وإنما أختها الكبرى التي شارفت على سن اليأس والتي ليس لديها من الجمال الذي تتمتع به أختها، فأدرك أنه قد تم الغدر به فدعا لعروسه التي شارفت على سن اليأس أن يبارك الله فيها وفي ذريتها وأن ينزع الله البركة من ذرية أهلها، ولذلك هذه العائلة أصبحت من العائلات الأربع الكبرى في قباطية، وبسبب البحث عن الرزق والعمل الذي كان عبارة عن الزراعة وهي الأساس فقد انتشر آل أبو الرب في الجوار لتصبح قرية مسلية وقرية صير غالبيتها من آل أبو الرب، أما قرية جلبون شمال جنين التي تقع على سلسلة جبال جلبوع فجميع سكانها من آل أبو الرب، وجلبون تقع على الخط الأخضر وفي الجانب الآخر من جبال جلبوع في قضاء مدينة بيسان المحتلة عام 1948م، فسكن آل أبو الرب عدة قرى منها قرية فرونه، ونورس وهي قرى مهجرة إبّان النكبة،

من آثار قرية نورس المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

ونورس كان بها بيت عائلة المجاهد ربيع أبو الرب حيث لجأت هذه العائلة من نورس إلى قباطية لدى الأقرباء بعد أن تم تهجيرهم، وهذه المناطق كانت من المناطق الأولى التي تم طرد أهلها على يد العصابات الصهيونية في إطار عملية واسعة طالت بيسان وما حولها وصولًا إلى منطقة الجليل، وهاجرت أسرة المجاهد ربيع من قرية نورس في العالم 1948م قبل وصول قوات من الجيوش العربية لتعيش تجربة جديدة مأساوية اشترك فيها نحو 800 ألف فلسطيني بما عرف بالنكبة الفلسطينية، لكن حال هذه الأسرة كان أقل معاناة من غيرها من الأسر الفلسطينية المهجرة، ولاسيما أن أسرة المجاهد ربيع لم تسكن المخيمات التي لقيت فيها العائلات المهجرة ظروفًا شديدة القسوة، فما أن وصلت عائلة ربيع إلى بلدة قباطية في مدينة جنين حتى استقبلتهم عائلة أبو الرب وفتحت لهم الأبواب وأسكنتهم في بيوتها وساهموا في توفير مكان لبناء منزلهم الجديد، وفي العام 1974م تزوج

الابن البكر للعائلة واسمه فاروق من امرأة اسمها ابتسام بني نعيم من قرية مسلية المجاورة، وقبل أن تعرف هذه العائلة طعم الفرحة بالمولود الجديد البكر محمد تُوفي الزوج فاروق في حادث عمل لتضع ابتسام مولودها محمد وهي ما زالت في أجواء الحزن على الزوج، وكما هي العادات والتقاليد لدى الريف الفلسطيني عرضت العائلة على شقيق المرحوم فاروق واسمه رفيق الزواج من ابتسام كي يتربى ابن أخيه في كنفه ليعوضه عن فقدان الأب ورغبة لإبقاء ابتسام في بيت العائلة، فكان أمرًا صعبًا جدًا التخلي عنها ليرزقهم الله _عز وجل_ بمولودهم البكر والابن الثاني لابتسام، ثم لاحقًا ذكرين آخرين وست بنات لتصبح العائلة مكونة من رفيق وابتسام إضافة لأربعة أبناء وست بنات، وتنقّل والد المجاهد ربيع بين عدة أعمال من أجل إعالة عائلته، حيث تنقل من الحدادة والتجارة كبائع متجول وتجارة الزيت والزيتون في موسم الزيتون، وعمل أيضًا في حياكة وتركيب الستائر، وكانت بلدة قباطية أملًا جديدًا لعائلة المجاهد ربيع في أن يعيشوا كما باقي العائلات حيث وجدوا الخير الكثير في هذه البلدة وأهلها الطيبين ولا سيما أن بلدة قباطية قد جاد عليها المولى _عز وجل_ بنعمة وافرة بالإضافة إلى جبالها الخضراء فهي تقع على خزان من المياه الجوفية ليغذي مجموعة من الآبار الارتوازية التي تسقي سهلين خصبين، يملكهما سكان بلدة قباطية في السهل الغربي، ويعتبر سهلًا داخليًا متصلًا بسهل عرّابة جنوب مدينة جنين، أما السهل الشرقي فهو يمتد من بلدة قباطية إلى شرق مدينة جنين ويتصل بسهل مرج ابن عامر، ولذلك فهما من الروافد المهمة لسلة غذاء فلسطين، فكانت الزراعة من المهن الأساسية في قباطية لتوفر المياه، وكذلك اشتهرت قباطية في صناعة الحجر ونقشه وتشكيله، أما تعداد هذه البلدة السكاني فقد بلغ 28 ألف نسمة في إحصائية العام 2021م، وتشتهر هذه البلدة بكونها مضيافًا ومعطاء بالكرم والحميَّة والتعايش السلمي بين أهلها، لتكون مقصدًا لكل اللاجئين إليها طلبًا للمساعدة أو الحماية أو الأمن والأمان، وأما على صعيد العمل النضالي فقد أسهمت بلدة قباطية اسهامًا متميزًا في مراحل الثورة الفلسطينية المعاصرة مما جعل اسم هذه البلدة معروفًا لدى الجميع ويخشاه الاحتلال ولاسيما أن لهذه البلدة ورجالها صولات وجولات ضد المستعمر البريطاني حيث أقدم الشهيد أحمد أبو الرب من بلدة قباطية وهو أحد جنود الشهيد عز الدين القسام على اغتيال قائد الحاكم العسكري لمدينة جنين "حوفت" في قلب مكتبه بالعام 1938م، وهذه العملية الجهادية كانت من العمليات الفدائية والمميزة في الثورة الفلسطينية وقد تحدثت عنها الكتب العديدة التي تؤرخ لتلك المرحلة، كما التحق عدد من المجاهدين بثورة العام 1936م، وبعد النكبة الفلسطينية كانت جبال قباطية ملاذًا للفدائيين الفلسطينيين، وكان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات من أهم الرموز الفلسطينية الذين تواجدوا في هذه الجبال من أجل مقاومة المحتل وأخذ البيعة من شباب قباطية،

وللالتحاق بالثورة الفلسطينية وحمايتها والتنظير لها، ومن القيادات الفلسطينية البارزة من أبطال قباطية الشهيد خالد نزال الذي استشهد في العام 1986م في اليونان لمسئوليته عن عدة عمليات عسكرية ضد المحتل.

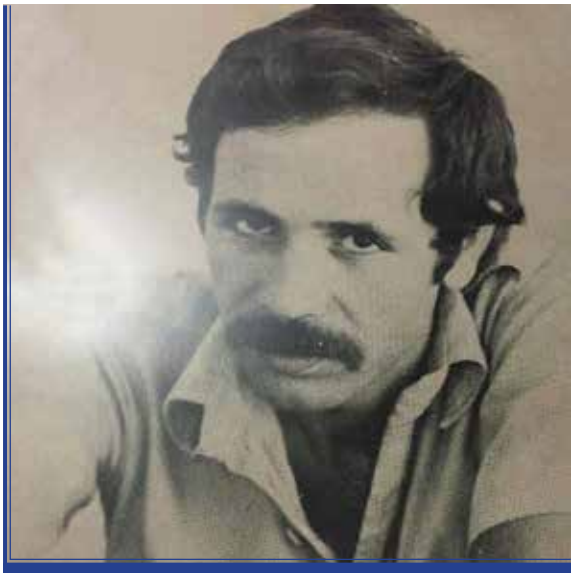

الشهيد البطل/ خالد نزال
استشهد اغتيالًا في أثينا بتاريخ 09/ 06/ 1986م

نشأة مُغايرة

في تلك البلدة الرائعة والثائرة في وجه المحتل ولد وعاش المجاهد ربيع طفولته لينشأ ويترعرع في عائلة أبو الرب، ودرس في مدارس قباطية حيث تعلم فيها معظم مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي، ورغم أن التعليم المدرسي له أهميته القصوى إلّا أن التعليم الوطني استطاع أن يستحوذ عليه وعلى عائلته حيث كان يكثر الجلوس لدى الجدّة التي تعيش في البيت هي والجد والأعمام في بيت أُضيف له عدة مبان في مراحل مختلفة حسب الحاج وتيسر الأحوال الاقتصادية، فليس استثناءً بل ما ينسج مع الظاهرة الملاحظة في المجتمع الفلسطيني؛ فإن رواية النكبة تُروى على لسان النساء العجائز من جيل النكبة أكثر منها على لسان الرجال، وربما كان هذا سبب القهر الذي نال من الرجال والصدمة التي ألمت بهم، فلم يستطيعوا حماية أرضهم وشكلت لديهم ذكرى أليمة، فلذلك تراهم يحاولون تكرارًا ومرارًا تناسيها؛ لأنها تشعرهم بضعفهم وتطعن في رجولتهم فتراهم يتمنون لو أنهم قد قتلوا في أرضهم ولم يخرجوا منها على أن يواجهوا هذا المصير وذاك الشعور، وأحيانًا تجدهم عندما يتداعى الحديث يقودهم رغمًا عنهم إلى هذه المحطة فتراهم يختبئون خلف قصص العنترية أيام البلاد قبل وقوع النكبة التي تذكّرهم بعزهم وشبابهم وهويتهم، وعندما يمرّون على تفاصيل الفاجعة تراهم يذكرون القليل بانتقاء ويقفزون عن الكثير تاركين الكثير إلى النساء وإصرارهنّ على عدم النسيان والتناسي، فيروي لنا المجاهد ربيع بكلماته البسيطة أنه "كان يكثر الجلوس مع جدته أم فاروق" خاصة في أيام وليالي الشتاء حول مرجل النار (الكانون)، وفي فصل الصيف في ساعة الغروب إلى ساعات متأخرة من الليل حيث تجتمع العائلة ويحضر الجد أبو محمود شقيق الجدة أم فاروق ويبدأ بالكلام الذي يستدعي بعضه بعضًا عن (فرونه) مسقط رأس جدته وشقيقها، وعن نورس القريبة التي يقع فيها أرض وبيت العائلة؛ الأمر الذي كان يتسبب باختلاط الأمر على الطفل ربيع المسكون والعاشق لحب الاستطلاع والمعرفة

عن تاريخ عائلته لتنمو لديه مكونات الهوية الوطنية فبدأت تنمو رويدًا رويدًا كغرسة زيتون تم غرسها في أرض طيبة في كل يوم تزداد تجذرًا في الأرض ومكانة فترتفع غصونها إلى جده وجدته، بل تعداه إلى الاستماع لوالدته حيث كانت تحدثه عن خاله الشهيد بلال الذي رأته أخته للمرة الأخيرة عندما زارها واطمأن على سلامتها بعد أن وضعت مولودها ربيع، ليغرس قبلته الأخيرة على جبين ربيع وفي اليوم التالي سافر خاله بلال إلى الأردن، ولم يكن أحد يعلم حينها أنه قد التحق بأبطال الثورة الفلسطينية، وقام بتنفيذ مهمات جهادية ونضالية ضد المحتل قبل خروجه إلى الأردن، وكان يكثر حينها الحديث عن الشهادة وطلبه لها أمام والدته أم بلال، وأثناء وجوده في الأردن دخل إلى فلسطين متسللًا ذات يوم وفي عدة مرات أحيانًا برفقة إخوة السلاح بمهمات جهادية في إطار ما عرف بالعمل الفدائي، وقد ذكر أنه قد شوهد أكثر من مرة في طوباس والأغوار، ففي أحد الأيام اشتاق إلى أمه وكان في مهمة جهادية وتسلل في وقت متأخر من الليل وطرق باب البيت الكائن في قرية مسلية، ولم يكن أحد من أهل البيت يعرف أن الطارق هو بلال، فخافوا حينها من فتح الباب، وعندما يئس بلال قام بالضرب على باب جيرانهم وأخبرهم أن يبلغوا أهله تحياته وأشواقه لأهله وأمه، وذكر لهم أنه لا يستطيع التأخر أكثر، وأن عليه المغادرة، وأثناء الطريق في العودة إلى الأردن حصل اشتباك مسلح بين الفدائيين ومن بينهم بلال مع قوة صهيونية، وقبل انسحاب المجموعة كان صديق بلال ابن بلدة مسلية مسجًّى على أرض عين البيضا في منطقة الأغوار جريحًا، ومكث خال المجاهد ربيع في الأردن خمس سنوات لينتقل بعدها إلى لبنان ويشترك في حرب عام 1982م، وكان من بين الأبطال الذين تصدوا للعدوان في الأيام الأولى في الجنوب اللبناني حيث تعرض للإصابة ونقل إلى مشفى في منطقة البقاع، وأثناء مكوثه في ذلك المشفى يروي زميله سامي التلاوي الذي كان يمكث معه في المشفى بسبب إصابته هو الآخر أنه عندما تمت مهاجمة المستشفى من قبل القوات (اللحدية) العميلة المتعاونة مع العدو مصحوبة بقوة صهيونية؛ دارت المعركة في داخل المشفى واستخدم فيها السلاح الأبيض، وبحسب رواية التلاوي الذي نجا من المجزرة أنه قد شاهد بلال يتعالى على جراحه مسرعًا إلى مطبخ المشفى ليتناول سكينًا وينقض على المهاجمين لينال مراده وهو الشهادة في سبيل الله.

هذه الحكايات والقصص أسهمت في تشكيل هوية المجاهد ربيع الجهادية والثورية والوطنية، ومع كل حكاية يتوسع إدراكه وتزداد هويته الوطنية تجذرًا، ولكنها ليست بالقدر الكافي لتثمر فيها بعد، ولذلك عرف المجاهد ربيع حينها أيام البلاد والنكبة، وأن مسكنه الأصلي ليس البيت الذي ولد به في قباطية، وأصبح يعي ما هو المقصود بكلمة فدائي وبطل ومعنى كلمة شهيد، لكن ما المقصود بكلمة مظاهرة، فالكلمة كانت جديدة عليه. إنها قصة مفادها أن هذه الكلمة تسببت في إخراج والدته من المدرسة وعدم العودة إلى مقاعد الدراسة، حيث كانت والدة المجاهد ربيع

وشقيقاها وسام في مدرسة داخلية للأيتام في مدينة نابلس المحتلة، فكانت ابتسام على مقعد الصف السادس الابتدائي عندما خرجت مظاهرة جماهيرية حاشدة وتعالت أصوات الهتافات المنددة بالمحتل، وتحدِ الكف المخرز وتعالي أزيز الرصاص وتسمم الهواء من كثر الغاز المسيل للدموع حيث حاصرت القوات تلك المدرسة ودخلت إلى ساحتها واعتقلت طباخة المدرسة، واسمها سهام التي توشّحت بالعلم الفلسطيني وانضمت إلى الجماهير الغاضبة. انهال الجنود عليها بالضرب الشديد، وتم اعتقالها مما أدى ذلك إلى حالة الذعر والرعب في صفوف الطالبات، وهو ما جعلهن يخرجن من المدرسة وعدم العودة إليها، وقلة منهن من عاد إلى صفوف الدراسة، فعادة تلك الحكايات والروايات الشفاهية تفعل أفاعيلها لدى الأطفال، وتصبح هناك أساطير تسيطر على عقول الأطفال بشكل إيجابي، فهناك بعض التجارب التي يمر بها الأطفال تكسبهم المعرفة قبل أوانها كما حدث مع المجاهد ربيع أبو الرب في طفولته حيث ما أن خرج من بيته ليحضر للعائلة طعام الإفطار الشهير لدى الفلسطيني، وهو الحمص والفول فإذا به يقف بالطابور أمام المطعم والذي يقع على الطريق الرئيسي الذي يمر بالبلدة، وفي تلك الاثناء كان الملثمون ينتشرون في كل مكان لبدء التصعيد الوطني والنضالي ضد المحتل، فبدأت المحلات التجارية بالإغلاق، وكان هناك بعض الواقفين في الطابور يتهامسون هو أن هذا اليوم هو ذكرى معركة الكرامة، فتسلل هذا الحديث إلى مسامع الطفل ربيع ليعود مسرعًا إلى بيته، لتجتمع العائلة على مائدة الطعام فإذا بصوت الرصاص يتعالى أكثر فأكثر، وفجأة إذا بأحد الأبطال الملثمين يدخل إلى منزلهم طالبًا الاختباء من العدو، وبدأ والد المجاهد ربيع بتهدئة أبنائه الصغار تاركًا هذه المهمة لزوجته بينما ذهب إلى ذلك الفدائي للاهتمام به طالبًا منه تغيير ملابسه ونزع لثامه، فتم ذلك وأصبح اللثام بيد والد ربيع، وقامت والدته بإخفائه عن الأنظار، وجلس الجميع حول مائدة الطعام لتناول طعام الإفطار واحتساء الشاي، فتوقف فجأة صوت الرصاص وبدأت والدة ربيع تُهدئ أبنائها لتقول لهم: "يا أولاد لا تخافوا هذا فدائي منّا من أهل البلد"، وطلبت وشددت على أبنائها بأن لا يحدثوا أحدًا عن هذا الفدائي ودخوله المنزل حتى لا يقوم العدو باعتقاله أو قتله، ولربما يتم اعتقال الوالد فحفظ الأبناء هذا الكلام، ولم يخبروا أحدًا بهذا الأمر إلى حين أن ذكره لنا المجاهد ربيع، وهكذا انتقل المجاهد ربيع من الاستماع إلى الروايات الشفهية إلى التجارب الشخصية، فبدأ يبحث عن ذلك اللثام الذي أخفته والدته عن الأنظار إلى أن وجده، فشعر بأن هذا اللثام سيسير خطواته نحو الفدائية، ولاسيما أنه اقترب موعد الانتفاضة الأولى واقترب موعد بلوغه سن العاشرة.

انتفاضة العام 1987م

مع اندلاع هذه الصفحة الجميلة والرائعة بتاريخ الشعب الفلسطيني الذي سطر أروع معالم المقاومة الشعبية ضد الإرهاب الصهيوني الذي له جيش من أقوى جيوش العالم قوة وعدة وعددًا

وإمكانيات بشرية ومادية وتكنولوجية؛ بدأ المجاهد ربيع في سن العاشرة يكتشف من خلال ما يشاهده في الانتفاضة مصطلحات ومفاهيم وأسماء ومعاني كثيرة كالاحتلال والاستيطان والشهداء والثورة والاعتقال والفصائل والعلم الفلسطيني وكتابة الشعارات وما إلى ذلك لتصبح اللعبة المفضلة للمجاهد ربيع وأقرانه من الأطفال هي عرب ويهود، ولم يكتف باللعب فقط بل تعدّاها إلى المحاكاة العملية ليقف مع الشباب الثائرين في وجه العدو عبر حرقهم للإطارات ورميهم للحجارة على سيارات الجيش وقطعان المستوطنين، فكان يقف إلى جانبهم للمشاهدة والمعاينة بمحاولة جادة للمساهمة في المشاركة الفعلية، وكلما أقدموا على ذلك منعه شبان الانتفاضة لخوفهم الشديد عليه لصغر سنه، وأصبحت هوايته رشق السيارات الصهيونية بالحجارة فالفرصة أصبحت قوية ما يكفي لحمل ثمارها الأولى، وبدأت بالعطاء فتمت لدى المجاهد ربيع موهبة مبكرة منذ سن العاشرة، وهي التصوير الفوتوغرافي متأثرًا بأخيه الأكبر محمد من أمه الذي ملك كاميرا وبدأ يبيع الصور في المدرسة بداية وكان يرافقه المجاهد ربيع ويتعلم منه، وسرعان ما توسع العمل وأضافوا إلى الكاميرا كاميرات أخرى، وبدأوا بتأجير الكاميرات وبيع الأفلام وتصوير المناسبات، ثم عمق معرفته من خلال عمله في استوديو بجنين فترة من الزمن، وفتح استوديو تصوير وهو في سن صغير بإمكانيات بسيطة ومتواضعة، وبدأ يراكم ويطور في مشروعه، والمجاهد ربيع يساعده ويرافقه ويتعلم منه فكان الاستوديو الوحيد في قباطية في ذلك الوقت مما أسهم في حياة ربيع الاجتماعية حيث تمكن من التعرف على معظم أهل قباطية والقرى المجاورة بحكم ترددهم على الاستوديو كزبائن،

الأسير القائد/ ربيع أبو الرب في مرحلة الشباب

وبدأ بالاطلاع على نشطاء وشخصيات وطنية ممن كانوا يستأجرون الكاميرات لتوثيق الأعمال الوطنية

وطباعة صور الشهداء وتوزيعها وطباعة المناشير والنشرات الثقافية التي كانت توزع وبشكل سرى جدًا، أو قدوم أسرى محررين من أجل الحصول على صور شخصية لاستخراج هوية جديدة، وذلك ساهم في انضمام الإخوة محمد وربيع إلى صفوف حركة فتح، وكان ربيع من أصغر الأشبال الذين تم تنظيمهم إلى أشبال الشهيد أبو جهاد، وشارك في نشاطات الانتفاضة من توزيع البيانات وكتابة الشعارات على الجدران والمارشات العسكرية والتصعيد ضد قوات الاحتلال والمشاركة في المظاهرات إلى جانب العمل في صفوف الشبيبة الفتحاوية في المدرسة، ليبرز المجاهد ربيع في صناعة (المقلاع) السلاح الشهير في الانتفاضة من أجل قذف الحجارة بها ليصل إلى أوسع مدى ممكن، كما تولى في صغره مهمة تخبئة اللثام والألبسة الموحدة ومكبر الصوت "السماعة"، كما حولت مجموعة الأشبال هذه الطريق التي تسير به الدوريات الصهيونية إلى جحيم عبر رشقهم للدوريات الصهيونية بالحجارة بكرةً وعشيًا، دون كلل أو ملل، بل أصبح هذا عملهم ونشاطهم وهوايتهم وطعامهم وشرابهم وهواءهم بما يجدون به من متعة كبيرة، مما أهله إلى أن يقدم المساعدات الخفيفة لمجموعات الفهد الأسود في قباطية التي أسستها حركة فتح في الانتفاضة الأولى، والتي كان معظم قيادتها وكوادرها يلجؤون إلى قباطية لقوة حصانتها وسمعة أبنائها الوطنيين، وتمكن المجاهد ربيع من حضور معظم جلسات فتح الحركية التي كانت تعقد سريًا في جبال ووديان قباطية وتتحدث عن المبادئ الأحد عشر لحركة فتح، وكان في قمة سعادته عندما كان يطلب أحد أفراد الفهد الأسود أن يسمح له بحمل السلاح لفترة بسيطة ليبدأ يفكر كيف يحصل على قطعة سلاح في المستقبل، كل ذلك جعله متمسكًا بعمله في استوديو التصوير، فمكّنه ذلك من التعرف على أفكار واجتهادات مختلفة في المشروع الوطني.

الانتماء إلى حركة الجهاد الإسلامي

ما بين عامي 1990-1991م تعرف المجاهد ربيع على المجاهد ثابت سباعنة الذي كان أحد زبائن الأستوديو الذي كان يتردد عليه، وعلم المجاهد ربيع أن المجاهد ثابت ينتمي إلى حركة الجهاد الإسلامي، وكل معلوماته عن هذه الحركة هو أن شبل شهيد من أبناء قباطية كان قد طبع له المجاهد ربيع صورة حيث استشهد في العام 1990م واسمه حسام نزال وشارك حينها في الاشتباكات التي وقعت بعد استشهاده، وتبنته حركة الجهاد الإسلامي، ولم يكن معروفًا بانتمائه لهذه الحركة، وفي نفس الفترة تم اعتقال مجموعة من قباطية تنتمي إلى هذا التنظيم دارت حولها الكثير من الشائعات على أنها مجموعة فدائية سرية، وأن هذا التنظيم سرى جدًا ويعمل على تنفيذ عمليات عسكرية ضد جنود المحتل، وتضخمت هذه المجموعة بسبب حالة الغموض التي أحاطت بالتنظيم وعدم انتشاره الواسع حينها، تحرك حب الفضول لدى المجاهد ربيع للتعرف على هذا التنظيم أكثر فأكثر، وفي أحد الأيام في تلك الفترة دخل إلى الأستوديو شخص

آخر بصحبة المجاهد ثابت، وعرف عن نفسه باسم حافظ سباعنة المعروف بحافظ أبو معلا، وبأنه كان أسيرًا وأُفرج عنه منذ أيام معدودة وأنه صديق لثابت وأن ثابت أخبره عن ربيع كلام طيب، وطلب منه كاميرا وعليه أن يعلمه كيفية استخدامها فلديه مناسبة عائلية سعيدة، فلبّى المجاهد ربيع طلبه وذهب معه إلى البيت ليصور بدلًا من المجاهد حافظ الذي لم يتقن حينها التصوير، وكشف المجاهد ثابت عن نفسه أمام المجاهد ربيع بأنه ينتمي لحركة الجهاد الإسلامي وأنه قد اعتقل لدى الشاباك الصهيوني سابقًا، وبدأ المجاهد ربيع بالسؤال عن حركة الجهاد والفروق بينها وبين حركة فتح وأخذ يستمع إلى حلقات حركة الجهاد الإسلامي وتلقى علوم القرآن الكريم وآدابه في مسجد قباطية القديم بالإضافة إلى حصوله على نشرات ثقافية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، هذا عدا عن قراءته للكراسات الأمنية حول العصافير والاعتقال، وكل ذلك جعل المجاهد ربيع أكثر إصرارًا على البحث عن سلاح رغم ندرته، وبدأ يفتّش في الجبال والمغارات والكهوف اعتقادًا منه أن المقاتلين القدامى كانوا قد خبأوا سلاحهم هناك، وأحيانًا كثيرة كان يسألهم إن كان لديهم سلاح إلى أن حصل على مراده وهو سلاح الخرطوش وكان إلى جانبه صديقه عصام الحبش الذي تمكن من العثور على مسدس ألماني قديم، وبدأ حينها المجاهد ربيع بالاستعداد لبدء العمل العسكري، فعرض فكرته على المجاهدين ثابت وحافظ فأخبره المجاهد ثابت أن هناك إخوة من عشاق الشهادة التابعة للجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي يودون التعرف على المجاهد ربيع، وكان من المفروض أن يتم مقابلة الشهيد القائد نعمان طحاينة إلّا أنه قد حدث أمر ما أدى لخروجه خارج السيلة الحارثية ليحل مكانه مجاهد آخر واسمه أبو السعيد الذي قابل المجاهد ربيع،

وتم عقد عدة لقاءات أخرى مع مجاهدي السيلة الحارثية وقد اجتمع حينها بالمجاهد نعمان طحاينة دون أن يعلم أنه نعمان، وكان حينها يوجد خلل في المسدس فاقترحوا أن يبقى المسدس لدى الإخوة في السيلة الحارثية من أجل إصلاحه، واتفقوا على البدء بالعمل العسكري، وإنه سيتم تزويد المجاهد ربيع ومن معه بقطع سلاح أخرى إن أمكن ذلك إلا أن المجاهد نعمان قد تم اعتقاله وتأخر المجاهدون بإعادة المسدس إلى المجاهد ربيع، وبعد نحو شهر أو شهرين اتجه المجاهدان ثابت وعصام إلى السيلة الحارثية لاستلام المسدس، وبعد عدة أيام تم اعتقال أبو السعيد وعدد من أبناء الجهاد

الإسلامي ليأتي اعتراف على المجاهدان ثابت وعصام، وتم اعتقالهما في نفس الفترة، وكان الشاباك قد قام بحملة اعتقالات في بلدة قباطية على إثر إلقاء الزجاجات الحارقة، وكان من بين هؤلاء المعتقلين ثلاثة أشبال كان بينهم مع المجاهد ربيع نشاطات مشتركة، واستمر المجاهد ربيع في نشاطاته الجماهيرية والتنظيمية واستطاع الحصول على السلاح بمساعدة صديقهم المجاهد صالح أبو زيد وهو عبارة عن رشاش من نوع 500، وكان قد تم تفكيكه من دبابة صهيونية محترقة من مخلفات حرب العام 1967م، وكان هذا الرشاش غير صالح على الإطلاق للعمل فما كان من المجاهد الشهيد حافظ أبو معلا إلا أن عرف المجاهد ربيع على شخصية سرية في الجناح العسكري في الجهاد وممن ينتمون إلى عشاق الشهادة، وهو المجاهد الشهيد صالح كميل (أبو النصر) من أجل أن يقدم المساعدة في مسألة السلاح إلّا أن الأمور لم تأتِ كما تمّنى المجاهد ربيع، وفي بداية العام 1995م تم اعتقال المجاهد صالح أبو زيد، وكان في ذلك اليوم يحرص المجاهد ربيع على عدم المبيت في البيت تحسبًا لأي طارئ وخوفًا من مداهمة الشاباك لبيته من أجل اعتقاله، كما هو حال بعض المطاردين فإن عائلاتهم تشتاق لهم.

تجربة الاعتقال الأولى

اضطر والد ربيع أن يبيت نجله تلك الليلة في البيت بتاريخ 22/ 01/ 1995م، وهو نفس اليوم الذي وقعت فيه عملية بيت ليد الشهيرة حيث تم محاصرة المنزل واعتقال المجاهد ربيع، وتم اقتياده إلى مركز تحقيق مدينة جنين لمدة شهرين، وكانت هذه هي التجربة الأولى له في التحقيق، وكانت هذه الفترة قاسية جدًا حيث كان استقباله في أول يومين عبر وضعه فيما يسمى بالخزانة، وهي عبارة عن زنزانة عرضها أقل من متر وطولها قرابة متر ونصف حيث في اليوم الأول كان مقيدًا إلى الخلف ومكث على هذه الحالة من ساعات الصباح الباكر حتى وقت وجبة الغداء، وفي اليوم الثالث قابل ضابط الشاباك واسمه (سيكي)، وقام بأداء المشهد الأول حاملًا قنينة بلاستيكية فيها قدر كاسة من الماء أو أكثر قليلًا فقال له: "يوجد طريقتان لإخراج الماء يا ربيع من القنينة الأولى أن تفتح القنينة ويخرج الماء وهذا أمر سهل جدًا، الأمر الثاني _وأخذ يستعرض عضلاته وقوته ويقوم بعصر هذه القنينة إلى أن خرج منها الماء_ وقال له: بأن هذه الطريقة صعبة والتي ستكون بها يا ربيع تعبًا منهكًا كما حدث مع هذه القنينة، فبالطريقتين يا ربيع سوف تقص القصة كما خرج الماء"، ثم بدأ المحقق بالصراخ ويقول لربيع: "قُصّ القصة لدينا كل شيء عنك خلص حالك"، ومع حلول المساء تم وضعه في زنزانة صغيرة فيها جردل من الماء الكبير لقضاء الحاجة، والرائحة كانت كريهة جدًا فجاءه سجان عربي وأعطاه وجبة العشاء وقد أشفق عليه لصغر سنه وضعف جسمه، وقال له: أزمة وبتعدي لسانك حصانك إن صنته صانك"، وذهب السجان وبعدها بقليل تم إدخال الزنزانة شاب آخر كثير الكلام والأسئلة، فأدرك حينها المجاهد ربيع أنه جاسوس يعمل لصالح الشاباك (عصفور) في مصطلحات

الأسرى، وبعد تناول طعام الإفطار تم اقتياده إلى الأماكن المخصصة للشبح، وكان الجاسوس قد خرج قبل ذلك ليخبر ضابط الشاباك ما حصل معه،

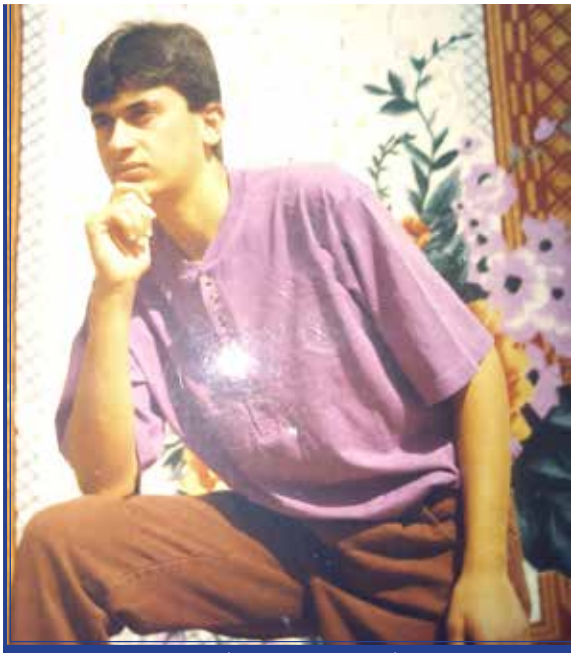

الأسير المجاهد/ ربيع أبو الرب
في سجن "النقب" الصهيوني (1995م)

أما الشبح فالكلام ليس كالتجربة فقد كان يتم اقتياد المجاهد ربيع مقيدًا إلى الخلف ويوضع على رأسه كيس رائحته نتنة وأحيانًا نظارة تشبه نظارات الغوص قد عتمت عيونها، ويتم ربط الأسير في كرسي صغير مثبت في الأرض وقدماه الأماميتان أقصر من الخلفيتين ليصبح مائلًا إلى الأمام وفوق الرأس سماعة تبث أنغامًا وأصواتًا مزعجة بصوت مرتفع، ورجال الشاباك يقومون بجولات بين الحين والآخر يرافقها الصراخ والضرب والشتائم، وهذا كان متواصلًا طوال ساعات النهار والليل، وعلى مدار أيام الأسبوع التي كان يقدر الوقت فيها على وجبات الطعام في الغالب إذا كانت أصلًا في أوقاتها حيث كان يتم فك الأسير ليتناول وجبة الطعام في زنزانته، وفي نفس الوقت لقضاء الحاجة خلال ربع ساعة، وفي أحسن الأحوال تصل المدة نصف ساعة، ثم العودة إلى الشبح مرة أخرى وقد يستمر على هذه الحال بضعة أيام حتى يسمح للأسير بالنوم قليلًا، وكانت جولات التحقيق مع ضابط الشاباك استراحة من الشبح رغم أن جولات التحقيق كان فيها الصراخ والشتائم والحرب النفسية والضغط الجسدي مثل الضغط على الكتفين للخلف والأسير مقيد بالكرسي أو ما يعرف بجلسة (الأرنب)، أما الهز فكان قد منع استخدامه إلا في حالات خاصة قد استخدم معه مرة أو مرتين فقط، وبعد قرابة العشرين يومًا من التحقيق أبلغوا المجاهد ربيع أنه قد أنهى التحقيق وأنه سيتم اقتياده إلى السجن، فأدرك حينها أنه ذاهب إلى غرف العار أي (العصافير) التي قرأ عنها في كراسة أمن الاعتقال، ومكث فيها قرابة عشرة أيام، وكانت الفكرة لدى المجاهد ربيع أنه لابد أن يمر في هذه المرحلة، لكنها ليست طويلة وهي بضعة أيام فقط، فقد تصل إلى أسبوع، أما في اليوم التاسع خاصة بعد إحضار رسالة مكبسلة له من الشيخ حمزة أبو الرب (أبو إسلام) وحلمي نزال اللذين سمع عنهما، ويُعتبروا من المجموعة التي تم اعتقالها مطلع التسعين من القرن الماضي، وتم ذكرها سابقًا والتي حولها حديث أهالي بلدة قباطية، عندها وافق المجاهد ربيع أن يُعطي روايته لممثل التنظيم أو بمعنى أدق للعصفور (الجاسوس) الذي تقمص هذه الشخصية،

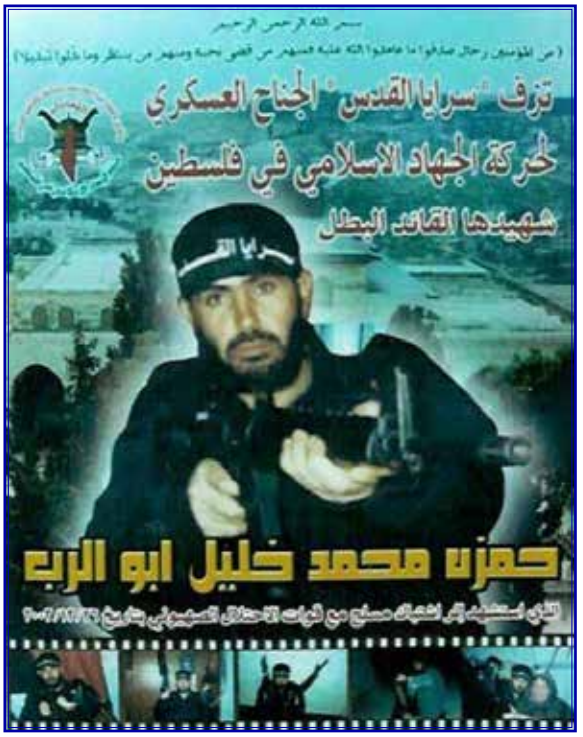

ولكنه استطاع أن يتجاهل الكثير خاصة تلك النشاطات المتعلقة بتنظيم حركة فتح لاعتبار ذلك غير مهم بالنسبة للجهاد الإسلامي وتجاهل الأسماء، واكتفى بذكر الذين اعتقلوا على اعتبار أنهم يعرفونهم، وأنه سيعرفون منهم أي تفاصيل يريدونها، كما أنه لم يكن مرتاحًا تمامًا، فما يزال لديه بعض الشك والريبة، وبعد يوم من الكتابة تم إخباره بالنقل إلى قسم آخر عند المجاهد أبو إسلام، وعندها خرج واقتاده السجانون مغمض العينين، فوجد نفسه في التحقيق من جديد حيث اقتياده إلى الشبح لكن هذه المرة في باحة صغيرة أمام جماعات رجال الشاباك، وتم تقييده إلى أنبوب ماء (ماسورة) مثبّتة على الجدار وكانت ذراعه مقيدة إلى الخلف ومشدودة قليلًا إلى الأعلى باتجاه الأنبوب الأمر الذي تسبب بألم كبير وخذلان في الذراعين والظهر والكتفين والرقبة، أضف إلى ذلك كلما دخل أو خرج أحد من الحمامات أدلى بدلوه إمّا بصفعه أو الصراخ عليه أو شتمه أو حركة (مقرفة) وضيعة، وكان الجو باردًا جدًا، ولا يوجد على جسمه سوى لباس السجن عبارة عن البنطال والقميص فهذا هو المسموح فقط، وكان الشبّاك طويلًا قليل العرض مفتوحًا والمطر يتساقط عليه والهواء يضرب جسمه، وفي وقت متأخر من الليل تم اقتياده لتناول وجبة الطعام فاستقبله السجان العربي سابق الذكر، وكان يرتجف من الألم والبرد وأسنانه تصطك وحاول أن يحمل الطعام ولم يستطع فشفق عليه السجان وحمل عنه الطعام، فسأله قائلًا: "شكلك عامل شغلة كبيرة وليس أحد يأتي إلى هنا أو يحصل له هذا من قبل"، فواساه بقوله "ولا يهمك هانت"، وأدخله إلى الزنزانة فإذا بالمجاهد صالح أبو زيد يحتضنه باكيًا ويقول له سامحني أوقعوني واعترفت ولم يستطيع الكلام، وكان ما يزال يرتجف وأخذ المجاهد صالح يضع عليه البطاطين (الحرامات) ويغمره ويحضنه إلى أن شعر بشيء من الدفء، وحينها استطاع الكلام، وقبل أن يكمل الكلام تم اصطحابه مرة أخرى إلى مكتب التحقيق فإذا بالمحقق يعرض عليه برتقاله ولها قصة، فرفض وقام بلفت انتباهه بأن البرتقالة من الناحية العلوية يوجد بها آثار السكين، فقام بفتحها وكانت مفتوحة من أعلى ومفرغًا ما بداخلها، ثم تم إغلاقها بعد وضع أوراق داخل كيس بداخلها، فأخرج المحقق هذه الأوراق قائلًا: "هذا خط يدك وأنت اخترت الطريق الصعبة فأنت كافر؛ لأنك تكفر بالصامد والصامد هو الله،

وليس أنت ولا يجوز لبشر أن يشرك بالله في اسمه والآن دعنا ننهي هذه القصة"، وبعد انتهاء التحقيق الذي دام شهرين انتقل المجاهد ربيع إلى سجن جنين المركزي حيث وجد بانتظاره إخوانه وقادته نعمان طحاينة وأبو اسلام وحلمي نزال وعدد من الإخوة الذين تعرف عليهم في السجن مثل إياد الحردان وعبد الرازق دراغمة ومحمود الصرصور وثابت المرداوي وغيرهم، ومجموعة من شباب قباطية واستقبل بحفاوة، وفي شهر مايو (أيار) جاء الخبر الفاجع باستشهاد القادة الأبطال حافظ أبو معلا وصالح كميل أبو النصر خلال إعداد عبوة ناسفة في موقع عسكري في معسكر صهيوني أخلته القوات الصهيونية منذ عدة أشهر، وهو يقع بين قريتي مسلية والزبابدة، فرأى الأثر الكبير على وجوه عدد من المجاهدين وليس على وجهه فقط وخاصة على وجه الشهيدين القائدين حمزة أبو الرب (أبو إسلام) ونعمان طحاينة، وعندها باح له الشهيد القائد أبو إسلام عندما أخبره بمقابلته مع الشهيد أبو النصر، فأكد له أنه رفيق دربه وأنه قائد في الجناح العسكري، وهو حذر جدًا وصلب، وأخبره أن الشهيد أبو النصر كانت تربطه علاقة تنظيمية وشخصية قوية مع الشهيد القائد عصام براهمة _ رحمه الله_ ولقد رحل الشهيد أبو النصر تاركًا ورائه خمسة أطفال وزوجة، أما الشهيد المجاهد حافظ أبو معلا فكان أعزب.

في منتصف العام 1995م تم نقل المجاهد ربيع إلى سجن نابلس بسبب إغلاق معظم أقسام سجن جنين، وبعد ذلك بشهرين تم الحكم عليه بالسجن الفعلي لمدة 4 سنوات بالإضافة لخمس سنوات مع وقف التنفيذ حتى تم نقله إلى سجن جنيد في مدينة نابلس وإغلاق سجن جنين المركزي،

الأسير المجاهد/ ربيع أبو الرب
في سجن "النقب" الصهيوني (1995م

ثم إلى سجون الداخل المحتل، وهذه التنقلات والإغلاقات كانت موجودة في دفعة الإفراجات عن مجموعة الأسرى التي أعقبت اتفاقية أوسلو في العام 1993م، واستعداد القوات الصهيونية لإعادة الانتشار وتسليم المدن الرئيسية للسيطرة الأمنية الفلسطينية، فكانت هذه المرحلة مهمة تعرّف من خلالها المجاهد ربيع على مناضلين ومجاهدين من

كافة الجغرافية الفلسطينية، كما التقى بمجاهدي حزب الله ومناضلين عرب من الذين كانوا في سجون الاحتلال، ويصف ربيع هذه التجربة قائلًا: "لقد التقيت وتتلمذت على أيدي مجاهدين أفاضل تركوا أثرًا عميقًا في داخلي سواء كان ذلك في توعية ثقافتي أو على شخصيتي، وفي هذا السياق أذكر فضل الشيخ الفاضل والقائد حمزة أبو الرب (أبو إسلام) الذي تربطني به صلة قرابة وصلة المريد لشيخه وصلة الصداقة، بل لا أبالغ لو قلت إنه كان أبًا لي، وكذلك الشيخ القائد والمثقف الرائد الشهيد نعمان طحاينة (أبو الحسين)، ولي الشرف أن تتلمذت على أيديهم كما كان فضل كبير على أخي الكبير وشيخي الإنسان العظيم الشيخ المفكر عبد الناصر جاموس (أبو شريف)، ولا أنسى شيخي الفقيه محمد عصيدة (أبو ضياء)، كما أني في هذه التجربة تعرفت على ثلة مجاهدة مؤمنة تقاسمنا الألم والفرح والهم والأمل، ثم ما لبثت أن فارقتنا الحياة ومشاغلها حتى جمعنا ثانية نداء الجهاد والواجب وخندق المقاومة من أمثال المجاهدين: محمود الصرصور وإياد الحردان وإياد صوالحة ونعمان طحاينة وأيمن دراغمة وحمزة أبو الرب ومعتصم حماد وأسعد دقة ومحمد ياسين والقائمة تطول وتطول، ولكن يمكن تلخيص هذه التجربة بعبارة قرآنية كنت أحبها وأكثر من ترددها وأستشعر معانيها وأشعر أنها تخاطبني ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39] هكذا خاطب الله سيدنا موسى ملخصًا كل ما مرّ به سيدنا موسى حتى هيأه الله لتلقي الرسالة".

قيادة العمل التنظيمي مع الشهيد نعمان طحاينة

امتد نشاط المجاهد ربيع أبو الرب ليشارك خلال تجربة اعتقاله الأولى بمختلف الأنشطة الثقافية والوطنية والتنظيمية في ساحة الأسر وصقل شخصيته، ونال شهادة الثانوية العامة محققًا أمنية والده الذي تألّم بخطف ولده عن مقاعد الدراسة عندما كان في الفصل الأول للثانوية العامة حيث كان يعده لتحقيق حلمه في إكمال الدراسة الجامعية، وشغل المجاهد ربيع عدة مواقع تنظيمية رغم صغر سنه خاصة في السنة والنصف الأخيرة في فترة اعتقاله، ومع اقتراب موعد تاريخ الإفراج عنه كان قد اقترب موعد الإفراج مع مجموعة من المجاهدين الذين صقلوا شخصيتهم لحمل همَّ فلسطين والإسلام، فأعدوا أنفسهم لإكمال الدرب وسراجه بعرقهم ودمائهم، منهم بالإضافة للمجاهد ربيع إياد الحردان وثابت مرداوي ومحمود الصرصور ومحمد ياسين وسليمان طحاينة وخالد زكانة وغيرهم من المجاهدين، ومنهم من سبق المجاهد ربيع إلى الحرية ببضعة أيام أو بضعة أشهر، ومنهم من تنسم الحرية بعده بقليل. قد أنعم الله على المجاهد ربيع شمس الحرية النسبية بتاريخ 28/ 11/ 1998م، فالحرية للأسير الفلسطيني هي حرية نسبية ومنقوصة، فهو يخرج من السجن إلى سجن آخر، ولكن بشروط أفضل بقليل طالما أن المحتل الصهيوني يدنس فلسطين ويعيث فيها فسادًا ويخنق حرية أهلها ويجردهم من حقوقهم ويكبت أنفاسهم وينهب أرضهم وثرواتهم.

خرج المجاهد ربيع من السجن ليجد أهله بانتظاره وأصحابه وأفئدتهم تقفز من مكانها شوقًا وحنينًا، فالتقت أجساد الأحبة بعناق طويل تودّ لو أنه لا ينفك عنه خشية أن يفرقهم المحتل المجرم ثانيةً، فلبث المجاهد ربيع بضعة أيام يستقبله أبناء شعبه ويهنئونه بعودته سالمًا من السجون، وكان متعجلًا لاستقبال آخر الزائرين لينطلق لتلبية حلم والده بالالتحاق بالجامعة لإكمال دراسته حيث قام بالتسجيل في الجامعة قبل الإفراج عنه كي لا يخسر السنة الدراسية، وكان ينوي الالتحاق بجامعة القدس المفتوحة التي تعتمد نظامًا دراسيًا مفتوحًا عن بعد يناسب الطلاب الذين لديهم وظائف ومشاغل، وكان اختيار ربيع لهذه الجامعة كي يتمكن من الدراسة والعمل معًا، لكن ما أن سمع الشيخ نعمان طحاينة بتلك الرغبة حتى سارع إلى والد ربيع، وأخذ منه الأوراق اللازمة وقام بتسجيله في جامعة النجاح الوطنية في مدينة نابلس، واتصل بوالد المجاهد ربيع وقال له: "أخبر ولدك ربيع أنني قد سجلته في جامعة النجاح الوطنية ونحن في انتظاره"، فأجاب والد ربيع مستغربًا: "لكن ربيع قد أخبرني أنه يريد الالتحاق بالقدس المفتوحة"، وردّ حينها المجاهد نعمان: "بأن جامعة النجاح هي أقوى وأفضل ولا تقلق فقط عليه بإخبار ربيع بهذا الأمر"، وقد بعث حينها المجاهد نعمان إلى المجاهد ربيع برسالة مفادها: "سجلناك في جامعة النجاح، والمصلحة التنظيمية تريدك هناك"، وكان حينها المجاهد نعمان قد خرج من السجن في أواخر العام 1996م، والتحق بجامعة النجاح الوطنية في قسم الصحافة والإعلام، وفعلًا بعد أيام من الإفراج عن المجاهد ربيع التحق بجامعة النجاح، وبدأ مرحلة جديدة في حياته، والمجاهد ربيع منذ اليوم الأول يضع أولوية إنهاء الدراسة الجامعية، لكن هذا القرار من الصعب الالتزام به طالما أن الإنسان يحمل همّ أمة ويلتزم بقضية معقدة ومركبة كالقضية الفلسطينية، فهي قضية دينية ووطنية وإنسانية، في نفس الوقت التحق بدوام جامعة النجاح بعد أيام معدودة من خروجه من السجن ليجد ثلة من الإخوة والأصدقاء المجاهدين بانتظاره هناك، ومنهم الشيخ نعمان طحاينة ومعاذ عبيد ومحمود الصرصور وعماد براهمة وزيد بسيسي،

الأسير المجاهد/ ربيع أبو الرب
أثناء دراسته الجامعية في جامعة النجاح الوطنية

ولقد كان المجاهد نعمان قام بتسجيله في كلية التربية وعلم النفس ونصحه بعض الإخوة بأن يسكن في مدينة نابلس، وقد شرحوا له وضع الجماعة الإسلامية في الجامعة، وهي الجناح الطلابي للجهاد الإسلامي، وقال له حينها المجاهد نعمان: "تسجيلك في جامعة النجاح يا ربيع هو ضرورة تنظيمية، ونحن نريد أن نعزز وجودنا في جامعة النجاح بنخبة من الشباب المجاهد الذين عليهم نقل الجماعة الإسلامية إلى حالة أفضل، ولتوسيع حالة الجهاد الإسلامي الذي لم يدخل حينها عدة مناطق فلسطينية بعد"، لذلك جامعة النجاح هي موقع مهم للطلاب من كل مكان وهي تحظى بمكانة أكاديمية ووطنية كونها أكبر الجامعات الفلسطينية وتقع في عاصمة شمال الضفة مدينة نابلس، وبفعل هؤلاء الأبطال المجاهدين أصبح الطلاب والأساتذة يتعرفون على الجهاد الإسلامي بشكل أفضل، فمجاهدو الجماعة بدؤوا يظهرون طباعًا طيبة بسبب أخلاقهم وثقافتهم، وطلب منه المجاهد نعمان أن يكون مهيئًا لأخذ مكانه بين هذه النخبة الطلائعية من أبناء الحركة، وحينها أخبر المجاهد نعمان ومحمود الصرصور ومعاذ عبيد بأنه راغب في إكمال دراسته الجامعية وأن هذا الأمر لربما إلى حد ما قد يعيق دراسته في الجامعة ولاسيما أنه جديد في هذه الجامعة، فطلب من المجاهد نعمان أن يأخذ طلبه هذا في عين الاعتبار وأنه سيقوم بواجبه في إطار المستطاع، وقال حينها المجاهد نعمان: "نناقش هذا الأمر لاحقًا يا ربيع"، وفي اليوم الثالث لدوامه في الجامعة كان ضابط الشاباك الصهيوني يعترض طريقه على حاجز أقامه في مدخل المعسكر بين قباطية والزبابدة، وتم إيقاف الحافلة وصعد جندي إلى الحافلة ونادى باسمه، وكان لضابط الشاباك معلومة من جواسيسه أنه من ضمن الركاب فنزل من الحافلة، وبعد محادثة قصيرة أعطاه ضابط الشاباك طلب استدعاء لمقابلة في معسكر دوتان القريب من بلدة عرابة، وخلال أسبوع بعد ذلك انهالت طلبات المقابلات لدى الأجهزة الأمنية الفلسطينية، فأدرك أن الطريق خطر ويجب عليه السكن في مدينة نابلس، واتفق مع شاب من بلدته يدرس في نفس الجامعة أن يسكن في السكن الذي يستأجره في نابلس وأحضر أغراضه، وقبل أن يرتبها جاء أحد الإخوة في الجماعة الإسلامية ومعه سيارة فسأل أين أغراض المجاهد ربيع، فأجابه ها هي فأخذ بتحميلها، قائلًا: "هناك أوامر من المجاهد نعمان بأخذ أغراضك إلى المكان الذي تسكن فيه في مدينة نابلس"، فوجد نفسه عند المجاهد نعمان من جديد بنفس السكن بمنطقة المخفية، ولم تمر سوى فترة قصيرة حتى تم اعتقال المجاهد نعمان على أيدي أجهزة الأمن الفلسطينية، وخلال هذه الفترة بدأ يتفحص الواقع بعد الخروج من السجن، ورأى تيار التطبيع الجارف مع المجتمع الصهيوني وتراجع الوعي والثقافة الوطنية لدى الشباب والخطر المحدق بالجيل الناشئ وحالة الضياع للمشروع والهوية الوطنية، أما على الصعيد التنظيمي فحركة الجهاد الإسلامي كانت في حالة عزوف واسعة عن الفعالية والنشاط لدى كوادر وأعضاء الحركة إلا ثلة قليلة، والذين معظمهم قد تم اعتقالهم على أيدي

الأجهزة الأمنية الفلسطينية أو على أيدي الشاباك الصهيوني، فقد كانت حركة الجهاد تُعاني من الضربة التي تلقتها عام 1998م أي قبيل الإفراج عنه عقب عملية سوق "محني يهودا" في القدس المحتلة التي نفذها المجاهدان البطلان الشهيدان سليمان طحاينة ويوسف الزغير، وقد تركزت هذه الضربة وبشكل أساسي في منطقة جنين، وكان من ضمن المعتقلين المجاهدين إياد الحردان وثابت المرداوي وأنور حمران وخالد زكارنة وغيرهم، كما قامت السلطة الفلسطينية بإغلاق مؤسسات تربوية وصحافية واجتماعية وتمت مصادرة محتوياتها، وفي أواخر عام 1998م وبداية العام 1999م تم اعتقال مجموعة من مجاهدي الجماعة الإسلامية في جامعة النجاح مع اقتراب الانتخابات لمجلس الطلبة في الجامعة لتسهيل المهمة أمام نجاح كتلة الشبيبة الطلابية التابعة لحركة فتح، وأمام هذا المشهد كان نداء الواجب يستدعي أن يتحرك المجاهد ربيع لملء الفراغ، ففي هذه الظروف طلب منه الأخ محمود الصرصور وعماد دراغمة أن يتسلم إمارة الجماعة الإسلامية فرفض ذلك موصيًا بملاءمة محمود الصرصور أكثر منه؛ لأنه لم يكن قد تعرف بعد على خفايا العمل الطلابي في الجامعة، فأبدى استعداده أن يكون إلى جانب الإخوة في كل ما يطلبونه منه وهكذا جرت الأمور، ومع مجيء موعد تقديم مرشحي الجماعة الإسلامية للجامعة والمؤتمر العام وأثناء ذهابه للجامعة أخبره المجاهد محمود صرصور أنه مرشح عند الجماعة الإسلامية في الانتخابات والمطبوعات أصبحت جاهزة، وهكذا أصبح حينها المجاهد عضوًا في مجلس اتحاد الطلبة للعام 1999-2000م، ولهذا يتضح لنا مما سبق بأن نشاط المجاهد ربيع لم يقتصر على العمل الطلابي، بل أخذ على عاتقه ملء الفراغ في ساحات أخرى؛ فقد لاحظ التقصير وحالة الجزر وغياب الجهاد الإسلامي في قباطية، فعمل على توفير المواد المطلوبة والمطبوعات التي بدأت توزع في مدارس قباطية للبنين والبنات على حدٍ سواء مدركًا أهمية الاهتمام بالنشء، فقام بالاجتماع بمجموعة من أعضاء الجهاد الإسلامي في قباطية محرضًا لهم ليدفعهم لإعادة تنظيم أنفسهم ولو اقتصر ذلك على ثلاثة إلى خمسة مجاهدين يديرون بعض النشاطات البسيطة ويتابعون الوضع التنظيمي في قباطية، ولا يجوز أن يبقوا في هذا السبات، وفي هذه الأثناء حاول المجاهد ربيع إعادة الاعتبار لأهالي الشهداء الذين شعروا أنهم قد أصبحوا في عالم النسيان، ولم يعودوا على بال أحد من رفاق أعزائهم الذين قدموا دماءهم، وقام باصطحاب أمه وأبيه في زيارات عائلات بعض الشهداء باسم الجهاد الإسلامي، ولم يكن والدا ربيع على علم بأنهم يقومون بنشاطات اجتماعية، فبدأ ربيع يعمل على تنظيم أعضاء جدد للجهاد الإسلامي في مدينة نابلس بعد أن رأى مدينة بحجم ومكانة نابلس رغم وجود الجهاد الإسلامي فيها منذ النصف الثاني من عقد الثمانينيات من القرن العشرين إلا أن هذا الوجود نخبوي ومحدود، أي أن فيها كوادر فكرية وثقافية دون قواعد ويكاد يكون نشاط الجهاد الإسلامي فيها محدودًا جدًا ومعظم أحياء وقرى مخيمات المدينة وفئاتها الاجتماعية

تكاد لا تسمع بتنظيم اسمه الجهاد الإسلامي، وإذا سمعت به لا تعرف عنه شيئًا، وكان من الذين نظمهم ربيع في نابلس المجاهدان مهند أبو عيشة وإسماعيل أبو عيشة اللذان سيكونان لاحقًا من أفراد المجموعة الأولى لسرايا القدس في مدينة نابلس،

الأسير المجاهد/ مهند أبو عيشة
محكوم 30 عامًا، واعتقل بتاريخ 23/ 06/ 2004م

وفي مطلع العام 1999م أصبح المجاهد ربيع مطلوبًا للأجهزة الأمنية الصهيونية حيث قام أكثر من شخص من الذين يعملون في الأجهزة الأمنية الفلسطينية وتربطهم علاقة جيدة بالمجاهد ربيع بإخباره بأنهم قرأوا اسم ربيع في قوائم سلمت للأجهزة الأمنية من قبل الأجهزة الأمنية الصهيونية؛ تحوي هذه القوائم أسماء مجموعة من النشطاء الفلسطينيين والمطلوبين لاعتقالهم.

بدايات العمل العسكري

كانت قد دارت نقاشات بين مجموعة من المجاهدين داخل أسوار الأسر حول ضرورة الإعداد وإعادة بناء الجناح العسكري للجهاد الإسلامي، وكان البعض على قناعة أن انتفاضة فلسطينية جديدة قد آن أوان ميلادها، وهي في أي لحظة قد تندلع شرارتها، وأن شروط وجودها على الأرض قد توافرت خاصة أن السلطة الفلسطينية قد خف بريقها، وقد بدأ الناس بالتذمر من بعض الممارسات السلبية وتحنّ إلى أيام الانتفاضة الأولى قبل مجيء السلطة من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن مشروع التسوية حسب ما رسم في أوسلو قد حان وقت مواجهته للقضايا الكبرى في الصراع حيث نصت اتفاقية أوسلو على تأجيل القضايا الكبرى للحل النهائي أي القدس، اللاجئون، الحدود، شكل الكيان الفلسطيني إلى آخره، بحيث تبدأ المفاوضات حولها بعد تطبيق المرحلة الأولى على أن لا تتجاوز ثلاث أو خمس سنوات، والتوصل إلى اتفاق حولها بما لا يتجاوز خمس سنوات من تطبيق المرحلة الأولى، ومع اقتراب الموعد الأقصى لإبرام اتفاق دون البدء بأي مفاوضات تخص القضايا الكبرى، أمّا تسويف العدو الصهيوني فكان لكسب الوقت وتسارع الاستيطان وتهويد القدس، فكانت السلطة الفلسطينية وليدة مشروع التسوية ومن ينادون به قد وصلت إلى طريق مسدود واستنفذت المهمة التي كانت تطالب بها المكونات الوطنية في الساحة الفلسطينية، وهذا يعني فشل مسار التسوية وتأكيد صحة رؤية القوى المعارضة والمقاومة وافتراضاتها

ومن بينها الجهاد الإسلامي؛ لذلك يجب على مجاهدي الجهاد الإسلامي ومعهم جميع القوى المحلية والحية أن يكونوا جاهزين لهذه اللحظة التاريخية، ويشتد رأيهم بالعمل ويعيدون القضية الفلسطينية إلى مكانتها ويصوب الانحراف الخطير الذي لحق بها، وكان المجاهد ربيع من بين الذين شاركوا في مثل هذه النقاشات تارة في إطار نقاشات فكرية ثنائية أو جماعية، وتارة أخرى كانت ثنائية مع مقربين ثقات بغرض توطين النفس للعمل والتعود على ذلك وبشكل سري، كما سعى من خلال فترة الأسر بالتقرب للمجاهدين من الذين لديهم معرفة عسكرية خاصة في مجال تصنيع المواد المتفجرة وتعبئتها ومحاولة أخذ أفكار عامة وأحيانًا تفاصيل نظرية.

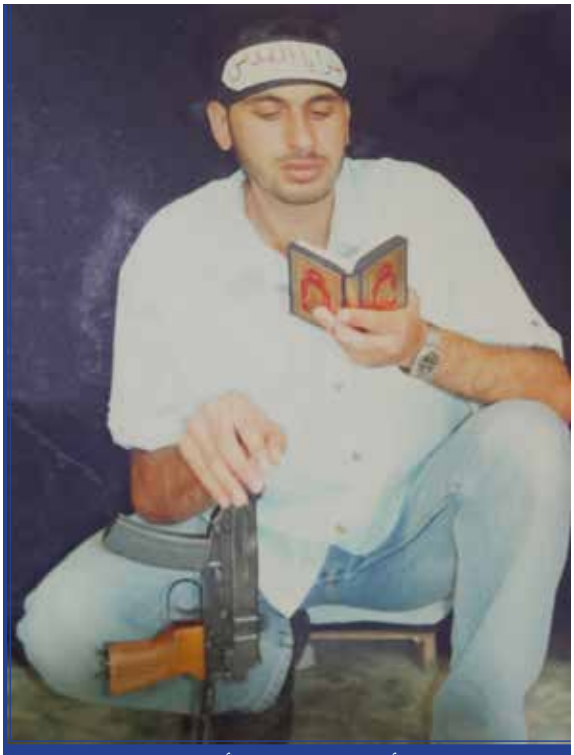

الأسير المجاهد/ ربيع أبو الرب
خلال مطاردته من قوات الاحتلال الصهيوني قبل اعتقاله

عقب خروج المجاهد ربيع من السجن سعى لامتلاك السلاح رغم ضيق الحال وحاول جمع المال من خلال ما يوفره من مصروفه الشخصي الذي كان يجنيه من عمله في مجال التصوير، واستطاع تجميع ثمن المسدس من نوع ستار طويل من عيار 9 ملم، وبالرغم من قرار المجاهد ربيع في هذه المرحلة بالتأني والسعي لإنهاء دراسته الجامعية إلّا أنه اعتقد أن هذا لا يمنع من الإعداد، وقد بدأ بإخطار عناصر مرشحين للانضمام إلى مجموعته وللعمل معه في حال اندلعت الانتفاضة ويقوم بتوعيتهم وتعبئتهم، وينقل لهم قناعته باقتراب أوان الانتفاضة والتي ستكون هذه المرة مسلحة وستراق فيها دماء كثيرة، وأنه يتوجب عليهم أن يكونوا مستعدين وأن عليهم أن يناقشوا مع أنفسهم الأسئلة المتعلقة بمدى استعدادهم للمشاركة ودفع الثمن لهذا الخيار، وعن نوع المشاركة التي يرغبون بها أو يقبلون بها، وقبل الإسهاب في مراحل الإعداد والبناء والانتقال للعمل لابد من التأكيد بأن أي ثورة في العالم هي بحاجة إلى مجموعة شروط يجب توافرها، أولها أرضية خصبة تسهم فيها مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية، وثانيها الشرارة التي تشعل شعلتها، وثالثها طليعة تبادر إلى الفعل والحركة وتكسر الصمت وتتغلب على الخوف وتعطي المثال والأمل وتعمل على توسيع وتعميم الفعل لتطال كافة الجغرافية والفئات الاجتماعية، أما رابعها فهو الاستمرار فيها كي لا تكون مجرد هبة مؤقته ويتم احتواؤها والسيطرة عليها، أما الخامسة فتوفر القيادة العسكرية والسياسية والجماهيرية التي

تقودها وتوجهها وتعطيها المعنى والمبرر والهدف وتستثمر الفعل والتضحيات وتواكب الإنجازات المرتبطة بالأهداف، وهذه الشروط مترابطة بها عضويًا، أما بالنسبة للشرط الأول فالعوامل الذاتية والموضوعية يطول شرحها ونقاشها وبحاجة إلى بحث مستقل، لكن يمكن الإشارة بإيجاز إلى أن ممارسات الاحتلال اليومية والإمعان في إذلال الشعب الفلسطيني ومصادرة أرضه وسقوط الوهم في نيل الحرية وإقامة الدولة بمسار التسوية السلمية وتزايد وتيرة التهويد في القدس والاعتداء على المقدسات، وتزايد المد اليميني في الشارع الصهيوني المنادي بأرض "إسرائيل" الكاملة بحدودها التوراتية المدعاة، والمعارض للتسوية ولإقامة كيان فلسطيني حتى لو كان أقل مما يطمح إليه ويقبله التيار الفلسطيني الأكثر تسامحًا وتهاونًا وتنازلًا في الشعب الفلسطيني، وتعطش الشارع الفلسطيني وحنين شبابه للثورة التي تشكل وعيه في خضم الانتفاضة الأولى بعدما رأى انسداد الأفق وفشل مسار التسوية وحالة الضياع والتيه الذي مر به المشروع الوطني الفلسطيني على المستويين السياسي والشعبي، كل هذا كان كافيًا لتوفير البيئة المناسبة والأرضية الخصبة لغرس بذور الثورة ليأتي لاحقًا انهزام المشروع الصهيوني وانكماشه في الجبهة الشمالية عندما فر جنود المحتل من الجنوب اللبناني تحت ضربات المقاومة الإسلامية اللبنانية، فشكل هذا الحدث الملهم ذريعة معنوية عالية الوتيرة ومثالًا للمحاكاة من قبل المقاومة الفلسطينية، وفي نفس الوقت كشف عورة العدو لخاصرته الضعيفة المتمثلة بضعف قدرة التحمل أمام استنزاف المقاومة وحساسية العدو للخسائر البشرية بسبب محدودية الموارد البشرية لديه وحرصه على الحياة، فهو شخصيته دائمًا مفتوحة للتوسع والاحتلال والاستيطان، لكنه يريد احتلالًا وتوسعًا غير مكلف أو محدود التكلفة، وفي الوقت الذي تصبح التكلفة أكبر من قدرة احتماله ينكمش ويرتد مخذولًا مذعورًا، أما الشرط الثاني المتمثل بالشرارة وكما هو معروف وباختصار كانت عقدة تفجر كامب ديفيد وفشلها وخاصة بسبب الموقف الصهيوني من إمامة ومصير القدس الشرقية، ثم بعد ذلك لما كان لدخول شارون المسجد الأقصى من رمزية مرتبطة بالموقف الصهيوني بكامب ديفيد، أما الشرط الثالث وهو الذي يجمعنا في هذا السياق فهو طبيعة الفعل الثوري الذي تبادر إلى الفعل وتسرج إلى سراج الثورة ومهدَّ دربها، صحيحة الفكرة السائدة بين الباحثين التي تقول "لا تكاد تنشغل دولة في العصر الحديث بموضوع الحرب والأمن بمفهومه العدواني المتطرف مثلما تنشغل بها "إسرائيل" فما تكاد أن تخرج من حرب حتى تستعد لجولة حرب أخرى، وهذا بسبب طبيعتها وجوهرها بوصفها مجتمعًا استيطانيًا احتلاليًا توسعيًا متسلحًا بمزيج من الأيديولوجيا الدينية التلمودية الدموية العنصرية والأيديولوجيا القومية بصورتها المتطرفة الفاشية الاستعمارية، والأهم تصوّر "إسرائيل" لذاتها كدولة مستهدفة على الدوام ومحاطة بالأعداء وتكافح منذ وقبل ولادتها لسؤال شرعية الوجود والاستمرار، ولذلك الاستعداد

للحرب سمة ملازمة للعدو الصهيوني، وفي نفس المستوى من الصحة ينطبق الأمر على الشعب الفلسطيني الذي خاض أطول ثورة في التاريخ المعاصر، فالثورة صفة ملازمة وشاملة وكاملة للشعب الفلسطيني، فلا يكاد يخرج من جولة من جولات الثورة حتى يستعد وينتظر الثورة القادمة، وذلك بسبب طبيعة العدو الاحتلالي الاستئصالي المتطرف الذي يواجهه هو وسياسته المتطرفة من ناحية، ومن ناحية ثانية لطبيعة أرض فلسطين، فهي ليست مجرد وطن فهي عقيدة دينية ورمزية تاريخية وحضارة، هي آيات قرآنية تُتلى، وهي حالة أمة بأسرها وأحاديث نبوية مأثورة وسيرة وتاريخ عظماء الأمة العربية والإسلامية، هي بوابة الشرق وبوابة السماء وملتقى الأديان والحضارات، وفيها أحباء رسول الله _صل الله عليه وسلم_ وثلة مؤمنة باقية إلى قيام الساعة، والتي تقوم بواجب الجهاد وتنافح وتقاوم وتتصدى للغازين والطامعين وتحمي المقدسات، وهي الخندق الأول المتقدم للأمة وقت التصدي للغازي، وهي الخندق الأخير للعدو الغازي وقت جزره واندحاره، صحيح أننا في هذا الكتاب نتحدث عن مجاهدين أبطال تركوا بصمة في تاريخ المقاومة الفلسطينية وكانوا وما زالوا شموسًا تهدي السائرين في درب الثورة فقدموا نماذج حكاية ومحاكاة، إلّا أن هذا الأثر وهذا الجهد ما كان ليتم لولا توفر جيل يحمل هذه الثقافة وهذه الإرادة وهذا الوعي الكافي لخوض غمار الثورة، وطاقة كاملة تعطي الزخم والاستمرارية، فخلف كل عمل أو جهد يقف جيش من الجنود أكثرهم مجهولون، يبرز منهم مجموعة تمثل الطليعة وتخوض المعركة في الخندق المتقدم وتكون رأس الحربة كالنماذج التي تناولناها في عملنا هذا والسابق من جزء درب الصادقين، والذي يشكل مجرد إضاءة بسيطة عاجزة ومتواضعة أمام هذه الهامات العالية لنقول لهم جزاكم الله كل الخير عن الأمة الإسلامية جمعاء، وبورك جهدكم وبورك جهادكم يا أعز الناس وأغلى وأطيب الناس.

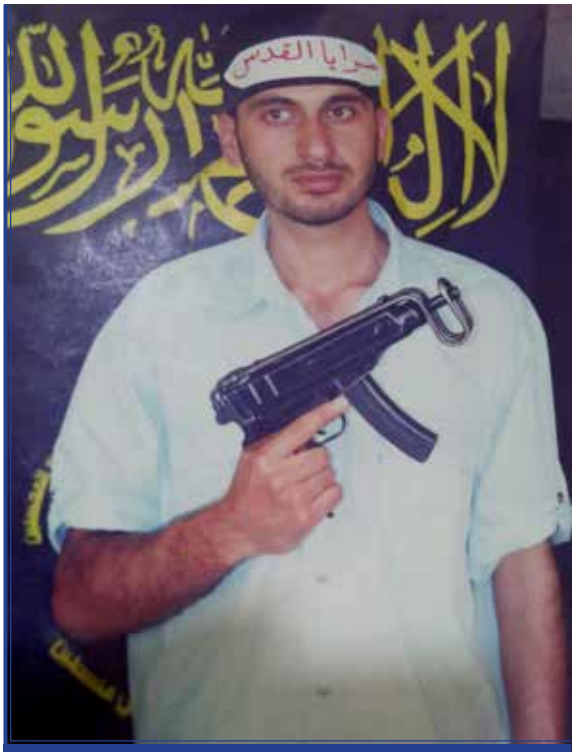

الأسير المجاهد/ ربيع أبو الرب
خلال مطاردته من قوات الاحتلال الصهيوني قبل اعتقاله

فكما أشرنا سابقًا أن ثقافة المقاومة قد ترسخت لدى جيل الانتفاضة الثانية قبل اشتعال شرارتها حيث إن طليعتها وروادها غالبيتهم من الذين نشأوا وتربوا ونضجوا في رحم الانتفاضة

الأولى، وولدت قصة حب مقدسة بين هذا الجيل وأرضة ومقدساته، قصة عشق سرمدية ما انفكت تكبر وتتجذر وتأخذ شكلًا أكثر وعيًا ونضجًا وتحديًا من هذه الطليعة والثورة، فهذا ليس غريبًا على طليعة شاركت في أنشطة الانتفاضة الأولى، وتدربت على استعمال كافة وسائلها وأسلحتها وخاضت ثورة الأسر فنضج وعيها وترسخ إيمانها وصقلت معاولها، فتلك الطليعة التي آمنت أن الله يدّخرها لمرحلة قادمة ويحفظها في بطن الحوت لتصنع على عين الله ورعايته.

لقد كان المجاهد ربيع من هذه الثلة المؤمنة المجاهدة ومن هذا الجيل، وسرعان ما أدرك بعد ورود اسمه في قوائم المطلوبين لاعتقالهم وتكرار طلبات الاستدعاء لدى الأجهزة الأمنية الفلسطينية وتكرار السؤال عنه من قبل ضباط الشاباك على الحواجز الذين كانوا يستجوبون أقرباء المجاهد ربيع وزملاء الدراسة من الطلبة استجوابات سريعة عند الحواجز؛ إضافة إلى تكرار تسليم اسم ربيع للضباط والعناصر الميدانية لعناصر المخابرات العامة مرفقًا مع أمر اعتقال، وغالبًا ما كان يختلط عليهم الأمر واسم الأب رفيق على خلاف الاسم المعروف به بين الناس في بلدة قباطية وهو نادر، فكانوا يلجؤون إلى أخ ربيع الأكبر محمد الذي كان عنصرًا في جهاز المخابرات، ولكونه من قباطية ومن عائلة أبو الرب المسئول عن الاسم، الأمر الذي كان يتيح الفرصة للتضليل إلى حين إجراء الاتصالات مع أقرباء وأصدقاء مؤثرين يقومون بدور الوساطة والضغط لتجاهل قرار الاعتقال، الأمر الذي كان ينجح، وفي تلك الأثناء يتم تبليغ ربيع من قبل أخيه محمد أو أصدقائه أن يبقى في نابلس، وأن يغير مكان إقامته إلى حين معالجة الأمر؛ لذلك شعر المجاهد ربيع أن الشاباك الصهيوني يتحين فرصة لاعتقاله، وبذلك أصبح قرار إعطاء الأولوية لإنهاء الدراسة فيه نظر، وبدأت الكفة ترجح باتجاه الإعداد للعمل العسكري وهو في سباق مع الزمن، ولا مانع من توازي المسارات للدراسة والنشاط التنظيمي الطلابي، والنشاط التنظيمي في نابلس وقباطية وحتى العمل في مهنته التصوير، فبذلك يعين بشكل جزئي على متطلبات الدراسة والحياة، وفي بداية العام 1999م توجه مجاهد صديق إلى المجاهد ربيع وهمس في أذنه عليك يا ربيع أن تكون مستعدًا، وعلى عاتقنا تقع مهمة الإسهام في إعادة بناء الجهاز العسكري، وكان هذا الصديق هو حلقة الوصل ما بين المجاهدين في سجون السلطة وخاصة المجاهد أنور حمران الذي تم اغتياله أمام جامعة القدس المفتوحة في نابلس على يد الشباك الصهيوني، وكان هذا المجاهد من الذين تربوا على أيدي الشهيد القائد عصام براهمة، وقد استشهد القائد أنور قبل أن يرى حلمه يتحقق ببناء الجهاز العسكري وانتشاره وأن يصبح رجال سرايا القدس وعملهم ملء البصر والسمع، كما أن شهيدنا القائد البطل هو من الأبطال أصحاب الأدوار العظيمة، لكن قلة منهم من يعرفه أو سمع عنه ولو شاءت الإرادة الإلهية أن يتأخر قليلًا لكان من أهم قيادات الحركة في الضفة الغربية.

وبالعودة إلى ذلك الصديق الوسيط الذي كان حلقة الوصل بين الشهيد القائد أنور وهو

في سجون السلطة الفلسطينية والخارج فيروي ربيع قائلًا: "عندما همس في أذني سألته إذا ما كان بحاجة إلى شيء محدد في هذه المرحلة، فأجاب سأخبرك عندما يلزم ويحين الوقت، فما لبث إلّا وتم اعتقال هذا الصديق الذي لم يشهد انفجار الانتفاضة". وفي أواخر العام 1999م وبداية العام 2000م قابل المجاهد ربيع الشهيد القائد إياد الحردان أبرز قيادات سرايا القدس الذي عرفه في سنوات الاعتقال في سجون الاحتلال وتربطهما علاقة أخوة مميزة حيث إن المجاهد إياد فور خروجه من السجن في العام 1996م أخذ يتفحص البيئة في الضفة الغربية خاصة في منطقة جنين،

الشهيد القائد/ إياد حردان
استشهد اغتيالًا بتاريخ 05/ 04/ 2001م

وبدأ ينسج علاقاته التنظيمية وخطوطه ليتم اعتقاله في العام 1998م على أيدي عناصر من الأجهزة الأمنية الفلسطينية على خلفية عملية سوق "محني يهودا" في القدس عام 1998م وعلاقته بها، وقد استشهد القائد إياد الحردان في انفجار الهاتف العمومي الواقع أمام المقاطعة في جنين حيث اعتاد الاتصال منه أثناء خروجه من السجن بمرافقة أحد الحراس إلى جامعة القدس المفتوحة من أجل إجراءات التسجيل أو تقديم الامتحانات، والتي استغلها المجاهد إياد للقاء إخوانه المجاهدين ومن بينهم المجاهد ربيع، وقبل ذلك زار المجاهد ربيع القائد إياد في سجن جنيد قبل نقله إلى سجن جنين حيث كان من المفترض أن يزود القائد إياد المجاهد ربيع بالسلاح استعدادًا للبدء بالعمليات الجهادية خلال عام 1999م، وقام حينها المجاهد ربيع بتشغيل مجموعة من المجاهدين تحضيرًا للحظة انطلاق العمل الجهادي بحلته الجديدة ومرحلته الجديدة، منهم المجاهدان مهند وإسماعيل أبو عيشة من بيت وزن القريبة من مدينة نابلس، إضافة إلى المجاهد خالد الريان الذي يحمل الهوية الأردنية وصاحب الخلفية العسكرية في الجيش الأردني، وهو يسكن في مخيم بلاطة في نابلس إضافة إلى المجاهد صالح كميل، وهو من بلدة قباطية، وعاش تجربة العمل العسكري إبان الانتفاضة الأولى في إطار عضويته في مجموعات الفهد الأسود التابعة لحركة فتح، ثم تجربة الاعتقال وتم الإفراج عنه ضمن الأعداد من الأسرى الذين أفرج عنهم عقب اتفاقية أوسلو، وتم اعتقاله ثانية لدى السلطة الفلسطينية عقب قيامه بتصفية متعاونين مع الاحتلال، وقد كان يتردد المجاهد صالح على المجاهد ربيع في نابلس

ويقيم عنده سرًا ليتعرف على مجموعة من الجهاد الإسلامي على رأسهم الشهيد القائد نعمان طحاينة الذي أوصى المجاهد ربيع بالاهتمام بالمجاهد صالح لما له من أخلاق رفيعة وصلابة ونضج، وستتطرق إلى جوانب أخرى لهذه الشخصية الفريدة لاحقًا.

اندلاع الانتفاضة

مع فشل محادثات كامب ديفيد الثانية، وما أعقب ذلك من دخول شارون للحرم القدسي وخروج الجماهير لنقاط الاحتكاك مع العدو؛ أدرك الكثير من المجاهدين والمناضلين أن هذه الفرصة المناسبة وأن شرارة الانتفاضة قد اقتربت، وما عليهم إلا أن يصّعدوا من العمل الجهادي ويوسّعوا دائرته، ومع سقوط العشرات من الشهداء كانت الجماهير تطالب القوى الوطنية والإسلامية بالرد العسكري على جرائم المحتل لاستخفافه بالدم الفلسطيني والأرض والمقدسات، لكن المجاهد ربيع في هذه الفترة كان قد أتم استعداده إلّا عجزه عن توفير العناصر الأساسية وهو السلاح والمال، ولقد تأخر المجاهد إياد في إمداده بما وعد بسبب العوائق الميدانية، ولجأ حينها إلى فتح قناة تنظيمية مباشرة، وبدأ بتنفيذ بعض الاشتباكات وعمليات إطلاق نار على معسكرات قوات العدو بشكل منفرد، بدايةً من خلال تأمين سلاح يتم استعارته من أصدقاء له وإمكانيات ذاتية، وفي نفس الوقت استحضر ما تعلمه في السجن نظريًا عن التصنيع وبدأ بالبحث عن المواد الأولية، وفي هذه الفترة تعرف على صديق جديد له ليصبح أخًا وصديقًا ومقربًا ورفيق سلاح، وهو المناضل شكري يعيش الذي كان مصابًا في قدمه إصابة صعبة أثناء هبة النفق عام 1996م وخرج للعلاج في العراق، وأثناء فترة علاجه تعرف على شخص ما ونشأت علاقة صداقة وثقة بينهما، وكان هذا الشخص قد تدرب في معسكرات الثورة الفلسطينية وأخبره أن المادة التي يستخدمها في علاج ساقه هي مادة مهمة وأساسية لتصنيع المتفجرات، وطلب منه المناضل شكري تدريبه قبل عودته وفعلًا حصل ذلك، وقام حينها المجاهد شكري بإخبار المجاهد ربيع بأن باستطاعته التصنيع عندها شك المجاهد ربيع عن مصادر وطرق الحصول على هذه المادة التي يستخدمها في علاجه، وعن إمكانية الحصول على كميات إضافية من خلال التشخيص الطبي الذي بحوزته، وهكذا التقت طريق المجاهد ربيع بالمجاهد شكري حين بدآ يعملان معًا بالتصنيع في مدينة نابلس، وأصبح المجاهد شكري يستخدم كل ما يحصل عليه في التصنيع مهملًا ساقه، وعندما لامه المجاهد ربيع على ذلك أجابه شكري أنه يجب أن تسبقه رجله إلى الجنة، والجهاد في سبيل الله أولى من ساقه، وفي العام 2001م اضطر الطاقم الطبي لبتر ساق المجاهد شكري لما أصابها من تدهور يصعب علاجه بسبب البتر ولسبب عدم استخدام تلك المادة في العلاج وإهماله لساقه.

تشكيل أولى مجموعات سرايا القدس بنابلس

مع مرور الوقت أصبح المجاهد ربيع يراكم من خبرته في هذا المجال، فكان التواصل بين المجاهد ربيع والقائد إياد الحردان قد فتر،

ولأن المجاهد ربيع عقد الأمل بالقناة التنظيمية التي فتحها، ورغم الوعود والانتظار لم يحصل على شيء على الأرض، ولم يصل المجاهد ربيع ما طلب وما وعد به وشكا حينها المجاهد ربيع هذا الأمر إلى المجاهد نعمان طحاينة الذي كان قد خرج من سجون السلطة، وكان يسكن معه في الغرفة المجاهد زيد بسيسي، واقترح المجاهد نعمان على المجاهد ربيع العودة إلى المجاهد إياد وقال له إن أمور المجاهد إياد قد تحسنت فهذه الفترة كانت صعبة جدًا، كذلك وجود عدد من المجاهدين والمطاردين، وفي المقابل يوجد عدد قليل من السلاح لا يكفي لمنطقة واحدة حتى لمجموعة واحدة رغم أن أكثر الذين كانوا يرون اقتراب انفجار الانتفاضة الجديدة كانوا يدركون ضرورة الإعداد، وفعلًا أخذ برأي المجاهد نعمان الذي بعث بتوصية للمجاهد إياد أن يلتقيه بالقرب من مبنى القدس المفتوحة بجنين، وبعد أن شرح له الصعوبات وسأله أين وصلت الأمور؟ أخبره أنه قد أصبحت لديه بعض الخبرة في التصنيع وأن المجاهدين الذين يرتبطون به قد ملوا الانتظار، فوعده حينها بأنه سيعمل بأسرع وقت على توفير قطعتي سلاح ومبلغ من المال، وأنه سيوفر لهم طريقة لشرح تصنيع وتركيب المتفجرات، واتفقوا أن يسكن في مدينة نابلس لضرورة وجوده في هذه الساحة، وأن يبلّغ فيها النواة العسكرية الأولى والتي فعليًا كانت موجودة وهي بانتظار توفير الإمكانيات اللازمة للعمل، كما اتفقوا على استمرار القناة التنظيمية مع الخارج مفتوحة، وسيعمل بدوره المجاهد إياد على تذليل العقبات، وفي تلك الفترة كانت قد خرجت مجموعة من المجاهدين من سجون السلطة، وتم توزيع الإخوة على محافظات الضفة الغربية، والجدير ذكره أن هذه المجموعة من المجاهدين كانوا عمليًا المجموعة الأولى لسرايا القدس، فالمجموعات المؤسسة أخذت تزداد عددًا وتتفرع ويتسارع عملها حيث استقر المجاهدون إياد الحردان وثابت المرداوي ومحمد ياسين العانيني والحاج علي الصفوري في مدينة جنين،

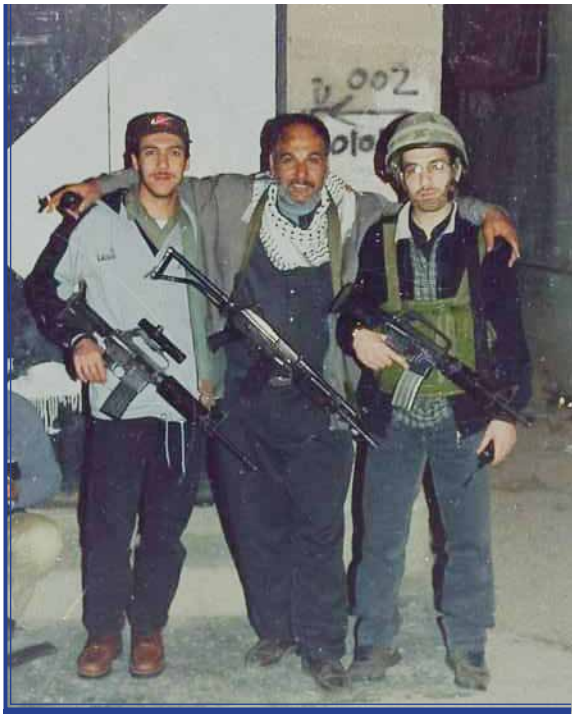

الأسير القائد/ علي السعدي (وسط)
برفقة الأسير القائد/ ثابت مرداوي والشهيد المجاهد/ محمد ياسين

أما المجاهد أسعد دقة فقد ذهب إلى طولكرم ليساعده مجموعة من المجاهدين في طولكرم، من بينهم أحمد فني وجاسر رداد وباسل عجاج، ولاحقًا المجاهدان معتصم حماد وأشرف البردويل بالإضافة إلى تردد المجاهد زيد بسيسي على طولكرم حسب الحاجة، وأما المجاهدان ربيع وزيد بسيسي في مدينة نابلس والمجاهد محمد بشارات في منطقة الأغوار

في محافظة طوباس مع وجود تعاون ولقاءات ومساعدات بين هذه المناطق، أي أن هذا التقسيم ليس نهائيًا حيث تم إضافة المجاهد وائل عساف في بلدة عرابة في مدينة جنين، وبينما بقي المجاهدان أنور حمران وخالد زكارنة في نابلس، لكن المجاهد أنور حمران قد تم اغتياله في 11/ 12/ 2000م مع بدايات العمل، أما المجاهد خالد زكانة فكانت حكايته قليلة سوى بعض التوجيهات حول مواد المتفجرات عبر وسيط في الغالب، ولاحقًا كان قد انتقل إلى مدينة جنين بناء على طلب المجاهدين فيها، أما المجاهد إياد صوالحة فكان يتنقل بين نابلس وطولكرم وجنين ودائرة احتكاكه محصورة ومحدودة؛ لأنه كان على علاقة بعدد قليل جدًا من المجاهدين الذين يعملون لهم علاقة بالجهاد الإسلامي حتى عام 2002م ولأنه كان شخصية سرية في بداية عمله ورغم دوره المهم.

الرد المباشر على اغتيال القائد إياد الحردان

استشهد القائد إياد الحردان بعد لقاء المجاهد ربيع به للمرة الأخيرة حيث كان في شهر مارس (آذار) من العام 2001م، وكان حتى ذلك الحين يعمل ضمن الإمكانيات المتوفرة وغالبًا ذاتية مع بعض الإمكانيات البسيطة التي وفرها المجاهد زيد بسيسي عبر طولكرم والتي اقتصرت على المسدس وثمن السلاح ورشاش من نوع (M16) والذي تولى شراءها بمساعدة صديقة المناضل خالد الريان، وكان يتغلب على قلة الإمكانيات من خلال الحصول على السلاح وقت الحاجة من أصدقاء في كتائب شهداء الأقصى وخاصة المجاهدين الأسرى ناصر عويص وياسر أبو بكر، وأيضًا من الجبهة الديمقراطية، وعندما استشهد القائد إياد الحردان كان قد أعد عملية لزرع عبوة ثم يقومون بإطلاق النار بالقرب من مستوطنة شافي شمرون القريبة من نابلس، وكان معه ثلاثة مجاهدين قد نصبوا كمينًا مرتين ولم يأتِ الهدف المطلوب، وفي المرة الثالثة تم تأجيل هذه العملية حتى وصول السلاح المطلوب الذي وعد به المجاهد إياد قبل استشهاده والذي كان من المفترض أن يتسلمه في نفس الأسبوع الذي استشهد فيه حيث جاءه اتصال هاتفي من أحد الإخوة في مدينة جنين ليسقط الخبر على المجاهد ربيع ثقيلًا وفاجعًا حيث كان قد أعد نفسه للذهاب إلى مدينة جنين لرؤية أهله ومقابلة القائد إياد، وكان على وشك الخروج من مدينة نابلس، فعاد أدراجه إلى المجاهد نعمان طحاينة الذي وصله الخبر، وكان قد بدا عليه الحزن الشديد والصدمة كالطامة الكبرى، وسأله عن إمكانية توفير السلاح والسيارة فأخبره أنه قد أعد العدة من أجل ذلك، وتوجها معًا إلى مدينة جنين حيث وصلا والجماهير تقتحم مقر المقاطعة وفي حالة غضب لإخراج الأسرى وتتهم السلطة بالتقصير فيما حدث من حادثة الاغتيال، ولاسيما أنها وقعت أمام مقر المقاطعة والهاتف العمومي الذي تم تفجيره في الشهيد القائد إياد يقع أمام حرس المقاطعة، وعند نزولهم من السيارة قال له المجاهد نعمان بغضب شديد يجب أن يكون الرد على هذه الجريمة بأسرع وقت يا ربيع، فقال له حينها المجاهد ربيع أنت تعلم أني قد وعدت بالسلاح ومن المفترض أنه سيكون جاهزًا

لدى أحد الإخوة، ولا أعلم إلى من أتوجه في حالة الصخب هذه، فوعد المجاهد نعمان أن يفحص له الأمر، وقال له بأن الليلة قبل دفن الشهيد سيكون الرد وقال له: "اتصل بثابت المرداوي وسيفيدك بالسلاح الذي تريد"، وبالفعل تم الاتصال مع المجاهد ثابت من أجل تزويده بالسلاح المطلوب إلا أن الوقت قد تأخر، فعاد حينها إلى مدينة نابلس ليتوجه إلى مجموعة من الأصدقاء من كتائب شهداء الأقصى والفصائل، وقد استطاع أن يستعير منهم عدة قطع من السلاح بالإضافة إلى مسدس وعبوة ناسفة، وكان الإخوة المجاهدون في انتظاره وذهبوا إلى نصب الكمين بالقرب من مفترق (زواتا) القريب من مدينة نابلس، وطلب أحد الإخوة المجاهدين حينها من المجاهد ربيع بأن يتنازل عن إعادة هذه المجموعة فقبل ذلك، وكان قد طلبها كما أوضح له خوفًا من التهور وتعريض نفسه والمجموعة لخطر غير مبرر ولا داعي له بسبب حالة الغضب الشديد والإصرار على الرد في أسرع وقت على فقدان صديقه وأخيه القائد المميز في أخلاقه وجهاده وإنسانيته، وبعد قرابة ساعة من الانتظار في المكمن إذا بسيارة جيب عسكرية تقترب رويدًا رويدًا وتمشط الطريق بالأضواء الكاشفة، وقاموا بتفجير العبوة الناسفة التي زرعوها أمام الجيب فأصيب الجيب بالعبوة محدثة كتلة من اللهب مصحوبة بانفجار دويه هائل يشق صمت الليل، ولمعت في الأرجاء شظايا الانفجار كأنها ألعاب نارية وانحرفت سيارة الجيب عن المسار ليقع جزؤها الأمامي في مجرى مياه الأمطار ثم انهالت نيران رشاشاتهم على الجيب، ولم يصدر أي رد من طرف العدو سوى الصراخ والبكاء، وكانوا يهاجمون من خلف ساتر ترابي يبعد من 3 – 5 أمتار عن الجيب، ثم أصدر أمير المجموعة أوامر بالانسحاب وبعد حوالي 20–15 دقيقة من الانسحاب بدأ الصهاينة بإطلاق النار بكثافة من موقع العملية ومن المستوطنة القريبة "شافي شمرون"، وتحول ليل منطقة زواتا ونابلس إلى نهار بفعل قنابل الإنارة المعلقة في كبد السماء، وتم الإعلان عن هذه العملية أمام جثمان الشهيد وهو فوق الأكتاف وفاءً من المجاهدين وعهدًا للشهيد بالاستمرار في طريقهم المقاوم ملتزمين بالعهد الجهادي ضد المحتل المجرم الغاصب.

من تشييع جثمان الشهيد القائد/ إياد حردان
استشهد اغتيالًا بتاريخ 05/ 04/ 2001م

قيادة سرايا القدس في نابلس

بالإضافة للعمل في ساحة مدينة نابلس كانت الجهود منصبة على المجاهد ربيع لترتيب الجناح العسكري للجهاد الإسلامي في بلدة قباطية حيث أرسل له المجاهد حمزة أبو الرب (أبو إسلام) لمقابلته في بيته وتحدث معه بشأن توفير الإمكانيات اللازمة لمجموعة جهادية في قباطية، وكان الموقف صعبًا بالنسبة للمجاهد ربيع؛ لأن أبو إسلام بمثابة الشيخ والأخ الكبير له، وتربطه به علاقة قوية، وله مكانة في قلوب الناس ولدى مجاهدي الجهاد الإسلامي الذين عرفوه، وهو معروف بشخصية المجاهد العنيف والصلب، فكان الموقف الذي وضع فيه من ناحية أن شخصًا يمتلك شخصية ومكانة كشخصية أبو إسلام وفي مثل سنّه كانت أصول العمل التنظيمي تقتضي أن يبتعد عن النشاط العسكري، وأن يقوم بدور الشخصية الجامعية الاعتبارية ذات الصوت المسموع والتي مجرد وجودها بين المجاهدين يعطي استقرارًا ولحمة وتماسكًا في وسط الجماهير والمجتمع فيعطى احترامًا وتقديرًا، ويجب أن تتمتع هذه الشخصية بإمكانات دعوية وتوعية ومكانة اجتماعية وإمكانات تنظيمية إضافة إلى عامل السنّ والتاريخ الجهادي، فالسن المتقارب والتجارب المتقاربة بين المجاهدين تسبب أحيانًا بعض المنافسة والتي تكون سلبية أحيانًا ومعيقة، فهذه المكانة الاعتبارية في قباطية يمكن أن يقوم بها المجاهد ربيع أو المجاهد أبو إسلام، لكن المجاهد ربيع في معظم وقته غير موجود في قباطية بسبب الدراسة في الجامعة والعمل في ساحة مدينة نابلس، بالإضافة إلى أنه قد أصبح منخرطًا بالعمل العسكري ويوجد اعترافات ومعلومات عنه لدى الشاباك الصهيوني، أما المجاهد أبو إسلام فلم ينخرط بعد كليًا في العمل العسكري، ثم استمر عمل المجاهد ربيع بالإضافة لمنطقة نابلس بتقديم المساعدة للقائد الشهيد حمزة أبو الرب وهو من سكان قباطية، وهو يمتلك إمكانيات كبيرة في أكثر من ناحية، وتعتبر بلدة قباطية ساحة مهمة وخزانًا حيويًا مميزًا وتاريخًا عريقًا وكان الجهاد الإسلامي يطمح أن يبني فيها قاعدة صلبة وحاضنة شعبية، وبدأ المجاهد ربيع بمساعدة القائد حمزة أبو الرب في اختيار المجاهدين المقترحين للمجموعة واقترح أن يضم إليه المجاهد البطل صالح كميل لما يتمتع به من صفات المجاهد المميز والفريد من نوعه، يحمل صفات قيادية.

وبالانتقال إلى ساحة نابلس مرة أخرى فقد بقيت هي ساحة النشاط الحقيقي للمجاهد ربيع، وبدأ اسم سرايا القدس يسطع في مدينة نابلس، وكثير من الشبان المتحمسين يبحثون عن عنوان للانضمام إلى الجهاد الإسلامي خاصة سرايا القدس، وهذا أصبح يثير الاستغراب والمفاجأة لدى الحرس القديم التقليدي في المدينة، وفي نفس الوقت يثير المخاوف، فلم يكونوا مستعدين لاستيعاب مثل هذه التطورات المتسارعة، ولذلك بدأ بالعمل من جديد من خط المجاهد زيد بسيسي، وقال له إنه سيعمل تحت إمرته وارتكز نشاطهم في مدينة نابلس على تحسين البنية التنظيمية، وفتح العلاقات مع كافة الفصائل الوطنية المناضلة والمجاهدة والعاملة خاصة مع قادتها الميدانيين،

الأسير القائد/ زيد بسيسي
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 09/ 12/ 2001م

وشهدت تلك الفترة علاقات متميزة بالإضافة إلى استثمار كل ما يصلهم من مال في توفير المواد الأساسية اللازمة للتصنيع حيث استطاعوا فتح قنوات جديدة للحصول على كميات المواد الخام بالإضافة إلى انشغالهم في تصنيع المواد المتفجرة التي أصبحت تزداد جودة وتعددًا لأصنافها، وأصبح يراكم الخبرة، وكان يتردد عليه المجاهد إياد صوالحة ويساعده في التصنيع، وأصبحت مدينة نابلس مُزودًا أساسيًا للمجموعات العاملة في شمال الضفة الغربية بالمواد الخام والمصنعة وهياكل العبوات التي كانت عبارة عن كتل حديدية مسكوبة سميكة الجدران اسطوانية الشكل وكانت تزن فارغة من 50-40 كغم، وكان المجاهد زيد يقوم بشحن هذه المواد إلى جنين وعرابة وطولكرم بمعدل كل أسبوعين تقريبًا، وأحيانًا كان المجاهد ربيع يقوم بهذه المهمة دون أن ينكشف على أحد حيث كان يشحن المواد إلى قباطية، ويقوم المجاهد إياد صوالحة فيما بعد بنقلها إلى قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وفي هذه الفترة تم استيعاب مجاهدين من مناطق أخرى لاكتساب خبرة في التصنيع، ومن الأمثلة على ذلك أن الإخوة في الخليل طلبوا المساعدة وبعثوا بالمجاهد محمود بحيص ليتعلم كيفية إعداد المواد المتفجرة والذي أشرف المجاهد ربيع على تدريبه في مدينة نابلس، ولاحقًا طلبوا منه أن ينتقل للعمل إلى مدينة الخليل، وكان قد وعد بذلك، وأنه سيعمل على تلبية الدعوة في حال إكمال مهمته في مدينة نابلس، فلقد كان العمل في الخليل قد تأخر قليلًا وذلك بسبب نقص الخبرة لدى المجاهدين في مسألة المتفجرات مع أن الخليل تعد ساحة مهمة وحيوية، فهي مدخل مدينة بئر السبع والمناطق الجنوبية لفلسطين المحتلة عام 1948م؛ إضافة إلى أنها مدخل إلى القدس ويوجد بها كثافة استيطانية وكثرة نقاط الاحتكاك مع العدو، ويتوفر بها مصادر مهمة للسلاح والذخيرة والمواد الأولية اللازمة لتصنيع المواد المتفجرة، وبالإضافة إلى هذا الدور كان هاجس السيطرة على الانتفاضة وإيقافها بفعل الضغوط السياسية على الشهيد ياسر عرفات تشغله كما يشغل معظم المجاهدين، ولذلك لابد من نسج علاقات مع القيادات الميدانية مع كافة الفصائل

الفلسطينية، وبشكل خاص مع القيادات الميدانية المقاومة التابعة لحركة فتح ذات القاعدة الواسعة والشعبية، وكذلك العلاقات الواسعة والنفوذ داخل الأجهزة الأمنية الفلسطينية، فلعبت هذه العلاقات دورًا مهمًا في حماية المجاهدين من استفراد الأجهزة الأمنية بهم إلى حد ما والتضييق عليهم واختطافهم، فكثيرًا ما كان هؤلاء المناضلون يحصلون على معلومات من خلال علاقاتهم بالأجهزة الأمنية الفلسطينية عن نية أو قرار باعتقال مجاهد، فيقومون حينها بتهريب المعلومة لأخذ الحذر، بل كانوا أحيانًا ينزلون إلى الشوارع وينتشرون للتصدي لدوريات الأجهزة الأمنية وعناصرها لمنع اعتقال أو تخليص المجاهدين من قبضتهم، ثم مع تصاعد الانتفاضة وعملياتها خاصة في منتصف العام 2001م أصبح هدف المجاهدين إقناع قادة هذه المجموعات ليتبنوا نمط العمليات الاستشهادية داخل الأرض المحتلة في العمق الصهيوني واستعدادهم لمساعدتهم بكل ما يستطيعون حيث كانت مثل هذه العمليات مستنكرة في البداية من قبل قيادة السلطة وكثير من قيادات فتح، لذلك فإن انخراط فتح في مثل هذا النوع من العمليات يعطى الانتفاضة زخمًا ويعطي للعمليات في العمق الصهيوني شرعية إضافية ولا تظهر أنها مقصورة على مكون أو على اثنين من مكونات العمل الجهادي، كما أنها تعلن جنازة أوسلو وإفرازاتها وتؤكد على برنامج عملي وطني يجمع عليه ميدانيًا، ومن القيادات التي تم بناء علاقات متميزة معها وتعاون ميداني متقدم الشهيد المجاهد أسامة جوابرة الذي استشهد بتاريخ 24/ 06/ 2001م والشهيد مؤيد الجميل الذي استشهد في اجتياح السور الواقي بتاريخ 06/ 04/ 2002م والشهيدين ماجد القني وأحمد الطبوق اللذين استشهدا معًا في عملية السور السواقي وأبو الطاهر النابلسي وباسل البزرة وأبو خالد الطيراوي والقائدين الأسيرين ناصر عويص وياسر أبو بكر، فكان هذا العدد الكبير لكون كتائب شهداء الأقصى ليست عبارة عن مكون واحد، بل هي عدة مجموعات تتعامل مع بعضها البعض، وربما لا يوجد بينها أي علاقة، وبالرغم من خطورة هذا الانكشاف الواسع والتوسع في العلاقات إلا أن حماية الانتفاضة وتصعيد زخمها وتوسيع فعلها كان يستحق مثل هذه المخاطرة، وما حققته هذه العلاقة من نتائج كانت خير دليل، وما كاد ينتصف العام 2001م حتى أصبحت العمليات الاستشهادية سمة بارزة للانتفاضة، فما كان يمر يوم إلا وكانت مجموعة تخطط أو تعد أو في طريقها لتنفيذ عملية في عمق الكيان الصهيوني، وكثير من هذه العمليات كان لهذا التعاون بصمة ما فيها ولعل يومًا ما سيأتي وتأتي الظروف المناسبة للحديث عنها.

مرشد المجاهدين

كان العام 2001م عامًا جهاديًا بامتياز، توسع العمل وازداد مجاهدو سرايا القدس عددًا وعدة، وأصبح الجهاد الإسلامي ينتشر في أماكن لأول مرة وأصبح مجاهدو سرايا القدس مصدر قلق للعدو وكل تقدير واحترام وإعجاب الجماهير، أما بالنسبة للمجاهد ربيع فتزايد نشاطه لتغطية احتياجات المجاهدين المتنامية خاصة بعد تزايد

صعوبة حركة المجاهد زيد بسيسي بعد عملية "نتانيا" حيث جاءه منزعجًا وقد ألقى بجهازه الخلوي في الماء، وقال له إنه قد اضطر للاتصال على الرقم الموصول بالمتفجرات من رقمه الخاص بتفعيل المتفجرات، وكانت حينها عيون الشاباك الصهيوني قد تفتحت عليه، ولذلك قد اقتضت الضرورة الأمنية والتنظيمية للتقليل من حركته، وقام حينها المجاهد ربيع بالإشراف على احتياجاته وتنقله والتردد عليه، وبسبب قلة الإمكانيات استعار من صديقه قطعة سلاح من نوع (MB5) لتبقى مع المجاهد زيد، لكن المجاهد زيد كثير النشاط والحركة ولم يحتمل هذا الحال، وأخبره أنه يرغب بتصنيع المواد المتفجرة لاستغلال الوقت، فوافق حينها على رغبته فاصطحبه إلى أحد الأماكن التي كانوا يعدون فيها المواد المتفجرة في بيت وزن في مدينة نابلس، يرافقهم المجاهد إسماعيل أبو عيشة، وقد بدأ بتعليمه على تلك المواد، ثم بعد ذلك بدأت الدائرة تتسع، فكان كلما استشهد أحد المجاهدين المركزيين تاركًا خلفه مجاهدين مطاردين أو يعملون سرًا ولا يوجد لهم معرفة بالخلايا والمجموعات الأخرى؛ تستدعي الحاجة إلى جمع هؤلاء المجاهدين وإعادة ترتيب أمورهم الأمر الذي كان يستدعي انكشاف مجاهد أو أكثر من هؤلاء المجاهدين، فعندما قامت طائرة صهيونية بإلقاء حممها على السيارة التي كان بداخلها الشهداء محمد بشارات وسامح أبو حنيش ووليد بشارات على الطريق بين مسلية وقباطية في جنين مما أدى إلى استشهاد المجاهدين الثلاثة بتاريخ 01/ 07/ 2001م،

الشهيد القائد/ محمد بشارات
استشهد بتاريخ 01/ 07/ 2001م

وكانت منطقة الغور بحاجة إلى إعادة تنظيم للجناح العسكري؛ تولى المجاهد زيد بسيسي هذه المسئولية، وكان برفقته ويتنقل ما بين طمون ونابلس وجنين حسب الحاجة وهذا زاد من دائرة الانكشاف، وبالعودة إلى الشهداء الثلاثة لابد من الإضاءة سريعًا على بعض أعمال هؤلاء الأسود حيث كان الشهيد محمد بشارات مجاهدًا جسورًا لا يهدأ ليلًا أو نهارًا، منشغلًا دائمًا في رصد الأهداف الصهيونية ونصب الكمائن، فإذا مر عليه بضعة أيام دون أن يهتدي لهدف كان يتوجه للمعسكرات الصهيونية والنقاط الثابتة ليؤرق ليلهم ببعض العمليات من سلاحه الطاهر، وقد شكل استشهاده خسارة كبيرة لما يحتله من مكانة في قلوب الناس، فله الفضل في إدخال الجهاد الإسلامي إلى بلدة طمون التي أصبحت قلعة من قلاع الجهاد الإسلامي.

الشهيد العاشق سامح أبو حنيش

أما الشهيد سامح أبو حنيش ذلك الشاب المليء بالحيوية والنشاط صاحب الابتسامة الملائكية الذي تعرف على مجاهدي سرايا القدس من خلال عمله في الأجهزة الأمنية الفلسطينية أثناء دوامه في مدينة نابلس وطولكرم، وقرر الانتماء إلى سرايا القدس أيضًا؛ فكان المجاهد الأول الذي ينتمي للجهاد الإسلامي من قرية بيت دجن بمحافظة نابلس، وهي تعتبر من قرى منطقة الأغوار، ولا يزال المجاهد ربيع يذكر أمنياته الأخيرة قبل وداعه له حيث أقام عندهم في مدينة نابلس عدة أيام وربطته به علاقة مميزة تعمقت في تلك الأيام الأخيرة حيث قال: "أمنيتي أن أستشهد يا ربيع وأن أطلب من الله _عز وجل_ في الجنة سلاحًا من نوع M6 وطريقًا التفافيًا يعج بالمستوطنين الصهاينة، وفي كل يوم أصطاد منهم العشرات"، وقبل خروجه إلى طمون رافقه قبل يومين إلى الجامعة وكان يبحث عن فتاة أحلامه ليرتبط بها وتكون أمًا لأبنائه قبل أن يستشهد ليترك لوالدته شيئًا من دمه ولحمه يواسيها ويخفف من آلامها، ويقول المجاهد ربيع: "وقد رأى فتاة من مخيم بلاطة وطلب منّي أن أساعده في السؤال عنها وعن عائلتها ومعرفة إذا كان لديها نية واستعداد للارتباط به، وطلب منّي أن أوضح لها ظروفه وحالته وقد بعثت للفتاة إحدى قريباتي لتقوم بالمهمة، وقد أصر للخروج معه، لكن منعني الامتحان المؤجل وكنت على وشك تقديمه في الجامعة، ووعدته أن ألحق به إن تمكنت بعد أداء الامتحان، وفي اليوم التالي جاء وقع الخبر ثقيلًا ليخطف إجرام المحتل الصهيوني أحلامنا الصغيرة لترى تلك الفتاة أحلامها تتحطم قبل أن يولد حبها فتعرفت على حبيبها فآثر فيها حبه بعد شهادته،

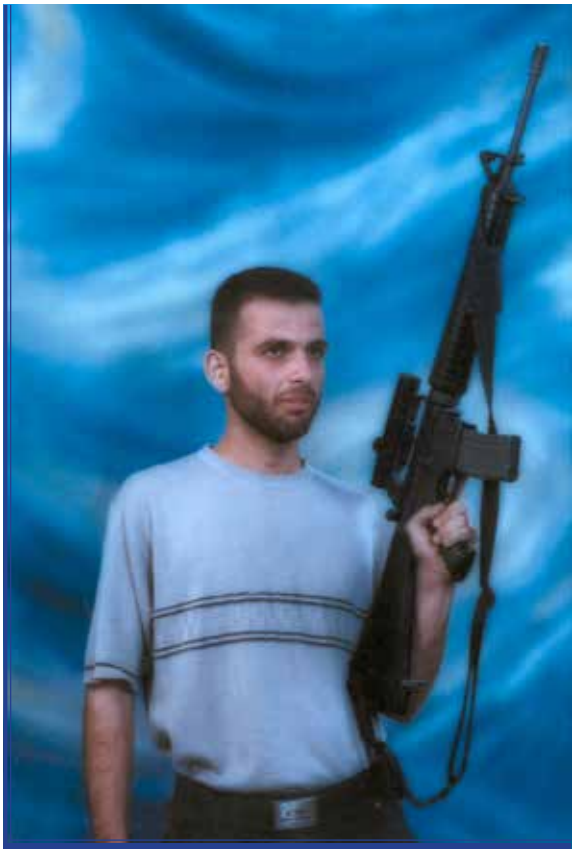

الشهيد المجاهد/ سامح أبو حنيش
استشهد بتاريخ 01/ 07/ 2001م

وكأن شباب هذه الأرض المقدسة حياتهم وأحلامهم تبدأ بعد الموت فالشهادة هي الميلاد الحقيقي، تلك الفتاة التي رأت سامح مرة واحدة عن بعد عندما أشارت قريبتي إليه لترشدها إلى ذلك العاشق المتعجل الذي يحاول التحايل على الزمن ويضغط مسافاته ومقاييسه، فزمن المجاهد لا يحسب بالساعات والأيام والسنوات، وإنما بعدد الأنفاس

فجاءتني تلك الفتاة بصحبة قريبتي تمشي على استحياء وتعابير الوجه مزيج من الألم والمتبلور في زاوية العين والذي سرعان ما انساب رغم عنها على صحن الخد دمعًا وخجلًا يسبغ الوجه حمرةً، ووسط تقطيع في الكلام مع ارتعاش الصوت وتقول: آسفة يا ربيع ممكن خدمة أو اثنتين، نعم تفضلي؟ ممكن أن تجلب لي صورة سامح وأن تخبرني عنه ولماذا وكيف اختارني؟"، فأخبرها المجاهد ربيع عن كل ما أرادته عن الشهيد سامح وذهبت إلى حال سبيلها.

تثبيت معادلة الردع

بعد استشهاد المجاهدين الثلاثة كان لابد من الرد على جرائم العدو وتثبيت معادلة توازن الردع، وأنَّ لكل فعل ردة فعل، وأن اغتيال القائد محمد بشارات لم يجتث السرايا من الأغوار، تلك المنطقة الحساسة التي تقع على مقربة من الحدود الأردنية ويقع فيها عدد من المستوطنات والمعسكرات والخطوط الحيوية التي يسلكها العدو، فتم الإعداد لعملية استشهادية ينفذها البطل محمد سعيد بشارات ذلك الشبل للتأكيد للعدو أن هذا الزرع قد أثمر جيلًا من المجاهدين، فقام الشهيد إياد صوالحة بإعداد الحقيبة التي سيقوم الشهيد محمد بتفجيرها في داخل حافلة صهيونية في منطقة الأغوار بالقرب من مغتصبة "الحمراء"، وقد أشرف على الإعداد والتخطيط والتنسيق والتجنيد المجاهد زيد بسيسي، أما المجاهد ربيع فقد اقتصر دوره على بعض المساعدات اللوجستية دون أن يظهر في الصورة، وقبل انطلاق العملية قام بالتأكيد للمجاهد زيد بضرورة الفحص الكهربائي قبل الخروج من مدينة نابلس، وقبل انطلاق منفذ العملية في اللحظة الأخيرة قام بتعليمه على كيفية الفحص، هذه العملية لم يكتب لها النجاح بسبب انقطاع التيار الكهربائي حيث تضررت الشبكة الكهربائية إثر سقوط المجاهد محمد على أرضية الحافلة عندما دفعه أحد الجنود الصهاينة في الحافلة، وعندما نهض المجاهد محمد شارعًا بصرخة الله أكبر قبل أن يضغط على زر التفجير، وكما تمكن حينها المجاهد ربيع بمساعدة الفصائل الأخرى في العمليات الاستشهادية إما بشكل مباشر أو غير مباشر كما حدث في قصة الشهيد البطل جمال عبد الغني ناصر، وهو طالب في كلية المجتمع في جامعة النجاح الوطنية وكان يعمل بعد الدوام في الكلية سائق تاكسي في مكتب العبير، ذلك الشاب الوسيم والخجول قليل الأسئلة سريع البديهة والذي كان يتفرغ فورًا عند طلبه ويدرك أن مهمة جهادية في انتظاره ليقبل غير مبالٍ بالمخاطر، ويري أن هذا الدور أقل ما يمكن تقديمه ودائمًا يطمع بالمزيد، وكان دوره مساعدًا في التنقل ونقل المواد والمعدات في داخل مدينة نابلس للجهاد الإسلامي ومن نابلس لمناطق أخرى، وسرعان ما أثر طيف الشهادة عندما حضر لتشييع جثمان الشهيد المجاهد إياد الحردان وتعلق بسيرة المجاهد إياد وتعرف عليه أكثر فأكثر بعد الشهادة، وتاق إلى لقائه في جنات الخلد، وكان هذا الشهيد ينتمي سياسيًا إلى حركة حماس وطلب من المجاهد ربيع أن يجهزه بأن يقوم بعملية استشهادية ردًا على اغتيال الشهيد

القائد إياد الحردان، وفشلت كل محاولاته في ثنيه عن ذلك؛ مؤكدًا على أهمية الدور الذي يقوم به، ولكنه ازداد رجاءً، وأن المجاهد ربيع قد انهارت دفاعاته أمام دموعه، وطلب منه أن يحضر له إذنًا من قيادته (حماس) فإنه حينها على استعداد لتلبية رغبته، وعندما توجه لقيادته وأحالوه حينها إلى كتائب القسام قررت تلبية طلبه، لكن ليس من خلال المجاهد ربيع أو من خلال الجهاد الإسلامي، بل من خلال كتائب القسام، هم من سيحضرونه للعملية وبالفعل في تاريخ 29/ 04/ 2001م قاد سيارته المفخخة باتجاه حافلة صهيونية بالقرب من قرية دير شرف على خط جنين ونابلس، وقبل ارتطامه بالحافلة لافظًا حممه في وجه المحتل؛ تجاوزت الحافلة سيارة ركاب فلسطينية مما اضطره لحرف المسار، فانفجرت السيارة بعيدًا عن الحافلة والسيارة المتجاوزة، وعند قراءة وصيته حضر اسم الشهيد القائد إياد الحردان أحد أبرز قيادات سرايا القدس في الضفة الغربية في وصيته، فمن أين له أن يعرفه ويتأثر به إلى هذا الحد؟!

لذلك نرى أنه في النصف الثاني من العام 2001م، هذا العام الذي يمكن وصفه بأنه كان مرحلة مصيرية وحاسمة فيما يتعلق بخيار الانتفاضة أو التسليم، فمن جهة شعرت السلطة الفلسطينية بأن الأمور قد بدأت تخرج عن سيطرتها وأصبحت غير قادرة على التحكم بمفاتيح اللعبة، ولم تعد الفعاليات المقاومة مجرد مناوشات وورقة ضغط من أجل تحسين وضع المفاوض الفلسطيني على طاولة المفاوضات، أي أنها تحريكية تحسن شروط التفاوض لصالح الجانب الفلسطيني بعد انهيار كامب ديفيد الثانية، فلم تعد السلطة تتحكم بوتيرة الانتفاضة التي أخذت بالتصاعد ولا تتحكم بجغرافيتها، فأخذت قدرتها على توجيه القيادات الميدانية لكتائب الأقصى تتراجع بشكل كبير، ومن ناحية أخرى فإن العمليات الاستشهادية التي تضرب في العمق الصهيوني قد أخذت بالتزايد مخلفة أعدادًا متزايدة من القتلى في الأعداد البشرية، ورعبًا في جبهته الداخلية وفي تجمعاته الكبرى، عدا عن الخسائر الاقتصادية والسياحية وازدياد الهجرة العكسية، ومن ناحية ثالثة فإن العدو الصهيوني قد فقد صوابه مع انتهاء وعود قادته السياسية والعسكرية بالقضاء على الانتفاضة وتركيع المقاومة خلال 100 يوم، ثم 100 يوم أخرى، ومع توازن الخسائر البشرية بين العدو الصهيوني والفلسطينيين أخذ بالتدرج في الخسائر البشرية ترجح لصالح الفلسطيني الأمر الذي لم يشهده الكيان الصهيوني منذ قيامه، والأهم من ذلك أثر ذلك على سمعة الجندي الصهيوني الذي لا يقهر، ومعنويات جنوده والمدنيين إضافة إلى فقدان قدرة الردع الأمر الذي انعكس في تعبير (شارون) في جلسة للقيادات الصهيونية في نقاش إمكانية التوجه لهدنة أو تهدئة الأوضاع حيث قال: "الويل لنا إن توقفنا الآن" عند اطّلاعه على إحصائية الضحايا، وجنّ جنون القيادات الصهيونية وتصاعدت عمليات الاغتيالات وضرب مقرات السلطة وحواجزها العسكرية وبدأت عمليات الاجتياحات مصحوبة بكثافة نيران في استخدام مفرط للقوة من أجل إيقاع عدد أكبر من الضحايا

من أجل كي وعي المقاومة وحاضنتها وكذلك السلطة الفلسطينية في سبتمبر (أيلول) 2001م.

الالتقاء بالقائد محمود طوالبة

دخلت ماكنة الموت والإرهاب الصهيونية مدينة جنين حيث كانت أعداد كبيرة من الجنود وناقلات الجند والدبابات تحاصر مدينة جنين، وتدخل من كافة المحاور وتلقي بحمم الموت في سماء جنين، وكانت طائرات العدو ومروحياته تلوث أسماع وأبصار المواطنين والهدف المعلن (عش الدبابير) بحسب تعبير القادة الصهاينة، وهي الصفة التي أطلقوها على معقل وحصن المقاومة الفلسطينية في مخيم جنين الذي أصبح الحاضنة الرئيسية لقيادات وعناصر المقاومة خاصة قيادات سرايا القدس في محافظة جنين، وأصبح القاعدة العسكرية التي تنطلق منها العمليات الاستشهادية، وفي طريق الدبابات إلى المخيم قامت القوات الصهيونية المهاجمة بنسف مقر المقاطعة في جنين الذي يقع بالقرب من المخيم، وقامت المقاومة بصد القوات المهاجمة وردتها خائبة، وقد ارتقى في هذه المعركة شهيدان هما الشهيد إياد المصري وإبراهيم الفايد، وكان حينها المجاهد ربيع من ضمن المقاومين الذين شهدوا هذا الاجتياح وشاركوا بصد القوات الغازية مع أخيه المجاهد زيد بسيسي، حيث يروي ربيع قائلًا: "كنت أنا وزيد قد وصلنا إلى مدينة جنين لإيصال شحنة مواد جهادية عندما ابتدأ الاجتياح في مدينة جنين، وقررنا أن نبقى مع إخواننا المجاهدين في المخيم ونشارك في هذه المعارك،

الشهيد القائد/ محمود طوالبة
قائد ملحمة مخيم جنين (نيسان 2002م)

وبناء على رغبة بعض الإخوة المجاهدين في مدينة جنين الذين رأوا أنه آن الأوان أن أستقر في جنين، فقد اقترح عليّ زيد أن أبقى في جنين بعض الوقت، وكانت هذه الفرصة للتعرف على مجموعة من المجاهدين بشكل أعمق وخاصة محمود طوالبة"، نعم فهذه الشخصية التي أثارت فضول وإعجاب المجاهد ربيع هو سبب سر بقائه في المخيم حيث استقبله بحرارة وأصبح صديقًا له وكأنه يعرفه منذ زمن طويل، هذا المجاهد محمود طوالبة الذي بدأ

مشوراه الجهادي مع الشهيد القائد إياد الحردان بعد اندلاع الانتفاضة، ولم يكن قبل ذلك ينتمي لحركة الجهاد الإسلامي، وسرعان ما ظهرت لديه مزايا قيادية ومهارات فنية، لكن المجاهد ربيع كان يبحث عن هذه الشخصية التي أسرت قلوب الناس، فوجده مجاهدًا بسيطًا روحانيًا وجهه دائمًا مبتسم، لا يرى بنفسه قائدًا ولا يسعى لذلك، متواضع لأبعد الحدود، وبعد مرافقته بأيام أخذ يصر حينها المجاهد محمود على المجاهد ربيع على أن يتولى مسئولية المجموعة التي يعمل في إطارها الشهيد محمود والتي كانت كبيرة نسبيًا، خاصة أنه أكبر منه سنًا وأكثر تجربة وأقدم في التنظيم، لكنه رفض ذلك فيما رأى من تعلق المجاهدين والأهالي به حتى الأطفال وأن المجاهدين كانوا من نوعية صعبة المراس بالتزامهم وطاعتهم، وهذا بالأساس مبني على المحبة والصدق والحرص الذي في وجهه، فكل المجاهدين كانوا جديدي العهد بعضوية الجهاد الإسلامي، ودخلوا مباشرة إلى الجناح العسكري، ولم يتدرجوا بالعمل التنظيمي ولم يتلقوا تربية تنظيمية كافية، لذلك كان لابد من إبقاء المجاهد محمود طوالبة (أبو عبد الله) هو من يشرف على عمل هؤلاء المجاهدين، وقد أوضح له ذلك بأن المهمة صعبة وشاقة، فالالتزام والطاعة النابعة من المحبة أكثر نجاعةً وصدقًا من الطاعة المبنية على الهرمية التنظيمية، وكان استيعاب هؤلاء المجاهدين بهذا الشكل مبررًا تحت تصاعد ضغط الانتفاضة والتحديات التي فرضتها ظروف الميدان، كما أوضح حينها للمجاهد محمود طوالبة بأنه إلى جانبه ولن يتخلى عنه بشيء، وأن العمل الجهادي هو عبارة عن عمل جماعي، وما المسئول الميداني سوى حلقة وصل مع القيادة في الخارج والتنسيق بين المجاهدين وتوزيع المهام عليهم، فبعد التأمل عن قرب لحياة الشهيد محمود طوالبة وجد حينها المجاهد ربيع سر سحره ببساطته واخلاصه وتلقائيته ورقة قلبه، كيف لا يسكن قلوب الأطفال وهو يداعب كل الأطفال الذين يلقاهم في الشارع ويوزع عليهم الهدايا خاصة الأيتام منهم؟! ففي أحد الأيام مرّ المجاهدان محمود وربيع بطفل في العاشرة من عمره تقريبًا، فقام المجاهد محمود بإعطائه قطعة نقود معدنية بعد أن سلّم عليه بحرارة وداعبه ومسح على رأسه، وقال للمجاهد ربيع: "امسح على رأسه فهذا يتيم"، هكذا علمنا رسول الله _صلى الله عليه وسلم_، وإذا مرّ بالعجائز كان يلقي التحية لهن ويقف معهن لبعض الدقائق مجاملًا، ثم يطلب منهن الدعاء للمجاهدين، وفي أحد الأيام افتقده المجاهد ربيع لبعض ساعات، وعندما جاءه سأله عن غيبته غير المألوفة، فأخبره حينها أنه قد دخل إلى بيت العجوزين بالصدفة، وكانت معالم العوز بادية في البيت، وكان البيت الصغير بحاجة إلى دهان، وقام بشراء الدهان المطلوب وذهب مع أخوين له بطلاء البيت، وقال له: "وددت يا ربيع لو كنت معنا تظفر ببعض الأجر وبركة الدعاء"، فالذاكرة تزخر بالصور والمشاهد والمواقف الإنسانية والإيمانية للمجاهد ربيع فيما يخص صديقه ورفيق دربه الشهيد محمود طوالبة، وقد تبقى هذه الكلمات مجرد نص تاريخي قد تثير إعجاب القارئ بمستويات مختلفة، لكن

من عرف أبطالنا ومن شهد معاركهم عرف أن هذه الكلمات الحية امتزجت بالنار والدماء، وشهد بطولاتهم جيل كامل سطرت بطولاتهم في التاريخ، قاومت بإمكانيات بسيطة، فما من قوة في العالم وأقوى قوة في الشرق الأوسط وهي "إسرائيل" قد مرّغ أنفها في التراب أبطالنا وأحبتنا في سرايا القدس عبر صمودهم وقوتهم وعملياتهم مما عجزت عنه جيوش العرب مجتمعة فأصبحوا، نموذج وتجربة فريدة تدرس وتستحق بجدارة مناداة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم "أحبائي"، هم في أكناف بيت المقدس، هم صناع المد المقاوم في زمن الجزر والهزائم، هم من قدموا الواجب على الإمكان في زمن قهر الجغرافية والظروف الدولية والإقليمية واستجداء حلول رخيصة وحقيرة، هم فلسفة فن الممكن، هم الدم الذي هزم السيف والكف الذي تحدى المخرز، وهم من اكتشفوا سر الخلود بتسطيرهم صفحات المجد، وتراهم لا ينحنون إلّا ركّعًا لله أو لانكشاف البندقية أو لزرع القنبلة.

ملاحقة السلطة الفلسطينية لكوادر الجهاد الإسلامي

في مطلع العام 2002م وقد اشتد الحصار على الراحل ياسر عرفات وتم عزله دوليًا، وبدأت جهود دولية تبذل لوقف الانتفاضة وعودة المسار السياسي، وقد نشطت زيارات المبعوث الأوروبي والأمريكي، واحتاجت السلطة الفلسطينية لتنفيذ بعض المطالب الصهيونية المنقولة عبر الوسطاء فيما يتعلق باعتقال قادة المقاومة، وبدأ الحديث عن إمكانية أن تعرض السلطة الفلسطينية هدنة،

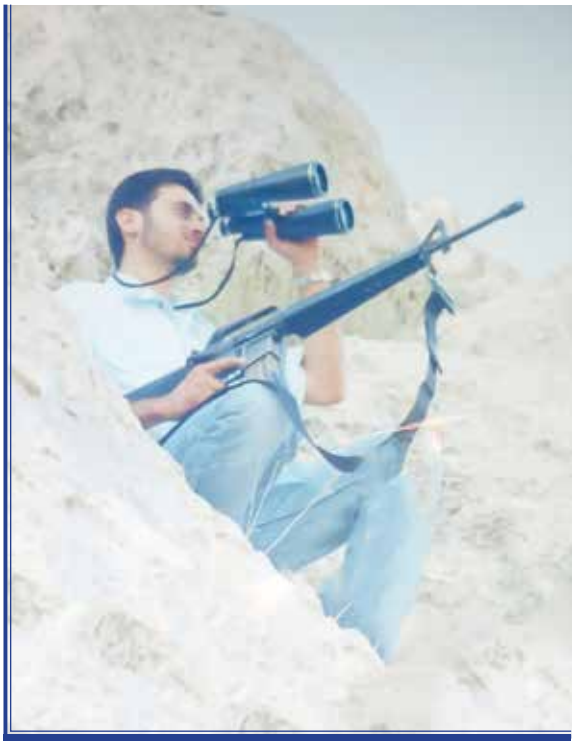

الأسير القائد/ ربيع أبو الرب
خلال مشواره الجهادي في جنين

وأصبح المجاهدون هدفًا للاختطاف والاعتقال، وخشيت المقاومة أن تنحرف إلى مواجهة مع السلطة، وخاصة مع تكرار محاولات السلطة تشويه المجاهدين وبث بذور الفتنة لتفسيخ وتفكيك الوحدة والتنسيق بين قادة المقاومة بمشاربها السياسية المختلفة من ناحية، ومن ناحية أخرى محاولة إيجاد شرخ بين المقاومة وحاضنتها الجماهيرية في محاولة لعزل المقاومة والاستفراد بها، أو على الأقل بممارسة ضغوط وابتزاز بها، وعندما أعلن الراحل عرفات مبادرته بالهدنة من طرف واحد وقرار السلطة بفرضها بأي ثمن، ونية الأجهزة الأمنية تنفيذ عمليات اعتقال واستدراج واختطاف لعدد من مجاهدي الجهاد الإسلامي، وقد تسربت

أسماء منها المجاهدون: ثابت المرداوي والحاج علي الصفوري ومحمود طوالبة وربيع أبو الرب ومحمد ياسين العانيني وغيرهم، ويقول المجاهد ربيع هنا: "قررت الاختفاء بعض الوقت، وعرضت على المجاهد محمود أن يأتي معيْ لكنه رفض مغادرة المخيم وودعته مؤكدًا عليه أن يأخذ حذره وألا يغادر المخيم لأي سبب، وبعد يومين من مغادرتي تم استدراج المجاهد محمود إلى مدينة جنين، ثم تم اختطافه ونقله بعد إجراء تنسيق أمني إلى مدينة نابلس، وكذلك اعتقل الحاج علي الصفوري ومحمد الياسين وأيمن دراغمة، فعدت حينها إلى مخيم جنين وسط غضب شعبي تمت فيه مهاجمة مقرات وسيارات وقوات الأجهزة الأمنية الفلسطينية خاصة الأمن الوقائي، وقمت بجولة على الشقق الآمنة وجمعت المواد والأغراض الحساسة خشية استغلال حالة الفوضى والعبث بالمحتويات وأمّنت عليها، واجتمعت ببعض الإخوة لاستشارتهم وتهدئتهم خشية الانقلاب والقيام بتصرفات غير مدروسة، فحزمت بعض الأمتعة وخرجت إلى مدينة نابلس، واتصلت بالقيادة وأخبرتهم برفضي للعودة إلى الساحة السابقة لإتمام بعض الأعمال والترتيبات، وفي الطريق ذهبت إلى شيخي حمزة أبو الرب (أبو إسلام) لتسوية بعض سوء الفهم حيث كنا نعد لعملية في إحدى المستوطنات القريبة من الخط الأخضر والتي يقع فيها مصنع يشرف عليه ضابط رفيع متقاعد، وكان أحد المجاهدين قد استطاع دخول المصنع ورصد الحراسة والتجمعات وأوقاتها وأوقات الاستراحات وتبديل المناوبات في أي مكان وفي أي وقت يتواجد مجموعة من الصهاينة بينهم ضباط وغير ذلك، وكنت قد أعددت مواد وأودعتها لدى أبو إسلام للتحضير لتنفيذ العملية، ثم تراجعت بسبب نوعية الهدف الذي يحتاج إلى مواد نوعية وتخطيط بشكل مختلف عن الذي خططناه، وكنا أنا والمجاهد طوالبة وإياد صوالحة نعكف على إنتاج وتجربة مواد جديدة، فتعجل أبا إسلام حينها وأرسل المجاهدين لتنفيذ العملية فقاموا بزرع عبوة ناسفة بالقرب من مائدة الطعام في المصنع لتفجيرها عن بعد وقت استراحة الظهيرة، وأسفرت عن إصابتين، وكان أبو إسلام متعجلًا يريد أن يشفي غليله من العدو قبل أن تعاجله الشهادة كما تطلع إليها بشوق، فانطلقت إلى مدينة نابلس وأجريت بعض الاتصالات واللقاءات مع بعض الأصدقاء الذين يعملون في الأجهزة الأمنية في مقاطعة نابلس ومقراتها وأجزائها، واطمأننت على المجاهدين الذين تم توزيعهم ما بين مدينة نابلس ومقر الوقائي والمخابرات، وأمنت لهم كل احتياجاتهم وأوصلت لهم رسائل وتلقيت منهم ردودًا، وفي نفس الفترة تم اعتقال المجاهد أنس شريتح من محافظة الخليل وكان يدرس في جامعة النجاح الوطنية، وأحد نشطاء الجماعة الإسلامية، ولم يكن له نشاطات عسكرية في ذلك الوقت، ولم يكن لدى السلطة سبب لاحتجازه بحيث لم يرغبوا بإظهار المسألة لها علاقة بنشاطات طلابية في أجواء الانتفاضة، وأبلغوه أنه محتجز حتى يتم اعتقال المجاهد ربيع، وكانت أشبه بنكتة، وقد تمكنت من زيارة المجاهدين المحتجزين لدى السلطة

مرتين متقمصًا شخصية ضابط في الأجهزة الأمنية، وفي المرة الثانية كادوا أن يكتشفوا الأمر وأنا خارج بعد الزيارة، وعندما أصبحت خارج المقاطعة، وكان ينتظرني في الخارج إخوة مسلحين من حركة فتح من أجل التدخل في حالة حصول أي طارئ؛ رآني ضابط كبير من الأمن الوقائي، فعرفني وكان ذلك على بعد مسافة ثلاثة أمتار ولم يستطع فعل شيء عندما شاهد شباب كتائب الأقصى الذين برفقتي".

توطيد العلاقة مع قوى المقاومة

يتحدث المجاهد ربيع قائلًا: "فور وصولي مدينة نابلس عقب اعتقال المجاهد طوالبة باشرت بحثّ الخطط والإعداد، وأخذت بتهيئة شباب السرايا في مدينة نابلس لكي أنفصل عنهم بعد أن أصبحوا جاهزين لذلك، وفي نفس الوقت أعد لتنفيذ عمليات وكان الرأي أن تبادر حركة فتح (كتائب الأقصى) أول عملية مشتركة مع كتائب الأقصى، فتم التنسيق لذلك أن تكون عملية تنفيذية ينفذها استشهادي واحد، ومع قيام العدو باغتيال الشهيد رائد الكرمي في طولكرم وهو أحد أبرز قادة كتائب الأقصى كانت الفرصة لاستعادة المقاومة بادرتها بضربات أكثر شدة دون الخشية من الاصطدام بالسلطة أو الخشية من شق صفوف المقاومة فكان استشهاد الكرمي في شهر يناير (كانون الثاني) 2002م، وقبل خروج العملية المشتركة بيوم تقرر أن تكون العملية باسم كتائب شهداء الأقصى التي ينفذها الشهيد عبد السلام حسونة بتاريخ 18/ 01/ 2002م، والتي كان هدفها مدينة الخضيرة في فلسطين المحتلة عام 1948م، وبعد التجهيز لعملية باسم سرايا القدس لتكون العملية الاستشهادية الأولى باسم سرايا القدس ينفذها استشهادي من مدينة نابلس من مجاهدي سرايا القدس لتكون بمثابة إعلان الفاعل عن سرايا القدس، وهذا كان بمثابة التحدي كون القيادة السياسية والتنظيمية لحركة الجهاد الإسلامي في مدينة نابلس غير جاهزة لاستيعاب ذلك، وكان بعض القادة يمارسون ضغوطًا على سرايا القدس وقيادة الحركة لتتفهم وتدعم توجهها كانت هذه العملية بمثابة امتحان داخلي من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت تحديًا مع الاحتلال الذي استنفر وأغلق الطرق وشدّد الرقابة على طول الخط الأخضر وبين المدن والتجمعات الكبرى في الداخل المحتل والمناطق الحيوية؛ لأن المعلومات الاستخبارية والتقدير لدى المستوى الأمني يقول إن معظم التنظيمات والمجموعات العسكرية للمقاومة الفلسطينية جاهزة وعازمة على تنفيذ عمليات داخل الخط الأخضر، ومع ذلك فقد تقرر أن تكون العملية في مكان من الأماكن الأكثر تشديدًا أمنيًا لدى الاحتلال كنوع من حرب العقول والإرادة، وكان الخيار ما بين القدس و"تل أبيب" وتم ترجيح الرأي باتجاه أن تكون العملية في تل "أبيب".

ويستكمل المجاهد ربيع أبو الرب حديثه قائلًا: "ونحن غارقون في تنفيذ أدق التفاصيل الأخيرة للعملية التي سينفذها المجاهد صفوت أبو عيشة، توجه إلينا مجموعة من كتائب شهداء الأقصى (السواعد السمراء) فأخبرونا عزمهم للانضمام إلى مجموعات الأجنحة العسكرية لتنفيذ

عمليات في الأرض المحتلة عام 1948م، وعدم الاكتفاء بنشاطاتهم في داخل 1967م فقط، وأنهم يطلبون منا المساعدة، وبعد أن شجعتهم على هذا القرار سألت مسؤول المجموعة وهو الشهيد ماجد القني أبو شرار: ماذا تحتاجون منا؟ قال لي: لدينا استشهادي نريد له حزامًا أو شنطة متفجرة، وأن تتولوا مسؤولية إيصاله إلى هدف مناسب، وإذا كان لديكم رغبة في عملية مشتركة يكون ذلك أفضل، فأبديت استعدادي لإعداد المتفجرات، أما بقية الأمور فقد طلبت مهلة لفحص الإمكانية، وفي اليوم الثاني أخبرت المناضل أبو شرار أني موافق على أن تكون العملية باسم حركة فتح،

الاستشهادي/ صفوت أبو عيشة
استشهد بتاريخ 25/ 01/ 2002م

وكان دوري مجرد مساعدة لهم، وطلبت منهم إحضار الشاب الذي سيقوم بهذه العملية ليقابله، وعندما قابلت الشاب وأخذ الوصية أخبرني بأنه يفضل أن ينفذ هذه العملية بسلاح ناري وليس بالتفجير، وأخبرني أبو شرار أن السلاح سيكون جاهزًا خلال ساعات، وفي المساء بعد توفير السلاح سألت أبو شرار حول ما إذا كان يفضل عملية مشتركة فسُرَّ لذلك، وعندها أخبرته أن لدينا عملية قريبة سيتم تأخيرها بعد طلبهم منا المساعدة، واتفقنا على أن نتقابل في الصباح لنصور المجاهدين وهم يتلون الوصية، وبعد تلاوة الوصية ودعت المجاهدين، وكان مجاهد سرايا القدس وهو صفوت أبو عيشة يحمل تلفازًا مفخخًا لتمويه العملية حيث كانت فكرة جديدة، فالمعهود أن الاستشهادي يحمل على جسمه إما حزامًا وإما حقيبة، أما مجاهد السواعد السمراء فيحمل شنطة بداخلها سلاح من نوع كلاشنكوف و 6 مخازن من الذخيرة، فأوصيتهم أن يحافظوا على مسافة كافية بينهم وأن يكون مجاهد السواعد السمراء محتميًا بزاوية المبنى أو سيارة، وبعد تنفيذ الاستشهادي صفوت التفجير عليه إخراج سلاحه لإكمال المهمة الجهادية، وكان هدف هذه العملية محطة الحافلات في مدينة تل الربيع، وقام المجاهد صفوت بتفجير نفسه على مدخل المقهى حيث كانت التعليمات أن يحاول صعود الحافلة، فإن لم يستطع عليه اختيار أكبر تجمع قريب منه أو داخل المقهى، فلا أعرف بالتحديد سبب ضغط الاستشهادي صفوت زر التفجير قبل دخول المقهى، فعلى الأرجح كان بالخطأ بسبب شد الأعصاب، فمجاهد حركة فتح أصيب بحالة ذهول

وانشلّ تفكيره وحركته من صوت الانفجار وآثار الدمار وتم اعتقاله على أيدي القوات الصهيونية في نفس المكان، وقد أثارت هذه العملية البطولية جدلًا كبيرًا بسبب توقيتها ومكانها وأسلوبها، وكانت العملية بتاريخ 25/ 01/ 2002م، وعلى إثر هذه العملية فشل الجهاد الإسلامي في مدينة نابلس في امتحان الجاهزية إلى حد ما؛ لذلك أصبح من الضروري التفكير مليًا قبل إخراج أي عملية استشهادية من مدينة نابلس، السعي لمحاولة تهيئة الأرض لذلك".

لم تتوقف سرايا القدس في مدينة نابلس، بل أصبحت أكثر نشاطًا، وتسارعت الوتيرة الأمر الذي كان معروفًا لكافة مجموعات المقاومة بمشاربها المختلفة والتي أخذت تسعى لتعميق العلاقة مع سرايا القدس، وكان لسرايا القدس دور مهم في عدد من العمليات الاستشهادية والعمليات ذات الطبيعة الأخرى من الفعل المقاوم منها العملية التي حدثت في شهر يوليو (تموز) من العام 2002م في الأغوار، وعملية عناد شقيرات بتاريخ 22/ 03/ 2002م بالقرب من أم الفحم عندما استخدم قفص الطيور المفخخ الذي ضبط قبل انفجاره بالقرب من مفرق (كركور) في منطقة المثلث، أيضًا عملية محمد حشايكة في القدس وغيرها من هذه العمليات التي لم يحن الوقت ولم تسمح الظروف بشرح تفاصيلها وتناول دور السرايا فيها، فكان الثلث الأول من العام 2002م قد وصل فيه الفعل المقاوم ذروته كمًا ونوعًا، ودخل تطورًا مهمًا وملحوظًا من المقاومين وخاصة مجاهدي السرايا لتراكم الخبرة وتحسن الإمكانيات، ففي شهر مارس (آذار) من العام 2002م قامت طائرة F16 بضرب صاروخ على منطقة في مقاطعة نابلس كاد أن يستشهد بها الحاج علي الصفوري المحتجز لدى السلطة، وفي نفس الليلة نتيجة الخشية على المجاهدين المحتجزين تم تهريب المجاهدين من السجن مستغلين حالة الفوضى والإرباك وهروب الحراس، وبعد أن اطمأن المجاهد ربيع على المجاهدين بأنهم بأيدٍ آمنة حيث انتقل الحاج علي ومحمد ياسين العانيني في اليوم التالي إلى مدينة جنين، وقد أخذ المجاهد ربيع المجاهد محمود طوالبة وأبقاه في مدينة نابلس بعض الوقت وتم إخفاؤه في بيت أحمد الطبوق ـرحمه اللهـ وتقبله مع الشهداء، فتم إجراء اتصال لإيهام الأهل والأجهزة الأمنية الفلسطينية والعدو أن المجاهد محمود طوالبة قد خرج إلى مدينة جنين، وهو بالفعل موجود في منطقة آمنة بمحافظة جنين، وبذلت الأجهزة الأمنية جهدًا لمعرفة مكان وجوده بعد إدراك أهمية هذا المجاهد الفذ وتأثير وجوده في مخيم جنين على الحالة المعنوية للأهالي والمقاومين حيث إن الفترة التي غابها بدا التأثير فيها واضحًا وجليًا في ساحات وزقاق مخيم المقاومة وحاضنتها.

دخول مخيم جنين

يصف المجاهد ربيع تلك المرحلة قائلًا: "بعد المكوث في مدينة نابلس من أربعة إلى خمسة أيام جاء ميعاد لقاء العاشقين محمود طوالبة ومعشوقته مدينة جنين، وخرجت أنا والمجاهد محمود من مدينة نابلس وكنت أرتدي حزامًا ناسفًا، وأحيانًا كنت ألبسه في بعض الظروف الخطرة، وعند وصولنا إلى

المخيم وبشكل مفاجئ بدأت حالة هستيرية وقد خرج أصحاب المحال التجارية وعدد قليل من الناس المتواجدين يهرعون إلينا في فرحة وبهجة وسرور عارم، ويصرخون طوالبة، طوالبة، وقد عاد إلى المخيم وبدأت أزقة المخيم ترفد الساحة بسيل من الناس صغارًا وكبارًا كروافد النهر عقب الغيث، وخلال بضع دقائق استعاد المخيم الحزين والمريض صحته وتوهجه وتعالت الأصوات، أصوات التهنئة مع أصوات الابتهال والدعاء إلى جانب إطلاق النار ثم أخذ الهتاف بشعارات تمجد محمود طوالبة والسرايا والمخيم، وتهادي سيل الناس متكاثرًا على شكل مسيرة تلقائية شعبية وطوالبة محمول على الأكتاف من الساحة إلى منزل المجاهد طوالبة".

يقول المجاهد ربيع: "أثناء وجودنا في نابلس وبعد خروج المجاهد محمود من السجن طلب مني مرة أخرى أن أتولى مسؤولية مجموعته، وأنه بدأ بالتحضير لذلك، وكان مصرًّا على ذلك، وأخبرني عن نيته بالقيام بعملية استشهادية سينفذها بنفسه في الأيام المقبلة، وقد خالفته بشدة وتمنيت عليه أن لا يفعل ذلك، فبعد العودة إلى المخيم ما زال مصرًّا على ذلك، فطلبت منه أن يتأنّى إلى حين الانتهاء من بعض الترتيبات في مدينة نابلس ومناطق أخرى لأستقر في جنين، وكانت النية أن أكسب بعض الوقت على أمل أن يغير رأيه، وفي نفس الفترة بعث إليّ المجاهد نعمان طحاينة _رحمه الله_ الذي كان قد استقر في مدينة جنين منذ استشهاد المجاهد إياد الحردان، وتناقشت معه حول فكرة طرحها المجاهد نعمان على ضرورة إيجاد قاعدة وحاضنة للمقاومة إضافة لتخفيف الضغط على مخيم جنين، وللتمكن من تفادي بعض الإشكاليات التنظيمية ولتوسيع قوة وحضور الجهاد الإسلامي، وكان المجاهد نعمان طحاينة ميالًا ومقتنعًا أن المكان الأمثل هو قباطية بفضل تاريخها وجغرافيتها وطبيعة أهلها ونوعية شبابها، وكانت بمثابة أفكار أوليّة على أن يُستكمل النقاش بها لاحقًا، ولقد علمت في وقت لاحق أنه قد حسم الأمر على أن يطلبني إلى مدينة جنين أنا وهو وخالد زكارنة وحمزة أبو الرُب في بلدة قباطية لنقود ولنشرف على هذه الحاضنة أو القاعدة، وقبل أن أُغادر مدينة نابلس طلب مني أن أبحث عن أي قطعة سلاح تُعرض للبيع تكون جيدة ومناسبة وألا أقلق بشأن المال".

التعرض لإصابة مباشرة

بعد عودة المجاهد ربيع إلى مدينة نابلس تعرّض إلى إصابة من شدّة انفجار المادة وهو يقوم بإخلاء شقة من الشقق الآمنة التي كانت تستخدم لتصنيع وتركيب المواد المتفجرة بعد اعتقال أحد المجاهدين الذي قام بوضع قفص عصافير على مفترق كركور في الداخل المحتل، وذلك خشية اعتراف المجاهد على المكان وقصفه، فكانت هذه الإصابة لسبب تأخر المجاهد ربيع عن موعد الشهيد صالح كميل الذي كان متعجلًا للشهادة ومُصرًا عليها، وعندما اتصل به وأخبره أنه يعتذر وسيتأخر بعض الوقت؛ لأنه مصاب بحروق ولا يود أن يعلم أهله أو يروه بهذه الحالة، وبسبب معارضته الشديدة لأن يقوم المجاهد صالح بتنفيذ عملية استشهادية تفجيرية؛

الأسير المجاهد/ ربيع أبو الرب
خلال مطاردته من قوات الاحتلال الصهيوني قبل اعتقاله

لأنه من الإخوة المُعوّل عليهم لتولي موقع قيادي بما لديه من سمات قيادية، وقال له صالح أن يسامحه ولا يلومه إن حصل شيء، وعندما سأله عن قصده قال له: انتظر بعض الوقت ولا أستطيع الشرح حاليًا، وبعد يومين نَفَّذَ عملية في منطقة الغور هو ومجاهد من كتائب القسام، فكانت العملية باسم كتائب القسام وقُتل في هذه العملية ضابط صهيوني، وأثناء عملية الانسحاب تم قصف المجاهدين واستشهدا -رحمهما الله- فكانت كما ذكرنا أن العام 2002م الأحداث فيها متسارعة والعمل المقاوم كثيف وماكنة الدمار الصهيوني تعمل على تدمير البنى التحتية وتضرب وتُحاصر الشعب الفلسطيني عقابًا له على احتضان المقاومة، ويشتد الحصار على عرفات في المقاطعة وتُسابق حكومة الاحتلال الزمن في بناء السور الواقي الذي يفصل التجمعات السكانية في الضفة الغربية عن فلسطين عام 1948م لعدم قدرة الجبهة الداخلية الصهيونية على تحمل ضربات المجاهدين الاستشهاديين وعجز الجيش الصهيوني والأجهزة الأمنية عن إيجاد حل مُجدٍ أمام هجمات المجاهدين الاستشهادية حيث أصبح هوسًا في المجتمع الصهيوني، وتكرر حوادث الهجوم على الصهاينة ذوي الملامح الشرقية، وأصبح كثير يُفضلون التسوق في مناطق نائية على الأطراف وليس في الأسواق التي في مراكز المدن، وأصبح أعداد أُخرى يخشون التنقل في الحافلات ويفضلون استخدام السيارات الخاصة بهم أو السيارات الخاصة المارة؛ فقد كشفت مثل هذه الهجمات الخاصرة الضعيفة للمجتمع الصهيوني الذي لا يقوى على استنزاف جبهته الداخلية ولفترة طويلة.

التصدي لاجتياح نابلس

في شهر مارس (آذار) من العام 2002م كانت القوات الصهيونية قد تزايد قيامها بعمليات اجتياح محدودة في مناطق (أ) الخاضعة للسيطرة الأمنية الفلسطينية، وكان قد وصل عدد الاجتياحات في مدينة جنين ومخيمها إلى حوالي (4) مرات التي كانت أكثر عُرضة للاجتياحات، والهدف الأهم بسبب ازدياد خطر المقاومة في هذه المدينة على العدو الصهيوني إضافة إلى اجتياح لمخيم بلاطة في مدينة نابلس واجتياح لطولكرم، ولمدينة بيت لحم وحصار كنيسة المهد في بيت لحم وعشرات الاجتياحات المحدودة في المدن الفلسطينية التي كانت عبارة عن عمليات عسكرية خاطفة لأحياء وضواحٍ على الأطراف، كما تزايد الحديث عن الاستعداد الصهيوني والتهديد بعملية اجتياح واسعة للسيطرة على المدن الفلسطينية وضرب حواضن المقاومة، وعزل وتصفية وتفكيك بؤر المقاومة ورموزها، ودخلت هذه العملية في شهر مارس (آذار)، وكانت البداية في مدينة بيت لحم ورام الله، وبعد ذلك في آخر شهر مارس (آذار) دخلت العملية الصهيونية في جزئها الأقسى والأشد مستهدفة البؤرتين الأكثر صلابة وخطرًا والتي احتاجت لحشد قوات كبيرة واستدعاء أعداد متزايدة من قوات الاحتياط في عملية اجتياح مدينتي نابلس وجنين، وكان المجاهد ربيع في نابلس يعاني من آثار إصابته التي لم تعقه عن العمل بالجهد الأقصى في عملية الإعداد والتطوير والإشراف على قيادة سرايا القدس في مدينة نابلس، وتوسيع دائرة وانتشار نشاط السرايا جغرافيًا وكمية ونوعية العمل، ومع اقتراب خطة الهجوم أو الاجتياح الواسع كان المجاهد طوالبة وإخوانه في مدينة جنين، وربيع وإخوانه في نابلس تمكنوا من إنجاز تحضير كميات كبيرة من المتفجرات من عدة أنواع، ومنها مواد نوعية إضافة إلى تمكنهم من الحصول على كميات كبيرة من المواد الأساسية والتي ليس من السهل توفرها بكميات كافية تدخل في عملية تصنيع المتفجرات، وأخذت الاستعدادات لمواجهة القوات الغازية تتسارع في تسابق مع الزمن، فكان الشعور المعنوي لدى المقاومين يعانق عنان السماء، وفي أوج هذه الاستعدادات لخوض المعركة التي ستدخل التاريخ وتسطر صفحات مشرقة في تاريخ ليس فقط الثورة الفلسطينية بل في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، في زمن الخنوع والهزائم، فكان المجاهد ربيع يدرس خياراته: هل يلتحق بإخوته في مخيم جنين؟ حيث إن الأخ والصديق محمود طوالبة يُلح عليه ومتشوق إلى وجوده بجانبه، أم يبقى في نابلس؟ فيقول المجاهد ربيع: "اتصل بي المجاهد محمود يحثني للقدوم لمخيم جنين وإلا سأفوت عليَّ أيامًا خالدة من فصول المقاومة ضد العدو، فأجبته بأني لم أحسم أمري بعد حيث إن عددًا من الإخوة في كتائب الأقصى في نابلس تربطني بهم علاقة طيبة طلبوا منا البقاء في نابلس وأنهم بحاجة إليَّ؛ لأني لديَّ خبرة في التصنيع وفي الاجتياحات بسبب مشاركتي في اجتياح مدينة جنين، وأنه جاء الوقت لرد المعروف لمدينة نابلس التي احتضنتني، كما أخبرت المجاهد محمود عن خشيتي من زج جميع قيادات مجاهدي السرايا في معركة نابلس وجنين دون ترك احتياط لضمان

الاستمرار، وحسمت خياري باتجاه البقاء في نابلس لكي لا أقع في دائرة المزايدات والتي ستؤثر على السرايا في نابلس والتي ما زالت غضة، وجرت نقاشات ومباحثات مع عدد من رموز المقاومة في نابلس لتوزيع القوات والإمكانيات ووضع خطة للمواجهة، واتفقنا على أن يتم التركيز على البلدة القديمة وتفخيخ المداخل ووضع الحواجز والسواتر وتقسيم البلدة إلى قطاعات وتوزيع القوات إلى مجموعات وأن تكون كل مجموعة ممن يعرفون بعضهم البعض، وأن كل مجموعة من الذين يكون أفرادها من القرى أو من مناطق من خارج نابلس أو ممن ليس لديهم دراية في البلدة القديمة أن يرافقهم دليل يلازمهم ولا يفارقهم، وأن يتم توزيع المواد التموينية في عدد من المواقع وليس تركيزها في مكان واحد، وأن يتم تفخيخ الأماكن العالية المشرفة على البلدة القديمة خاصة تلك التي كانت تستخدمها القوات الصهيونية إبان الانتفاضة الأولى ليتم اختيار مجموعة من المقاومين الذين لديهم قدرات عالية في التصويب مصحوبين من الإخوة ذوي المعرفة العالية بالبلدة القديمة وسطوح منازلها والممرات غير الرسمية أو الممكنة التي توصل ما بين مبنى لآخر ومن حي لآخر ومن سطح لآخر، وهدف هذه المجموعة هو التحرك الدائم وإحباط وإعاقة عمل القناصة واستهدافهم إضافة إلى توفير مستشفيات ميدانية وطواقم طبية ومواد طبية كافية وغيرها من التفاصيل، وقلت لمن التقيتهم من هؤلاء القادة من أمثال باسل البزرة والشهيد أبو شرار والشهيد مؤيد جميل والنابلسي وغيرهم أين تريدونني؟ فردوا عليه في مشاركتك في مثل هذه الأفكار ونحن لدينا عدد كافٍ من المجاهدين للقيام بذلك وسنعمل على تنفيذ ما طرحت، وفي 29/ 03/ 2002م. كانت الحشود الصهيونية تتوافد على أطراف ومحيط مدينة نابلس، فتم وضع الخطط والاستعدادات المطلوبة، ورغم اعتقادي بخطأ التحصن في البلدة القديمة إلا أني على خلاف قناعتي دخلت مع الإخوة ورافقني المجاهدون من السرايا الذين لم يكونوا معروفين بانتمائهم إلى الجهاد الإسلامي والجناح العسكري سرايا القدس ووفرت لهم لباس عساكر فلسطينيين ليظهروا وكأنهم من القوات التابعة للسلطة الفلسطينية، فاستطعنا الحصول على عدد من بنادق الكلاشينكوف من أجهزة السلطة خاصة من الشرطة وقوات الـ 17، وهكذا أصبح من الصعب تمييزهم عن عساكر السلطة، أما الإخوة من المجاهدين الذين عليهم بعض القضايا فبقوا خارج البلدة القديمة، ورغم توفر أماكن آمنة لدي وإمكانية الانسحاب إلى خارج مدينة نابلس إلا أني رفضت ذلك حتى لا أقع في دائرة المزايدات وبقيت تتردد في ذهني عبارة جاء الوقت الذي ترد فيه الجميل إلى مدينة نابلس وأهاليها التي وجهها إلى أحد قادة المقاومة من كتائب الأقصى فكان عليَّ أن أعطي مثالًا مهما كان الثمن، والآن أعترف أنه كان عليَّ أن أتبع قناعتي وصوت عقلي وأن لا أقع فريسة الشعارات والمزايدات، فكان الأمر مُجديًا أكثر لصالح المقاومة، لكني لستُ نادمًا على خياري، يمكن وصف الأمر بأني تبعت خلاف الأولى ففي يوم 31/ 03/ 2002م اكتملت الحشود العسكرية".

وفي ليلة 01/ 04/ 2002م ابتدأت المعركة فتم مهاجمة مدينة نابلس وجنين في نفس اللحظة، وقبل الهجوم على مدينة جنين ذهبت القوات الصهيونية إلى بلدة قباطية، وخلال ثلاثة أيام سقطت قباطية، فلم يكن في قباطية مقاومة كبيرة وغالب المقاومة تمركزت في مخيم جنين وفي البلدة القديمة في مدينة جنين، وفور دخول قباطية توجهت قوة صهيونية إلى بيت مجاهدنا ربيع أبو الرُب على رأسها ضابط الشاباك المسئول عن قباطية، وبعد العبث في محتويات المنزل وإثارة الرعب وتوجيه الإهانات والألفاظ النابية لوالد المجاهد ربيع، وفي محاولة للتشفي والانتقام وفي نوع من الغرور والتفاخر وجه ضابط الشاباك كلامه إلى والد المجاهد ربيع أمام العائلة التي تم تجميعها في ساحة البيت: "نحن نعلم أين ربيع وهو تحت أيدينا فحضر نفسك لدفنه فخلال أيام قليلة سأستدعيك للتعرف على جثته".

وفي اليوم الأول للمعركة يروي المجاهد ربيع قائلًا: "اتصل بي المجاهد طوالبة وكان صوت وقرع الطبول وسماعات المساجد تبث الشعارات والأناشيد وآيات التحريض والحث على الجهاد، ثم بدأت أصوات انفجار الألعاب النارية ومحمود يصرخ على الهاتف اسمع اسمع لدينا مهرجان قلت لك ستندم على اختيارك للبقاء في نابلس، ونود لو كنت معنا الأجواء هنا احتفالية، والكل متحفز للفرح لحظة اللقاء نلتقي في الجنة إن شاء الله، دير بالك على حالك فالمجاهدون يهدونك السلام. وفي اليوم التالي انقطعت الاتصالات والكهرباء وتم عزلنا عن العالم الخارجي، وحين تناول حكاية الاجتياح والمعارك والأحداث والبطولات تطول الأمر الذي قد لا يتسع المكان لهذا".

أما بطلنا المجاهد ربيع فقد اشترك وخاض المعركة ببطولة وثبات وتم اعتقاله بتاريخ 07/ 04/ 2002م مع المجموعة الأكبر من رجال المقاومة الذين دافعوا عن نابلس في اجتياح السور الواقي، والذين تم حصارهم في حوش العطعوط في البلدة القديمة، لينتقل مجاهدنا من خندق السلاح إلى خندق آخر من خنادق المقاومة، خندق صراع الإرادة ومواجهة المحققين في مراكز التحقيق في سجون الاحتلال بعد خوض معارك ضارية والموت فيها في كل لحظة وآلة الموت المنصبة بحممها من السماء والأرض، وطعنات الخيانة من الخلف تتخطف المجاهدين، ففي كل لحظة يسقط إلى جانب مجاهدنا شهيد أو جريح من أصدقائه أو إخوانه، والجوع والإرهاق ينال من الجسد، والأشد من ذلك القلق على مستقبل المقاومة واستمراريتها، فغالبية الإخوة من كبار المجاهدين وأهل الخبرة في جحيم المعركة في مخيم جنين ونابلس الذي لا يعرف مجاهدنا مصيرهم، منهم ارتقى شهيدًا، ومنهم تخطفه الأسِر، ومنهم استطاع النجاة، ففي هذه الساعات الصعبة من الأفكار المتسارعة التي تكاد تفجر الرأس ويشتعل الأمل فيقول مجاهدنا: "لقد اتصل بي المجاهد إياد صوالحة _رحمه الله_ في ليلة اليوم الأول وقبل بدء المعركة ليخبرني بأنه قادم من طولكرم، وأنه الآن قد دخل مدينة نابلس، وأنه في طريقه إليَّ، فأخبرته أن عليه إغلاق هاتفه والمغادرة فورًا وعليه أن لا يدخل المدينة ولا مخيم جنين،

الشهيد القائد/ إياد صوالحة
استشهد بتاريخ 09/ 11/ 2002م

فيجب أن يبقى أحدٌ منا خارج المعركة؛ لأننا دخلنا بكل مجاهدينا فيها فوافق على ذلك، ففعلًا كان خيارًا صائبًا حيث إن المجاهد القائد إياد صوالحة أخذ على عاتقه ملء الفراغ عقب الاجتياح والخسارة الفادحة التي مُنيت بها سرايا القدس، وأصبح صوالحة القائد العام وأعاد تجميع ما بقى من المجاهدين وتنظيمهم وأبلى بلاءً حسنًا بضربات أوجعت العدو في مجدو وكركور".

الاعتقال الثاني.. مرحلة جديدة من الجهاد في السجون

لقد كاد مجاهدنا ربيع أن يفلت من بين يدي الشاباك الذين لم يستطيعوا تشخيصه بادئ الأمر بعد تقمصه شخصية أخرى لولا عملاء وجواسيس العدو الذين قاموا بتشخيصه؛ فقد كانت المعلومات لدى الشاباك وكثير من المقاومين أن المجاهد ربيع قد استشهد في عملية جبانة قام بها أحد أعوان الشاباك بإطلاق النار من الخلف، فهذه الحادثة أدت لارتقاء إياد أبو الرُب ومحمود القني شهيدين وإصابة مجاهدين آخرين، فذاع الخبر باستشهاد المجاهد ربيع، وكان مسجلًا في قوائم الشهداء، لكن كُتبت لمجاهدنا حياة جديدة ودور جديد، أليس مجاهدنا ربيع من عاش ويردد ويستشعر معاني الآية القرآنية ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39]، فمنذ اعتقال مجاهدنا في 07/ 04/ 2002م خاض ثلاث تجارب تحقيق آخرها 2010م على إثر معلومات وردت من خلال التنسيق الأمني على اعترافات ومعلومات لدى السلطة الفلسطينية تخص قضايا العام 2001م، وفور وصول المجاهد ربيع لسجن شطة بعد انتهائه من التحقيق انخرط في ساحة العمل الجديد، فكان من نتائج انتفاضة الأقصى خاصة عقب الاجتياحات قد تضاعف عدد الأسرى وفتحت سجون جديدة، وكان العدد المتزايد للمجاهدين في ساحة السجن بحاجة إلى جهد كبير خاصة أن غالبيتهم ليس لديه تجربة اعتقالية ومستجدين على الواقع الجديد وتنقصهم آلية تنظيمية وثقافية، والكادر الموجود غير قادر على استيعاب هذه الأعداد الكبيرة، الأمر الذي استدعى جهودًا كبيرة، واستغلال كل الطاقات الممكنة ليأخذ المجاهد ربيع مكانه، وخلال وقت قصير في ساحة العمل التنظيمي والتثقيفي في الحركة الأسيرة، وقبل انتهاء عام 2002م قامت قوات الاحتلال بهدم منزل عائلة مجاهدنا، وقبل الهدم بوقت قصير اعتقل شقيق المجاهد ربيع الأكبر محمد أبو الرُب الذي كان أيضًا مطاردًا لقوات الاحتلال ليكون وقع الصدمات المتتالية ثقيلًا، وفي العام

2004م حكمت المحكمة العسكرية الصهيونية عليه بالحكم المؤبد إضافة إلى 35 عامًا، وعلى شقيقه محمد بالمؤبد، ثم تم تخفيض الحكم إلى (30) عامًا في محكمة الاستئناف العسكرية، فرغم عدم تمكن المجاهد ربيع من إكمال دراسته الجامعية في جامعة النجاح بسبب الظروف والمطاردة قبل الاعتقال، بقي حلم إكمال الدراسة الجامعية يراود المجاهد ربيع، فكانت إدارة سجون الاحتلال قد سمحت للأسرى بالدراسة عن بُعد في الجامعة العبرية ضمن شروط قاسية وابتزاز، فكان أي تقرير أو شيء يقوم به الأسير بعد مخالفة يعاقب بمنع التعليم الجامعي،

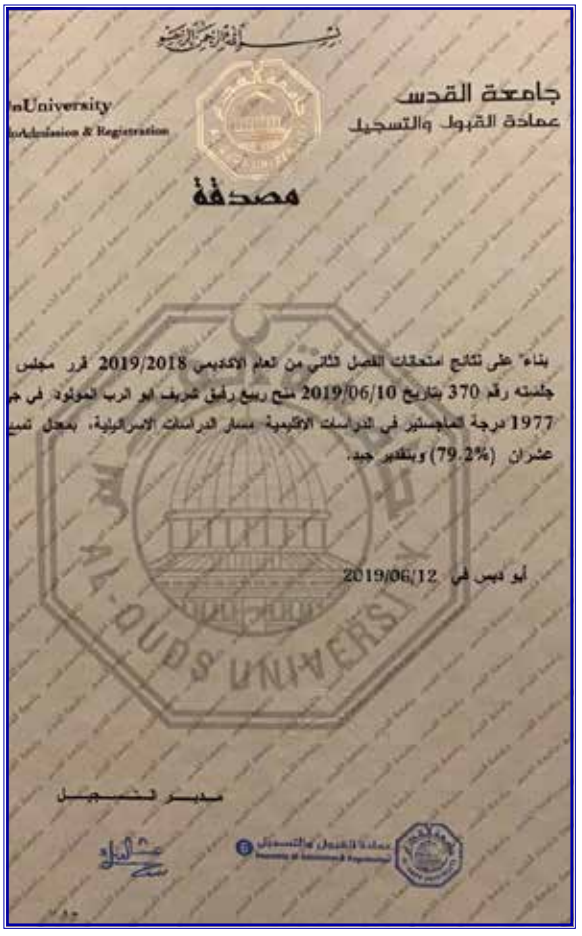
جامعة القدس
عمادة القبول والتسجيل
Al-Quds University
Admission & Registration
مصدقة
بناءً على نتائج امتحانات الفصل الثاني من العام الأكاديمي 2019/2018 قرر مجلس جلسته رقم 370 بتاريخ 2019/06/10 منح ربيع رامق شريف ابو ذرب الموئود في ج 1977 درجة الماجستير في الدراسات الأكاديمية مسار الدراسات الاسرائيلية، بمعدل تميز عشران (79.2%) وبتقدير جيد.
أبو ديس في 2019/06/12
مدير التسجيل
AL-QUDS UNIVERSITY

بل وصل الأمر إذا ضبط شيء مهما كان تافهًا في الغرفة التي يسكن بها طالب يتم معاقبته، لذلك استمر الرفض لالتحاق المجاهد ربيع بالتعليم الجامعي من قبل إدارة السجون حتى عام 2008م فجاءت الموافقة، وعندما قام بإجراءات التسجيل ودفع الرسوم وقبل دخول الفصل الأول عوقب بمنع التعليم إلى أن أثمرت جهود الأسرى ومساعيهم عن تحقيق اختراق سيكون له أثر على الأسرى في العام 2010م، ثم الحصول على موافقة من جامعة الأقصى ومقرها في غزة وجامعة القدس المفتوحة بالسماح للأسرى الالتحاق بالتعليم الجامعي، فدرس المجاهد ربيع في القدس المفتوحة سنة، ثم تراجعت جامعة القدس المفتوحة عن موافقتها، ثم التحق مجاهدنا بجامعة الأقصى، وعندما كان على وشك التخرج سمحت جامعة القدس أبو ديس بالتحاق الأسرى بالدراسة الجامعية فقط في سجن هداريم؛ لتوفر كادر أكاديمي نوعي، فالتحق المجاهد ربيع بجامعة القدس أبو ديس كون هذه الفرصة هي الأفضل بسبب سمعة ومكانة جامعة القدس أبو ديس ونوعية التخصص وهو العلوم السياسية، فكان في هذه الفترة قد سُمح ببرنامج الماجستير التابع لهذه الجامعة في معهد الدراسات الإقليمية فأنهى المجاهد ربيع البكالوريوس، ثم التحق مباشرة بالماجستير، وكان هذا أيضًا فقط في سجن هداريم، وأنهى المجاهد ربيع دراسته باللقب الأكاديمي الثاني في عام 2019م في معهد الدراسات الإقليمية مساق الدراسات الإسرائيلية، وكان قد تأخر في دراسته بسبب التنقلات المتكررة في سجون الاحتلال التي أعاقته، كما أنهى المجاهد ربيع عددًا من الدورات وأسهم إسهامًا كبيرًا في عملية التدريس سواء من خلال البرامج الثقافية التنظيمية الداخلية أو التدريس الأكاديمي، فبكل صدق شمس قد أضاءت ما حولها بنور الجهاد والمقاومة وبحسن الأخلاق وبفضل العلم يصبح منارةً للأجيال القادمة التي نرجو أن تكون أجيالًا أفضل من أجيالنا.

الأسير المجاهد
هيثم أحمد سمارة عنتري

مناضل ترعرع على حب فلسطين

تاريخ الميلاد: 1980/03/02م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة دير شرف – محافظة نابلس

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2002/11/26م

الحكم: 4 مؤبدات و20 عامًا

لأنهم شموس المجد وأقمارٌ قد أضاءت ظلمة الحياة، فكانوا بناءنا الشامخ، بعلوّ هاماتهم وقاماتهم تقدموا الصفوف، فأبدعوا وكانوا أبطالًا في ميادين المقاومة، وأعلنوا للجميع أنهم لم يقبلوا الدنية ولم يتركوا القدس حزينة، وكان منهم رفيقنا رفيقًا أبيًا لم يرق له أن يرى المحتل يصول ويجول في الوطن الأسير السليب، وهبّ لنجدة شعبه ليبني حياة الآخرين، واستمد عنفوانه وقوته من صخور بلدته ومن جبال عيبال الشامخة، ونال نصيبه من التمرد في سفوح جرزيم، تعلّم رشق الرصاص مُذ كان عمره 16 عامًا ليصبح معلمًا ومرشدًا وقائدًا في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

الميلاد والنشأة

إنه المناضل البطل الرفيق هيثم أحمد سمارة عنتري الذي وُلد في بلدة دير شرف التي تقع إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس، وتبعد عنها حوالي 9 كم، وتتميز بأنها على مثلث بين مدن نابلس وطولكرم وجنين وقلقيلية، ويجثم على أرضها مستعمرة "شافي شمرون"، وتتميز القرية بطبيعتها الخلابة حيث تقع على تلة مرتفعة وتحيط بها الجبال من كل جانب لتكون عصية على العدو في حالة

مهاجمتها، وكأن الله _عز وجل_ قد أراد لها الحماية. تشتهر هذه البلدة بزراعة الزيتون والأشجار المثمرة كاللوزيات، وتكثر فيها الزراعة بشكل عام ولا سيما لوجود السهل الأخضر الجميل والمجبول بعرق الفلاحين المساكين والغلابة من أهل فلسطين حيث يزرع فيها عدة محاصيل موسمية، وتسكن هذه البلدة عدة عائلات فلسطينية كبيرة وهي عائلة العنتري ونوفل وحارة وفقهاء، وفي السنوات الأخيرة توافد الكثير من مختلف المدن الفلسطينية إليها إما للسكن وإما للأعمال التجارية وفتح المحال التجارية، ويمر من وسط البلدة شارع رئيسي على جانبيه مئات من المحلات المتنوعة، وذلك لحيوية المنطقة التي تعج بالآلاف من الزائرين دائمًا وخاصة من أهلنا في الداخل المحتل 1948م.

كانت طفولة رفيقنا البطل هيثم مُفعمة بالأمل المنشود في مستقبل جميل، فهكذا تمنّى وليس كل ما يتمنّى الطفل أن يكون سيكون إلّا أن يتمنى أحدنا أن يكون بطلًا فهذا لابد وأن يتحقق في فلسطين؛ لأنّه في الجينات الوراثية لشعب فلسطين يوجد جين اسمه الثورة، وآخر اسمه البطولة، وآخر اسمه حب الوطن، وآخر اسمه النصر، وآخر اسمه التحدي، وآخر أكثر تطورًا اسمه العمليات الفدائية؛ لذلك فإن هذا الطفل كان في بدايات سنوات عمره مُولعًا بالطبيعة الخلّابة لمناظر بلدته وعشقه للمدرسة والدراسة، وأضف إلى ذلك كله موهبة هامة وهي فن الرسم، فقد أبدع في الفن والرسم، وكان يعشق أن يرسم صورة لأحد قادة الجبهة الديمقراطية الذي استشهد في سجون الاحتلال، هو الشهيد عمر محمود القاسم، وأبدع أكثر في رسم صور من الانتفاضة الأولى، وأضاف لها لمسة جميلة بخطه الجميل، وهذا لم يكن ليكون لولا البيئة العائلية التي حظِيَ بها رفيقنا هيثم.

منظر عام لبلدة دير شرف بمحافظة نابلس

طفولة فلسطينية خالصة

ترعرع أسيرنا هيثم في وسط عائلة مناضلة بامتياز ينتمون للجبهة الديمقراطية، وكان الرفيق هيثم صنيع والده الفلّاح والمثقف ومشروع إخوانه الأبطال الثُوّار، ومن هُنا لم تكن طفولته كما أراد، بل كما الأحداث وعائلته وبيئته أرادت ذلك، فكيف لطفل صغير أن يرى الوحوش الضارية من الصهاينة يقتحمون منزلهم ويبدؤون بإطلاق الرصاص في كل مكان وإحداث ضجيج مرعب، وكيف لطفل يرى هذه المشاهد الإجرامية ويبقى يرسم في مخيلته شكل المستقبل الإيجابي الجميل المنشود، لتأتي الصورة الأصعب في حياته وهو لا يزال في عمر عشر سنوات حيث توفيت والدته وانقطع عنه حبها وحنانها ودفؤها، وأظلمت أمامه

كل الصور إلا أن والده ومن شدة حبه لزوجته رفض الزواج بعدها، وبقي وفيًا لها ولأبنائه، وحاول حينها تعويض ولده بفقدان أمه الذي ليس سهلًا على طفل صغير أن يتقبل ذلك وبسهولة، وكذلك فعل إخوانه كونه أصغر إخوانه الخمسة ليخرجوه من حالة الحزن والكآبة إلى حالة النضال والمقاومة في صفوف الجبهة الديمقراطية، فكانوا يوكلون له المهمات الكبيرة خلال الانتفاضة الأولى حيث كان يحضّر لهم البلطات ويخبئها، وكذلك البدلات العسكرية واللثامات والحطّات الحمراء والصور والبيانات وعلب الرش لكتابة الشعارات التي تمجد الانتفاضة الفلسطينية، ورغم صغره علم بشكل مسبق بكل تحركات إخوانه ولا يزال يتذكر صور الشهداء الثلاثة المعلقة على جدران غرف الضيوف في منزلهم والتي تعود للقادة الشهداء _رحمهم الله_ عمر القاسم وخالد نزال وأحمد الكيلاني، ورسم شكل الوطن ورسم خريطته فوجدها بمساحة 27027 ألف كم2، ورسمها من شمالها في رأس الناقورة إلى جنوبها في أم الرشراش، وعمّق وعيه أكثر عندما كان إخوانه يصطحبونه للمشاركة في المسيرات الشعبية وحضور العروض العسكرية، وأيضًا حضور المهرجانات الوطنية في جامعة النجاح الوطنية في نابلس أو لرؤية ما يحدث في تلك الانتخابات أي انتخابات مجلس اتحاد الطلبة، وكبر هذا الطفل قبل أوانه فأصبح واعيًا لحقيقة ما يدور حوله أكثر من كل مثقفي الدول العربية، لهذا أحبه والده كثيرًا ووضعه في عيونه وقلبه، فعمّق هذا الحاج ثقافته عندما كان يطلب ولده هيثم أن يحضر له الكتب من مكتبة المدرسة، ثم يعيدها بعد قراءتها، وللعلم فإنه يتقن اللغة الألمانية بطلاقة حيث عاش في ألمانيا لخمس سنوات كان يعمل هناك بكل جد ونشاط لإعالة عائلته، ثم توجه إلى الأردن للعمل في مجال التنقيب عن النفط ولاسيما أن جده لأمه يعمل مديرًا لشركة بحث وتنقيب عن النفط في الأردن، ولا يزال يتذكر رفيقنا هيثم ذلك اليوم الذي صحبه والده إلى بيت جده في عَمّان وكان معه والدته، فهي المرة الوحيدة التي يتذكر به جده وخاله وخالاته، وكان وضع جده الاقتصادي جيدًا جدًا لطبيعة عمله في شركة النفط لينعم هذا البطل بنعيم عائلته وكرمها وسخائها، ثم توجه والده إلى فلسطين ليعمل في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م في وطنه في مهنة الحدادة، ولطبيعة عائلته وانتمائها كان انتماؤه مؤكدًا للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، ومارس نشاطه في كبره كما كان في صغره، وكان يُعدّ هذا التنظيم هو الثاني بعد حركة فتح في بلدتهم مما أتاح له أن يكون من أبرز نشطاء الجبهة الديمقراطية.

انخراط هيثم في العمل الشرطي

استمر نشاطه اللامحدود في مدرسته وبلدته إلى أن جاءت السلطة بعد العام 1993م، وأصبح إخوانه الذين لهم صولات وجولات في قيادة الجبهة الديمقراطية ينخرطون في مؤسسات السلطة الحكومية، وما أن جاء العام 1996م حتى قرر رفيقنا البطل هيثم الانقطاع عن التعليم رغم قناعته بأهميته والاتجاه والالتحاق بصفوف الشرطة

الفلسطينية التابعة للمجلس التشريعي، وتم تدريبه مع وزملائه على آلية المراسم والتشريفات والرماية. وتميز هذا الجهاز عن غيره من الأجهزة الأمنية الأخرى، وكانت أول مهمة له في الشرطة استقبال الرئيس الفرنسي جاك شيراك للأراضي الفلسطينية، وكان حينها رفيقنا من ضمن حرس الشرف، وعشق الرفيق هيثم عمله وأحبه كثيرًا كونه مصلحة عليا للوطن وللشعب وللقضية، فما كان إلّا مدافعًا عن فلسطين ووقف في وجه الجيش الصهيوني إبّان الانتفاضة الأولى وأراد أن يحميها بصدق كما يقول عندما انتمى لجهاز الشرطة الفلسطينية.

انتفاضة الأقصى وحمايتها

استمر رفيقنا بعمله في الشرطة إلى أن جاءت انتفاضة الأقصى 2000م وكأن الرفيق كان منتظرًا لها ولاسيما أنه أتقن حمل السلاح والتدريب عليه، وبدأ منذ الأشهر الأولى للانتفاضة بالقيام بعدة عمليات في منطقة غرب نابلس،

وكانت العمليات يتم الإعلان عنها باسم سرايا الاستقلال التابعة للجبهة الديمقراطية التي أصبح جناحها العسكري رسميًا فيما بعد (كتائب المقاومة الوطنية)، وكان الرفيق هيثم يعمل حينها ضمن إحدى الخلايا، وكانت هذه الأعمال البطولية في الانتفاضة جاءت بعد أن بدأ الاحتلال يُكرّس جهده وكافة أجهزته الأمنية لنزع سمة الانتفاضة الشعبية عنها من أجل منع التعاطف الدولي مع القضية الفلسطينية، ومارس هذا الاحتلال مخططه عبر إلحاق المزيد من الأذى والألم للشعب من خلال الخراب والتدمير والإهانة والإذلال والقتل وسفك الدماء، فهذا المحتل لم يفرق بين الرجل والمرأة والطفل والرضيع فالكل معرض للقتل، وكلما قتل من الفلسطينيين أكثر زادت أسهم المؤسسة العسكرية في الكيان الصهيوني أكثر، وكلما تجنّد الإعلام لصالح الجيش الصهيوني كان الجيش مستعدًا للقتل أكثر، واستغل الاحتلال حالة الاشتباك مع الفلسطينيين ليحمّل السلطة الفلسطينية والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات المسؤولية عن كل ما يخرج من عمليات عسكرية أو استشهادية من المدن التي تسيطر عليها السلطة، ونجحت إلى حد ما وسائل الاعلام الصهيونية في عرض المشهد أمام العالم أن هذه الانتفاضة عبارة عن حرب بين جيشين متساويين وأنه قد لحق دمار في الجانبين وإن طال الفلسطينيين أكثر، وهنا لم ينتبه الفلسطينيون إلى هذا الأمر، واشتدت أعمال الانتفاضة خلال الأشهر الأولى بدخولها إلى مرحلة العسكرة نتيجة ازدياد البطش الصهيوني.

أبرز مهامه الفدائية وعملياته المسلحة

بدأت المجموعات تعدّ نفسها للعمل على التصدي للعدو الصهيوني حيث بدأت خلية الرفيق هيثم بالعمل خلال الخمسة الشهور الأولى للانتفاضة عبر تنوع عمل هذه المجموعة المقاومة وتنفيذها سلسلة عمليات عسكرية ضد قطعان المستوطنين من خلال الكمائن والاشتباكات المسلحة، والأهم عبر اقتحام مستوطنة "شافي شمرون" غرب مدينة نابلس، ولا يزال يتذكر رفيقنا في ذلك الوقت قيام نحو 17 عائلة صهيونية بالهجرة من تلك المنطقة إلى داخل وعمق الكيان الصهيوني، وقد تكبّد الجيش ومستوطنوه خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات المادية لتتوالى أحداث الانتفاضة الفلسطينية لتصبح أكثر قضية يشاهدها ويتابعها العالم، وكثّف العدو نشاطه العسكري الإجرامي بحق الشعب الفلسطيني عبر ضربه للبنى التحتية للسلطة الفلسطينية وأجهزتها المختلفة تحت ذريعة أن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات هو الذي يدعم المقاومة الفلسطينية، ولذلك بدأ الشاباك وبمساعدة الجيش تكثيف نشاطاته لاعتقال الخلايا العسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية، وتم في بداية شهر مايو (أيار) عام 2001م اعتقال اثنين من أفراد خلية الرفيق هيثم، وبدأت عملية مطاردته فيما بعد، وهو ما دفعه ليأخذ قراره النهائي بمغادرة مدينة نابلس والتوجه لمدينة رام الله كون السلطة تسيطر وبشكل كامل على رام الله لقوة الأجهزة الأمنية فيها، بالإضافة لقوة المقاومة الفلسطينية أيضًا.

ما أن وطئت قدم الرفيق هيثم أرض رام الله حتى اندفع بكل قوة لمواجهة محاولة اقتحامات العدو لمحاور المدينة، وقرر الرفيق هيثم القيام بعملية عسكرية نوعية ضد الاحتلال، فتوجه إلى مدخل مستوطنة "بيت إيل" المقامة على أرض رام الله، وتعتبر هذه المستوطنة من أخطر المستوطنات في رام الله وتشكل أهمية قصوى للاحتلال،

مشهد متكرر للمواجهات على مدخل مستوطنة "بيت إيل" المقامة على أرض رام الله

وهناك من الصهاينة من يعتبرها بأنها مقدسة وفقًا لادعاءات توراتية، لذلك ما أن شاهد رفيقنا هيثم سيارة للمستوطنين من نوع فورد ترانزيت على مدخل المستوطنة حتى ترجل من سيارته ممتشقًا سلاحه مصوبًا رصاصه على سيارة المستوطنين، وأفرغ مخزنًا كاملًا من الرصاص على من بها ليوقع بها ثلاث إصابات إحداها بالغة الخطورة، وفقد سائق السيارة مقدرته على التحكم بالسيارة مما جعلها تصطدم بالسواتر الترابية فانقلبت، وبعد انسحاب الرفيق هيثم من موقع العملية رأى سيارات الإسعاف تهرع لنقل الجرحى، ومن ثم قرر أن تكون العمليات أكثر تنظيمًا وترتيبًا وتخطيطًا وتوالت العمليات العسكرية على الشوارع الالتفافية

القريبة من مدينة رام الله والبيرة وقرى شرق رام الله حتى وصلوا إلى قرى أبو ملاح وترمسعيا وسنجل وعين عريك وأم الشرايط ثم قلنديا، وما هي إلا فترة من الزمن حتى بدأت الخطة الشارونية الصهيونية في عملية السور الواقي، وداست دبابات الاحتلال الصهيونية كل الاتفاقيات السلمية الموقعة ما بين السلطة والكيان الصهيوني، وما كان من بطلنا هيثم إلا الوقوف إلى جانب المقاتلين الفلسطينيين لصد هذا العدوان بما ملكوه من سلاح بسيط ومتواضع، وبعد هذا الاجتياح بدأت تتعمق علاقاته بعدد كبير من المجاهدين والمناضلين؛ لذلك واجه صعوبات كبيرة من قبل أجهزة السلطة ولاسيما أنه ينتمي إلى جهاز الشرطة وعليه أن يلتزم بقرارات هذا الجهاز وعدم التمرّد عليها، وتدخل رفاقه في قيادة الجبهة الديمقراطية لوقف المضايقات والاستفزازات التي كان يتعرض لها حيث تم شرح حالته النضالية وما قام به، وأنه مطلوب للاحتلال، وعندها تم تقديم الدعم اللوجستي المطلوب له من قبل جهاز الشرطة الفلسطينية وكان لتواجد الجيش الصهيوني في داخل المدن الفلسطينية بعد عملية السور الواقي فرصة أمام الرفيق القائد هيثم لإعادة ترتيب أموره النضالية، وبدأ بمهاجمة القوات الصهيونية عبر إطلاق النار وإلقاء القنابل اليدوية داخل مدينة رام الله والبيرة، وتم مهاجمة كل مكان يتواجد به الاحتلال داخل المدينة، بدأ من داخل المقاطعة المحاصرة وحي الماصيون في رام الله ومدخل مخيم الأمعري، وكان إلى جانب رفقاء الدرب يعملون على نصب الكمائن لدوريات الاحتلال.

المطاردة والاعتقال

استمر هيثم على هذا النحو في مواجهة المحتل، وبدأ الشاباك الصهيوني عبر جواسيسه وعملائه في متابعته وملاحقته حيث اقتحمت القوات الصهيونية إحدى الشقق في حي أم الشرايط في مدينة البيرة، وكان الرفاق قد استأجروه للرفيق هيثم، وقبل اعتقاله بساعة تقريبًا شعر رفيقنا هيثم بأنه مراقب، وأن هناك من يقوم بملاحقته، فحاول الهروب من ملاحقة ذلك الجاسوس ظانًا أنه تمكّن من خداعه إلّا أن الجاسوس الثاني بدأ في إكمال ما بدأ به الجاسوس الأول، فذهب إلى شقته في حي أم الشرايط بطيبة قلبه المؤمن بالله _عز وجل_ فصلّى وبدأ يقرأ في جزء عمّ من القرآن الكريم وإذا بالوحوش الضارية تحاصر الشقة، وتم التهديد بتفجير المنزل فكان يوم 28/ 11/ 2002م هو يوم اعتقال رجل شجاع ستشتاق له ميادين العز والبطولة في ساحات الضفة الغربية.

تم اقتياد الرفيق هيثم إلى معسكر عوفر بالقرب من مدينة رام الله، وتفاجأ حينها أنه قد تم إحضار اثنين يعرفهما جيدًا، وقد أخبرهما بأنه سيتم الإفراج عنهما كون هذا الاعتقال له وليس لهما، وبادر أحدهما بتقديم الخدمات له بمعنى أنه بدأ يقول للرفيق هيثم إن أردت أن تؤجل أي معلومة فأنا على استعداد لذلك وخاصة فيما يتعلق بالسلاح إلّا أنّ الرفيق هيثم كان قد رتب أموره سلفًا احتياطًا لمثل هذا اليوم، وتأتي الأيام وتحمل معها إلى الرفيق هيثم خبرًا مفاده أن هذا الشاب

كان متعاونًا مع الشاباك الصهيوني، وتم كشفه من قبل الأمن الوقائي فيما بعد، وتم الحكم عليه 15 عامًا حيث عادت ظاهرة العملاء بقوة في انتفاضة الأقصى. وبعد مضي نحو عدة أشهر انهار جهاز العملاء حيث كرس جهاز الشاباك الصهيوني كل قوته وجهده ووقته في بناء شبكة جواسيس قوية مزروعة في كل المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية وخاصة في الفصائل والتيارات الوطنية والإسلامية؛ لذلك هرب العديد من العملاء إلى داخل الكيان طلبًا للأمن والأمان، وبعضهم قام بتسليم نفسه للسلطة الفلسطينية، وبعضهم إلى قادة العمل الوطني والإسلامي من أجل التسوية، وللأسف الشديد حدث خطأ فادح في بداية الانتفاضة عندما بادرت إحدى الحركات وأعلنت عبر مكبرات الصوت في المساجد أنها على استعداد تام لإعطاء العفو الكامل للجواسيس مقابل توبتهم الكاملة، ولذلك كانت هذه فرصة كبيرة لهم لإعادة تموضعهم ودخولهم بعد توبتهم إلى الساحة الوطنية من باب وطني ليعود الشاباك بإعادة هيكلة وتشكيل جهاز الجواسيس، مما أضرّ بالنسيج الوطني الفلسطيني، وساهم ذلك في اعتقال أو تصفية العديد من قيادة الشعب الفلسطيني، وكان اعتقال الرفيق هيثم نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لذلك.

من التحقيق للسجون

وجد الرفيق البطل هيثم نفسه في تحقيق الجلمة أو ما يسمى تحقيق كيشون، وهناك بدأت رحلة العذاب الجسدي والنفسي الذي بدأ من اللحظة الأولى لاعتقاله، وتم وضعه في ناقلة للجند وقد جلس حينها عدد من الجنود فوقه، فعانى من ألم شديد في أسفل الظهر بالإضافة إلى جروح في الرأس، وحضر أحد الجنود يدّعي أنه طبيب فأبلغه الرفيق هيثم عما حدث معه وما أصابه من آلام وجروح، وقال له دون أن يفحصه بأنه في حالة جيدة ونحن نعلم كيف سنعالجك، وقبل اعتقاله بأسبوع كان الشاباك قد اعتقل العديد من أبناء بلدته، وكان معظم التحقيق معهم حول نشاطات الرفيق هيثم، وخلال الأسبوع الأول للرفيق هيثم في الزنازين لم يتمكن من رؤية أحد سوى السجان الذي كان يحضر الطعام والشراب ليأتي بعدها التحقيق النفسي والجسدي ما بين الترغيب والترهيب، وكان يتمركز تحقيق الشاباك معه حول نشاطه في مدينة رام الله خاصة أن خلية دير شرف قد تم الحكم عليها كالتالي: أشرف نوفل 40 عامًا وشقيقه لؤي نوفل مؤبد، ونضال العنتري 22 عامًا؛

لذلك كان فترة التحقيق قاسية وعنيفة، ومكث الرفيق هيثم ساعات طويلة جدًا، وفي بعض الأحيان يستمر ليومين وأكثر مقيد اليدين والقدمين على كرسي حديد، إلّا أنّ الشاباك لم يتمكن حينها

من الحصول على اعتراف منه، وقرر إرساله إلى أقسام العصافير (الجواسيس) كمصيدة له ومعه ثلاثة مجاهدين من الجهاد الإسلامي من مدينة جنين وقال لهم أنتم ذاهبون معي إلى أقسام العصافير إيّاكم أن تتحدثوا مع أحد أو تذكروا أي شيء أمام أحد، وكان صبرهم ورفضهم للحديث عملًا بنصيحة الرفيق هيثم سببًا في حريتهم، وكانوا عبارة عن طلبة في الجامعة العربية الأمريكية. وتم عودته إلى التحقيق من جديد وتمحور التحقيق معه حول قتل الجنود الصهاينة، وكانت أيام التحقيق من أصعب الأيام التي مرّت على رفيقنا، وقد أمضى نحو شهرين ونصف في هذا العذاب الذي لم يكن ليتوقف، وقرر الشاباك حينها الاكتفاء بمدة التحقيق وإرساله إلى السجون ليكون السجن الأول الذي سيدخله هو سجن هداريم، وهذا السجن يقع على مقربة من سجن تلموند جنوبي الخط الممتد بين مدينتي طولكرم ونتانيا على الطريق القديم المؤدية إلى الخضيرة، وهو سجن حديث نسبيًا تم تأسيسه على نظام السجون الأمريكية، وأقسامه تتكوّن بشكل دائري، وأُنشئ بالأساس على اعتبار أنه سجن للجنائيين المدنيين إلّا أنّه تم تخصيص قسم 3 للأمنيين، ودخله أول فوج لأول مرة في العام 1999م، ويتكوّن هذا السجن من ثمانية أقسام ويتّسع لنحو 600 معتقل، وكل قسم يتكون من طابقين، وكل طابق من 20 غرفة، وهذا القسم لأنه أمني يخضع لإدارة منفصلة وخاصة عن بقية السجون، وللعلم فإن مساحة الغرفة 3×4م يلحق بها دورة مياه، كما يوجد في القسم 8 حمامات خارجية مما يسبب إشكاليات كثيرة للأسرى، وتم تخصيص قسمين إضافيين وهما (4، 8) عندما كان عدد الحركة الأسيرة كبيرًا نسبيًا، وكان الرفيق هيثم قد تنقّل بين كل تلك الأقسام الأمنية (3، 4، 8) وتعرف على عدد من أبناء الحركة الأسيرة وبكافة فصائلها المقاومة.

محاكم صورية

بدأ مسلسل المحاكم الصورية الإجرامية وسلسلة البوسطات والمعابر التي لا تتوقف، وتمت أول محاكمة له في محكمة "بيت إيل"، فإذا بالرفيق يقف أمام قاضي صهيوني يعرفه جيدًا، في بداية الأمر ما أن رأى القاضي الرفيق هيثم حتى تبسّم في وجهه وتحدّث معه وقال: هل تعرفني يا هيثم، فأجابه البطل هيثم: نعم أعرفك جيدًا فقد كنا نود أن نقتلك قبل أشهر، فأظهر حينها ذلك القاضي أنه يتعامل بإنسانية وأنه يطبق القانون ولا يكترث لطبيعة الصراع لصهيونيته الإجرامية، وسأل الرفيق هيثم: ماذا تريد؟ فأجابه إذا كنت تدعي الإنسانية فأنا أريد مقابلة عائلتي التي لم أرها منذ فترة طويلة،

الأسير المناضل/ هيثم عنتري
برفقة والده خلال زيارته له في السجن

فسمح له القاضي حينها لمدة نصف ساعة لرؤية عائلته، وقال له: إنك يا هيثم موجود في محكمة "إسرائيلية" وليس في محكمة رام الله عند السلطة الفلسطينية حتى أنتقم منك، وكان يتظاهر أمام الجميع بأنه يعمل في إطار القانون وأنه في ظل دولة ديمقراطية إلّا أنّ حقيقة الأمر أنّ هذه المحاكم الصهيونية هي محاكم صورية، ومن جهة الشاباك الصهيوني هو الذي يحركها ويصدر الأوامر لها، وهي محاكم عسكرية لها قوانينها الخاصة تتنافى مع كل القوانين الدولية، وللعلم فإن هذا القاضي قُتل والده في إحدى العمليات التي نفذتها مجموعة البطل هيثم.

الجمع بين النضال والوعي والعلم

كان الرفيق هيثم في سجن هداريم شعلة من النشاط والحيوية، وقد شكل علاقات اجتماعية جيدة مع كافة الفصائل، ولا يزال يتذكر عندما التقى هناك برفيقين من قرية الغجر اللبنانية وعاش معهما لفترة من الزمن إلى أن حضر العديد من رفاق الجبهة الديمقراطية، وبدأت عملية توزيع الرفاق على كافة الأقسام في سجن هداريم مشكلين حالة تنظيمية منظمة ومرتبة ومنضبطة، وكما هو حال كل أسير فلسطيني يبدأ من أشهره الأولى في الاعتقال بالبحث عن برنامج ثقافي ورياضي للارتقاء بنفسه وشخصيته وثقافته، وكان حينها قد تم منع التعليم الجامعي في الجامعة العبرية كما كان حال الغالبية العظمى من أبناء الحركة الأسيرة، فما كان منه إلا الوقوف إلى جانب الحركة الأسيرة في برامجها النضالية والثورية ضد ما تقوم به مصلحة السجون من استفزازات وإجراءات قمعية بحق الأسرى، وقرر أن يخوض معهم الإضراب عن الطعام في العام 2004م، وكذلك التضامن في إضراب الأبطال في سجن هداريم قسم (3) الذي سبق عام 2004م بعدة أيام، وتم نقله من سجن هداريم إلى سجن ريمونيم لمدة 10 شهور، وهناك تمكّن من تعلّم اللغة العبرية وأتقنها خير إتقان، وانتقل بعدها إلى سجن رامون والتحق بالتعليم الجامعي في الجامعة العبرية بعد طول معاناة وانتظار إلى أن حصل على الموافقة، ودرس حينها ثلاثة فصول؛ لأن مصلحة السجون قامت بمنعه من الدارسة، وكان ذلك مطلع العام 2009م، وجاءت صفقة التبادل للجندي الصهيوني جلعاد شاليط، ولم يكتب لهذا البطل أن يكون ضمن الأسرى المحررين فما كان منه إلّا أن ينهض بنفسه وتنظيمه، ويبدأ إلى جانب رفاق آخرين لإعادة صياغة وهيكلة صفوف الجبهة الديمقراطية في السجون، وكانت أولى خطواته النضالية الهامة خوض إضراب الكرامة 2012م إلى جانب حماس والجهاد والشعبية، ومن نتائج الإضراب السماح بزيارة أسرى غزة وإخراج المعزولين وكان عددهم 20 معزولًا بعد أن مضت لهم سنين طويلة في العزل الانفرادي، واستمر الإضراب 28 يومًا، وتم معاقبته عبر نقله إلى سجن نفحة لمدة 3 شهور ثم إلى سجن هداريم مرة أخرى، وكانت هذه المحطة هامة أو مفصلية في حياته حيث تقدم لامتحان الثانوية العامة للمرة الرابعة على التوالي خلال سنوات أسره مصرًّا على النجاح والتفوق، وكانت هذه المرّة عن

طريق قطاع غزة إلّا أنّه بعد حصوله على الشهادة لم يتم الاعتراف بها من قبل وزارة التعليم في رام الله بسبب الانقسام الفلسطيني، وتقدم من جديد للمرة الخامسة على التوالي ونال الشهادة والتحق بجامعة الأقصى بقطاع غزة ودرس فصلًا دراسيًا واحدًا، ثم توجه للدراسة في جامعة القدس أبو ديس والتي أشرف عليها الدكتور الأسير مروان البرغوثي في سجن هداريم ليكون ضمن المتفوقين في نهائي البكالوريوس تخصص علوم سياسية.

الأسير المناضل/ هيثم عنتري (يسار)
وبجانبه الأسير القائد/ مروان البرغوثي (سجن هداريم)

ولم يقبل أن يكتفي بذلك فالتحق ببرنامج الماجستير تخصص شؤون إسرائيلية وحصل على ما كان يحلم به منذ صغره، وكان يتمنى لو أن والدته على قيد الحياة لتفرح بما وصل إليه من مستوى علمي متقدم، كما كان يفتقد والده الذي توفاه الله عام 2014م والذي كان يحبّ العلم كثيرًا ويحفّز أبناءه على طلبه.

توحيد الأسرى ورفدهم بالعلم

أراد أن يكمل الرفيق هيثم رسالته في خدمة إخوانه في الحركة الأسيرة فبعد أن منّ الله عليه بهذا المستوى العلمي لابد أن يبدأ بعملية تعليم الآخرين ممن هم بحاجة ماسة إلى ذلك، وكل ذلك ما كان ليتحقق لولا جهده ومثابرته، حيث بدأ بعملية التدريب في سجن هداريم عام 2017م إلّا أنّ نداء الواجب كان أهم بكثير من كل المشاريع حتى لو كانت من أجل التعليم حيث خاض إلى جانب إخوانه الأسرى في سجن هداريم إضراب الكرامة 2017م الذي أشرف عليه المناضل مروان البرغوثي، وتم نقله إلى سجن نفحة وتعرّض هناك للرش بالغاز، وكان له مدة 8 أيام في الإضراب الأسطوري، ومع ذلك بقى صامدًا في وجه العنجهية الصهيونية الممثلة في إدارة السجون، وتم بعدها نقله إلى سجن شطة، واستمر هذا الإضراب 42 يومًا، ثم تمت عودته إلى سجن هداريم ولم يحقق هذا الإضراب شيئًا، فيحمل الرفيق هيثم حينها المسؤولية لقيادة الإضراب وللقيادة البديلة التي أنهت الإضراب بنتائج (صفر)، ورغم هذه النتيجة السلبية للإضراب إلّا أن مصلحة السجون قررت نقل الرفيق هيثم إلى سجن جلبوع ليعيش هناك حالة التشرذم وعدم الرضى من قبل الأسرى لنتائج

الإضراب الأسطوري في الصمود وحالة الاشتباك الكلامي للأسرى، وكل طرف يحمل الطرف الآخر مسئولية الفشل، وكان لابد من إخراج الأسرى في سجن جلبوع من هذه الحالة ولا يكون ذلك إلا بالعلم، فما كان من الرفيق هيثم وقيادة الفصائل والمثقفين من الأسرى إلا صياغة البرنامج التعليمي للتوجيهي والبكالوريوس والدورات الثقافية المختلفة، وأقبل حينها الأسرى بشغفٍ كبير على التعليم بكافة أشكاله وخرجوا من حالة اليأس والإحباط إلّا أنّ مصلحة السجون كانت ستبقى دومًا ترفض أي مشروع يؤدي إلى تثقيف الأسرى وزيادة وعيهم فقامت بنقل الأسير الرفيق هيثم إلى سجن رامون في أقصى الجنوب كعقاب له على نشاطه التعليمي، ومع ذلك رفض التهديد وبدأ من جديد في العمل في توعية وتعليم الأسرى؛

الأسير المناضل/ هيثم عنتري
برفقة والده خلال زيارته له في السجن

أنه أدرك أهمية هذا السلاح الفعال في إحباط كل مشاريع تجهيل الحركة الأسيرة. وكانت مساهمات هذا الرفيق مشهودًا لها ولاسيما عندما ساهم إلى جانب الرفاق الأبطال في تأسيس فرع السجون الخاص بأسرى الجبهة الديمقراطية، وكانت الهيئة الأولى لهذا الفرع مشكّلة من قبل الرفاق وجدي جودة وحسين درباس ومحمد الملح وعصمت منصور، ولا يزال القائد الرفيق هيثم يشكّل دينامو الجبهة الديمقراطية في الالتزام والانضباط والوعي وخدمة الرفاق في السجون، وشعلة الخطوات النضالية ضد إدارة السجون، وعلى رأس عمله في قيادة الجبهة الديمقراطية كيف لا وقد ولد بطلًا في بيت عزٍّ وفخرٍ ومجدٍ، وكان لأبنائه صولات وجولات في ميادين المجد في الانتفاضة الأولى والثانية، فهل كانت الجبهة الديمقراطية وبلدته وأبناء شعبه وكل مؤسسات الوطن وفية لهذا الأسير القائد الصابر الصامد؟

الأسير المجاهد

عبد الله غالي عبد الله البرغوثي

(أمير الظل) صاحب أعلى حكم في سجون الاحتلال

تاريخ الميلاد: 1972/10/15م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه 3 أبناء

مكان السكن: بلدة بيت ريما – محافظة رام الله

عدد أفراد العائلة: 6

تاريخ الاعتقال: 2003/03/05م

الحكم: 67 مؤبدًا و5200 عامًا

في "سلسلة درب الصادقين" من الكتابة عن الأسرى الأبطال والقادة والكوادر في المقاومة الفلسطينية في سجون الاحتلال، كانت حكاياتهم وقصصهم متشابهة إلى حد ما، ولكن ما أن بدأنا الكتابة عن أحد القادة من كتائب الشهيد عز الدين القسام حتى وجدنا أنفسنا أمام مجاهد من نوع آخر، وهو كويتي المولد وأردني الجنسية وكوري الثقافة والتعليم الهندسي، والأهم أنه فلسطيني الأصل والجذر والانتماء، وإسلامي العقيدة حتى النخاع، فهو رباني بشري أرضي سماوي، وهو الذي أصدرت المحكمة الصهيونية ذلك الحكم الذي لا يمكن لبشر تصوره واستيعابه، فقد أصدرت المحكمة الصهيونية بحقه 67 مؤبدًا و5 آلاف و200 عام، إنه المجاهد القسامي عبد الله البرغوثي (أبو أسامة)، الملقب بأمير الظل، فسيرة هذا البطل تستحق من هذه الأمة أن تدرسها وتهتم بها حتى تسير الأجيال على دربها في المقاومة والتصدي للظلم الصهيوني. إنها سيرة المجاهد المقاوم خلف الحدود ليجاهد في القدس رافعًا لواء الجهاد، مستعينًا بكتاب الله وبأحدث ما وصلت إليه الهندسة الإلكترونية، وهنا وجدت نفسي غير قادر على وصفه إلا بما كتب

عنه الشهيد نائب القائد العام لكتائب القسام أحمد الجعبري الذي كتب أصدق الكلمات وأجمل المعاني بحقه عندما كتب له مقدمة كتاب (أمير الظل) حيث قال فيه إن عبد الله البرغوثي أمير النور وهو أحد أبرز قادة كتائب القسام في الضفة الغربية، وكان مهندسًا للإلكترونيات والمتفجرات خلف يحيى عياش، فأبدع في الدفاع عن شعبه وأذاق العدو من كأس الدم الذي سقاه لشعبنا الفلسطيني، وقدم نموذجًا فذًا في حب الإسلام وقيادة القسام والإخلاص لدينه ووطنه وحركته، وكان هذا ما خطه قلم المجاهد الشهيد أحمد الجعبري، وهذا ما دفعنا للكتابة عن أمير الظل لعلنا نتمكن من تسليط الضوء على إحدى أهم الحقب التاريخية والجهادية الفلسطينية، وكيف لا نكتب عنه ونحن من عاش وعايش مع هذا المهندس البرغوثي خلف أسوار السجون السميكة وقضبانه الكثيفة، فنحن تحدثنا معه لساعات وساعات وتناولنا الطعام والشراب معه، وتحدينا السجان معًا ومرّغنا أنفه المرة تلو الأخرى، فعرفنا عبد الله البرغوثي الأخ والمجاهد، وعرفناه الصديق الذي مازحناه كثيرًا ومازحنا أكثر، وعرفناه القائد البرغوثي المهندس القسامي الذي لا يخشى في قول الحق لومة لائم.

الميلاد والنشأة

هناك في المهجر حيث الصحراء والصيف الحار في دولة الكويت العزيزة على قلوبنا ولد أمير فلسطين، وتلقى منذ نعومة أظفاره تمام الإسلام مجاهدًا حيث عاش هذا المجاهد طفولته الجميلة والهادئة في الكويت متنقلًا ما بين المدرسة صباحًا وكراج لصيانة المركبات لإصلاحها عصرًا، ولاسيما أن والده هاجر من الأردن للعمل ككهربائي في الكويت، وكما كان حال معظم الفلسطينيين الذين تم تهجيرهم من فلسطين بسبب الحرب عام 1948م أو نكسة عام 1967م وجدت عائلة البرغوثي رغم توسعها في فلسطين بأكثر من قرية في مدينة رام الله؛ نفسها في قلب دولة الكويت طلبًا للرزق والحياة الكريمة، وكانت أوضاعهم الاقتصادية جيدة، ولذلك حرص والده ووالدته على التعليم رغم أنهما لم يكملا دراستهما، ولكن مسألة العلم والتعليم أهم ما يملكه الفلسطيني في المهجر، فهو رأس ماله، ولذلك درس بطلنا عبد الله في مدرسة العدساني الابتدائية للبنين في منطقة الجهراء في مدينة الكويت، والإعدادية في مدرسة الجهراء المتوسطة والثانوية في الجهراء الثانوية للبنين،

والدي الأسير القائد/ عبد الله البرغوثي
على موعد مع الحرية لابنهم الأسير

وقد حظي مجاهدنا باهتمام والديه به كثيرًا في مسألة التعليم، ولهذا كانت طفولة هذا البطل مفعمة بالأمل وجميلة؛ لأنها كانت في زمن الطيبين، وتعلق

قلبه بحب الصلاة وارتياد المساجد، وكانت معظم صلواته في المسجد حيث تعلم من والديه حب الإسلام وحب العمل وحب العلم، وكان وجوده في الكويت لا ينسيه بأنه فلسطيني الأصل والجذور والهوية والانتماء، ولاسيما عندما استشهد ابن عمه في انتفاضة العام 1987م الذي شكل لديه الوعي تجاه فلسطين قضية وأرضًا وشعبًا ومقاومةً، وعزز قوة ورجاحة عقله بقوة جسده حيث التحق بنادي الجهراء الرياضي، وتدرب بطلنا عبد الله على فنون القتال والملاكمة فأبدع وبرع في رياضة الجودو التي دربه عليها المدرب الغزاوي المغترب منير سميك؛ ذلك المدرب الفلسطيني الذي اهتم كثيرًا بتدريب بطلنا ليحصل على ألقاب عديدة منها الحزام الأسود الأول والثاني بعد أن اجتاز الاختبارات الصعبة في طوكيو اليابانية برعاية الاتحاد الدولي الكويتي للجودو.

مهندس في صناعة المتفجرات

هذه الحياة الجميلة والهادئة لم تكتمل حيث اندلعت الحرب العراقية الكويتية لتعود عائلة المجاهد عبد الله البرغوثي إلى الأردن، وما هي إلا أشهر معدودة حتى قرر السفر إلى دولة كوريا الجنوبية لأهداف ثلاثة: الأول من أجل الدراسة، والثاني من أجل العمل، والثالث من أجل إكمال مشواره الرياضي في رياضة الجودو القتالية، ووجد نفسه في كوريا واقعًا ليبدأ العمل في وظائف كثيرة وينطلق بعدها للدراسة، أما رياضة الجودو فلم يجد في كوريا حبًا لها، فهي رياضة يابانية والكوريون بطبيعتهم يكرهون كل ما لديه علاقة باليابانيين، ولذلك قرر اللجوء إلى رياضة جديدة وهي التايكواندو الكورية الأصل والمنشأ إلّا أنّ حبه الشديد لصناعة المتفجرات كان أهم شيء لديه في كوريا، ولاسيما أنه في الماضي قد تدرب في العراق على استخدام كافة أنواع الأسلحة الخفيفة وتركيب العبوات الناسفة، ووجد نفسه قد كرر ذلك في كوريا حيث تعلم صناعة وتركيب العبوات الناسفة مع مرور الوقت، ومع مرور الأشهر والسنوات أصبح مهندسًا فذًا في صناعة المتفجرات، وطوَّر من أدائه عبر ارتياده لمختبرات الهندسة الجامعية بسر وكتمان بينما كان يُعدّ نفسه في كوريا جسديًا وعلميًا لمرحلة مجهولة بالنسبة إليه.

العودة إلى فلسطين

كان اتفاق أوسلو قد دخل حيز التنفيذ، وقد عادت القيادة الفلسطينية لمنظمة التحرير وخاصة حركة فتح من الخارج لإقامة الحكم الذاتي عبر إنشاء السلطة الفلسطينية على الأرض التي سينسحب منها الاحتلال إلّا أنّ هذا المحتل أثبت أنه غير مهتم بما يسمى بالعملية السلمية، فأقدم على ارتكاب مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل مما حرك مشاعر الفلسطينيين في كل مكان وفي كل أماكن تواجدِهم، ووجد مجاهدنا عبد الله أن هذا الأمر يقربه كثيرًا من فلسطين، وقد قربه أكثر فأكثر عندما تم اغتيال القائد القسامي يحيى عياش، وشعر أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين روحه وبين روح العياش كأنه يناديه من بعيد بأن عد إلى فلسطين لكي تحمل الراية من بعدي، وكان قد زاد علمه ووعيه حول قضية فلسطين أكثر فأكثر ولاسيما أنه

كان يعمل مترجمًا للغة الكورية في السفارة اليمنية في العاصمة الكورية، ليخوض مجاهدنا حينها في العديد من النقاشات مع السفير اليمني الذي كان مطلعًا على كل تفاصيل القضية الفلسطينية وتاريخها وتاريخ الصراع العربي الصهيوني، وما هي إلا بضع سنين حتى وجد المجاهد عبد الله البرغوثي نفسه عائدًا مع زوجته الكورية إلى الأردن والتي كانت تعني له الكثير إلّا أنّ الله _عز وجل_ قد قدر لهما أن يكون مصير زواجهما هو الطلاق، وتوجه إلى فلسطين، إلى بيت أبيه وجده، تلك القلعة الشامخة بلدة بيت ريما بمحافظة رام الله، وتزوج منها شريكة حياته المجاهدة والصابرة والمضحية (أم أسامة)، وبدأ في العمل في كل اتجاه، ورزقه الله الكثير من المال والجاه والنسب، وما هي إلا فترة من الزمن وإذا بانتفاضة الأقصى قد اندلعت في كل أنحاء فلسطين،

أبناء الأسير القائد/ عبد الله البرغوثي
على موعد مع الحرية لوالدهم

وبدأ المجاهد عبد الله المحاولة مرارًا وتكرارًا بالعمل دون جدوى ولاسيما أن معارفه وعلاقاته محدودة جدًا، لكن رغم ذلك كان يعلم في قرارة نفسه أن هناك حلًا ما سيأتيه ولكن كيف؟ ومتى؟ وما شكله؟ وهو متروك لشأن الله _عز وجل_ وإذا بابنته تصاب بالمرض، وكانت الحواجز من بلدة بيت ريما إلى المدن والقرى شبه مقطوعة إلّا أن الأمور تيسرت بحيث تمكن المجاهد عبد الله وزوجته وابنته المريضة من الركوب في أحد الحافلات للتوجه إلى رام الله لعلاج ابنته (تالا).

الانتماء إلى حركة حماس

قصة عجيبة حصلت مع بطلنا المجاهد أبو أسامة وزوجته وابنته، فما إن وصلوا إلى ما قبل بلدة بيرزيت في رام الله حتى توقفت حركة السيارات والباصات نتيجة أزمة سير، فإذا بشخصين يتشاجران ويشتمان الذات الإلهية، وهذا الأمر لا يمكن للمجاهد عبد الله أن يقف عنده أو يسكت عنه أو الوقوف صامتًا، فإذا به ينقض على أحدهما ويضربه، ثم يلحق بالآخر ويضربه في وسط ذهول من قبل المارين وركاب الباص، كما أنه صرخ عاليًا بأني عبد الله البرغوثي، ومن كان له حق عندي فليأتِ إلى قريتي في بلدة بيت ريما ليأخذ حقه، وأن من يشتم الذات الإلهية ليس له عندي سوى الموت، وما أن انتهى الحدث فإذا بشيخ كبير يمسك يد المجاهد عبد الله ويقول له ما شاء الله حديد، لتنشأ علاقة محبة مع الشيخ الذي اجتمع به فيما بعد على مائدة الطعام لتكون نتيجة ذلك هو أن الشيخ كان له علاقة مع الشهيد المهندس يحيى عياش، وكان يوجد لديه حقيبة متفجرات مدفونة في الأرض منذ سنوات طويلة، وطلب حينها من المجاهد عبد الله أن يأخذها، وقد وجد به من يمكن أن يحمل

أمانة العياش، وكأن الله يريد لهذا المجاهد أن يكون خليفة الشهيد يحيى عياش، وهذا الأمر تم ولم تبلغ الانتفاضة شهرها الأول، وعزم حينها بأن يكون فارس المقاومة في فلسطين وخليفة المهندس يحيى عياش، فإذا به يبحث عن قريبه الذي كان يدرس في جامعة بيرزيت وينتمي لحركة حماس وأحد أهم نشطاء الكتلة الإسلامية في الجامعة في ذلك الوقت، وكان هذا الشاب له صولات وجولات في مقارعة المحتل في بلدته والبلدات الأخرى، وكان قريب الأسير عبد الله هو ومن معه لا يملكون سوى الإرادة الصلبة والحجارة والزجاجات الحارقة، ووجد المجاهد عبد الله نفسه قائلًا له: ألم تتعب من إلقاء الحجارة؟ فإذا بقريبه يقول له: ليس بالإمكان إلا ما كان وأن الأمور ليست سهلة كما تظن في الحصول على السلاح أو المتفجرات، وأسهب في كلامه أنه لا يملك سوى الرجال في ذلك الوقت، ليعود المجاهد عبد الله إلى قريبه بعد ذلك ليتفاجأ بأنه قد صنع بعض المتفجرات وقام بتجهيزها في إحدى الأراضي التابعة لعائلاتهم في بيت ريما، وتكون مفاجأة كبرى للجميع بنجاح أولى الخطوات.

بداية العمل العسكري مع القسام

بدأ المجاهدان جنبًا إلى جنب في جمع الرجال المخلصين، وجمع كل ما يلزم للعمل المقاوم، وكذلك تم إعداد الأمور اللوجستية من شقق سكنية ومخازن ومواد أولية وأموال وطرق اتصال وغيرها، وبدأ المجاهد عبد الله وقريبه وممن تم اختيارهم من جامعة بيرزيت بتكوين خلية كتائب القسام في رام الله، ومن هنا بدأ المشوار الحقيقي للمهندس عبد الله، وبدأ بسلسلة من العمليات الاستشهادية والجهادية حيث طلب المجاهد عبد الله من قريبه أن يعرفه بأهم شخصية في كتائب القسام في الضفة الغربية، فعرفه على المجاهد أيمن حلاوة أحد أهم وأبرز قادة القسام في مدينة نابلس حيث كان يعتبر دينمو الكتائب في ذلك الوقت، وشكل المجاهدان عبد الله البرغوثي والشهيد أيمن حلاوة ثنائيًا رائعًا في هندسة العمليات الجهادية والاستشهادية في الضفة الغربية، وبدأ المجاهد عبد الله حينها بالبحث عن السلاح والمعدات والمواد الأولية التي تدخل في صناعة المتفجرات بالإضافة إلى تكثيف نشاطه الجهادي ليقف على رأس العمل المقاوم ضد المحتل، فما أن يخوض الاشتباك حتى يشعر مجاهدنا عبد الله البرغوثي براحة نفسية عظيمة،

الشهيد القائد/ أيمن حلاوة
استشهد اغتيالًا بتاريخ 22/ 10/ 2001

وكانت هي الدافع والحافز حتى يعود من جديد لقيادة نشاطه العسكري بأقوى مما كان عليه في الماضي ولاسيما أن الكتائب قد اتخذت قرارها بتكثيف ضرباتها العسكرية ضد قطعان المستوطنين في منطقة سلفيت وحوارة في مدينة نابلس، وفي تلك الفترة قدّر الله أن يصاب القائد القسامي أيمن حلاوة بحروق في وجهه ورقبته نتيجة لاشتعال مادة تستعمل في صناعة المتفجرات، ليقع على عاتق المجاهد عبد الله تشكيل ومتابعة خلايا القسام سواءً في مدينة نابلس أو رام الله.

عملية مطعم "سبارو" البطولية

أقدم العدو على اغتيال الشهداء جمال سليم وجمال منصور بتاريخ 31/ 07/ 2001م لتتعالى الأصوات المطالبة بالانتقام لدماء الشهداء، وكان حينها المجاهد عبد الله رافضًا للإقدام على العمليات الاستشهادية، وتحت إصرار متواصل من القادة والمجاهد أيمن حلاوة قرر حينها المجاهد عبد الله البرغوثي العمل في العمليات الاستشهادية، وطلب حينها من المجاهد أيمن حلاوة أن يرسل له الاستشهادي وهو يتكفل بباقي الأمور، وتوجه المجاهد عبد الله لقريبه أنه بصدد إنزال عملية استشهادية كرد سريع على العملية بمساعدة الأسير المحرر محمد دغلس والأسيرة المحررة أحلام التميمي التي كانت تعمل كصحافية فلسطينية إعلامية وتعرف تفاصيل مدينة القدس المحتلة، وكان الهدف هو مطعم "سبارو" الذي يقع بالقرب من معهد لتعليم الموسيقى، وكان رواد هذا المعهد يذهبون إلى ذلك المطعم ومعهم بعض آلاتهم الموسيقية الخفيفة، وكان المجاهد عبد الله يعرف تلك المنطقة جيدًا ولاسيما أنه قد عمل مدة عامين ونصف في مدينة القدس كمهندس لإحدى الشركات، ولذلك لمعت في رأسه فكرة رائعة وتفخيخ آلة موسيقية، وبدأ حينها الإعداد الجيد لهذه العملية، والاستشهادي هو الشهيد عز الدين المصري من بلدة عقابا بمحافظة جنين،

الاستشهادي البطل/ عز الدين المصري
استشهد بتاريخ 09/ 08/ 2001م

وتم تصويره بشكل فوتوغرافي في جنين وإرساله عبر وسطاء إلى مدينة رام الله إلى أحد المساجد هناك وكان قد أرسل المجاهد عبد الله قريبه إلى المسجد لإحضار الاستشهادي عز الدين المصري ووضعه في إحدى الشقق السكنية بينما تمكن المجاهد عبد الله من تفخيخ الآلة الموسيقية (جيتار) حتى لا تثير الشبهات في ذلك المكان وفي تلك اللحظة، وكان قريب المجاهد عبد الله قد اشترى الملابس المناسبة للاستشهادي ليأتي في اليوم التالي في ساعات الظهر وقد تم إرسال الاستشهادي و(الجيتار) إلى المجاهدة أحلام التميمي حتى تقوم بإيصاله إلى موقع العملية،

وقد مرت بالعديد من الحواجز الصهيونية دون أن يعترضها أي جندي صهيوني، ووصل الاستشهادي عز الدين إلى موقع العملية ليفجّر نفسه الشريفة في جموع الصهاينة منتقمًا للشهيدين جمال سليم وجمال منصور وكل الأطفال الشهداء، وكان ذلك في تاريخ 09/ 08/ 2001م ليحقق ما ذكره المجاهدون في ليلة العملية بأنه سيقتل ما بين (15 – 16) ويصيب ما بين (120 – 150) بجراح خطيرة، فحقق له الله _ عز وجل_ ما أراد وما تمنى الاستشهادي، وأعلنت كتائب القسام عن العملية وأعلنت المجاهدة أحلام التميمي عن هذه العملية عبر شاشة التلفاز الذي كانت تعمل به كمراسلة صحفية إلا أن الأمور لم تسر على ما يرام، فتم اعتقال المجاهد محمد دغلس والمجاهدة أحلام التميمي على يد جهاز الشاباك الصهيوني، وكذلك قامت أجهزة السلطة باعتقال المجاهد عبد الله وقريبه إلا أن اعتقالهما لم يدم طويلًا.

رد مزلزل على اغتيال قادة القسام في الضفة

استمر مسلسل الاغتيالات الصهيونية بحق القادة والكوادر من أبناء الشعب الفلسطيني وخاصة الشهيد القائد أيمن حلاوة الذي تم اغتياله بتاريخ 22/ 10/ 2001م، والشهيد القائد محمود أبو هنود الذي تم اغتياله بتاريخ 24/ 11/ 2001م، وأصبح كما يقول المجاهد عبد الله البرغوثي أنه طفل صغير بلا أسرة ولا أب؛ لأن الشهيد أيمن حلاوة كان أبًا للقسام ومحمود أبو هنود كان أبًا وقائدًا عظيمًا للقسام، ولكن الله قد يسر للمجاهد عبد الله قائدًا عظيمًا كان قد خرج من سجون السلطة الفلسطينية وله من الكفاءة والعلم والخبرة والتجربة العسكرية والأمنية ما يفوق الجميع ليبدأ المجاهد عبد الله إلى جانبه العمل القسامي بوتيرة أعلى من قبل، وقرر المجاهد عبد الله أن يجهز لعملية استشهادية جديدة، ولكن هذه المرة ستكون ثلاث عمليات، اثنتان منها استشهادية والثالثة سيارة مفخخة ليكون الرد على جريمة اغتيال قائدي الكتائب حلاوة والهنود، وتم إحضار الاستشهاديين نبيل حلبية وأسامة بحر من سكان أبو ديس في القدس المحتلة، وهنا بادر الاستشهاديان نبيل وأسامة بالعمل إلى جانب المجاهد عبد الله في صناعة المتفجرات وكذلك تفخيخ السيارة وهي من نوع فيت أونو،

الاستشهاديان/ نبيل حلبية (يمين) وأسامة بحر استشهدا معاً بتاريخ 01/ 12/ 2001م

وتم وضع علامة على ظهرها عبارة عن رسمة لطابات تنس باللون الأصفر، كما أن الاستشهاديين قد ساهما في اختيار موقع العملية، وطلب منهما المجاهد عبد الله شراء سيارة يذهبان بها إلى مدينة بيت لحم ويكثفان وجودهما هناك ويثيران الشبهات حول وجودهما في بيت لحم ليبعدا الأنظار عن مدينة رام الله وهذا ما تم، كما تم وضع بيان العملية في هذه

السيارة وتم وضعها أمام منزليهما، فهما صديقان وجاران منذ الطفولة وأرادا الالتحاق معًا بركب الأنبياء والشهداء والصديقين، وفي ذلك الوقت كان المجاهد عبد الله قد صنع حزامًا ناسفًا وقام بتفخيخ جهاز كمبيوتر وأمضى حينها الاستشهاديان ليلتهما في تصوير أشرطة فيديو ووصاياهما، وبعدها تفرغا للعبادة والصلاة وقراءة القرآن، وتناولا وجبة السحور الرمضاني مع المجاهد عبد الله، وودعاه وانطلقا متجاوزين الحواجز الصهيونية إلى مدينة القدس المحتلة ليتم وضع السيارة المفخخة في المكان الذي تم اختياره، وقام الاستشهادي الأول وهو المجاهد نبيل حلبية ومعه جهاز الكمبيوتر المفخخ بتفجير نفسه الشريفة في جموع الصهاينة، وما أن سُمع صوت الانفجار حتى قام الاستشهادي الثاني المجاهد أسامة بحر بتفجير جسده ليكون يوم 01/ 12/ 2001م يومًا مفرحًا للشعب الفلسطيني ويوم شؤم وبؤس وعذاب على العدو الصهيوني، وما أن شاهد المجاهد عبد الله على شاشات التلفزة منظر العملية والسيارة المفخخة المرسوم على ظهرها طابات التنس وحولها العديد من الصهاينة حتى قام بتفجيرها عن بعد محدثة انفجارًا وكتلة نارية هائلة، وبذلك تكون كتائب القاسم قد ردت الرد المزلزل على اغتيال قادة القسام، ومع ذلك كان مجاهدنا عبد الله لا يعرف معنى الراحة أبدًا، وكان يُصر دومًا على مشاركة إخوانه في خوض الاشتباكات المسلحة، فهو المهندس الأهمّ في كتائب القسام في تلك الفترة، ومع ذلك أصرّ على خوض الاشتباكات ليرفع من معنويات المسلحين، فإذا به يصاب في فخذه الأيمن وينزف الكثير من الدم ليقوم المجاهدان سيد الشيخ قاسم وأحمد الخطيب بإسعافه وعلاجه ووضعه في إحدى الشقق السكنية الآمنة التابعة لكتائب القسام، واستيقظ من النوم وقد علم يقينًا ماذا يعني بقاؤه على قيد الحياة، ومن هنا بدأت مرحلة تعليم العديد من أبناء كتائب القسام على صناعة المتفجرات وصناعة الأحزمة الناسفة وتفخيخ السيارات حتى تكون كل المناطق بها مهندسون كالمهندس عبد الله البرغوثي، فمكر العدو يتربص بالمجاهدين في كل لحظة وكل حين، ولابد من الاستعداد التام لكل طارئ، ولاسيما أمام مسلسل الاغتيالات الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني الذي لم يتوقف أبدًا ولن يتوقف.

عملية الثأر عقب مجزرة عائلة أبو كويك

بتاريخ 04/ 03/ 2002م تم ارتكاب مجزرة بحق عائلة القائد في حماس حسين أبو كويك حيث استشهدت زوجته وأطفاله الثلاثة إثر قصف مدفعي استهدف سيارتهم في مخيم الأمعري برام الله، وقد خرجت جماهير الشعب الفلسطيني غاضبة مطالبة كتائب القسام بالثأر من العدو الصهيوني، وكان في ذلك الوقت قد امتد نشاط كتائب القسام إلى مدينة القدس المحتلة، حيث ساهم الأسير القائد وائل قاسم في تأسيس خلية عسكرية لكتائب القسام، وكان لهذا القائد وأبناء مجموعته فضل بعد الله بالقيام بالعديد من العمليات الاستشهادية والجهادية حيث كان المهندس عبد الله البرغوثي يقوم بصناعة المتفجرات والعبوات الناسفة، وكان حينها الشهيد القائد سيد الشيخ قاسم هو الضابط المسؤول عن عمل مجموعة القدس الأبية، وكانت هذه المجموعة

بقيادة الأبطال البرغوثي وسيد الشيخ قاسم قد قررت الانتقام من العدو مما اقترفه من مجزرة بحق الأطفال في رام الله، وبدأ المجاهد وائل قاسم بالبحث عن موقع مناسب للعملية، فوجد مكانًا مناسبًا يسمى (مقهى مومنت)، وتمكن الشهيد القائد سيد الشيخ قاسم من إحضار الاستشهادي فؤاد الحوراني من سكان مخيم العروب، وكان يدرس حينها في دار المعلمين في مدينة رام الله، وبدأ المجاهد عبد الله صناعة الحزام الناسف، وأصبحت كل تفاصيل الإعداد والتخطيط للعملية جاهزة وتم تصوير الاستشهادي وقراءة وصيته، وانطلق المجاهد سيد الشيخ قاسم مع الاستشهادي إلى المكان الذي ينتظر فيه المجاهد وائل قاسم لكي يقوم باقتياده إلى مكان العملية ليكون يوم 09/ 03/ 2002م يومًا مشهودًا للرد على جريمة قتل الأطفال الفلسطينيين في رام الله، ويومًا مفرحًا لقتل الصهاينة، وجاء رد المجرم شارون وأجهزته الأمنية بضرورة تشديد القبضة الأمنية على الضفة الغربية ورفع وتيرة قتل الفلسطينيين واغتيال القادة وملاحقة المطلوبين، وما كان من المجاهد عبد الله إلا الطلب من المجاهد وائل قاسم بنقل العمل إلى خارج مدينة القدس المحتلة حتى لا يفتح الشاباك عيونه على هذه الخلية المقدسية.

الرد على اغتيال قائد عام القسام صلاح شحادة

أقدم العدو على اغتيال الشهيد القائد صلاح شحادة، وكان لابد من دراسة آلية الرد على هذه الجريمة رغم صعوبة الظروف التي تمر بها المقاومة الفلسطينية، ولاسيما بعد الاجتياح الصهيوني للضفة الغربية، وكان منع التجوال قد منع حركة المقاومين الفلسطينيين من التحرك، ومع ذلك تمكن القائد عبد الله البرغوثي من الخروج مُتجهًا نحو إحدى الشقق السكنية الخاصة بصناعة المتفجرات، وكان بصحبته مرافقه الشهيد سيد الشيخ قاسم وأبو أحمد الخطيب حيث قام بصناعة عبوة ناسفة وتم وضعها في حقيبة، ليقوم الشهيد سيد الشيخ قاسم بإيصالها إلى نقطة متفق عليها مع المجاهد الأسير وائل قاسم والذي بدوره قام بنقلها إلى مدينة القدس حيث كانت هذه الخلية المقدسية قد رصدت هدفًا في الجامعة العبرية، وتمكن أحد أبطال الخلية المقدسية وهو المجاهد الأسير محمد عودة من وضع العبوة في قلب الجامعة العبرية وتم تفجيرها عن بعد لتوقع عشرات القتلى والجرحى في صفوف الصهاينة،

الأسير المجاهد/ محمد عودة
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 19/ 08/ 2002م

وتأتي هذه العملية بتاريخ 31/ 07/ 2002م ردًا على اغتيال الشيخ القائد صلاح شحادة، وكثّف حينها الشاباك الصهيوني نشاطاته وبدأ بجمع المعلومات عمن يقف وراء هذه العملية بهدف تصفيتهم أو اعتقالهم، ولاسيما أن هذه الخلية نفّذت العديد من العمليات الاستشهادية وكذلك زراعة العبوات الناسفة التي تزن ما بين (1 – 5) كغم حيث تمكنت المجموعة في إحدى عملياتها من استهداف صهريج للوقود في الداخل المحتل عبر إلصاق العبوات بها، وكانت بتاريخ 23/ 05/ 2002م، كما تم استهداف عدد من عربات القطار في عمليتين منفصلتين حيث زرعت هذه العبوات في مناطق قريبة من بعضها في شهر يوليو (تموز) من العام 2002م.

الرد على اغتيال المهندس إسماعيل أبو شنب بأسلوب جديد

الخلية القسّامية المقدسية سميت بخلية سلوان، وكانت قد نفّذت حوالي 8 عمليات من أهم العمليات الاستشهادية والجهادية ضد الاحتلال، ومنها العملية الاستشهادية التي جاءت كرد سريع على استشهاد القائد الحمساوي إسماعيل أبو شنب حيث طلب الشهيد القائد الشيخ عبد العزيز الرنتيسي من كتائب القسام أن يكون الرد على هذه الجريمة بما يتناسب معها وأن يتم هدم مبانٍ صهيونية، ولذلك قرر المجاهد عبد الله البرغوثي ومرافقه الشهيد سيد الشيخ قاسم وقائد خلية سلوان المجاهد وائل قاسم أن يتم الرد على هذه الجريمة وبأسرع وقت ممكن، وبدأ المجاهد عبد الله بصناعة المتفجرات، ولكن هذه المرة بأسلوب جديد حيث تمكن من صناعة حزام ناسف بالإضافة إلى شنطة متفجرات، وعند القيام بتفجير الحزام الناسف ستنفجر الشنطة تلقائيًا، حيث طلب من الاستشهادي الأردني محمد جميل معمر أن يزرع الشنطة في أحد أركان موقع العملية المستهدف، وكان هذا الاستشهادي له دور في تحديد موقع العملية المستهدف مع المجاهد القائد الأسير وائل قاسم وأفراد خليته الذين يعلمون تفاصيل الطرق من وإلى الداخل المحتل، ويعرفون دروب الجبال والوديان؛ لأنها كانت محاصرة كما أن العدو حاصر مناطق العبور إلى الأراضي المحتلة عام 1948م، فاضطر الأبطال إلى سلوك الجبال للوصول للهدف المطلوب للعملية، وكان الاستشهادي محمد معمر قوي الجسد والإرادة رغم صعوبة سيره في الجبال والوديان إلّا أنّه تمكّن من العبور إلى الطريق الآخر وفي صحبته أحد أفراد خلية سلوان الذي أوصله بدوره إلى القائد وائل قاسم الذي قام بدوره بنقل الاستشهادي بسيارته إلى نادٍ للقمار اسمه نادي (شيفرا) في ضاحية "ريشون لتسيون" جنوب مدينة تل الربيع المحتلة، وهناك قام الاستشهادي بزرع الشنطة وفجّر نفسه بتاريخ 07/ 05/ 2002م، وتبعًا لأن النادي يقع في أحد الطوابق العليا لبناية تجارية فقد انهارت أجزاء كبيرة من تلك البناية التجارية جراء قوة المتفجرات، وما أن تم الإعلان عن هذه العملية حتى تم إخفاء هوية الاستشهادي ولم يكشف عن هوية الاستشهادي إلا بعد نحو 8 سنوات، وتم تسميته بأمير الاستشهاديين.

الاستشهادي البطل/ محمد معمر
استشهد بتاريخ 07/ 05/ 2002م

تنشيط وتجنيد خلايا القسام في الضفة

نتيجة لاعتقال خلية سلوان كان لابد من قيام المجاهد عبد الله البرغوثي بالبحث عن قادة وكوادر قسامية جديدة للعمل الجهادي، وتمكن من التواصل مع أحد قادة القسام في مدينة الخليل، وكان يدرس في جامعة الاستشهاديين والشهداء في بيرزيت بمدينة رام الله حيث تم التخطيط معه والإعداد لعمليتين استشهاديتين، وتم تزويده بقطع سلاح لتشكيل خلية مسلحة للتصدي لقوات الاحتلال الصهيونية، كما تم تزويده بحزامين ناسفين آخرين، وتمكن هذا القائد من إحضار الاستشهادي إياد ردّاد الذي فجّر نفسه بتاريخ 19/ 09/ 2002م في حافلة صهيونية في شارع "اللنبي في مدينة تل الربيع المحتلة موقعًا عشرات القتلى والجرحى الصهاينة، أما العملية الثانية فقام الشاباك الصهيوني بإحباطها واعتقال الاستشهادي، وفيما بعد تم اعتقال هذا القائد، ولذلك كان لابد من إعادة تنظيم وترتيب هيكلية كتائب القسام وتجنيد العديد في صفوفها واستمرارية العمل الجهادي؛ ولذلك قام بتنشيط عدد من الخلايا القسّامية بعدة مدن أخرى في الضفة الغربية وخاصة في منطقة الخليل، وكان أهم من رافق القائد عبد الله البرغوثي وتعلم منه الكثير هو الشهيد القائد سيد الشيخ قاسم الذي عمل معه على مدار الوقت وكان بمثابة الجدار والدرع الحامي له، وكان شديد اليقظة ذا أمنيات عالية، ونتيجة لمتابعة الشهيد القائد سيد ما يقوم به المهندس البرغوثي تعلم منه صناعة وتجهيز العبوات الناسفة ليصبح أحد أهم الفنيين والمهندسين، ويقول هنا القائد عبد الله البرغوثي: "لقد درّبت العشرات من المهندسين الذين كان بعضهم قد أنهى دراسة الماجستير ويعد لدراسة الدكتوراه، ولكن يشهد الله أن سيد الشيخ قاسم فاقهم سرعة بالتعلم وإتقانًا بصنع ما تعلمه، وقد أكمل المشوار من بعدي فصنع أقوى العمليات تقنيًا، وأدار أفضل الخطط العسكرية"، وأصر المجاهد عبد الله البرغوثي أن يقول لنا ما كتبه في كتابه أمير الظل بأنه حلقة من حلقات كتائب القسام، وأنه يفتخر بذلك المهندس العبقري أيمن حلاوة الذي قام بعدد كبير من العمليات الجهادية وأهمها عملية (ملهى الدولفيناريوم) على شاطئ بحر فلسطين المحتلة، تلك العملية التي نفذها الاستشهادي البطل سعيد الحوتري حيث كان يحمل طبلة عزف، عزف عليها لحن المقاومة والاستشهاد وأوقعت عشرات القتلى والجرحى بتاريخ 01/ 06/ 2001م، وقد اشتدت حينها وخاصة بعد اجتياح الضفة الغربية حملات المداهمة والاعتقال، وأصبحت أكثر تركيزًا على كل من يعتقد أنه يمت بصلة للمهندس عبد الله البرغوثي، وخلال فترة زمنية تم اعتقال العشرات من مهندسي القسام ومن القادة الميدانيين،

وكان هناك دائمًا بديل يسارع إلى إيجاده من خلال الإخوة القساميين بحيث يقوم المهندس البرغوثي بإعدادهم وتدريبهم، وأما من كان يجد صعوبة في إيجادهم فهم أمثال القادة سيد الشيخ قاسم وأبو أحمد الخطيب حيث كان له ارتباط مباشر مع القادة الميدانيين، ولذلك أصبحوا مطلوبين للعدو الصهيوني.

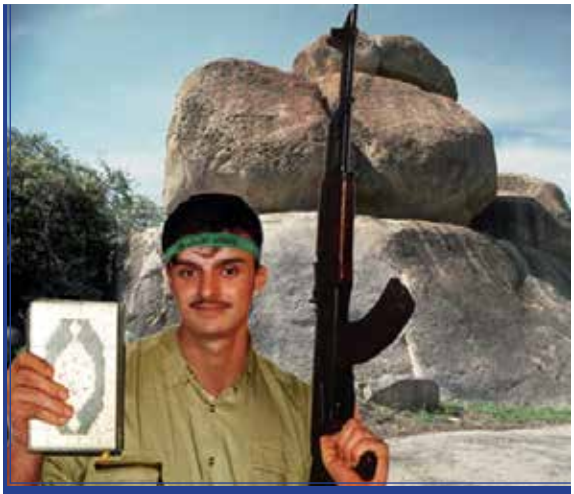

الاستشهادي البطل/ سعيد الحوتري
استشهد بتاريخ 01/ 06/ 2001م

الملاحقة والاعتقال

أصبحت تحركات المهندس عبد الله البرغوثي صعبة جدًا ولاسيما أنه في تلك الفترة كان منشغلًا جدًا بزوجته وأطفاله الثلاثة، وكانت عائلته بحاجة إلى الطعام والشراب والعلاج، وكانت زوجته قد وضعت ابنته صفاء ولم يمض عليها سوى 35 يومًا، ومرضت هذه الزوجة المؤمنة الورعة المخلصة الدينية والوطنية والوفية لزوجها، وكان لزامًا على المجاهد عبد الله تحسين أوضاع عائلته والبحث عن شقة سكنية لتكون أكثر ملاءمة لعائلته وظروفه الجديدة، وخلال عملية البحث عن شقة سكنية تم رصد المجاهد عبد الله من قبل أحد العملاء وهو صاحب مكتب عقارات وتأجير شقق سكنية، وكانت هناك كاميرا في المكتب وتم حينها التعرف على ملامح القائد عبد الله، وتأكد حينها الشاباك الصهيوني عبر هذا الجاسوس أن هذه هي صورة المهندس عبد الله ولابد من استدراجه، وبالفعل تم استغلال حاجة المجاهد عبد الله لشقة سكنية، وتم استدراجه حيث في صباح يوم 05/ 03/ 2003م توجه المجاهد عبد الله إلى المشفى صباحًا لمعالجة ابنته تالا التي كانت بحاجة لمراجعة طبيب العيون، ولأن والدتها كانت مريضة هي الأخرى، اضطر عبد الله حينها للذهاب بنفسه لعلاج ابنته، وتأخر حينها الطبيب عن موعد علاج تالا، فاضطر أن يأخذ ابنته معه للاجتماع مع صاحب مكتب تأجير الشقق السكنية، وما أن وصل إلى موقف السيارات في مدينة البيرة ونزل من السيارة حيث كان يحمل ابنته المريضة حتى هاجمه كلبان بوليسيان، فما كان منه إلّا أن يضع ابنته في السيارة ويغلق عليها الأبواب خوفًا عليها من الكلاب، وكان حينها أحد الكلاب يعض قدميه والكلب الآخر بدأ بنهش سترته الشتوية، وليس هذا فحسب بل كان العديد من الجنود الصهاينة وأفراد القوات الخاصة يحيطون به من كل جانب وأسلحتهم موجهة تجاهه، وتم اعتقاله وتعصيب عينيه، ورميه أرضًا؛ ليجد نفسه في معسكر وتحقيق عوفر، وكانت ابنته لا تزال وحدها في السيارة، كما قام العدو الصهيوني بإنزال الطفلة الصغيرة من السيارة ووضعها في موقف

سيارات بلدية البيرة، وتم مصادرة سيارته أيضًا، وبقيت طفلته لوحدها بين الناس دون أن تتمكن من لفظ اسمها، فأي مصيبة هي التي حلت بهذه الطفلة التي أصبح أبوها معتقلًا ووالدتها على سرير المرض، بينما بقيت وحدها بعمرها الأربع السنوات إلى أن تمكنت بلدية البيرة من أخذها علّها تستطيع أن تعيدها إلى عائلتها، وبدأت وكالات الأنباء والصحافة بنقل ما حدث ونقل صورة هذه الطفلة، وإذا بجدتها قد تعرفت على صورتها وقد صاحت بأعلى صوتها: "إنها تالا، إنها حفيدتي، اذهبوا لأخذها"، وفي اليوم التالي عادت زوجة المجاهد عبد الله وأبناؤها إلى القلعة في بلدة بيت ريما، وما أن وصلت حتى حاصر الجنود القرية وقاموا بمداهمة منزل والدة المجاهد عبد الله واعتقال كل من كان به، وبدأ التحقيق الميداني مع هذه الزوجة إلّا أنهم لم يتمكنوا من أخذ كلمة هامة منها، ولاسيما أن المجاهد عبد الله يخفي عنها كل شيء حتى لا يتسبب لها بأي مكروه لا سمح الله.

الأسير القائد/ عبد الله البرغوثي خلال جلسة محكمة صهيونية

رحلة عذاب بين التحقيق والعزل

كان المجاهد القائد عبد الله البرغوثي مستعدًا للاعتقال من عدة نواحٍ وبطرق مختلفة كان أولها هو جسديًا، ورغم انشغاله طوال الأعوام الماضية بأعمال المقاومة إلّا أنه كان محافظًا على لياقته البدنية مما ساهم في مساعدته على خوض معركة كسر الإرادة في زنازين التحقيق، وأيضًا كان لما تعلمه من رجال القسام ممن كان لهم خبرة وتجربة اعتقالية، وأصبح حينها المجاهد عبد الله يحمل في عقله تصورًا كاملًا لما سوف يلاقيه عندهم، ورغم صموده وامتناعه عن التعاطي معهم لإخبارهم عن الخطط المستقبلية أو مخازن السلاح ومستودعات المتفجرات فقد لجأ الشاباك إلى استخدام التحقيق العسكري، وكل الأساليب اللاإنسانية من أجل انتزاع المعلومات طوال شهرين من التحقيق معه في تحقيق المسكوبية حيث كسر ما كسر من عظامه، ثم تم نقله إلى تحقيق سري وخاص لتبدأ جولة جديدة من صراع الإرادات استمرت لمدة شهر وأكثر من ذلك، وهنا يقول المجاهد عبد الله: "قد كنت ميتًا يحمل بقايا أنفاس أجراها الله بجسدي حارمًا إياي من الشهادة التي كنت أطمع بها، فالشهادة كانت هدفي ومطمعي، لكن كنت أسعى للوصول إليها عبر تحدي أولئك الصهاينة البرابرة، لم استشهد وأُخذت على نقالة إلى زنزانة في القدس المحتلة مرة أخرى، وهناك في القدس عُدت أشلاء إنسان محمولًا على نقالة لا ينقصها سوى كيس أسود من تلك الأكياس التي توضع بداخلها الجثة"، فبعد نحو ستة أشهر من العذاب في أقبية التحقيق تم نقل المجاهد إلى صحراء فلسطين الأسيرة، إلى صحراء النقب، إلى سجن بئر السبع، ولكن ليس للأقسام التي فيها الأسرى وإنما إلى العزل الانفرادي حيث

كان عبارة عن قسم يحوي 15 غرفة يسكن في كل واحدة منها أسير أمني أو سجين مدني، وهناك كان الشيخ المجاهد عبد الله البرغوثي والشيخ جمال أبو الهيجا (أبو العبد)، وفي إحدى الغرف الأخرى كان المجاهدان أحمد المغربي ومروان البرغوثي.

أعلى حكم في التاريخ

فترة من الزمن حتى تم إعادة المجاهد عبد الله من جديد إلى التحقيق والتهمة هذه المرة اختفاء عميل لهم، وهو الذي يملك مكتب تأجير الشقق الذي قام بتسليم المجاهد عبد الله للشاباك، ليتم بعد أسبوع نقله من جديد إلى عزل انفرادي جديد لا يحتوي إلا على غرفة واحدة اسمه "قسم الحراسة المغلقة"، غرفة يوجد بها عدة كاميرات مراقبة تراقب كل حركة يقوم بها وكل نفس يتنفسه، ومكث بها مدة عام وثمانية أشهر، ولم يرَ سوى ضابط واحد وثلاثة جنود مكلفين بحراسته ومتابعة أموره، ثم عاد من جديد إلى سجن بئر السبع، ثم بدأت عملية التنقلات من سجن إلى آخر، ومن عزل إلى آخر ليأتي موعد المحكمة حيث تم الحكم على القائد المهندس عبد الله البرغوثي 67 مؤبدًا و5200 عام، وفي ذلك اليوم الذي حُكم عليه، حُكم أيضًا على قلعة والده التي ورثها عن جده بأن يتم تفجيرها لتصبح عبارة عن أكوام من الحجارة، ليصعد على الأطلال أبناؤه ناصبين علم فلسطين عليها، وأدرك حينها المجاهد عبد الله أنه مهما تجبر هذا المحتل في سياساته الإجرامية إلا أن هناك أجيالًا وأجيالًا قادرة على مواصلة طريق العزة والكرامة والتحرير.

الأسير القائد/ عبد الله البرغوثي
في سجن "ريمون" الصهيوني (2018م

العمل مع مجاهدي سرايا القدس

لم يكن الاجتياح الصهيوني في الضفة الغربية قد شكل عائقًا على المقاومة الفلسطينية رغم شراسته، ولا يزال مجاهدنا يتذكر فترة ما قبل الاجتياح عندما كان إلى جانب المجاهدين من أبناء حماس والجهاد الإسلامي حيث أعدوا العدة للتصدي للمحتل وتم زراعة العديد من العبوات الناسفة التي تم تفجيرها في المركبات الصهيونية، ويذكر لنا القائد عبد الله البرغوثي مؤكدًا أنه عمل جنبًا إلى جنب مع مجاهدي سرايا القدس في رام الله حيث كان وإياهم متحدين في مواجهة المحتل، ويقول إنه لا يريد الغوص في تفاصيل العمل

المشترك حفاظًا على السرية لهؤلاء الأبطال، ويقول إن الله يشهد لولا ما أمّنه لي أبطال سرايا القدس في مدينة رام الله لكان قد لقي حتفه بتلك الفترة العصيبة، فهم أمّنوا له المأمن والمأكل والمشرب والذخيرة والمال الذي كان يعاني من نقصه بسبب الاجتياح وعدم قدرته على الوصول إلى المكان الذي يمكنه من الحصول به على المال.

ذكريات مؤلمة ولحظات تقشعر لها الأبدان

ولا يزال يتذكر القائد عبد الله البرغوثي عندما أصيب في الاجتياح بكف يده ليذكره مكان الإصابة بما حدث في ذلك الوقت من إجرام صهيوني، وكانت مطاردته من قبل المحتل مختلفة عن باقي المجاهدين حيث تمت مطاردته وبصحبته زوجته وأبنائه مما يتطلب التفكير خارج المألوف، وساعده على البقاء مدة ثلاث سنوات بعيدًا عن عيون الجواسيس، ولم يكن يحصل على ذلك لولا فطرته في فنون أساليب البقاء التي اكتسبها في القرية التي كانت خير مدرسة له، وكان من فضل الله عليه أن أموره المالية جيدة لطبيعة عمله كمهندس وفي نفس الوقت كما يقول كان كاثوليكيًا متدينًا وزوجته كذلك، أما ابنه أسامة والذي أسماه في شهادة الميلاد أنطوان وابنته صفاء والتي أسماها في شهادة الميلاد لينا فكانا كاثوليكيين أيضًا، وكانت إحدى أهم الهويات التي استتر خلفها هي مجموعة من جوازات سفر لأب وأم وابنتيهما وهم فلسطينيون كاثوليكيون يعيشون في تشيلي ليقوم بعدها بتسجيلها في مشفى الهلال الأحمر الفلسطيني، وبينما مجاهدنا يعيد تنشيط ذاكرته فإذا به يصرخ قائلًا: "إنها عشر سنوات في العزل الانفرادي كادت أن تقتل روحي بعدما قتلت جسدي المكبل، إنها تعني ثلاثة آلاف وستمائة وخمس وستين يومًا" وهنا لكم أن تتخيلوا كيف هو الموت الذي عشته مصارعًا غياهب طوال الأعوام والأشهر والأيام، وإن أراد أحد من البشر أن يعيش تلك التجربة فما عليه سوى أن يغلق على نفسه باب غرفة لا تتجاوز مساحتها سوى 4 أمتار مربعة ذات جدران خشنة وفرشة إسفنج عفنة لمدة ساعة واحدة، ساعة بلا نافذة وباب مغلق يفتح ساعة واحدة في اليوم فقط، وتحيط بكم الروائح النتنة والعفنة من كل حدب وصوب، أما الطعام فحدّث ولا حرج من سوء ما يتم تقديمه للأسير وحتى لا يصاب مهندسنا بالجنون كما يصاب به الأسرى المدنيون لم يكن أمامه في العزل سوى أن يمتشق سلاحه الخاص وهو القلم،

جامعة القدس
عمادة القبول والتسجيل
Al-Quds University
Deanship of Admission & Registration
مصدقة
بناءً على نتائج امتحانات الفصل الأول من العام الأكاديمي 2021 / 2022 قرر مجلس الجامعة في جلسته رقم 401 بتاريخ 2022/02/09 منح
عبد الله غالب عبد الله الجمل
المولود في الكويت بتاريخ 1972/10/15 درجة الماجستير في الدراسات الاقليمية، مسار الدراسات الاسرائيلية، بمعدل تسع وسبعون و عشران (79.2/) وبتقدير جيد
عميد القبول والتسجيل
66971

قلم الرصاص حتى يكتب ليبقى حيًا محاولًا إحياء الأموات الذين فرقتهم الدنيا الدنيئة، فلا يزال يؤمن بأن المجاهد وإن سلبت منه بندقية الرصاص فإن عليه مواصلة عمله الجهادي من خلال قلم الرصاص، فلذلك بدأ مجاهدنا بالكتابة وأبدع بكل ما كان يدور في عقله ووجدانه وكتب نحو 13 كتابًا، وقرأ ما يزيد عن مئات الكتب فلولا القراءة والكتابة وتدبّر كتاب الله ما خرج من ذلك الحجز الانفرادي معافى العقل قوي الإرادة، وكان قد خرج من العزل بعد إضراب الكرامة عام 2012م حيث حقق هذا الإضراب نتائج رائعة منها إخراج المعزولين الذين مضى على عزلهم سنوات طويلة لتستقبله حركة حماس في سجون الاحتلال بكل مودة وحب واحترام وتقدير، كيف لا وله البصمة الأهم في تاريخ كتائب القسام على مر السنين، فلا يزال مجاهدنا رغم عدم خروجه في صفقة وفاء الأحرار الأولى صامدًا ومقاومًا لكل أشكال الظلم في السجون الصهيونية مؤمنًا بأن النصر هو صبر ساعة، وقد اقتربت هذه الساعة وسوف يخرج للحرية ليعانق أولاده الذين أصبحوا كبارًا، الذين افتقدوا والدهم في محطات كثيرة، ولكن لطبيعة دور الزوجة المخلصة والوفية والأبية اهتمت بأبنائه كثيرًا وعلمتهم وأدبتهم وأوصلتهم إلى مراحل علمية متقدمة، وكان صبرها وصمودها وقوتها ووقوفها إلى جانب زوجها حافزًا للمهندس عبد الله البرغوثي أن يصمد أكثر فأكثر في مواجهة إدارة السجون وممارساتها الإجرامية، فهنيئًا لحركة حماس وهنيئًا لكتائب القسام أن يكون لديهم مهندس كالمهندس عبد الله البرغوثي الذي مرّغ أنف الاحتلال في التراب عبر سلسلة طويلة من العمليات الاستشهادية والجهادية إلى جانب العديد من خلايا كتائب القسام وقادتها وكوادرها ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، فهل هناك من يقرأ سيرة هذا البطل (أمير الظل) ويحمل الراية بعده ليعيد مجد الكتائب من جديد؟!

الأسير المجاهد
كميل سعيد حسن أبو حنيش

رفيق فلسطين المثقّف والأديب

تاريخ الميلاد: 1975/09/26م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة بيت دجن – محافظة نابلس

عدد أفراد العائلة: 8

تاريخ الاعتقال: 2003/04/15م

الحكم: 9 مؤبدات

هو رجل غير عادي نذر نفسه منذ الصغر لهذا الوطن الذي كان دومًا مسكونًا به، فشرع من أجل ذلك ينسج له من خيوط عواطفه ومن شعاع خواطره ملحمة النضال والخلود، وتألق بعطائه الإنساني والسياسي ليمتلئ بحيوية العطاء الفكري ويموج بخصب الإنتاج النضالي، وهو الشاعر والأديب والقائد والمناضل، عاش من أجل قضية شعبه ووطنه، وكرّس جهده بإخلاص كبير لخدمة الوطن، وكان هذا مصير البطل أن يقع أسيرًا لدى العدو الصهيوني، إنه الرفيق البطل كميل أبو حنيش.

النشأة والطفولة

إن البذرة لا يمكن لها أن ترى النور قبل أن تشق في الأرض طريقًا، فقصة هذا القائد الرفيق كميل هي قصة كفاح ونضال لهذه البذرة مع الأرض الصخرية الصلبة. إنها قصة الكفاح مع العطش والصخر والمحتل، فقد ولد هذا الرفيق في بلدة بيت دجن التي تقع إلى أقصى شرق مدينة نابلس وتبعد عنها حوالي 11 كم، وتقع هذه البلدة على سفح جبلي، وهي صغيرة نسبيًا من حيث عدد السكان، ففي تلك المرحلة كان عدد السكان حوالي

3000 نسمة، أمّا اليوم فقد تجاوز 5 آلاف، وتتميز بمساحة الأراضي الكبيرة نسبيًا التي يمتلكها أهالي البلدة، وتقدر بعشرات آلاف الدونمات، وحولها سهول شاسعة وجبال، وهي مطلة على الأغوار، وفي هذه البلدة نشأ الأسير وترعرع في ظل عائلته الفلاحة الأصيلة التي كغيرها من العائلات تمتلك العشرات من الدونمات من الأراضي السهلية والزيتون في الجبال، وكذلك بيارة حمضيات في الأغوار، فعاش طفولته في هذه الأجواء الرائعة من حياة الفلاح البسيط والفقير، لكن العلاقات كان ملؤها الدفء والحب والحنان والتعاون، وأدرك بوعيه البسيط أهمية الوطن والأرض والعائلة، وفي تلك الظروف نشأ وترعرع وتلقّى تعليمه الأساسي في مدارسها، وتفتّح عقله وذهنه وهو يرى الظلم والعدوان الذي لحق بأهالي بلدته، ولم يكن حينها يستطيع تفسير كل ما يجري من حوله، ولكن شيئًا فشيئًا بدأت الأمور تتضح له حيث عاين هذا البطل منذ صغره تدريبات الجيش الصهيوني في الجبال الشرقية للبلدة ومصادرة الأراضي وتشييد المستوطنات ومداهمة البيوت واعتقال الشبان.

مشهد متكرر للمواجهات مع قوات الاحتلال الصهيوني داخل بلدة بيت دجن بمحافظة نابلس

ما جعل عائلته أكثر حبًا وتمسكًا بأرضها، فانتقلت للعيش في منطقة الأغوار حيث لا يوجد أي خدمات صحية أو خدماتية فلا عيادات ولا كهرباء ولا محلات تجارية، واضطرت العائلة إلى أن تعيش في بناء قديم في البداية، وفيما بعد في سقيفة من طين؛ لأن الاحتلال كان يمنع الفلسطينيين من البناء في تلك الأراضي حتى وإن امتلكوها، فلم تكن حياة هذا الرفيق سهلة ولذلك نشأ في وسط هموم اختزنها في أعماقه وحملها على كاهليه طيل السنوات، وقد تم اعتقال والده في ثمانينيات القرن الماضي وهو لا يزال في عمر الطفولة المبكرة، وكل تلك الأحداث ساهمت في بلورة وعيه الذي تمثل في حب الأرض وكراهية المحتل، فلطالما تمنى أن يستطيع وضع حد لهذا العدو وممارساته القمعية بحق الشعب، ولابد لهذه الأرض أن تعود لأهلها ولا يأتي إلا بالثورة، فالثورة آتية وباسم الرايات المحبوبة، ليصدق هنا قول الشاعر الذي قال:

اضرب يا وطني اضرب ولا تتحجر
الثورة شبت في الجزء الأصغر

من أجل الشعب الأكبر
ولأجل الشعب الأكبر

فاضرب، اضرب يا وطني تتحرر
ويظل اسمك أعلى الأسماء وأطهر

انتفاضة العام 1987م والانتماء للجبهة الشعبية

لقد كان الحدث الأبرز للرفيق كميل هو اندلاع انتفاضة الحجارة بالعام 1987م في وجه

المحتل، وكان عمره في ذلك الوقت 12 عامًا، وكانت الانتفاضة بشدتها وقوتها تحمل بين جنباتها روح شعب عظيم خالد لم تستطع كل سنوات النكبة والنكسة والخذلان العربي أن تؤثر على جوهره. وأطلق الصوت عاليًا أنه مصمّم على العودة مهما صادف من عقبات، فالتحق هذا البطل رغم صغر سنّه بصفوف أشبال الانتفاضة وشارك بفعالياتها ونشاطاتها، وكان ينتظر بلهفة شديدة قدوم الدوريات الصهيونية ليواجهها بما كان قد أعده لهم هو وأشبال الانتفاضة مسلحين بالمقلاع والحجر، وصوت حناجرهم يهتف للوطن ذلك الوطن الذي يستحق المعاناة من إلصاق بوسترات وتعليق الأعلام وتوزيع البيانات الثورية، وشعر حينها برحلة أبناء الوطن وتعاضدهم وتكاملهم، فبالأمس كانت الدوريات الصهيونية تجوب الشوارع والقرى والبلدات دون أن يتعرض لها أحد لا قولًا ولا فعلًا، ولكن ما إن اندلعت الانتفاضة واشتدت حتى أصبح مجرد محاولة دخول الدوريات إلى أي مكان بالضفة أو القدس أو غزة يحل معه الموت المحقق، فخلقت هذه الانتفاضة ألفة حقيقية بين أبناء الشعب وأعادت القضية الفلسطينية إلى الصدارة، وأثبتت مرة أخرى أن فلسطين كل فلسطين من بحرها إلى نهرها هي أرض محتلة ويجب تحريرها، ولا يكون ذلك إلا بالوحدة والعمل المقاوم، وكان الثمن المزيد من الشهداء والأسرى والجرحى والمبعدين، وهدم البيوت وإغلاق المدارس وصعوبة العيش الكريم، ومع ذلك سرعان ما بدأت الفصائل الفلسطينية سواء الوطنية أو الإسلامية بالعمل الدؤوب من أجل استقطاب الجماهير بكل الوسائل الممكنة، وانتمى حينها البطل كميل إلى صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين؛ لأنها كانت تعتمد الكفاح المسلح، ولكنه في ذلك الوقت لم يكن قد أدرك حقيقة الخط الفكري والسياسي للجبهة، وبمرور الوقت وبمساعدة الرفاق بدأت عملية الوعي والتطور الفكري تتطور وتحقق أهدافها، وبدأ بالقراءة والمتابعة الدائمة إلى أن وصل إلى القناعة الراسخة بخط الجبهة الشعبية الفكري والنضالي والسياسي،

مشهد متكرر للمواجهات مع قوات الاحتلال الصهيوني خلال انتفاضة الحجارة (1987م)

وبدأ الرفيق كميل ينخرط في نشاطات الانتفاضة وبنشاطات الجبهة الشعبية أكثر فأكثر، ويحضر الاجتماعات الحزبية والتعبوية والثورية والثقافية والسياسية سواء في الأزقة والحواري أو تحت أشجار الزيتون، وتعمق أكثر معتمدًا على شخصيته وعقليته وحبه الشديد للقراءة، وقد قرأ كامل أدب غسان كنفاني وأشعار محمود درويش ومظفر النوّاب والأدب الروسي والعربي فضلًا عن الكتب السياسية والتاريخية التي تحدثت عن الثورات العالمية، مما جعله مسكونًا بالثورة والبندقية

لتبهره شخصية جيفارا الثورية وسيرته الكفاحية والنضالية، وتستمر الانتفاضة لسنواتها السبع إلى أن وصلت إلى مرحلة جديدة من النضال السياسي.

اتفاق أوسلو 1993م

ما إن أصبح الرفيق كميل ابن 18 عامًا حتى أدرك أن تلك السنوات السبع والتي تخللها وقفات ومحطات عزة وكرامة وانتصار وتحتوي الظلم لم تكن لتحرر الوطن وإنما تم الاستفادة منها ولظروف دولية ومحلية وإقليمية حيث تم الدخول في عملية مفاوضات بهدف إقامة دولة فلسطينية مستقلة على تراب الوطن المحتل عام 1967م عبر اتفاق أوسلو، وكان لابد من مواصلة عملية التسوية مع العدو، ولم يكن ليصدق أنها ستنتهي هذه الانتفاضة قبل زوال الاحتلال، مما ترك أثرًا وصدمة في نفسية الرفيق كميل وكذلك العديد من الحركات والأحزاب والكوادر في الشعب الفلسطيني، وتسلل إليهم اليأس والإحباط مما حصل في اتفاق أوسلو، وكانت حينها الجبهة الشعبية تعارض هذا الاتفاق وإفرازاته مما عزز ذلك من قناعات وأفكار وانتماء الرفيق كميل للجبهة الشعبية، ويكون على موعد مع امتحانات التوجيهي تمهيدًا للجامعة.

خوض أولى مراحل النضال الشعبي

ما أن أنهى الرفيق كميل التوجيهي حتى قرر العزوف عن مواصلة التعليم الجامعي، ولجأ حينها إلى سوق العمل إلّا أن والدته تعي جيدًا أهمية العلم في حياة الإنسان الفلسطيني والذي به سيتم دحر المحتل الصهيوني والتصدي لإجراءاته القمعية، وأصرّت حينها على أن يُكمل كميل تعليمه الجامعي رغم ظروف الحياة الصعبة التي اجتاحت عائلته نتيجة السنوات السبع العجاف في انتفاضة 1987م، فما كان من والدته إلّا أن تبيع صيغتها من الذهب ليحصل الرفيق كميل على مقعد دراسي في جامعة النجاح الوطنية في نهاية العام 1994م، ويلتحق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في تخصص الاقتصاد، وكانت الجامعة بمثابة مناخ سياسي ونضالي جديد للرفيق كميل لاسيما أن اتفاق أوسلو جاء في ظل مناخات سياسية محلية ودولية وإقليمية معقدة جدًا مما جعل الشعب ما بين داعم ومؤيد لهذا الاتفاق، وما بين معارض له، وكانت الجامعات في تلك الفترة هي مساحات تعج بالاستقطاب والمناكفات والاعتقالات السياسة لدى أجهزة السلطة الفلسطينية الوليدة، فما كان من الرفيق كميل إلّا الانخراط في جبهة العمل الطلابية، وهي الإطار الطلابي للجبهة الشعبية في جامعات الوطن، وكان منذ البداية أحد أعضاء هيئاتها القيادية، وتدرّج في القيادة ليكون في العام 1997م هو المسؤول عن هذه الكتلة الطلابية، ويخوض إلى جانب الرفاق وبقية الأطر الطلابية النضال على شكل 3 جبهات وهي داخل الجامعة، ويسمى بالنضال النقابي، وخارج أسوار الجامعة وانتقاد ممارسات السلطة، ويسمى بالنضال الديمقراطي، ومقاومة المحتل الصهيوني، وهو النضال الوطني مما ساهم خاصة في هذه المرحلة بإغناء تجربة الرفيق كميل على جميع الأصعدة النضالية والحزبية والسياسية، وكل ذلك ساهم في تعزيز فكرة الكفاح

المسلح ضد العدو، لكن هذه المرة مصحوبًا بالعلم. وكانت الكتل الطلابية في الجامعة هي امتداد للحياة الحزبية والصراعات السياسية خارج أسوار الجامعة، وكانت العمليات الاستشهادية في مرحلة ما بعد أوسلو وفشل التسوية السلمية هي أهم العناوين التي تتصدر الدعايات الانتخابية في الجامعة، وكان دور كبير ومركزي للرفيق كميل في تشكيل مجلس اتحاد طلبة النجاح الوطنية بحكم نشاطه الكبير والمسؤول في جبهة العمل الطلابي التي كانت عادة تحصل على 3 إلى 4 مقاعد من أعضاء مؤتمر المجلس. وكان لابد من حسم المجلس إما لصالح حماس أو صالح حركة فتح، وبالرغم من كون الجبهة الشعبية هي إحدى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية إلّا أنها تحالفت في العام 1995 / 1996م مع حماس والجهاد لتشكيل مجلس اتحاد الطلبة، وشكلوا بذلك قوة رفض لمشروع أوسلو وإفرازاته، وبدأت علاقات الرفيق كميل تمتد وتتسع إلى كل مكان ليتعرف على أصدقاء جدد ورفاق أبطال سيكون لهم فيما بعد دور مركزي في انتفاضة الأقصى، من بينهم يامن فرج وجميل عواد ونادر صدقة بالإضافة إلى أفراد مجموعته في الانتفاضة الأولى الرفاق منذر مفلح وفادي حنني.

بالرغم من وجود اتفاق أوسلو وإفرازاته ووجود السلطة إلّا أن الرفيق كميل تعرّض للاعتقال لدى العدو في الفصل الدراسي الأول في العام 1994م مما جعله يدرك حقيقة الصراع والاعتقال والتعذيب وأساليب التحقيق الصهيونية. ولطبيعة الشعار الذي رفعته الجبهة الشعبية بأن الاعتراف خيانة فقد صمد الرفيق كميل في أقبية التحقيق لمدة 40 يومًا وتحرر من زنازين سجن الفارعة، وبدأ اسم الرفيق كميل يلمع أكثر فأكثر في الجامعة وخارجها، وتم في العام 1998م انتخاب هذا البطل سكرتيرًا للمكتب الطلابي المركزي للجبهة الشعبية على مستوى الضفة الغربية، وبقي في هذا الموقع حتى اندلاع انتفاضة الأقصى، كل ذلك قد أتاح له فرصة كبيرة بأن يكون نشيطًا في المنظمة الحزبية، وأن يكون لديه مهام كبيرة خارج أسوار الجامعة، وكان العام 1998م عامًا مميزًا للرفيق كميل لاسيما أنه أضاف لكل ما سبق من نشاطات طلابية وحزبية ومؤسساتية الالتحاق بالجهاز العسكري للجبهة الشعبية، وتدرّب على السلاح في الجبال والوديان وبعيدًا عن عيون الأجهزة الأمنية الفلسطينية وكذلك الشاباك الصهيوني، إلا أنه لم يكن يمارس هذا العمل الفعلي إلّا عندما اندلعت انتفاضة الأقصى، وجمع بذلك كل أساليب النضال السياسي والعسكري بالإضافة لتعرفه على قيادات فلسطينية كان لها أثر مميز في حياته، منهم الشهيد ربحي حداد (أبو رامز)، والشهداء جمال سليم وجمال منصور من حماس، وامتد الأمر ليشكل صداقة قوية مع أساتذة الجامعة ممن ساهموا في إنضاج وعيه الفكري والسياسي ومنهم يوسف عبد الحق وفاروق سعيد وآخرون، وأثمر جهده حصوله على شهادة البكالوريوس في عام 1999م ليبدأ مرحلة جديدة من حياته.

ما قبل الانتفاضة.. مرحلة نضالية جديدة

في تلك الفترة كانت مدينة رام الله تمثل العاصمة المؤقتة للشعب الفلسطيني، وذلك لوجود

كافة أجهزة ومؤسسات ونشاطات السطلة بها، وكونها قريبة من القدس ونقطة تواصل مع كل مدن الضفة الغربية ونقطة تواصل مع قطاع غزة، ولم يكن الأمر سهلًا على الرفيق كميل الإنسان الفلسطيني الفلاح المكافح والمناضل الانتقال إلى جو جديد من الحياة المدنية، لاسيما أن معظم الفلسطينيين العائدين من المنافي يسكنون في مدينة رام الله، وكان لهذه الحياة أثر إيجابي على شخصية ووعي الرفيق كميل للارتقاء بفكره ونشاطه الطلابي والحزبي، فعلى الصعيد الطلابي تمكّن من توحيد الجهود وحشد الطاقات مع معظم المنظمات بالإضافة إلى علاقة مميزة مع الأطر النقابية للفصائل والإطار العام لطلبة فلسطين، وتم عقد سلسلة من الاجتماعات وبمبادرة من قبل الاتحاد العام لطلبة فلسطين بهدف تفعيل العمل الطلابي وتنظيمه وصياغة دستور موحد لمختلف المجالس والأطر الطلابية إلّا أنّ هيكلية الاتحاد بوصفه مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية وما اعترى تلك المؤسسات من فساد وترهّل وولاء سياسي وشخصي والطبيعة البيروقراطية؛

حال دون التوصل إلى التصور المطلوب، أمّا على الصعيد الآخر وهو الحزبي والسياسي فقد تعرف في تلك الفترة على عدد من القيادات الحزبية، وكان أبرزهم الشهيد القائد والأمين العام السابق للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى والرفيق الأمين الحالي للجبهة الشعبية الأسير أحمد سعدات وأحمد قطامش والدكتور أحمد المسلماني، بالإضافة إلى العديد من قيادات العمل الوطني والإسلامي في الضفة الغربية، وساهم وجوده في رام الله في تعزيز الصلة بينه وبين مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات التي تعنى بالشؤون الثقافية والفكرية والاجتماعية، وشارك في العديد من الندوات وورشات العمل والندوات الفنية والثقافية، وكانت تلك المرحلة مع دخول الألفية الجديدة تنذر بانسداد الأفق السياسي لدى السلطة الفلسطينية، والكل كان يتحدث عن انفجار الأوضاع في أية لحظة، وكما بدأت تعلو الأصوات الفلسطينية وتدعو لمحاربة الفساد المستشري في أجهزة السلطة، وبدأت الجماهير تستغل أي حدث مهما كان من أجل الاحتجاج والتظاهر لعلها بذلك تقوم بالتعبير عن حالة الغضب التي تعيشها، ففي مايو (أيار) 2000م اندلعت انتفاضة الأسرى حيث كان الأسرى مضربين عن الطعام في سجن هداريم، وخرجت الجماهير مؤيدة ومناصرة لحقوق الأسرى، ومطالبة السلطة بالعمل على الإفراج عنهم، وقد استشهد في هذه المواجهات الشهيد عيسى عابد (أبو سريع)، وهو صديق وشريك الرفيق كميل في السكن برام الله وكان ذلك بتاريخ 20/ 05/ 2000م، وترك استشهاد

هـذا البطـل أثـرًا وحزنًـا عميقًـا عـلى نفسـية الرفيـق كميـل، وعـلى إثـر استشـهاد صديقـه عيسـى تـم اعتقال الرفيـق كميـل عـلى يـد الأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية، ومكـث في جهـاز الأمـن الوقائـي مـدة أسـبوعين حتـى تدخلـت قيـادة الجبهـة الشـعبية ومارسـت ضغوطهـا عـلى قيـادة السـلطة لتتـوج بإطـلاق سراحـه،

الشهيد الرفيق/ عيسى عابد (أبو سريع)
استشهد بتاريخ 20/ 05/ 2000م

ويتـم اعتقالـه الثـاني لـدى العـدو الصهيـوني واسـتمر لمـدة شـهر في مركـز تحقيـق بتـاح تكفـا بتاريـخ 13/ 07/ 2000م. وكانـت تلـك المرحلـة مـا قبـل الانتفاضـة مرحلـة في غايـة الأهميـة لكنهـا معقـدة جدًا، ومـع ذلـك حافظـت الجبهـة الشـعبية عـلى مكانتهـا والتجديـد في هيكليتهـا عـبر الانتخابـات، وشـارك الرفيـق كميـل في المؤتمـرات الحزبيـة، وكان عضـوًا في المؤتمـر العـام السـادس، وتـم انتخابـه عضـوًا في اللجنـة المركزيـة لفـرع الضفـة الغربيـة، وفي تلـك الفـترة كانـت قيـادة الجبهـة الشـعبية تتهيـأ لإمكانيـة انفجـار انتفاضـة جديـدة، ولكـن لم يكـن الاسـتعداد لهـا كافيًـا أو عـلى الأقـل بمسـتوى الحـدث المطلـوب.

تأسيس الذراع العسكري عقب اندلاع انتفاضة الأقصى

لقـد انتهـت سـبع سـنوات عجـاف مـن التفـاوض تخللهـا اسـتمرار المحتل الصهيـوني بمصادرة الأراضي الفلسـطينية، واسـتيراد المسـتوطنين مـن كل العـالم، وتقديـم الإغـراءات المتعـددة لليهـود للسـكن في هـذه المسـتوطنات، وفـرض عمليـة تهويدهـا كأمـر واقـع في ظـل مفاوضـات الـكلام، واسـتمر العـدو باعتقـال أبنـاء شـعبنا وتدمـير المنـازل ونهـب المـوارد الطبيعيـة، وتسـخير الـكل الفلسـطيني في خدمـة اسـتكمال بنـاء المشروع الصهيـوني والدولـة اليهوديـة عـلى كامـل الـتراب الفلسـطيني المقـدس، ولذلـك أصبحـت الأمـور أكثـر تعقيـدًا، فلـم يتمكـن الطـرف الفلسـطيني والصهيـوني مـن الوصـول إلى الهـدف المنشـود مـن اتفـاق أوسـلو، وهـو الوصـول إلى حلـم الدولـة الفلسـطينية، وجـاء التعبـير الصـادق والواضـح والصريـح عـلى ذلـك عـبر ثـورة شـعبية عارمـة امتـدت إلى كل أنحـاء فلسـطين المحتلـة، وكان حينهـا الرفيـق كميـل مـن أوائـل المدافعـين عـن الشـعب وعـن أهدافـه وطبيعـة الهجمـة الصهيونيـة ضـد المتظاهرين السـلميين وتحويـل الاشـتباك إلى اشـتباك مسـلح، وسـارع الرفيـق

كميل منذ الأيام الأولى بالتواصل مع الرفاق للمباشرة بتشكيل الخلايا العسكرية لاسيما أنه كان قد التحق بالذراع العسكري للجبهة الشعبية منذ العام 1998م، وكان هذا الاسم الذي سيحمل الجبهة الشعبية في انتفاضة الأقصى وخاصة في الأشهر الأولى اسم قوات المقاومة الشعبية، وذلك قبل أن يحمل الجهاز اسم كتائب الشهيد أبو علي مصطفى الذي تم اغتياله في 27/ 08/ 2001م، وطبيعة التربية والتوعية الفكرية والثورية لدى قيادة وكوادر وأفراد الجبهة الشعبية سهّل الأمر على الرفيق كميل لتجنيد أعداد من الرفاق الذين سيكونون المؤسسين لكتائب أبو علي مصطفى، ومنهم الأبطال الرفاق منذر مفلح والشهيد فادي حنني والشهيد يامن فرح والشهيد أيمن مليطات (أبو وطن) والشهيد جبريل عواد، بالإضافة للأبطال وائل الجاغوب ونادر صدقة والمرحوم نائل الحاج وآخرين، وكانت هذه المجموعة بمثابة النواة الأساسية التي ستأخذ على عاتقها انطلاق العمل المسلح الذي استمر لأكثر من 5 سنوات، ومن الجدير ذكره أن ما ميّز هذه المجموعة أنها قد باشرت عملها منذ الأيام الأولى لانتفاضة الأقصى، ولخبرة الرفيق كميل تم تكليفه من قبل قيادة الجبهة الشعبية لعملية بناء الجهاز العسكري في شمال الضفة الغربية، وكان لابد من الانتقال من رام الله إلى نابلس، ومنذ الأيام الأولى بدأ بتجنيد الشباب وجمع السلاح والذخيرة وتصنيع العبوات مستعينين بخبراتهم المكثفة بنشاطاتهم في الجامعة والمؤسسات المختلفة، وبدأ نشاط هذه المجموعات، وبدأ هذا العمل يظهر إلى العلن مما جعل المحتل الصهيوني يداهم منزل الرفيق كميل في بيته في قرية بيت دجن إلّا أنّ الرفيق كميل لم يكن حينها متواجدًا في البيت، وأصبح مطاردًا للعدو منذ تلك اللحظة.

صحيح أن العمل قد بدأ ولكن لكل بداية معيقات، فقد واجه الرفاق بعض الإشكاليات وذلك؛ لأنهم قد بدؤوا العمل من الصفر، وكان لديهم في ذلك الوقت 3 أو 4 قطع سلاح، وفي نفس الوقت كان عدد كبير من الرفاق الأبطال جاهزين لحمل السلاح ومواجهة العدو في ميدان المواجهة، وكانوا بحاجة للوقت الكافي من أجل الدعم اللوجستي المتمثل بتجهيز البيوت والشقق السكنية والموازنة وشراء المواد الأولية في عملية التصنيع، وكان الأمر ليس سهلًا على القائد كميل لاسيما أنّ الأجهزة الأمنية الصهيونية كانت تبذل كل جهد ممكن من أجل القضاء على الخلايا العسكرية إما عبر اعتقال المطاردين أو عبر التصفية الجسدية، ومع ذلك كان يتعين على مؤسس كتائب أبو علي مصطفى في شمال الضفة العمل ليل نهار لمواجهة التحديات وتجاوز الثغرات لاسيما أن الكثير منهم كان يفتقد للخبرة العسكرية، وكان لابد من الابتكار والإبداع والتطور، وتم رسم هيكلية إدارية للجناح العسكري للشعبية، وتم إعداد المواد التثقيفية والتعبوية ذات الطبيعة الأمنية والقتالية، ولم يكن ذلك سهلًا في البداية، فكان لابد أن يتم بناء سياج يحمي المجموعات من الوقوع في الأخطاء الأمنية القاتلة، وكذلك لتفادي أي إشكالية مع السلطة للحفاظ على مستوى رائع من العلاقات مع الفصائل الفلسطينية،

وكانت الأشهر الأولى لتشكيل كتائب الشهيد أبو علي مصطفى مكرّسة بالأساس للتجهيز والتنظيم والفرز ومواكبة الإمكانيات وجمع المعلومات،

ومع ذلك كان هناك نشاط عسكري مكثف حيث باشر المؤسسون في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى لتنفيذ العمليات العسكرية بأيديهم خارج مناطق (أ) التابعة للسلطة، واقتصرت في العام الأول على إطلاق النار وزرع العبوات وإلقاء القنابل اليدوية مما أدى لمقتل وإصابة العديد من الصهاينة، وكان هناك دعوات من قبل البعض أن تتحول الانتفاضة إلى حرب عصابات مع العدو الصهيوني إلّا أنّ هذا الأسلوب لا يمكن له أن ينجح في الضفة الغربية، وذلك بسبب صغر مساحة الضفة وتقطيعها إلى أوصال سهل حصارها وفصل كل منطقة عن الأخرى والريف عن المدينة، كما أن الجغرافيا في الضفة الغربية ليست مناسبة، ولا يوجد هناك جبال شاهقة أو غابات أو وديان أو صحاري واسعة، ولم يكن أمام الأبطال الثائرين سوى الاحتماء بمناطق (أ) والتخطيط لعمليات من قلب المدن الفلسطينية.

محاولة الاغتيال

نتيجة نشاط القائد كميل العسكري تعرّض لمحاولة اغتيال فاشلة حدثت بتاريخ 27/ 05/ 2001م حيث تم تفجير جسم مشبوه في السيارة التي كان يستقلها برفقة 3 شبان من كتائب شهداء الأقصى إلى جانب رفيق آخر، وقد استشهد في هذا الاغتيال الشهيد عزام مزهر،

الشهيد البطل/ عزام مزهر
استشهد اغتيالًا بتاريخ 27/ 05/ 2001م

وفقد أحد الشباب بصره وأُصيب اثنان إصابات مختلفة، أما الرفيق كميل فقد نجا بأعجوبة وأُصيب بجروح متوسطة في كافة أنحاء جسده، ونجم عن هذه الإصابة انفجار في طبلات الأذن، ولا زال يعاني منذ ذلك الحين من ضعف في حاسة السمع، ولما تم اغتيال القائد الأمين العام للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى حمل الجهاز العسكري باسم

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى، ونُفذت عمليات أكثر قوة ودقة لاسيما عملية قتل وزير السياحة الصهيوني رحبعام زئيفي، ومن ثم الانتقال إلى مرحلة العمليات الاستشهادية كما فعلت الفصائل الفلسطينية، وما هي إلا بضعة أشهر حتى تطورت المقاومة الفلسطينية عبر عملياتها النوعية في الداخل المحتل مما جعل العدو الصهيوني يفكّر في اجتياح الضفة الغربية.

اجتياح نيسان 2002م وما بعده

منذ بداية العام 2002م تطورت العمليات العسكرية الفدائية، وانتقلت نقلة نوعية نحو العمليات الاستشهادية حيث لم يمر عام على انتفاضة الأقصى حتى أكد رئيس هيئة الأركان العامة الصهيونية شاؤول موفاز ذلك بقوله: لقد نفذ الفلسطينيون نحو 8000 عملية ضد الكيان الصهيوني ومنها 84 في الداخل المحتل، وبالفعل لقد شهد العام الأول للانتفاضة مقتل نحو 164 صهيونيًا أي بمعدل 14 صهيونيًا في الشهر الواحد منهم 59 قتلوا نتيجة 9 عمليات استشهادية من مجموع 12 عملية، وفي شهر مارس (آذار) عام 2002م وحده سقط نحو 130 صهيونيًا قتيلًا، وفي نفس الوقت خلال الفترة الواقعة ما بين 14/ 01/ 2002م و14/ 03/ 2002م استشهد برصاص العدو نحو 300 فلسطيني، منهم 200 في النصف الأول من آذار (مارس)، 50 منهم يوم 8 من الشهر ذاته، ونلاحظ أن التطور والأداء العسكري للمقاومة قد تحسن كثيرًا منذ بداية أحداث الانتفاضة، وكان هذا الأمر قد أثار حفيظة الجيش الصهيوني وحكومته، وجاء على لسان الهالك شارون أنه يجب ضرب الفلسطيني ضربًا موجعًا وعلينا إلحاق الخسائر بهم وإيقاع الضحايا كي يشعروا بفداحة الثمن، وبدأت كتائب الشهيد أبو علي تدفع ثمن العمل العسكري عبر تعرضها للخسائر الفادحة عبر اعتقال ناشطي جهازها العسكري في الريف الفلسطيني، ومع ذلك تمكنت كتائب أبو علي مصطفى من دخول معترك العمليات الاستشهادية كما فعلت حماس والجهاد الإسلامي وفتح، وكانت أول عملية لها في 07/ 03/ 2002م نفذها الاستشهادي البطل الرفيق شادي نصار في مستوطنة آرئيل، وأدت إلى استشهاده وإصابة 15 مستوطنًا. والشهيد نصار من قرية مادما في نابلس، وكذلك صعّدت حركة الجهاد الإسلامي التي نفذت سلسلة من العمليات الاستشهادية في شهر مارس 2002م، وحماس التي نفذت عمليتين من أهم العمليات، وهما عملية حيفا والتي نفّذها الاستشهادي شادي الطوباسي، وعملية جرين بارك التي نفذها الاستشهادي عبد الباسط عودة، مما جعل العدو الصهيوني يشرع في اجتياح الضفة الغربية، وبدأت الفصائل تستعد للمواجهة وقامت قيادة أبو علي مصطفى قبل اجتياح مدينة نابلس بأيام بعقد اجتماع طارئ وهام جدًا، وأخذ القرار بأن لا يبقى أحد في مدينة نابلس، وخرج بناء على قرار الكتائب أغلب المقاتلين، وبقي فقط الرفيق كميل وصديقه الرفيق يامن فرح، وقرر حينها الرفيق الكبير ربحي حداد مسؤول الجبهة الشعبية في نابلس البقاء معهما ومشاركتهم القتال، وبدأ الاجتياح فعليًا لمدينة

نابلس في 03/ 04/ 2002م، وكان كافة المقاتلين من كافة الفصائل قد تجمعوا في البلدة القديمة، وكانوا حينها بالمئات إلّا أنّ المقاومة لم تكن منظمة بالشكل المطلوب، كما أن قوات الاحتلال كانت عازمة على ارتكاب المجازر في مدينة نابلس مستخدمة بذلك الطائرات الحربية، وعددًا كبيرًا جدًا من جنودها وعشرات الدبابات والمجنزرات الضخمة، ولم يكن هناك توازن للقوى بين الطرفين إلّا أنّ إرادة وعزيمة المقاتلين الفلسطينيين الذين تسلّحوا بعدالة قضيتهم واحتضان شعبهم لهم ومناصرة شرفاء الأمة العربية والإسلامية؛ قاوموا حينها بشجاعة وبسالة منقطعة النظير، واستُشهد على حسب ما ذكر عدد كبير من الشهداء، واعتقل العشرات،

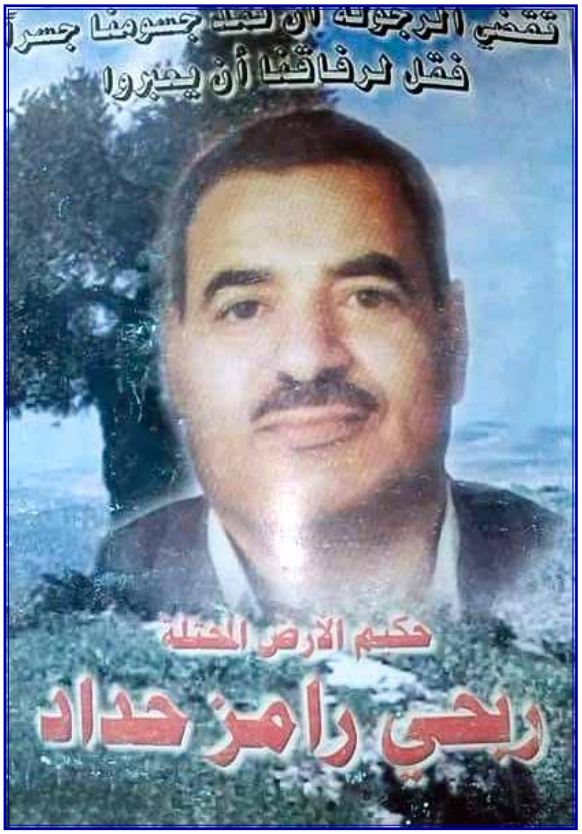

وأصيب المئات من المواطنين الفلسطينيين، وكان من بين هؤلاء الشهداء الرفيق ربحي حداد الذي كان له باع كبير في العمل في الجبهة سواء في نابلس أو الضفة الغربية أو في سجون الاحتلال لاسيما أن هذا الرفيق الشهيد القائد (أبو رامز) قد اعتقل عام 1968م وأمضى 17 عامًا وأفرج عنه في صفقة أحمد جبريل عام 1985م، ولكنه بقي وفيًا لفلسطين والثورة. وكان الرفيق كميل يسير حينها جنبًا إلى جنب وكتفًا إلى كتف مع الرفيق يامن فرج في مواجهة العدو الصهيوني، وبعد مواجهة مستميتة وعنيفة جدًا بدأت قوات الاحتلال تتقدم شيئًا فشيئًا باتجاه البلدة القديمة لمحاصرتها من كل مكان، وبدأت بهدم البيوت وإطلاق الصواريخ والرصاص العشوائي؛ وأدى ذلك إلى سقوط شهداء واحتلال معظم أنحاء البلدة القديمة باستثناء حارة الياسمينة، وقرر حينها معظم المقاتلين من الاستجابة لنداءات العدو الصهيوني وهو إمّا أن يستسلموا وإما أن يموتوا تحت الأنقاض، وأخذوا القرار بالبقاء على حياتهم، وسلَّموا أنفسهم للجيش الصهيوني حينها قرر الرفيق كميل والرفيق يامن عدم الاستسلام واختبآ في بيت قديم، وبالرغم من ذلك اقتحم الجيش الصهيوني هذا المنزل، وكان البطلان مستعدين للاشتباك معهم إلّا أنّ الله ـعز وجلـ أعمى أبصارهم، ومكثا في هذا المنزل أسبوعًا كاملًا إلى أن انسحب الجيش الصهيوني من نابلس مخلفًا وراءه الدمار الهائل للمنازل والمحلات التجارية وعشرات الشهداء والجرحى والأسرى، وكتب الله للرفيق كميل النجاة من الموت مرتين، منها فعندما كان في أحد الأفران في البلدة

القديمة أثناء الاجتياح فما أن خرج منه حتى تم قصفه من قبل الطائرات الصهيونية الاجرامية، كما استقبل أهالي وعائلات البلدة القديمة الثوار والمناضلين والرفاق والمجاهدين بحفاوة بالغة، وفتحوا لهم أبواب منازلهم وشاركوهم في الطعام والشراب والعلاج الطبي، فكان نعم الحاضنة الشعبية للمقاومة الفلسطينية رغم ما حدث في أثناء الاجتياح والدمار الهائل الذي لحق بهم إلا أن شوكة المقاومة لم تنكسر، واستمر أهالي البلدة القديمة بدعمهم المطلق للمقاومة الفلسطينية، فهذه نابلس جبل النار التي انتصرت على كل الغزاة على مرّ التاريخ، فكيف الآن تخضع وتنكسر للعدو الصهيوني؟!، وخرجت العشرات من العمليات من داخل البلدة القديمة في نابلس،

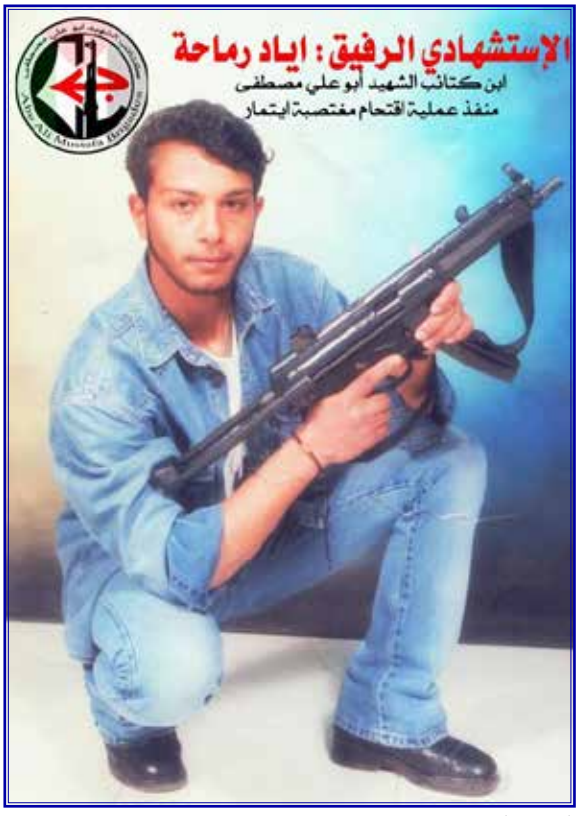

وكانت العملية الثانية لكتائب أبو علي مصطفى في سوق نتانيا الصهيوني بالداخل المحتل بتاريخ 19/ 05/ 2002م وأدّت إلى مقتل 3 صهاينة وإصابة أكثر من 30، ونفذها الاستشهادي أسامة بوشكار، ثم أتبعتها كائب أبو علي مصطفى بعملية أخرى عبر اقتحام مستوطنة إيتمار نفّذها الشهيد إياد رماحة بتاريخ 21/ 06/ 2002م أدّت إلى مقتل 5 صهاينة وإصابة 5 آخرين وأدت إلى اجتياح كبير لمدينة نابلس ومنع للتجوال استمر لمدة 3 أشهر، وفي تاريخ 31/ 08/ 2002م نفّذ الشهيد يوسف عطا الله في مستوطنة برخا جنوب نابلس عملية فدائية، وكذلك نفّذت حركة الجهاد الإسلامي سلسلة من العمليات الاستشهادية ردًا على المجازر الصهيونية عبر عمليتي مجدو وكركور، وكذلك فتح وحماس عبر سلسلة أخرى من العمليات التي أثلجت صدر الشعب الفلسطيني مما أعاد للمقاومة الفلسطينية هيبتها وقدرتها على مواصلة الطريق، طريق الكفاح والنضال والجهاد ضد العدو الصهيوني، وفي نفس الوقت كانت الملاحقة الصهيونية للقادة والكوادر في المقاومة غير مسبوقة، وأدت لاغتيال عدد كبير من المقاومين من كل الفصائل مما جعل الفصائل تشترك فيما بينها في توجيه ضربات عسكرية قوية ضد العدو، ففي تاريخ 05/ 02/ 2003م تمكنت كتائب أبو علي مصطفى من تنفيذ عملية نوعية بمشاركة كتائب شهداء الأقصى حيث اقتحم استشهاديان معسكرًا للجيش صهيوني على جبل الطور في نابلس، وتم قتل ضابط وجنديين وأصيب آخران، وتم بعد هذه العملية قيام العدو بتاريخ

10/ 02/ 2003م باغتيال الشهيد عماد مبروك في منزله. وكان لابد من الاستمرار في مثل هذه العمليات ليعلم العدو أن شوكة المقاومة لا يمكن أن تنكسر، وبالفعل فإن العملية الأخيرة التي تم تنفيذها قبل اعتقال القائد الرفيق كميل كانت في تاريخ 10/ 04/ 2003م وبمشاركة كتائب شهداء الأقصى أيضًا، وكانت عبارة عن اقتحام معسكر البقيعة في الأغوار حيث اقتحم الاستشهاديان المعسكر، وقتل في العملية 3 جنود وأصيب 10 آخرون. وكانت هذه العمليات الاستشهادية التي نفّذتها كتائب أبو علي مصطفى منفردة أو مع كتائب الأقصى جزءًا من سلسلة العمليات التي نفذتها المقاومة الفلسطينية من كافة الفصائل، وكانت تثلج صدر عائلة الرفيق كميل لاسيما بعد هدم منزله في 05/ 01/ 2003م، وكان هذا البيت من 3 طبقات، فهذا هو حال الشعب الذي عانى ولا يزال حتى هذه اللحظة، لكن لا يوجد فلسطيني واحد تراه أو تسمعه يعلن عن استسلامه أو خضوعه أو انكساره أو تراجعه عن المطالبة بحقه المسلوب من الصهاينة، وبدأت الأجهزة الأمنية الصهيونية وبمساعدة الجواسيس في تتبع أي أثر يوصل إلى القائد كميل لاسيما بعد العملية الأخيرة.

الاعتقال

بعد مطاردة ساخنة استمرت عامين ونصفًا واجه خلالها الكثير من الصعوبات الحقيقية، وتعرض خلالها لمحاولات الاغتيال، وشهد خلالها العديد من المواجهات المباشرة وغير المباشرة مع العدو؛ تمكنت القوات الصهيونية من الوصول إلى المكان الذي يتواجد به القائد كميل في الحي النمساوي في مدينة نابلس بتاريخ 15/ 04/ 2003م، وهذا الاعتقال لم يكن ليتوقعه الرفيق كميل إلّا أن يد الغدر الصهيوني كانت أسبق إلى اعتقاله من استشهاده، وبدأت عملية التحقيق معه تشتد أكثر فأكثر حيث تعرض إلى تحقيق قاسٍ عنيف من أجل انتزاع اعتراف منه، وعندما فشل الشاباك الصهيوني في انتزاع الاعتراف أدانته باعتراف آخرين ليحكم عليه بعد عامين من السجن مدة 9 مؤبدات.

مرحلة نضالية جديدة في السجون

منذ الأيام الأولى لدخول السجن انخرط الأسير الرفيق كميل في العمل التنظيمي والوطني والاعتقالي لتقوم إدارة مصلحة السجون بنقله من سجن لآخر، ويدخل كل السجون الصهيونية من شمال فلسطين إلى جنوبها، وبعض السجون دخلها وخرج منها أكثر من مرة، ومع ذلك عمل في مختلف المنظمات الحزبية في السجون، وعلى هامش نشاطه التنظيمي والحزبي واظب على أهم شيء في حياة الأسير، وهي المطالعة والكتابة، فأتقن اللغة العبرية والتحق بالجامعة العبرية في دراسة الماجستير في الديمقراطية وكان ذلك في العام 2007م إلّا أنّه لم يتمكن من إنهاء الماجستير بسبب القرار الجائر والظالم بحق الأسرى والذي يمنع الأسرى من مواصلة تعليمهم الجامعي بسبب خطف فصائل المقاومة للجندي شاليط إلّا أنّه لم يعرف طعمًا لليأس والإحباط، واستمر في مشواره التعليمي متجاوزًا

كل المعيقات والتحديات ملتحقًا ببرنامج الماجستير في الشؤون الإسرائيلية من جامعة القدس أبو ديس، وبإشراف من قبل الأسير الدكتور مروان البرغوثي في سجن هداريم في العام 2016م، وتخرج منها في العام 2019م، أمّا على الصعيد التنظيمي في السجون كما ذكرنا سابقًا فتبوأ الرفيق كميل عدة مناصب تنظيمية، كما ساهم مع الرفاق في تأسيس منظمة فرع السجون وتشكيل قيادة مركزية واحدة، وكان أحد قادة الفرع ما بين عام 2008 – 2012م، وفي الدورة الثانية 2013 – 2016م، وفي الدورة الثالثة ما بين 2016 – 2019م حيث انتُخِب مسؤولًا لفرع السجون، أما الدورة الرابعة 2019م فلا تزال مستمرة حتى كتابة هذه السطور، وهو الآن يتولّى مهمة الرقابة الفرعية، وهي لجنة تُشرف على العمل في مختلف الأنشطة وتراقب أداء الهيئات، وهي بمثابة السلطة القضائية في منظمة الفرع، ولم يكن الرفيق كميل ليصل إلى ثقة الرفاق في الجبهة الشعبية في السجون لولا كفاءته الفكرية والثقافية والتنظيمية، فكان عنوانًا ونبراسًا للعمل الثوري في مواجهة مصلحة السجون الصهيونية عبر سلسلة من الخطوات الفردية أو المشتركة مع كافة الفصائل، وشارك في الإضراب عام 2004م عن الطعام، وإضراب عام 2011م الذي خاضه الرفاق في الجبهة الشعبية من أجل إخراج الأمين العام للجبهة الرفيق أحمد سعدات من العزل الانفرادي واستمر لمدة 21 يومًا وفي أثناء هذا الإضراب تم إنجاز صفقة تبادل الأسرى فيما عرف باسم صفقة شاليط مما جعل هذا الإضراب في خطر حقيقي، وعدم تحقيق الأهداف المرجوة منه لاسيما أن كوادر الجبهة من الأسرى القدامى قد تم الإفراج عنهم في هذه الصفقة، وكذلك إضراب الكرامة 2012م ليستمر لمدة 28 يومًا، وأيضًا شارك في الإضراب التضامني مع الأسير الرفيق بلال كايد واستمر لمدة 15 يومًا. وكان الإضراب الأخير الذي شارك فيه الرفيق كميل في العام 2017م الذي استمر لمدة 41 يومًا، هذا فضلًا عن عشرات الإضرابات التي كانت تستمر لمدة أيام أو ساعات. وكانت تلك الخطوات سببًا في إدخاله للعقاب في الزنازين في معظم السجون، بالإضافة إلى العزل الإنفرادي في سجن ريمون، واستمر عزله لمدة شهر كامل حيث تم إخراجه من العزل بعد أن شرع في الإضراب عن الطعام، وما أن أنهى يومين من الإضراب حتى استجابت إدارة مصلحة السجون لمطالبه وأخرجته من العزل الانفرادي؛ لأنها تعلم أن عزيمة وإرادة هذا الأسير لا يمكن كسرها ولا يمكن أن يسمح أبناء ورفاق الجبهة الشعبية بالاستفراد بأصدقائهم إلّا أنّ الرفيق كميل لم يكن يهتم كثيرًا بإجراءات مصلحة السجون العقابية بحقه، فهو يعلم جليًا أن في كل معركة سينتصر وسوف تنتصر الحركة الأسيرة مهما كان الثمن، ولكن ما أحزن الرفيق كميل وسبّب له الأسى والألم الحقيقي هو نبأ استشهاد معظم رفاق دربه الأبطال الشجعان الذين حملوا الراية وتقدموا الصفوف للدفاع عن فلسطين أرضًا وشعبًا، ومن هؤلاء الأبطال رفيق دربه الشهيد فادي حنني، واستُشهد معه الرفيق جبريل عواد حيث اشتبكا مع العدو الصهيوني في البلدة القديمة بتاريخ

18/ 12/ 2003م، واستشهد رفيق دربه الشهيد يامن فرج والرفيق أمجد مليطات (أبو وطن) فكان من أعز أصدقائه حيث اشتبك الرفيقان مع العدو على أرض مدينة نابلس بتاريخ 06/ 07/ 2004م،

الشهيدان/ أمجد مليطات (يسار) ويامن فرج
استشهدا معاً بتاريخ 06/ 07/ 2004م

أمّا حالة الحزن الأكبر التي ألّمت به فكانت هي وفاة جدّته أم حلمي، تلك الجدة التي كان لها فضل كبير في تربيته وتنمية مواهبه، وهي التي ساهمت في تطور وعيه الوطني لاسيما أنها استطاعت أن تروي له تاريخ الثورة الفلسطينية منذ عام 1936م حتى مرحلة التسعينيات بطريقة شفهيّة شيّقة، وتوفاها الله بتاريخ 03/ 04/ 2019م وكان عمرها 95 عامًا، وتوفيت وكانت بشوق كبير تنتظر حفيدها وقد تحرر من الأسر، وانتظرت سنة ثم أخرى وكانت تقاوم شيخوختها وأمراضها وتتعالى عليها استعدادًا للقاء حفيدها إلّا أنّ الموت كان الأقرب لها وليرحمها الله _عز وجل_ ويجزها خير الجزاء على صبرها وصمودها وانتظارها وعبادتها، ومهما بلغ الأسير الفلسطيني من ثورة وإرادة وعزيمة وصمود وثبات وتحدٍ ومواجهة المحتل إلّا أنّ أمام وفاة العزيزين عليه تراه يضعف ويتألم ويحزن حزنًا شديدًا؛ لأن الأسير الفلسطيني هو كتلة من المشاعر والأحاسيس والحب والعاطفة والأمل والحلم، وليس فقط عبارة عن مقاتل يحمل البندقية كما يظهره الإعلام الصهيوني والغربي، وهو في نفس الوقت المناضل والشاعر والكاتب والرياضي والريادي والخطيب والمحامي والروائي والعاشق والمحاور والمتفائل بالمستقبل، وليس كما يصوّره البعض بشكل حزين وكئيب ويعيش بحالة ندم وسخط وإحباط ويأس؛ لذلك أصر الأسير البطل منذ اليوم الأول له بداخل سجون الاحتلال على الاهتمام بنفسه ثقافيًا وأدبيًا وفكريًا ليعطيهم بذلك القوة المطلوبة للصمود في وجه كل الإجراءات الصهيونية بحق الحركة الأسيرة.

الثقافة والكتابة

لا يمكن للأسير في سجون الاحتلال إن أراد أن يثقّف نفسه إلّا الاهتمام بملء الفراغ عبر برنامج يومي مستمر ومتواصل ومتراكم، لذلك استفاد الأسير الرفيق كميل ممن سبقه من الأسرى عبر نصائحهم وإرشاداتهم، والسعيد من اتعظ بغيره، ولهذا في السنوات الأولى للرفيق كميل كان يقرأ بمعدل 10 ساعات يوميًا وأحيانًا ما بين 12 إلى 14 ساعة إلّا أنّ الأعباء التنظيمية والمهام التنظيمية في السنوات اللاحقة بالإضافة إلى الدراسة الجامعية كانت تأخذ الجهد الأكبر والوقت الأكبر، ومع ذلك كان محافظًا على القراءة والكتابة من 3 إلى 5

ساعات يوميًا فقط، أما الكتابة فكان يخصص لها مالا يقل عن ساعتين يوميًا فتراكم لديه العلم والمعرفة والثقافة، وقد تمكّن من قراءة آلاف الكتب فكانت القراءة متنوعة؛ لأنّ الثقافة في نظره أن تعرف شيئًا عن كل شيء، فقرأ الفلسفة والتاريخ والفكر والسياسة والأدب والشعر والروايات، وهذا ساهم في تراكمه عبر سنوات طوال في إغناء تجربته الثقافية مما دفعه للانطلاق إلى ذلك العالم الحر، عالم الكتابة الذي يستطيع فيه الأسير أن يصول ويجول بلا منازع ولا رقيب ولا تعب ولا ملل ليجد نفسه مستغرقًا في الكتابة وكأنّه ولد كاتبًا، وكانت إنجازاته الكتابية رائعة وتفوق الخيال، وقد يلومني أحد إن زعمت أن الأسير كميل الذي أكتب عنه هذه الصفحات من سيرته الإنسانية والنضالية والثقافية لم يسبقه أحد في الحركة الأسيرة بعدد الإنجازات التي قام بها خلال فترة زمانية قياسية بالمقارنة مع إنجازاته.

ومن هذه الأعمال الرائعة صدرت له أول رواية أسماها "خبر عاجل" عام 2008م، ورواية "بشائر" عام 2010م، ورواية "وجع بلا قرار" عام 2017م، وكتاب "التجربة الاعتقالية والتنظيمية" بالاشتراك مع الأسير الرفيق وائل الجاغوب عام 2018م، ورواية "الكبسولة" عام 2019م، كما صدر له قصة قصيرة بعنوان "عقدة العصفور" عام 2019م، ورواية "مريم مريام" في العام 2019م، كما له عدة إصدارات قيد الطباعة، منها ديوان شعر بعنوان "على شاكلة الفجر"، وديوان آخر "مناخات ماطرة"، كما أنه أبدع في النقد حيث أصدر كتابًا نقديًا باسم "جدلية الزمان والمكان في الشعر العربي"، وهو كتاب ضخم يضم حوالي 700 صفحة في طريقه للطباعة،

أما حتى كتابة هذه السطور فيعكف على كتابة رواية ثلاثية الأجزاء، ودراسة نقدية في فكر وأدب الشاعر البرتغالي (فرناندو بيسوا)، وفي السنوات الثلاث الأخيرة أي في الأعوام 2017م، 2018، 2019م كتب أكثر من 100 مقال سياسي منشورة على عشرات المواقع الالكترونية، بالإضافة إلى العديد

من المقالات الأدبية، وليس هذا فحسب بل تعمّق أكثر فأكثر مستفيدًا مما توصّل إليه من فكر وثقافة عالية، فقد نشر 4 دراسات في مجالات ودوريات عربية الكترونية ومطبوعة، وهذه الدراسات هي "الفلسطينيون الحمر"، وهي دراسة تبحث في الأيديولوجيا المشتركة بين المستوطنين البيض الذين أبادوا الملايين من الهنود الحمر في القارة الأمريكية الشمالية وبين المستوطنين الصهاينة في فلسطين عبر جرائمهم بحق الفلسطينيين، والدراسة الثانية بعنوان "مقاربات في نظرية التخلف" وهي دراسة فكرية تدرس أسباب التخلف العربي، والدراسة الثالثة بعنوان "القلعة" وهي تبحث في موطن الضعف والقوة لدولة الكيان، والدراسة الرابعة بعنوان "إشكالية الآخر في الفكر الصهيوني" وقد تم نشرها في مجلة المستقبل العربي، أما دراسة إسرائيل فهي تبحث في الأيديولوجيا والتاريخ ويدّعي هذا البحث أن مسمى (إسرائيل) هو اسم كنعاني، إضافة إلى بعض الدراسات الصغيرة مثل الترانسفير في الفكر والممارسة الصهيونية، وأيضًا دراسة صفقة القرن الماضي وكيف خضعت السعودية للهيمنة الأمريكية، كما يوجد للأسير كميل دراستان أدبيتان منشورتان على المواقع الالكترونية، الدراسة الأولى بعنوان "الثورة حجر الزاوية في شعر مظفر النواب"، والثانية "تأمّلات فلسفية في رباعيات الشاعر عمر الخيام"، كما له عشرات القصائد الشعرية الجديدة منشورة، كل ذلك العطاء والإبداع والجهد والمثابرة يستحق التكريم بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولذلك فقد حصل على عشرات الجوائز والدروع الأدبية كان آخرها شهادة المرتبة الثالثة في النقد العربي على دراسة تأملات فلسفية في رباعيات عمر الخيام، والأهم قد حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من أحد المراكز الإعلامية الفلسطينية التي تتابع الكتابات والإنتاج الثقافي والأدبي للأسرى، فما أروع هذا الأسير وما أجلّه وأجلّ قدره، فمثل هذا الأسير وإبداعاته يُعتبر نموذجًا بحق والصحيح للأسير الفلسطيني المقاوم والمناضل والثائر من أجل عدالة قضيته من أهم قضية، بل أهم قضية على وجه الكرة الأرضية، وبمثله يُقتدى ليكون هامة وقامة ونبراسًا ومشعل نور يضيء الطريق للآخرين الذين يجدون أنفسهم بعد ضياع طويل، فكانت الكتابة لأسيرنا الرفيق كميل بمثابة البلسم الذي يخفف من قسوة السجن والسجان.

عائلة كريمة

هذا ما كان ليحدث لولا مثابرته، وأيضًا لولا ملهمته ومرشدته جدته الحاجة أم رحمي ـ رحمها الله ـ التي كان لها الأثر الطيب في تشكيل بنيته الثقافية والنفسية والعاطفية والاجتماعية وتنمية وعيه الوطني والسياسي، فقد عودته منذ الصغر على قص القصص والحكايات مما ساهم في ارتقائه الأدبي، كما أن عائلته كان لها الفضل الكبير عليه، تلك الأسرة الطيبة التي تعتز وتفتخر بها، فوالده الطيب رجل صالح وورّثه حب الأرض والوطن، وعلمه أن يكافح ويقاتل من أجل أن يكسب لقمة عيش شريفة بعرق جبينه، ووالده لا يزال صامدًا في وجه المحتل الذي يحاول مرارًا وتكرارًا

السيطرة على منطقة الأغوار لأهميتها الاستراتيجية، أمّا والدته العزيزة فهي التي تكبّدت المتاعب وتحمّلت الصعاب والمشاق أثناء مطاردة ولدها كميل وهدم بيتها وشردت العائلة لسنوات طويلة،

الأسير القائد/ كميل أبو حنيش
برفقة والدته خلال زيارتها له في السجن

وتحمّل الأب والأم المشقة وعناء زيارة ابنهم الأسير، فنعم الأب والأم، ونعم التربية الوطنية والأخلاقية التي زرعاها في ابنهما كميل والتي كان لها الفضل الكبير في جعله رجلًا حقيقيًا يعتمد عليه في كل شيء، وأمّا أشقاؤه كمال الذي يتابع بكل شغف كبير كتابات أخيه كميل ويتابع إصداراته، وكذلك فؤاد وجورج، أمّا شقيقاته ميساء ونداء وأبناؤهما فلا تفارق صورهم عقل ووجدان وعيون الأسير كميل، فهذه العائلة من جدّته وأمه وأبيه وإخوانه وأخواته لها الفضل الكبير في دعمه وإسناده وتشجيعه للصمود في وجه السجان، بل على قهر السجن والسجان، عبر إبداعاته اللامحدودة في الفكر والأدب أو الثقافة، تلك الأمور التي جعلت أمه وأباه وعائلته ينادون بأعلى الصوت أيها العالم أيها الناس هذا ابننا البطل المغوار رغم أسره وتعبه وظلم الاحتلال له إلّا أنّه رفع رأسنا عاليًا وأصبح ذكره ومنزلته ومكانته محل اهتمام البعيد قبل القريب والعدو قبل الصديق، كما قال الشاعر:

العلم يبني بيوتًا لا عماد لها
والجهل يهدم بيوت العز والكرم

رسالة وفاء

فأمّا إن تحدثنا عن وفاء الأسير القائد كميل فإنه قد أصرّ علينا أن نتوجه بالتحية والاحترام والتقدير لأهالي نابلس جبل النار الذين كان لهم الدور الكبير في احتضانه ورعايته أثناء المطاردة، وخاصة عائلة أبو مهند في البلدة القديمة الذين اهتموا به كثيرًا، والعزيزة أم وائل وعائلة أبو السبع وعائلة أبو أحمد وأبو مروان الذين مكث عندهم مختفيًا 5 شهور واعتقل في بيتهم، ولا يزال الأسير كميل مدينًا لهم ولباقي العائلة التي قدمت المساعدة له ولرفاقه، وأصرّ على أن يقدّم الشكر الجزيل للأم الصابرة الصامدة أم عسكر التي كانت أمًا للشهداء والمطاردين فتحت بيتها للأسير وباقي المطاردين، ولم تخشَ المحتل الصهيوني والعواقب، فهي تستحق أن يذكرها التاريخ؛ لأنها كانت نموذجًا للأم الفلسطينية المناضلة، فعادةً بعد أن يُمضي الأسير فترة طويلة في السجن تصبح الذاكرة لديه ضعيفة ويصبح كثير النسيان إلّا أن الأسير الرفيق كميل لا يمكن أن ينسى أبدًا هؤلاء القادة الذين يعتبرون من أهم الأشخاص في حياته، وخاصة حكيم الثورة جورج حبش، والرفيق القائد أحمد سعدات،

والرفيق أحمد قطامش والمرحوم الدكتور أحمد المسلماني والشهيد ربحي حداد، ومن الشخصيات العالمية جيفارا وعبد الناصر والسيد حسن نصر الله، فهنيئًا لتلك القرية قرية بيت دجن التي كان لها تاريخ طويل في مقارعة المحتل البريطاني والصهيوني والتي احتضنت في بيوتها وكهوفها الثوار الفلسطينيين منذ عام 1936م ومرورًا بالعام 1967م حتى يومنا هذا، بالإضافة إلى لوحة الشرف والعز لهذه القرية اسم جديد خالد وهو اسم الأسير القائد كميل أبو حنيش لتتشرف هذه القرية بأن يكون ابنها وابن أرضها وهوائها ومائها تفتخر به الأجيال على مر السنين؛ لأنه المناضل والشاعر والمفكر والمثقف والأديب والناقد، فكان واجبًا علينا أن نكتب حكايته علّنا استطعنا أن نوفيه حقه أو جزءًا من حقه علينا، وأظن أني قد فعلت.

الأسير المجاهد
يوسف عبد اللطيف خضر مهداوي

فارس مقدام وأحد مهندسي عملية استشهادية

تاريخ الميلاد: 1982/06/07م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: طولكرم – محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 10

تاريخ الاعتقال: 2003/08/28م

الحكم: مؤبد

لقد ثبت أنه لا يمكن للاحتلال الصهيوني أن يبقى آمنًا أمام انعدام الأمن لشعوب العالم وبالأخص شعب فلسطين، فما من شعب أو دولة في العالم تعرضت لهجوم أو احتلال إلا وقام الشعب بكل جهوده وطاقاته لمقاومة المحتل بكافة وسائله الممكنة، فاليابان والشعب الياباني استخدم طائرات وطياري الكاميكازي في العام 1944م ضد أسطول أميركا، فالكاميكازي تعني الريح الإلهية، وقد تم تصميم وصناعة طائرات الكاميكازي من أجل أعمال فدائية بحيث من يقوم بركوب هذه الطائرة فإنه لا يمكنه أبدًا الهبوط فيها مرة أخرى، ويحمل رأس الطائرة أكثر من طن من المتفجرات أي نصف وزن الطائرة، وكانت سرعة اصطدامها بالأهداف نحو 970 كم في الساعة، وقام الكاميكازي بتدمير نحو 40 سفينة حربية وخسرت أمريكا آلاف الجنود في الحرب، ورغم خسارة اليابان في الحرب بفعل ما تعرضت له من القصف النووي إلا أن قصة الكاميكازي أصبحت بفعلها راسخةً في نسيج وخيال الشعوب المضطهدة ليأتي الاحتلال الصهيوني لفلسطين في العام 1948م وقد أقام كيانًا سياسيًا على جماجم الشعب الذي تعرّض

لقتل وتشريد وتهجير إجباري إلى كل بقاع العالم، وتعلن فيما بعد رئيسة الوزراء الصهيونية الهالكة جولدا مائير بقولها: "لن نسامح الفلسطينيين؛ لأنهم يجبرون أولادنا على قتلهم"، وتنقلب الموازين والمفاهيم في نظرها ليصبح الجلاد ضحية والضحية جلادًا، ولكن ما حدث في نكبة عام 1948م كان مشهدًا واقعيًا حقيقيًا لا يختلف عليه أحد بأن الجلاد هو العصابات الصهيونية ويفتخرون بذلك، وأن الضحية هو الفلسطيني الذي لا يزال يعيش آثار الدمار واللجوء حتى هذه اللحظة.

الميلاد والنشأة

كما هاجرت العائلات الفلسطينية من الأرض المحتلة عام 1948م هاجرت عائلة مهداوي من خربة مهداوي الواقعة في قرية قاقون المهجرة والقريبة من مدينة الخضيرة المحتلة، وتبعد هذه الخربة عن مدينة طولكرم نحو 12 كم، وكما كل العائلات الفلسطينية المهجّرة كان لها اختيارها في التوجه إلى المكان الذي تستطيع الوصول إليه، فمنهم من ذهب إلى طولكرم، ومنهم من ذهب إلى نابلس، ومنهم من ذهب إلى الخليل وبيت لحم، ولا تخلو مدينة من مدن الضفة الغربية وقطاع غزة إلا وبها مخيم للاجئين الفلسطينيين، وعائلة مهداوي توجهت للعيش في ضاحية شويكة في مدينة طولكرم، ومنها إلى مدينة الفارعة في مدينة جنين لتسكن هناك، وكانت آثار الهجرة والتنقل لدى العائلات الفلسطينية مؤلمة ولاسيما أنهم قد تركوا وراءهم كل مصدر لرزقهم ظانين أنهم سيعودون إلى بلدهم بعد يوم أو يومين أو شهر أو سنة، وإذا بالأشهر والسنين تمضي ليكبر والد المجاهد يوسف مهداوي (أبو خالد) ويتزوج من أم خالد وهي من عائلة أبو قنة من كفر قرع بالداخل المحتل،

من آثار قرية قاقون المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

ويرزقه الله بالأبناء ويكون ابنه يوسف هو الابن الثالث من بين أبنائه حيث ولد في العام 1982م، هذا العام الذي كان مفصليًا في تاريخ الثورة والمقاومة حيث اجتاح العدو لبنان ووصلت دباباته وأقدام جنوده إلى بيروت وسط مقاومة عنيفة من قبل فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وقد جاء هذا الاجتياح كما أعتقد على وقع معركة مدى صمود الاتفاق السلمي ما بين العدو الصهيوني ومصر لتبقى مصر خارج العمل العسكري أم تنتفض للفلسطينيين الذين يقتلون في لبنان؟، متذرعة بالتزامها بالعملية السلمية بالإضافة إلى محاولة العدو لتجنيب السكان الصهاينة في شمال فلسطين من التعرض لصواريخ الكاتيوشا التي يطلقها عليهم الثوار الفلسطينيون، وكان هناك العديد من الأسباب لخروج العدو للحرب، وكما صرح شارون ذات مرة أنه يريد تصفية الوجود والمقاومة الفلسطينية في

بيروت حتى لا تفكر في يوم من الأيام في العودة إلى فلسطين، ولكن ما يهمنا في هذه الحكاية هو ما قامت به المقاومة الفلسطينية من الصمود والتضحية في سبيل صد العدوان الصهيوني، وكما قام أبطال الكاميكازي اليابانيون بالدفاع عن اليابان أصبحت هذه الحالة ملهمة للأجيال، وقام أيضًا أشبال الـ(R-BG) في بيروت الكاميكازي الفلسطينية بحفر حفر في الشوارع والطرقات ويجلس بها أحد الأبطال ويحمل (RBG)، وما أن تمر الدبابة الصهيونية من فوق الحفرة حتى يقوم البطل الاستشهادي بإطلاق صاروخ الـ(RBG) إلى منتصف أسفل الدبابة فيؤدي إلى تفجيرها وقتل وإصابة من فيها، والنتيجة هو استشهاد المنفذ، وكما تغنّى اليابانيون بالكاميكازي تغنّى الشعب بأشبال الـ(RBG) لتصبح هذه القصة ملهمة للشباب الفلسطيني في أعمالهم الوطنية والنضالية على مر السنين.

في تلك الأجواء ولد المجاهد يوسف في ظل أسرة فلسطينية لاجئة متواضعة بسيطة متدينة، فوالده كان يعمل أستاذا في مدرسة لتعليم الحرف الصناعية في طولكرم، ولم يدّخر وقتًا ولا جهدًا في سبيل سد حاجات أبنائه وبناته، وكانت طفولة المجاهد يوسف هادئة ومفعمة بالأمل، يكثر اللعب مع الأولاد في لعبة الشرطة والحرامية، أو يهود وعرب.

من العلم للعمل

كون والده متعلّمًا ومتدينًا أثّر في أبنائه كثيرًا في حب العلم، وأصبح المجاهد يوسف منذ صغره مولعًا بالتعليم، وأرسله والده إلى روضة للأطفال واسمها روضة الأقصى، ثم إلى مدرسة شويكة الأساسية، ثم إلى مدرسة الغربية في شويكة، درس فيها المرحلة من الصف السادس حتى التاسع، أما الثانوية فدرسها في مدرسة الفاضلية حتى الصف العاشر، ثم انتقل إلى إكمال الصف الحادي عشر والثاني عشر في مدرسة إحسان سمارة في طولكرم، وكانت حياته مليئة بالأحداث منذ طفولته التي تزامنت مع بدء الانتفاضة الفلسطينية الأولى والتي لا يزال مجاهدنا يتذكر أحداثها أو جزءًا منها على الأقل رغم سنه الصغير،

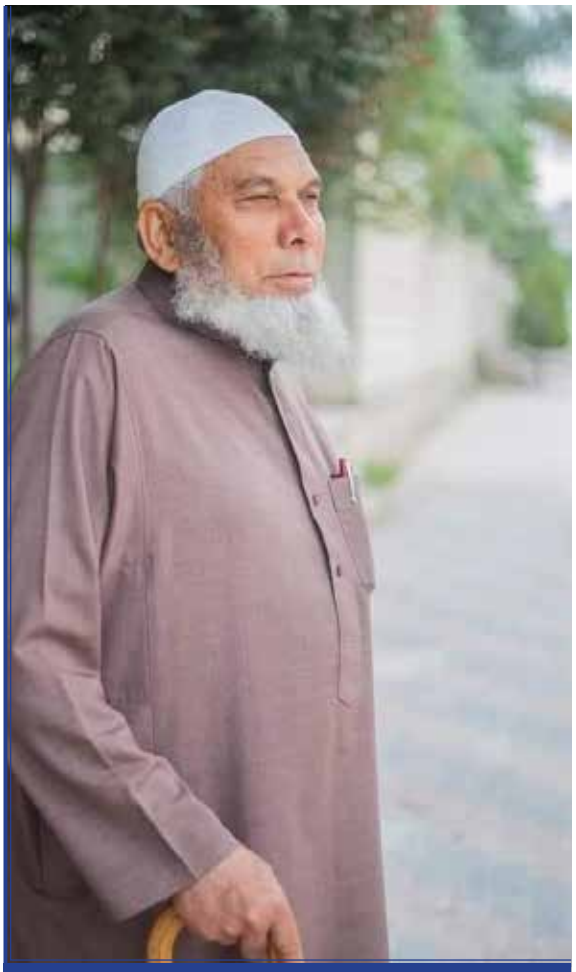

الحاج/ عبد اللطيف مهداوي
والد الأسير المجاهد/ يوسف مهداوي

فلا يزال يستحضر صورة ذلك الفلسطيني الملثم الذي استطاع أن يضع علم فلسطين على أحد أعمدة الكهرباء في ضاحية شويكة وسط الهتافات والتصفيق والتشجيع من قبل المتظاهرين، وأثناء وضعه للعلم تعرض لإطلاق نار من قبل العدو الصهيوني وارتقى للعلا شهيدًا، وكان هذا الحدث له تأثير كبير على نفسية المجاهد يوسف الذي دومًا يستحضر ذلك المشهد بالإضافة إلى مشاهدته لمواسم الاشتباكات ما بين المتظاهرين والجيش الصهيوني على شاشة التلفاز، وكان يسمع في صغره لأغنية جوليا بطرس وين الملايين، هذه الأغنية التي ألهبت المشاعر الوطنية لدى الجماهير الفلسطينية خاصة الأشبال والشباب، وكان يتمنى دومًا مجاهدنا أن يكبر بسرعة ليصبح ملثّمًا كما باقي الملثمين، وأن يصبح صحافيًا لنقل الأحداث والأخبار الخاصة بالانتفاضة الفلسطينية إلى العالم ليدافع عن هذا الشعب المظلوم، فالعادة يحلم الطفل الفلسطيني أن يصبح طيارًا أو طبيبًا أو مدرسًا، أمّا أن يحلم أن يصبح صحافيًا فهذا أمر نادر، فمن رحم المعاناة تولد أحلام الأطفال، فهذا الطفل كبر وبدأ يعي أكثر فأكثر عن وطنه وقضيته وعموم أبناء شعبه، وهذا يعود لتنشئة العائلة، فوالده الأستاذ المتعلم والمتدين كان دائم التعليم لأبنائه عن تاريخهم ووطنهم وقضيتهم، وكان حريصًا على تعلم أبنائه الصلاة وأحكام التجويد واصطحاب ابنه المجاهد يوسف معه إلى المسجد ليتعلق قلبه به منذ الصغر؛ لأنه من شب على شيء شاب عليه وإن حاولت الدنيا أن تغير فيه منه شيئًا فتراه سرعان ما يعود إلى تربيته الأولى، فحب الأوطان من الدين، هكذا تعلم يوسف من أبيه ومن عائلته، وعلم جيدًا أنه سيكون في يوم من الأيام من المقاومين البارزين ضد العدو، وجاء العام 1993م ذلك العام الذي أسست فيه السلطة الفلسطينية الاتفاق السلمي مع الاحتلال والعدو الصهيوني، واتسع نفوذ هذه السلطة الوليدة ليعم معظم مدن قرى الضفة الغربية وقطاع غزة، ويكون حلم المجاهد يوسف بالمقاومة قد تبدد، فبدأ العمل إلى جانب أبيه في مجال البلاط رغم عدم محبته لهذه المهنة.

انتفاضة الأقصى.. بداية المشوار

ما أن جاء عام 2000م حتى أنهى المجاهد يوسف دراسة التوجيهي، وتوجه حينها للدراسة في جامعة القدس المفتوحة في تخصص الخدمة الاجتماعية، وبدأ في المرحلة الجديدة من حياته، وكان هذا العام هو العام الذي انتفض فيه الشعب الفلسطيني الرافض للإملاءات الصهيونية الأمريكية في المحادثات التي جرت في كامب ديفيد، والداعية إلى عدم إعطاء الفلسطينيين حقوقهم أو على الأقل الحد الأدنى من حقوقهم، وعم أرجاء الوطن حالة من الغضب الجماهيري امتدت إلى مدن وقرى ومخيمات فلسطين، وكان حينها المجاهد يوسف يعمل في أحد مخابز شويكة، وكانت أحداث الانتفاضة الفلسطينية تدور بالقرب من منزله في طولكرم حيث كانوا قد انتقلوا من منزلهم في شويكة للعيش في مدينة طولكرم، وكان حينها يتوجه إلى مشاهدة ما يجري من مظاهرات واشتباكات بالحجارة مع

الجيش، ولم يكن حينها لديه النية في المشاركة إلى أن جاء أحد الأيام وقد ارتفع به عدد الشهداء، وكان حينها قد عزم على المشاركة في أحداث الانتفاضة مشاركًا الجماهير الفلسطينية الغاضبة بفعالياتٍ متعددة في الانتفاضة الفلسطينية.

إصابته بالرصاص الحي

في أحد الأيام من الأشهر الأولى لانتفاضة الأقصى، وكان يوم الجمعة، خرجت المسيرات الشعبية من المساجد نحو أماكن تواجد العدو، ودارت حينها الاشتباكات العنيفة، وكان من ضمن المشاركين المجاهد يوسف الذي بدأ يرمي الحجارة على الجنود، وبدأ الجنود بإطلاق النار الكثيف ليصاب حينها بشظايا رصاص الدمدم في رجله اليسرى، وتم نقله إلى المستشفى لتلقّي العلاج، وخرج منها في نفس الليلة إلى منزله، وشاهد على التلفاز كل ما جرى في هذا النهار، ثم خرج في الجمعة الثانية للمشاركة في أحداث الانتفاضة، وكان حينها على المشاركة رغم الألم في رجله، وكان حينها يضع لثامًا على وجهه لونه أسود وعليه عصبة حمراء اللون،

مسيرة جماهيرية حاشدة
في باحات المسجد الأقصى (أرشيف 2001م)

وقام حينها المتظاهرون بإحراق الإطارات بالقرب من المصنع الصهيوني في بلدة شويكة الذي يبيع الأسمدة والمواد الكيماوية، واشتعلت النيران في هذه الإطارات، وبدأ المتظاهرون بالتكبير ورمي الحجارة بكثافة باتجاه القوة الصهيونية المتواجدة بالقرب من ذلك المصنع، وفكر حينها المجاهد يوسف بمحاولة لنقل النيران إلى ذلك المصنع لتندلع فيه النار ولاسيما أن به مواد كيماوية سريعة الاشتعال، وأحضر جرتين من الغاز وقام بوضعهما في داخل الإطارات المشتعلة رغم تحذير الشباب له من القيام بهذا الأمر لاسيما أن القوات الصهيونية والقناصة متواجدون على إحدى التلال الكاشفة لهم، وما أن وضع الجرتين حتى تم إطلاق النار عليه ولم يصب بأي أذى، وظن المتظاهرون بأنه استشهد، وبدأ التكبير ورمي الحجارة ليتبين لهم بعد ذلك أنه على قيد الحياة، وتوجه حينها إلى مكان قريب من المصنع، وأخذ برمي الحجارة على أحد حراس المصنع الصهيوني الذي قام بإطلاق النار على المجاهد فأصابه إصابة مباشرة بالرصاص الحي في رجله اليمنى في منطقة الفخذ، وقام الشباب بنقله عبر سيارة الإسعاف للمشفى في طولكرم لتلقّي العلاج، وكانت المحطات التلفزيونية المحلية تبث مباشرة من مكان الحدث، وتم بث ما قام به المجاهد يوسف من عمل بطولي ليصبح محل حديث الناس وإعجابهم، وقد أجريت له عملية جراحية ومكث أسبوعًا في المشفى.

الانخراط بصفوف الجبهة الشعبية

ما أن عاد يوسف إلى المنزل حتى بدأ الناس من كل مكان بزيارته في منزله كونه أصبح جريحًا، كما تمت زيارته من قبل أفراد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين؛ لأنهم عندما رأوه وهو يضع اللثام مع عصبة حمراء ظنوا أنه من أبناء الجبهة الشعبية، وعرضوا عليه حينها زيارتهم والعمل معهم، وما أن شفي من إصابته حتى توجّه إليهم في مكتبهم في مدينة طولكرم، وأصبح من نشطاء الجبهة الشعبية في انتفاضة الأقصى، وبعد أقل من عام تم إعطاؤه من قبل الجبهة الشعبية سلاحًا من نوع كلاشنكوف للمشاركة العسكرية مع قيادات وكوادر العمل العسكري في الفصائل الفلسطينية حيث شارك لعدة مرات في اشتباكات مسلحة مع الجيش في طولكرم وخاصة في العام 2001م وما تلاه، كما شارك أبطال مخيم طولكرم في اجتياح شهر مارس (آذار) وشهر أبريل (نيسان)، كما تمكن من الخروج سالمًا من اجتياح شهر أبريل (نيسان) الأخير وسلاحه الشخصي بالإضافة إلى نشاطه اللامحدود في شؤون الطلبة في جامعة القدس المفتوحة، حيث تم انتخابه ليكون عضوًا في مجلس اتحاد الطلبة عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ومع ذلك كانت تربطه علاقة جيدة مع كافة الفصائل الفلسطينية في الجامعة وخاصة مع أبناء الجهاد الإسلامي.

لحظة الانتماء لحركة الجهاد الإسلامي

بينما كان المجاهد يوسف مهداوي في جامعة القدس المفتوحة في العام 2003م جاءه صديقه المجاهد سعيد البنا، وكان يعمل في الماضي في صفوف الجبهة الشعبية إلا أنه تحوّل في عمله وفكره إلى الجهاد الإسلامي، وأصبح أحد كوادر سرايا القدس، وطلب حينها من المجاهد يوسف أن يساعده في إحضار استشهادي لتنفيذ عملية استشهادية في الداخل المحتل، وتلك الفترة كانت الجبهة الشعبية قد قامت بإنزال الاستشهادي رامي غانم، وهو من دير الغصون في طولكرم، لتنفيذ عملية استشهادية، وكان هذا الاستشهادي يعتبر من أعز الأصدقاء للمجاهد يوسف، وتربطه به علاقة مميزة منذ 3 سنوات، فتوجه إليه المجاهد يوسف وسأله إن كان لا يزال يريد أن ينفذ عملية استشهادية فأجابه بالقبول،

الاستشهادي البطل/ رامي غانم
استشهد بتاريخ 30/ 03/ 2003م

فأخبره حينها أن سرايا القدس ستقوم بإرسالك لتنفيذ العملية، وفي هذه الأثناء كان المجاهد يوسف قد عزم الأمر أن يتحول بفكره وعمله من الجبهة الشعبية إلى الجهاد الإسلامي، وتحديدًا الانضمام إلى صفوف سرايا القدس، وتوجه إلى المجاهدين سعيد البنا وأحمد ساري حسين ليعرفهما على الاستشهادي رامي غانم، وبعد الاتفاق معه على تفاصيل العملية قاموا بتصويره عبر شريط فيديو ومن خلفه رايات

الجهاد الإسلامي وبسلاح الجهاد الإسلامي، وكان المجاهد القائد في سرايا القدس الشهيد مازن حويطات قد أعدّ الحزام الناسف للاستشهادي رامي غانم، وشعر حينها المجاهد يوسف بشيء لا يستطيع وصفه حتى الآن عندما رأى صديقه يكتب وصيته الأخيرة مستعدًا لتنفيذ العملية، وقرر حينها الانتساب إلى حركة الجهاد الإسلامي ليقوم قادة سرايا القدس بتجهيزه للعملية ويخرج من طولكرم إلى قرية زيتا، ومنها سينطلق إلى الداخل المحتل، ولكنه وجد أثناء الطريق دبابة وجيبًا عسكريًا أمامه، فعاد إلى طولكرم مرة أخرى ولم يتمكن من مواصلة طريقه، وكان حينها يرتدي ملابس جديدة وليس كالمعتاد، وكان عليه دين يقدر بمبلغ 1500 شيكل، وبمساعدة قادة سرايا القدس تمكّن من سداد هذا الدين، وما إن عاد إلى بلده ومنزله حتى أصبح محل شك من قبل عائلته وجيرانه فأوضاعه المادية صعبةً جدًا، فكيف تمكن من ارتداء الملابس الجديدة وسد هذا الدين، فشعرت عائلته أنه يخطط لشيء ما.

عملية الاستشهادي رامي غانم

بعد أقل من شهر قررت سرايا القدس الإسراع في إرساله لتنفيذ العملية حتى لا يكشف أمره حيث إنه كان في الماضي قد خرج لتنفيذ عملية مع الجبهة الشعبية، ثم عاد مرة أخرى مع الجهاد الإسلامي، وكان هناك خوف شديد أن يكشف أمره، ولذلك حددت سرايا القدس موعد العملية، وهو ذكرى يوم الأرض في 30/03/2003م ليكون هذا اليوم يومًا لا ينسى في تاريخ المقاومة، وللتأكيد على حق الشعب الفلسطيني في الدفاع عن أرضه والتي حاول ولا يزال العدو عبر سياسته الإجرامية المتمثلة بالقتل والتهجير السيطرة عليها، وفي هذه الأثناء توجه الاستشهادي رامي غانم إلى مدينة "نتانيا" المحتلة، ووقف أمام أحد المجمعات التجارية الكبيرة، وشاهد امرأة تجلس بالقرب من طفلها الصغير تلاعبه مثل لعبة البلايستيشن فوقف أمامها، ولم يقبل أن يفجّر نفسه في ذلك المكان رغم وجود العشرات من الصهاينة، فكيف يفجّر نفسه وقد أوصى الحبيب محمد -صلى الله عليه وسلم- بعدم قتل الأطفال والشيوخ والنساء؟! فأبناء الجهاد الإسلامي ليسوا إرهابيين ولا يستهدفون الأطفال ولا النساء، إنما يستهدفون الجنود الصهاينة الذين يحاربون الشعب الفلسطيني صباح مساء دون رادع، ورأى حينها الاستشهادي رامي عددًا من الجنود الصهاينة يتوجهون نحو مدخل المجمع التجاري، فعلم أن هذا هو الهدف المطلوب، وتوجّه نحوهم بكل عزيمة وإصرار بخطواته الأخيرة والمعدودة لتكون آخر لحظات له في الدنيا، ووقف بينهم وأعلن للدنيا كلها أنه في عمله هذا سيردع العدو ويفشل مشروعه الاستيطاني التوسعي وسيثلج صدور الفلسطينيين الذين أصبح حالهم في غاية الصعوبة نتيجة الدمار الهائل الذي أصاب بنيتهم التحتية ومحلاتهم التجارية وأسواقهم ومدارسهم وجامعاتهم ومستشفياتهم، فالقتل قد زاد في صفوف الشعب، والسجون قد امتلأت بالأبطال، والأمهات بالمئات يبكين على أبنائهن حزنًا وألمًا

لفراقهم، والأطفال يصرخون ويرتعدون كلما سمعوا صوتًا أو ضجيجًا، وبعد كل ذلك أليس من حق الاستشهادي أن يفعل بالعدو ما يريد، فما أن وقف بين هؤلاء الجنود حتى بدأ بالتكبير، وفجّر نفسه الشريفة لتخرج روحه تحملها ملائكة الرحمن ومن سبقه من الشهداء الأبطال وأوقعت هذه العملية نحو 60 إصابة بينها 4 خطيرة، وأعلنت سرايا القدس عن العملية الاستشهادية، وقالت في بيانها إن الشهيد رامي غانم من مجموعة الشهيد البطل الضابط علي النعماني، الاستشهادي الأول في معركة الشرف بالعراق. وأضاف البيان: "إن هذه العملية البطولية التي تأتي في الذكرى السابعة والعشرين ليوم الأرض رداً على جرائم العدو الصهيوني بحق شعبنا لتهدي هذه العملية إلى شعبنا المجاهد البطل في العراق، ولتؤكد بذلك على وحدة المعركة من فلسطين إلى بغداد في مواجهة الغزوة الأمريكية الصهيونية التي تستهدف كل الأمة العربية والإسلامية".

وكان نجاح هذه العملية بداية المشوار للمجاهد يوسف الجهادي، واستمر بالعمل مع قادة وكوادر سرايا القدس في مدينتي طولكرم ونابلس، وبدأ بتجهيز الاستشهاديين لصفوف سرايا القدس لخطته الطويلة بعلاقته الاجتماعية في داخل الجامعة، وأصبح مطاردًا وملاحقًا من قبل العدو الصهيوني، ولم يعد يستطيع أن يبقى في طولكرم، ولابد من الخروج إلى مدينة نابلس، ويكون هناك إلى جانب المجاهدين مازن حويطات وأحمد بسيسي ومهند أبو عيشة وجهاد رماحة وغيرهم من المجاهدين.

الاعتقال من ميدان القتال

تمكّن المجاهد يوسف مرةً أخرى من تجنيد الاستشهادي عبد الباسط العانيني لتنفيذ عملية استشهادية، وكان حينها يدرس في جامعة النجاح الوطنية في مدينة نابلس إلا أن العملية لم تتم حيث تم اعتقال الاستشهادي من منزله قبل موعد تنفيذ العملية، وتم مداهمة الأماكن التي كان يتردد عليها المجاهد يوسف في مدينة نابلس إلا أنه تمكن من النجاة من تلك المداهمات، وما أن جاء شهر أغسطس (آب) من العام 2003م حتى أقدم العدو على اغتيال الشهيد القائد الحمساوي إسماعيل أبو شنب، فتم تجهيز لعملية مشتركة مع حركة حماس والرد على عملية الاغتيال، وكان التنسيق يتم مع المجاهد يوسف من سرايا القدس والمجاهد ربحي بشارات عن كتائب القسام، وكان الاستشهادي من حماس ومن يجهزه ويوصله للداخل المحتل من سرايا القدس إلّا أنّ العدو الصهيوني كان أقرب للمجاهد يوسف من موعد العملية حيث في صباح يوم 28/ 08/ 2003م بينما كان المجاهد يوسف متواجدًا في أحد المنازل حتى تم محاصرة المنزل من كل الجهات، واعتقال المجاهد يوسف رغم أنه كان يحمل هوية مزورة إلا أن أمره كان مكشوفًا للشاباك الصهيوني مسبقًا.

مرحلة التحقيق

تم اقتياد المجاهد يوسف في بداية الأمر إلى معسكر حوارة، ثم إلى معسكر تحقيق "بتاح تكفا"، وبدأ المحققون يمارسون شتى أساليب التعذيب

الجسدية والنفسية مع المجاهد يوسف لانتزاع الاعتراف منه حول العملية وباقي النشاطات، وعادةً في الأيام الأولى لا يستطيع الأسير الفلسطيني أن يتحمّل كافة أنواع العذاب، أما الأساليب النفسية والماكرة فأحيانًا يجد الأسير صعوبة إن لم يكن مسبقًا لديه وعي بها أن يتعامل معها أو يتجنّب شرها، وبعد 22 يومًا من التحقيق تم إرسال المجاهد إلى قسم العصافير ليجدهم حريصين على حركة الجهاد الإسلامي وأبنائها فوجدهم كثيري الصلاة والعبادة، ووجد بينهم من يدّعي أنه من سكان طولكرم، كما ادّعى أن لديه معلومات كثيرة وصحيحة حول أحداث حدثت في طولكرم يعرفها المجاهد يوسف مما جعله يصدق بأنهم مجاهدون وليسوا عصافير، وهؤلاء الجواسيس يعاملونه بكل مودة ولطف ويكرمونه بكل شيء، وبدؤوا بالمرحلة الثانية، وهي محاولة استدراجه للإجابة على أسئلتهم، ولكن في النهاية وقع في مصيدة العصافير، وتمكّن الشاباك من كشف جميع التفاصيل لأعمال المجاهد يوسف، وتم إعادته مرة أخرى للتحقيق، وحاول حينها أن ينفي كل شيء، ولكن الأمر بالنسبة للشاباك قد انتهى.

الأسير المجاهد/ يوسف مهداوي
برفقة والديه الكرام خلال زيارتهم له في السجن

السجن مزيج الألم والمعاناة

ما أن أنهى مجاهدنا يوسف فترة التحقيق البالغة 66 يومًا حتى تم نقله إلى سجن هداريم، وكان حينها في حالة نفسية صعبة ولاسيما أن فترة التحقيق كانت صعبةً جدًا، كما أنه عندما دخل إلى معبار الجلمة كان مكتوبًا على أحد الجدران أسماء شهداء الجهاد الإسلامي في طولكرم، وكان من بينهم صديقه الصدوق مازن حويطات، وكانت الأيام الأولى له في سجن هداريم وتخللها أيام التصعيد مع إدارة مصلحة السجون لتحسين أوضاعهم الحياتية،

التاريخ ٢٠٠٤/٦/٢

مواطن من طولكرم يتحدث عن طريقة هدم القوات الاسرائيلية لمنزله

طولكرم / وفا - لم يتوقع المواطن عبد اللطيف خضر مهداوي أن جنود الجيش الاسرائيلي والوحدات الخاصة التي حاصرت مجمع الاسكان في الحي الشمالي من طولكرم معقل الشهر الحالي، جاؤوا للنيل من عزيمته وتصديع شقاء عمره وتفجير شقته الواقعة في الطابق الثالث من عمارة الاسكان رقم (١) التي اشتراها من راتبه من الاسكان الفلسطيني بحجة مشاركة ابنه للاحتلال.

ويقول مهداوي ونبرة التحدي بادية على محياه: إن الاحتلال مهما حاول الالتفاف واستعمل ضدنا الصواريخ والدبابات فلن ينال من عزيمتنا وسنبقى شامخين حتى استعادة الوطن مهما طال الزمان أو قصر ومهما استعملوا ضدنا من أسلحة فتاكة ولن يخيفنا هدم المنازل لو اضطرنا ذلك إلى المبيت في العراء نفترش الأرض ونلتحف السماء.

ويضيف مهداوي وهو يعرض معاناته: استيقظنا على صوت طرق الأبواب بالطريقة المعروفة لجنود الاحتلال الساعة الواحدة والنصف ليلاً عندما اقتحموا الحي وطلبوا من سكان الاسكان الخروج من منازلهم عبر مكبرات الصوت وسط توجيه الشتائم والاهانات للمواطنين وإطلاق النيران بشكل عشوائي، مما بث حالة من الرعب والخوف لدى الأطفال الصغار النيام والنساء الذين لا حول لهم ولا قوة إلا أن يمتثلوا لجنود الاحتلال والنزول من منازلهم والجلوس في العراء في ساحة العمارة.

وتابع حديثه جهد ذلك كبلوا وندي بلال وقتادوه للاستجواب ثم أطلقوا سراحه بعد نصف ساعة ثم استدعوني وبحث تهديد السلاح طلبوا مني معلومات عن جميع أبنائي وعندما تحدثت عن السجين يوسف أجابوني بأنه مخرب كبير ويجب قتله فردت عليهم بأن المخرب هو الذي يزعج الأطفال الصغار وهم نيام ولن الجنود الاسرائيليين كبلوا يده ابراهيم واقتادوه نحو الجيبات ولم يعرف مصيره حتى ساعات الصباح عندما أفرجوا عنه.

وذكر أن الجنود الاسرائيليين أخيرا في نهاية الأمر عزموا على هدم شقتنا وأعطونا مهلة (٥) دقائق لإخراج أمتعتنا الخفيفة ومنعوا الجيران من مساعدتنا في ذلك ولم نخرج إلا الشيء القليل من أمتعتنا وأوراقنا الشخصية فقط ثم طلبوا منا مغادرة المنزل نحن وجميع سكان العمارة وطلبوا منا التجمع أمام عمارة الزيتونة التي تبعد ٢٠٠ متر عنا وحاصرونا. وفي الساعة الرابعة والنصف سمعنا دوي انفجار هائل وتناثرت أشلاء البيت من خلاله على بعد مئات الأمتار على جميع الجهات مخلفاً الردم فوق أثاث البيت وممتلكاتنا. وعندها انهارت زوجتي وابنتي ابراهيم مغشيين على الأرض كذلك إحدى السيدات من العمارة المجاورة. جراء ما شاهدوه من ممارسات. حيث أصاب الضرر جميع الشقق الموجودة في العمارة والعمارات المجاورة جراء الانفجار الشديد. وتشققت الجدران وتصدعت الأعمدة وتطاير الزجاج إلى الشوارع.

وتوضح أن الجنود الاسرائيليين غادروا المنطقة على الخامسة فجراً وعندما تأكدوا أن البيت دمر بشكل كامل وسط صراخ وضحك واستهتار. حيث غادروا المنطقة وأبوال مكبرات الصوت المثبتة على جيباتهم تبث أغان باللغة العبرية وبصوت مرتفع وحينها صرخنا بصوت عالي الله أكبر الله أكبر وحاولنا إنقاذ أمتعتنا من تحت الدمار لكن دون جدوى.

يشار إلى أن السلطات الاسرائيلية اعتقلت نجل المهداوي يوسف في آب من العام الماضي أثناء تواجده في مدينة نابلس. وما زال يتنقل بين السجون الاسرائيلية.

وتم نقله في العام 2004م إلى سجن جلبوع ليخوض الإضراب عن الطعام إلى جانب إخوانه في الحركة الأسيرة لمدة 16 يومًا، وجاءه الخبر الأصعب في عام 2005م حول قيام العدو الصهيوني بهدم منزله في طولكرم، وليس هذا فحسب،بل اعتقال أخيه إبراهيم الأصغر منه سنًا والشبيه له، وتم ضربه على رأسه بشدة مما أثّر عليه لاحقًا، وبعد ساعتين تم الإفراج عنه، وما أن عاد إلى البيت حتى وجده مهدومًا وكان عبارة عن شقة في الطابق الثالث من العمارة، وأصابته حالة عصبية ونفسية وبدأ يصرخ أريد أخي يوسف، واستمرت حالته النفسية والعصبية حتى يومنا هذا بسبب الاحتلال، وكانت معاناة العائلة لا تحسد عليها، فالمجاهد يوسف في السجن ومحكوم مؤبد، وأخوه يعاني من الحالة النفسية والعصبية، والمنزل قد هدم، والحالة الاقتصادية صعبة والاحتلال الصهيوني قد خنق الشعب، وكان حينها المجاهد يوسف بحاجة إلى من يعطيه القوة ليتمكن من الصمود داخل سجون الاحتلال، فما كان من إخوانه الأسرى في الجهاد الإسلامي إلا الوقوف بجانبه والاهتمام به وإخراجه من الأزمة التي يمر بها، وقدمت حركة الجهاد الإسلامي لعائلته مساعدة لإعادة بناء منزل لهم من جديد، وفي داخل الأسر ساعد أبناء الحركة أخاهم المجاهد يوسف بأن تم توجيهه بالإقبال على العلم؛ لأنه بذلك يخرج من كل الأزمات والمصائب للقراءة وخاصة قراءة القرآن وهي تريح الإنسان وتجعل قلبه آمنًا مطمئنًا، وقراءة الكتب تعطي الإنسان ثقةً في النفس وتعطيه الأمل في المستقبل. وأقبل على الدراسة والتعلم ليحصل على دورات عديدة في مجالات مختلفة، كما حصل على شهادة البكالوريوس من جامعة الأقصى، وأتبعها بكالوريوس آخر من جامعة القدس المفتوحة،

STATE OF PALESTINE
MINISTRY OF EDUCATION AND HIGHER EDUCATION
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA

CERTIFICATE

دولة فلسطين
وزارة التربية و التعليم العالي
جامعة الأقصى غزة

شهـــــادة

ومع ذلك لم يبخل على إخوانه بمشاركتهم في الخطوات النضالية سواء خطوات التضامن مع الشيخ القيادي خضر عدنان أو مع المجاهدة الأسيرة هناء الشلبي أو في إضراب الكرامة 2012م والذي استمر لمدة 28 يومًا وغيرها من الخطوات النضالية اليومية، بالإضافة إلى تمكّنه من أن يقف خطيبًا أمام جموع الأسرى في أيام الجمعة، ولا يزال حتى هذه اللحظة يعمل على تطوير نفسه بكافة المجالات، وتمكن من الصمود أمام غطرسة وعنجهية وشراسة إدارة مصلحة السجن ولاسيما أن المجاهد يوسف محكوم بالمؤبد، ولا تزال المعركة مستمرة بين الأسير وإدارة مصلحة السجون طالما أن السجن لم يغلق أو يتم تحرير الأسرى، فهل بالفعل ستغلق السجون وإلى الأبد ويتحرر من السجن مجاهدنا البطل يوسف ليجتمع مع أسرته، وتعود الفرحة إلى بيتهم بعد غياب طويل؟!

الأسير المجاهد
نهار أحمد عبد الله السعدي

بصمات جهادية نوعية

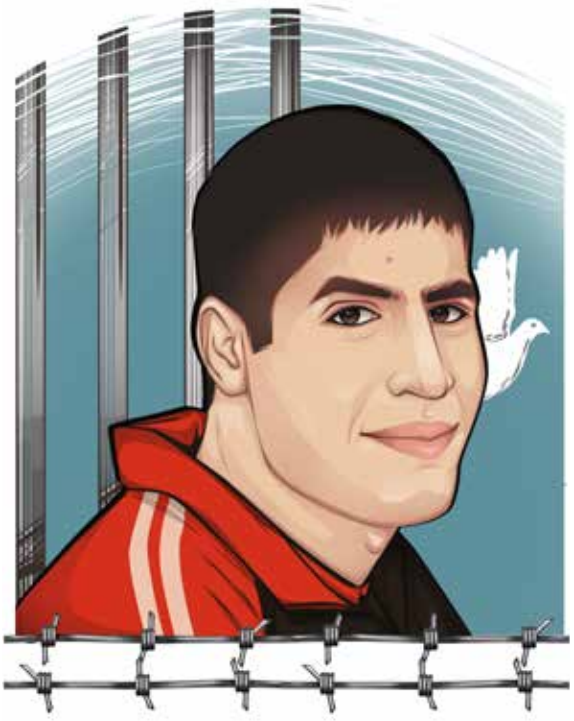

تاريخ الميلاد: 1981/10/30م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مدينة جنين – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 12

تاريخ الاعتقال: 2003/09/15م

الحكم: 4 مؤبدات و20 عامًا

حديثنا اليوم عن رجل حمل همًا وألمًا قبل أوانه، لكنه استطاع بصبره وصموده وعطائه أن يتحدى كل الصعاب الحياتية والأسرية والاقتصادية، لم يستسلم لظروف مأساته، وإنما انطلق بسرعة البرق الوهّاج الذي أضاء بنوره الطريق للسالكين وفتح أمامهم بحنكته وعطائه وجهاده مغاليق الصعاب.

طفولة مغموسة بالشقاء والكدّ

بطلنا المجاهد نهار أحمد السعدي ينتمي إلى عائلة مجاهدة ذات صيت رائع تضم صفحات مشرفة من شهداء وأسرى وجرحى وقادة، إلى هذه العائلة ينتمي أحد رموز المجاهدين الفلسطينيين التاريخيين وهو الشهيد الشيخ فرحان السعدي رفيق درب الشهيد الشيخ عز الدين القسام في ثورة العام 1936م ضد الانتداب البريطاني والصهيونية في فلسطين، كما تم تهجير هذه العائلة في العام 1948م من أرضها وبيوتها ومزارعها من قرية المغار التي تبعد 12 كلم جنوب غرب مدينة الرملة المحتلة، واستقر بهم المطاف كما باقي العائلات الفلسطينية على أرض مخيم جنين للاجئين، ونتيجة لصعوبة الحياة في المخيم قرر والد المجاهد نهار الانتقال بالعيش من جنين ليسكنوا بالحارة الشرقية من مدينة

جنين في العام 1984م، ومع ذلك لم تنقطع صلتهم مع مخيم جنين وأهله وعائلاته، ولقد أصرت العائلة على أن يُكمل أبناؤها دراستهم في مدرسة الوكالة في مخيم جنين، وعلى الرغم من الحب الكبير للتعليم من قبل المجاهد نهار إلّا أنّه في مطلع التسعينيات أصرّ على الخروج من المدرسة وهو في الصف الثامن الأساسي ليقوم بدوره في تقديم المساعدة الاقتصادية لعائلته التي كانت تمر بظروف مالية صعبة جدًا، فوالده كان يعمل في صناعة القطايف في جنين ولظروف خاصة بوالدهم قرر أن يتركهم ويسكن في منطقة أخرى وانتهي به المطاف بالزواج من امرأة أخرى من سكان الأرض المحتلة عام 1948م، ولذلك كان الأبناء عصاميون يعتمدون على أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة لإعالة والدتهم وأنفسهم، ولهذا بدأ المجاهد نهار يعمل بكل ما أوتي من قوة وطاقة في كل شيء خاصة في حاجز الجلمة حيث إن هذا المعبر هو عبارة عن حلقة الوصل ما بين مدينة جنين وما بين الأرض المحتلة عام 1948م،

حاجز الجلمة
حلقة الوصل ما بين مدينة جنين والداخل المحتل

والمعروف أن الآلاف من سكان الأرض المحتلة العرب وبشكل يومي يتوجهون إلى مدينة جنين من أجل شراء مستلزماتهم وحاجياتهم الأساسية من مأكل وملبس وغيره، وكان هذا المعبر لكل من يريد العمل والحصول على المال، وبهذا بدأ المجاهد نهار كباقي الشباب الفلسطيني ببيع النثريات باليد والحصول على المال، وما أن جاءت السلطة الفلسطينية إلى مدينة جنين وأصبحت الأمور أكثر استقرارًا قرر حينها الخروج للعمل في الداخل المحتل، والعمل في نفس المجال وهو بائع متجول، ووجد نفسه مرة أخرى عاملًا في مجال البناء الذي أتقن العمل به بشكل كبير، وإضافة إليه في العناية بالحدائق والجنايين، ولصعوبة العمل كان مضطرًا أحيانًا للمبيت في مكان العمل ولمدة شهر، وأحيانًا أكثر من ذلك، ثم يعود إلى زيارة والدته وإخوته وأهله وإعطائهم المال من أجل قضاء احتياجاتهم اليومية. واستطاع من خلال عمله في الداخل المحتل أن يتقن اللغة العبرية وبشكل كبير بكلماتها ولهجتها، ورغم الحياة الجميلة التي فتحت أبوابها في الداخل المحتل إلّا أنّ قلبه وعقله كان دومًا وأبدًا مع أهله وشعبه في جنين، وفي نفس الوقت كان يشعر بغصة كبيرة عندما يرى ازدهارًا في المناطق الصهيونية على حساب المناطق الفلسطينية، وأصبح سكان فلسطين الأصليون هم الهامشيون بينما هؤلاء الدخلاء هم أصحاب الأرض وأسيادها، وبينما هذا الشريط المليء بالألم يمر من أيامه فإذا بانتفاضة الأقصى تندلع في بقاع الوطن الفلسطيني رفضًا للاحتلال الصهيوني وطلبًا للحرية والاستقلال، وتذكّر حينها الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي كان أحد أشبالها الصغار، هؤلاء الأشبال الذين

تـم تسـميتهم بأطفـال الحجـارة الذيـن أرعبـوا العـدو الصهيـوني عـبر إرادتهـم وقوتهـم ومشـاركتهم التـي لا تنقطـع في مواجهـة العـدو بـكل الأسـاليب التـي كانـت متوفـرة في ذلـك الوقـت، وكأن الزمـان يعيـد نفسـه مـن جديـد، ولكـن هـذه المـرة غـير المـرة السـابقة، فالانتفاضـة الأولى أنجبـت أوسـلو وهـو اتفـاق الحكـم الـذاتي، وكان سـؤال الجميـع هـل هـذه الانتفاضـة الجديـدة سـتنتج اتفاقًـا آخـر؟ لذلـك كان العديـد مـن الشـباب يرفـض المشـاركة الفعليـة في المواجهـات لمـدى قيـاس اسـتمرارية هـذه الانتفاضـة إلّا أنّ صـبر المجاهـد نهـار لم يـدم طويـلًا، ولم يكتـفِ بالمشـاركة القوليـة في الانتفاضـة والاقتصـار عـلى بعـض الأعـمال.

المشاركة في انتفاضة الأقصى

قـرر المجاهـد نهـار السـعدي المشـاركة الفعليـة والعسـكرية في مواجهـة المحتـل عقـب انـدلاع انتفاضـة الأقـصى وتحديـدًا عـام 2003م، بعـد أن أيقـن أن هـذا العـدو لـن يتوانـى أو يتراجـع عـن قتـل الفلسـطينيين، ولذلـك لابـد مـن مواجهتـه بنفـس الأسـلوب، وهـو الأسـلوب العسـكري الـذي يجعلـه يتـألم ويتراجـع عـن قتـل الفلسـطينيين، وبـدأ المجاهـد نهـار مشـواره إلى جانـب رفيـق دربـه الشـهيد المجاهـد رامـي سـليط مـن سـكان مدينـة جنـين والملقـب (خبّيـزة)، وكان قـد بـدأ بالتواصـل مـع الجهـاد الإسـلامي في جنـين للانتـماء لهـذه الحركـة الوطنيـة الربانيـة المقاتلـة التـي كانـت قـد أبلـت بـلاءً حسـنًا لا حـدود لـه في انتفاضـة الأقـصى، ولهـذا كان الإقبـال عـلى هـذه الحركـة كبـيرًا. وفي هـذه الفـترة كان المجاهـد أحمـد الشـيباني الملقـب بالعندليـب أحـد أهـم قـادة سرايـا القـدس في جنـين،

الشهيد المجاهد/ رامي سليط
استشهد بتاريخ 21/ 07/ 2003م

وقـد تلقّـى المجاهـدان نهـار ورامـي منـه مبلـغ 100 دينـار لـشراء جـوال مـن أجـل التواصـل بينهـما وبـين العندليـب، ومـا أن أصبـح المجاهـدان نهـار ورامـي في صفـوف سرايـا القـدس وبشـكل رسـمي حتـى بـدأ المجاهـد نهـار يعـد الخطـط مـن أجـل القيـام بعمليـات عسـكرية يـؤلم بهـا المحتـل الصهيـوني، وكان مطلـع عـام 2003م بدايـة المشـوار الجهـادي للمجاهـد نهـار، واجتمـع مـع رفيـق دربـه رامـي سـليط بالتشـاور والتباحـث حـول إمكانيـة القيـام بعمليـات في الداخـل المحتـل، ولمعـت أمامـه فكـرةً معقـدةً جـدًا، ولكـن في حـال نحاجهـا سـتحقق انتصـارًا كبـيرًا.

عملية العفولة البطولية للاستشهادية هبة ضراغمة

استطاع المجاهد نهار أثناء عمله في الداخل المحتل التعرف على العديد من العمال الفلسطينيين من كافة مناطق الوطن المحتل، وبالأخص كان قد تعرف على صديق اسمه سهيل من قطاع غزة، وصديقه هذا له علاقة وطيدة بتاجر يهودي في شركة كمبيوترات آفي، ومن هنا فكر المجاهد نهار أن يجعل من هذا اليهودي آفي طعمًا للوصول إلى تنفيذ عملية استشهادية في الداخل المحتل، وكان ذلك بالاتفاق مع صديقه سهيل، ولكن دون أن يعلم بشأن العملية، وطلب منه المجاهد نهار حينها العودة إلى قطاع غزة وأعطاه مبلغًا من المال يقدر بـ 500 شيكل، وبدأ المجاهد نهار يتقمص شخصية صديقه سهيل والحديث مع اليهودي آفي على أنه سهيل، وفي بداية الأمر كان آفي غير مقتنع بأن هذا صوت صديقه العربي سهيل الذي اعتاد عليه، لكن عبر استخدام المجاهد نهار لإحدى الحيل استطاع إقناع اليهودي بأن من يتحدث إليه هو صديقه العربي سهيل. وكان يحرص على أن يبقى التواصل بينه وبين اليهودي بشكل دائم وفي كل الأوقات ليزرع فيه الثقة وعدم الخوف تمهيدًا لاستدراجه ليأكل الطعم الذي أعد له من قبل المجاهدين، وفي أحد الأيام طلب المجاهد نهار من اليهودي حتى يجعله مطمئنًا له تمامًا للوصول إلى الهدف بأن يعرفه بصديقته اليهودية الجديدة فما كان حينها من اليهودي إلا أن يطلب من المجاهد نهار أن يعرفه بفتاة عربية من أجل الصداقة واحتمالية الزواج فيما بعد، وهنا بدأت الخطة تنجح شيئًا فشيئًا وقال حينها المجاهد نهار لليهودي آفي سأعرفك قريبًا بالفتاة العربية التي طلبت كما تريد، وهنا تم التخطيط جيدًا لهذا الأمر وهذا الحدث حيث إن صديقهم الثالث للمجاهدين نهار ورامي، وهو المجاهد حسام عابد كان قد تعرف على فتاة اسمها هبة ضراغمة من سكان بلدة طوباس، وطلبت منه مساعدتها في تنفيذ عملية استشهادية انتقامًا لإصابة واعتقال أخيها من قبل قوات الاحتلال وانتقامًا لكل الشهداء الذين ارتقوا إلى العلا دفاعًا عن الشعب الفلسطيني،

الأسير المجاهد/ حسام عابد
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 25/ 09/ 2003م

وبإصرارها وإرادتها الكبيرة قرر المجاهدون بعد فترة من الزمن الموافقة للمجاهدة على طلبها، وحينها تم تشبيك كافة الخيوط لإنجاح العملية حيث إن الاستشهادية جاهزة، وهي الفتاة العربية والتي سيتم تعريف اليهودي بها، وما أن علم اليهودي آفي بقرب تعريفه بالفتاة العربية حتى سعد جدًا، وقال إنه مستعد لمقابلتها بأي وقت يريد صديقه سهيل، أي المجاهد نهار، وهنا كان لابد من إعادة التخطيط والتجهيز الجيد للعملية، واجتمعت المجموعة الجهادية المكونة من نهار ورامي وحسام مع الاستشهادية هبة دراغمة لإطلاعها على كافة مراحل وتفاصيل وأسرار هذه العملية حتى لا يقع أي خطأ ولو كان صغيرًا، فالإعداد الجيد يؤدي إلى نتائج جيدة، وتم تحديد موعد العملية، وكان المطلوب من المجاهد حسام إحضار الاستشهادية من منزلها في طوباس إلى مدينة جنين، وتمكن بذلك من اصطناع حيلة متفق عليها بينها وبين المجاهد حسام هو أن تذكر لوالدتها أنها تريد النزول إلى مدينة جنين من أجل الذهاب للجامعة وإلّا ستكون خسارة المبلغ الذي دفعته كرسوم للفصل الدراسي، وأما المجاهد العندليب الذي كان على اطلاع مباشر أولًا بأول بكل حيثيات وتفاصيل العملية فتمكّن من إحضار الحزام الناسف الذي كان على شكل شنطة نسائية تزن 5 كغم تم تصنيعه من قبل المجاهد الشهيد عبد القادر الدعمة، أحد أبرز مصنعي المتفجرات في الضفة الغربية، وبدأ العمل والاستعداد للعملية في يوم 19/ 05/ 2003م حيث صعدت المجاهدة الاستشهادية هبة ضراغمة إلى السيارة بجانب المجاهدين نهار ورامي ومعها المتفجرات، وتوجهوا إلى منطقة حدودية في داخل الأراضي المحتلة، وهي قرية مقيبلة بالقرب من مدينة جنين، ومن هناك ترجل المجاهد نهار ومعه الاستشهادية هبة، بينما عاد المجاهد رامي بالسيارة إلى ضاحية صباح الخير، وفي نفس الوقت كان اليهودي آفي قد حضر بسيارته إلى قرية مقيبلة وركن سيارته إلى جانب المدرسة هناك، وقام حينها المجاهد نهار بإرشاد المجاهدة هبة إلى المكان الذي ينتظر فيه اليهودي آفي، وقال حينها للمجاهدة هبة إنه سيتم استخدام حيلة جديدة مع آفي حينما تصلين إليه أرجوك مساعدتي في ذلك، وهو أن تتظاهري بأنك جائعة وتريدين أن تأكلي في أحد المطاعم وأن تعرفّي على نفسك بأن اسمك سميرة وليس هبة، وبالفعل ما إن وصلت المجاهدة هبة إلى سيارة اليهودي آفي وصعدت معه السيارة حتى تم الاتصال على آفي وإخباره بأن سميرة جائعة وعليه أن يتوجه بها إلى أحد المطاعم في العفولة المحتلة، وبالفعل نجحت الخطة بشكل كبير، وبقي المجاهد نهار معهم على الاتصال مباشرة إلى أن انقطع الاتصال معهم، وتم إعادة الاتصال من جديد على آفي مرة أخرى إلّا أنّ الأمر لم يتم فتأكد حينها المجاهدان نهار ورامي بأن العملية قد تمت بسلام.

ما أن عاد المجاهدون إلى مخيم جنين وفتح التلفاز للتأكد بأن العملية قد حدثت، وخلال وقت بسيط كان خبر حدوث العملية قد تصدر وسائل الإعلام المختلفة وخاصة الصهيونية منها، وبدأ الإعلام بالحديث عن العملية الكبيرة في أحد

المجمعات التجارية في العفولة، وأن هناك قتلى وجرحى، ولم يحددوا ما طبيعة العملية ومن أين جاءت؟ وكان هناك حالة من التخبط في عدم تحديد إن كانت العملية في سيارة مفخخة أم استشهادي أم استشهادية، وكان عندهم على الأرجح أن من أدخل الاستشهادي هو واحد من أبناء الأرض المحتلة، وبقي الأمر على ما هو عليه إلى أن جاء إعلان الجهاد الإسلامي عن العملية وعن اسم الاستشهادية ونشر صورها ونشر وصيتها،

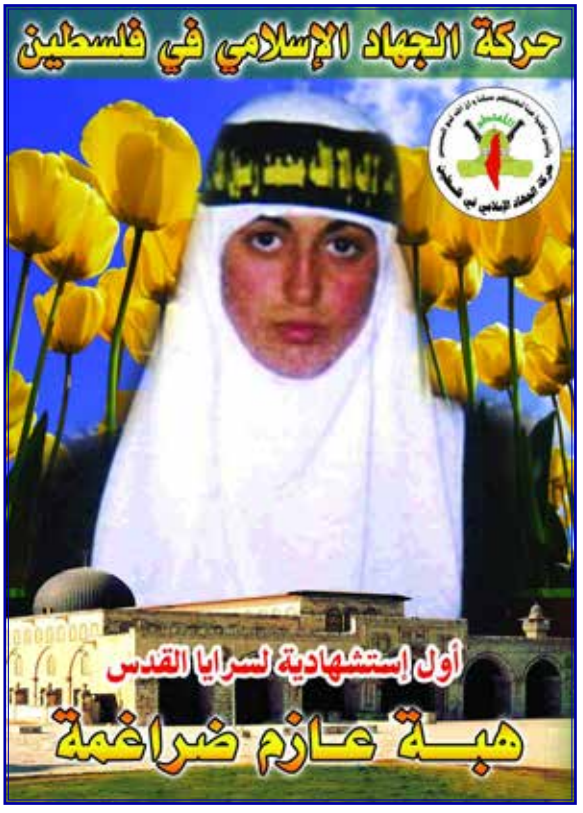

وكان ذلك عبر إعلان المجاهد العندليب عن هذه العملية عبر قناة الجزيرة، وكان حصيلة العملية 3 قتلى صهاينة وإصابة 70 آخرين، وكان من بين القتلى الطعم اليهودي آفي، وما أن نجحت العملية حتى قام العندليب بجمع المجموعة المكونة من نهار ورامي وحسام مع القائد الشهيد صالح جرادات الذي كان هو المسؤول المباشر عن المجموعة دون علمهم، وكذلك تم التعرف على المجاهد أمجد عبيدي وأصبح العمل بشكل مباشر.

العملية الثانية مع الشهيد صالح جرادات

تم عقد عدة اجتماعات بين أبناء المجموعة والشهيد القائد صالح جرادات من أجل العمل على إخراج عملية أخرى في داخل الخط الأخضر حيث كان الاستشهادي هو المجاهد أحمد عباهرة مستعدًا للعملية إلّا أنّ التخطيط والتحضير للعملية لم يكتمل، وذلك بسبب استشهاد القائد صالح جرادات إثر اغتياله من قبل القوات الخاصة في جنين 12/ 06/ 2003م، وكان إلى جانبه الشهيد فادي جرادات شقيق الشهيدة هنادي جرادات، وبذلك تعقّدت الأمور أكثر فأكثر لاسيما أنه تم الاتفاق بين المجاهد نهار وإخوانه مع القائد صالح على أن يقوم المجاهد صالح بتزويدهم بأحد أهم مصنعي المتفجرات، وهو الشهيد عبد القادر الدعمة بحيث يتم التسلل والدخول إلى مدينة الناصرة المحتلة إلى المكان الذي كان يتواجد وينام فيه أحيانًا المجاهد نهار السعدي وهو الجبل، والعمل من خلال ذلك على تصنيع المتفجرات وتجهيز الأحزمة والشنطات الناسفة بينما الاستشهاديون يدخلون إلى الداخل المحتل على شكل عمّال إلّا أنّ اغتيال صالح أدى إلى عدم تنفيذ هذا الأمر. هذا الاغتيال بقي محيرًا حتى هذه اللحظة

حيث في ذلك الوقت علم المجاهد نهار أن هناك قوات خاصة في منطقة الحارة الشرقية في جنين،

الشهيد القائد/ صالح جرادات
استشهد بتاريخ 12/ 06/ 2003م

وعلى الفور قام بالاتصال بالقائد صالح لإبلاغه بهذا الأمر، ولكن لسوء الحظ كانت القوات الخاصة قد أجهزت على القائد صالح عبر إطلاقٍ كثيف للنيران تجاهه مما أدى إلى استشهاده وبجانبه المجاهد فادي جرادات حيث رد على الهاتف أحد ضباط القوات الصهيونية الخاصة باللغة العبرية "هكل بسيدر" أي كل شيء قد تم بسلام، وهذا يدلل على أن أحد الجواسيس كان على اتصال مباشر مع القائد صالح جرادات وبمتابعة حثيثة من قبل القوات الخاصة، ولاسيما أن طريقة رد ضابط القوة الصهيونية كان واضحًا بطريقة فيها نوع من الاطمئنان والضحك، ويوحي بشكل قاطع بما حصل، وحاول حينها المجاهدون تتبع هذا الأمر في كل الاتجاهات إلّا أنّ أمرًا لم يحدث أو يتحقق للوصول إلى الجاسوس، وذلك لمصادرة الهاتف الذي كان بحوزة الشهيد صالح بالإضافة إلى مسدسه وهو من نوع جلوك.

مشواره الجهادي إلى جانب المجاهد أمجد العبيدي

كان لابد من مواصلة العمل الجهادي الاستشهادي خاصة بعد استشهاد القائد صالح جرادات حيث اجتمع المجاهدان نهار وأمجد العبيدي، وقررا الاستمرار في العمليات، واتخذا القرار بإعادة التخطيط والتجهيز لعمليات جديدة يقوم بها الاستشهادي أحمد عباهرة ردًا على استشهاد القائد صالح جرادات،

الاستشهادي/ أحمد عباهرة
استشهد بتاريخ 19/ 06/ 2003م

وأحضر المجاهد أمجد العبيدي الاستشهادي أحمد عباهرة وجهّز له حزامًا ناسفًا، وقام المجاهدان نهار ويوسف حمدان المعروف بأبو العطا بإيصال الاستشهادي إلى قرية جلبون الحدودية مع الداخل المحتل، ثم أكمل مشوارهما من بعدهما المجاهد إياد أبو الرب الذي اصطحب معه الاستشهادي سيرًا على الأقدام في ظروف صعبة جدًا وتضاريس شاقة، ومع ذلك تمكنا من الوصول إلى الهدف المنشود في مدينة بيسان المحتلة، وكان من المفترض أن يقوم الاستشهادي أحمد عباهرة في صباح يوم 19/ 06/ 2003م بالصعود إلى حافلة صهيونية، وأن يقوم المجاهد بتفجير نفسه وسط الجنود الصهاينة والمستوطنين إلّا أنّ أحد السكان الصهاينة هناك كان قد شك في أمر الاستشهادي أحمد مما جعله يقوم بتفجير نفسه على الفور، وأدت العملية إلى مقتل مستوطن يهودي يعتبر صديقًا حميمًا لرئيس الوزراء الصهيوني الهالك أرائيل شارون، وبذلك تم الأخذ بثأر القائد صالح جرادات، وفي هذه الفترة بدأ الإخوة نهار ورامي العمل بشكل حثيث للقيام بالمزيد من العمل العسكري والجهادي.

استشهاد الصديق رامي أبو خبيزة

في ذلك اليوم من يوم 21/ 07/ 2003م، ذلك اليوم الصيفي الحار جدًا توجه المجاهد رامي إلى المجاهد أمجد للحصول منه على صاروخ من نوع لاو لاستخدامه ضد أهداف صهيونية، وكانت هذه الفترة تشهد هدنة هشة ما بين السلطة والفصائل مع العدو الصهيوني، وكان حينها يرفض المجاهد أمجد إعطاء الصاروخ للمجاهد رامي، وبعد إلحاح شديد تمكن المجاهد رامي من الحصول على الصاروخ، وتوجه حينها هو ومجموعة من الشباب من غير الجهاد الإسلامي لتنفيذ عملية إطلاق الصاروخ على دورية صهيونية في المنطقة القريبة من مدينة جنين، وهي منطقة الألمانية على الشارع الالتفافي، وما أن مرت الدورية العسكرية حتى قام المجاهد رامي بمحاولة إطلاق الصاروخ إلّا أنّ هذا الصاروخ كان مفخخًا من قبل الصهاينة كما حصل في الماضي مع العديد من الشهداء رامي أبو بكر والشهيد القائد خالد زكارنة، وانفجر به الصاروخ لترتقي روحه إلى بارئها، وما أن رأى الشباب الذين معه المشهد وهم من غير الجهاد الإسلامي حتى انسحبوا من المكان تاركين الشهيد في مكانه، وفي هذه الأثناء كان المجاهد نهار على موعد مع الشهيد رامي للذهاب إلى الحاجة أم رياض والدة الاستشهادي حمزة السمودي لتهنئتها بأداء العمرة، وبقي ينتظر المجاهد رامي من وقت العصر وحتى الساعة 12 ليلًا، وعندما انقطع الأمل بحضوره قرر المجاهد نهار العودة إلى بيته، وفي أثناء الطريق أوقفه أحد الشباب الذين كانوا قد ذهبوا مع المجاهد رامي لإطلاق الصاروخ، وأخبره بأن يركب معهم السيارة لإعلامه بحدث جلل هو استشهاد المجاهد رامي، الأمر الذي فاجأ المجاهد نهار وكان لا يتوقع حصوله، وبعدها توجه إلى المجاهد أمجد واجتمع مع كل الذين كانوا مع المجاهد رامي لمعرفة تفاصيل ما حدث بالضبط، وما أن التفت المجاهد نهار قليلًا حتى شاهد أخاه الشهيد سامر

قد بدا عليه علامات التعجب عندما رأى المجاهد نهار حيث كان وصل الخبر أن المجاهد نهار قد استشهد إلى جانب صديقه رامي، وتوجها حينها إلى المستشفى في جنين لإلقاء نظرة الوداع على صديقهم الشهيد المجاهد رامي وإذا بعائلة المجاهد رامي تملأ المستشفى وهم يحملون سلاحهم، وكان قد أخبرهم جهاز الأمن الوقائي بأن من يقف خلف استشهاد ابنهم هم حركة الجهاد الإسلامي وخاصة المجاهد أمجد العبيدي، وفي صباح اليوم التالي توجه المجاهد نهار ومعه صديقه أحمد الفحماوي إلى منزل الشهيد المجاهد رامي، والجلوس مع أخ الشهيد للتحدث معه حول أن ما قاموا به خطأ، وأن الاتهامات التي ذكرها غير صحيحة، وما هي إلا فتنة وأن هذا الشهيد هو أخي كما هو أخوكم، وأنتم تثقون بي كما تثقون بأخيكم، فوافقوا حينها بعد إلحاح شديد ونقاش طويل على عمل بيت عزاء باسم الجهاد الإسلامي، وتم إكرام العائلة بكل ما استطاعوا من واجب أخلاقي ومادي ومعنوي، وكما تم استعادة سلاح الشهيد المجاهد رامي من عائلته بعد الاتفاق معهم عليه، وأصبحت الأمور بالنسبة للمجاهد نهار أكثر صعوبةً وتعقيدًا ولاسيما بعد استشهاد أغلب أفراد المجموعة.

قرر المجاهد نهار بعد الملاحقة والمطاردة من قبل العدو الصهيوني أن يقوم بنفسه بتنفيذ عملية استشهادية في العفولة في سوق الخضار عبر سيارة مفخخة مليئة بالمتفجرات، وكانت معدّة في السابق لعملية الأغوار عبر الاستشهاديين أيهم كمامجي وسالم كساب من بلدة كفر دان بمحافظة جنين.

يوم العملية هو يوم الاعتقال

قرر المجاهد نهار في ذلك الوقت التخطيط والتجهيز للعملية والخروج للتنفيذ في هذا اليوم، لكن حدث تطور خطير في ليلة العملية 18/ 09/ 2003م حيث تم مداهمة المكان الذي يتواجد به المجاهد نهار وهو المنطقة الصناعية في جنين بالقرب من محطة تعبئة الغاز، وما أن أصبح في قبضة العدو حتى تعرض للضرب المبرح والإهانات والشتائم، وكان قد وصلتهم معلومة حول نية المجاهد نهار القيام بعملية ولكن دون تفاصيل، وحاول إنكار كل التهم الموجهة إليه أو أنه هو المطلوب لهم، وذكر لهم اسمًا مستعارًا إلى أن جاء أحد الجواسيس السريين وأكد لهم أن هذا المعتقل نهار السعدي، وتم حينها اقتياده إلى تحقيق الجلمة ليبدأ مشوارًا جهاديًا من الألم والتحدي والإرادة والصمود في وجه المحققين، وكان الهدف من إطالة الوقت هو أن يأخذ المجاهد أمجد العبيدي وباقي المجاهدين احتياطاتهم الأمنية وأن يقوموا بإخفاء السيارة المفخخة والمتفجرات، وما أن تأكد المجاهد نهار بأن الوقت جاء بصموده لصالح الإخوة في الخارج حيث لم يتمكن الشاباك الصهيوني من العثور على السيارة أو المتفجرات أو باقي المجاهدين عندها قاموا بفتح ملف الاستشهادية هبة دراغمة ولاسيما وأن المجاهد أحمد الشيباني العندليب كان قد تم اعتقاله من قبل وأدلى باعترافه حول تفاصيل هذه العملية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى عملية الاستشهادي أحمد عباهرة حيث تم اعتقال المجاهد يوسف حمدان أبو العطا واعترف أيضًا بتفاصيل

هـذه العمليـة، وهنـا قـال الشـاباك للمجاهـد نهـار إنـه لا داعـي للإنـكار حيـث كان قـد شـاهد الملفـات كلهـا وهـي جاهـزة وكل أصدقائـه قـد اعترفـوا عليـه، وهـو حـاول مـرارًا وتكـرارًا أن ينفـي كل التهـم الموجهـة إليـه دون جـدوى، وكان يتعـرض دومًـا لتهديـد الشـاباك لـه باعتقـال عائلتـه وهدم منزلـه، وما أن انقضت 3 شـهور في التحقيـق حتـى تـم نقلـه إلى السـجون، وبدأ مسلسـل جديـد مـن المحاكـم العسـكرية محكمـة تلـو الأخـرى إلى أن حُكـم بالمؤبـد 4 مـرات بالإضافـة إلى 20 عامًـا،

والدة الأسير المجاهد/ نهار السعدي

وبـدأ التنقـل مـن سـجن لآخـر مـرورًا بسـجن إيشـل عـام 2004م، ثـم إلى جلبـوع ومكـث فيـه سـنتين، ثـم إلى ريمـون حتـى العـام 2009م، ثـم إلى سـجن نفحـة لمـدة عـام، ومنهـا إلى إيشـل مـرة أخـرى، ومـرة أخـرى إلى ريمـون عـام 2013م.

قضية العام 2013م صمود أسطوري

بينـما كان المجاهـد نهـار في سـجن ريمـون إلى جانـب إخوانـه الأسرى المجاهديـن فـإذا بـه يتفاجـأ بأنـه مطلـوب للتحقيـق معـه في مركـز تحقيـق الجلمـة دون علـم لمـاذا يحـدث هـذا الأمـر، وحـاول حينهـا الشـاباك أن يسـتدرجوا المجاهـد نهـار للحديـث مـن تلقـاء نفسـه، وبقـي صامتًـا إلى أن تحـدّث الشـاباك معـه بشـكل واضـح وصريـح، وهـو اتهامـه بأنـه قـد خطـط لعمليـة خطـف جنـدي صهيـوني، وأنـه تـم اعتقـال المجموعـة التـي أرسـلها، وذكـر لـه الشـاباك أيضًـا أن هـؤلاء المعتقلـين تـم إرسـالهم لخطـف جنـدي عـن طريـق شـخص آخـر هو مجدي إغباريـة وهـو معتقل في سـجون السـلطة، حينهـا نفـى المجاهـد نهـار كل التهـم الموجهـة إليـه جملـةً وتفصيـلًا، وعندمـا تـم تسـليمه ورقـةً مكتوبًـا عليهـا حقـوق المعتقـل حيـث مـن حقـه أن يوقـف محاميًـا للدفـاع عنه، وبدأ الشـاباك باسـتخدام كافـة الأسـاليب والطـرق لانتـزاع الاعـتراف المبـاشر والصريـح مـن قبـل المجاهـد نهـار ولاسـيما النفسـية المدعومـة بقصـص مفبركـة محاولـين جعـل الأسـير أسـيرًا لقصصهـم وخداعهـم وكذبهـم ليجـد الأسـير نفسـه في مصيـدة الشـاباك. اسـتمر التحقيـق معـه لمـدة شـهر كامـل في ظـل ظـروف صعبـةً وقاسـيةً جـدًا لاسـيما أن المجاهـد نهـار في بدايـة التحقيـق قـد أضرب عـن الطعـام لمـدة 10 أيـام متواصلـة، وكان قـد ظـن المحققـون أن هـذا الاضراب جـاء بسـبب التحقيـق، ولكـن أخبرهـم المجاهـد نهـار بأنـه رفـض للجلـوس عـلى الكـرسي الحديـد الـذي يـؤدي مـع طـول المـدة إلى آلام شـديدة في ظهـر المجاهـد نهـار، وخصوصًـا أن لديـه التـواء في أسـفل العامـود الفقـري منـذ الـولادة، ولذلـك ذكـر لهـم أنـه مسـتمر في إضرابـه عـن الطعـام إلى حـين الإقـرار والالتـزام بعلاجـه الطبـي، ووافـق الشـاباك حينهـا عـلى عـرض المجاهد نهـار عـلى الطبيب وأيضًـا التخفيـف مـن إجلاسـه عـلى الكـرسي الحديدي

مقيد اليدين والرجلين حيث كان وفي بداية التحقيق لمدة 15 يومًا ولمدة 20 ساعة وبشكل متواصل وبدون راحة؛ يتم إجباره على الجلوس على الكرسي الحديدي، وبإرادة المجاهد نهار وعزيمته وإصراره تمكن من أن ينتزع من أحد ضباط الشاباك اعترافًا هامًا له واسمه الضابط سيفر الذي قال للمجاهد نهار بالحرف الواحد أنا أقول لك كلامًا ممنوعًا على أن أقوله، وهو أننا كطاقم محققين اجتمعنا لتقييم الوضع وخلصنا إلى نتيجة هو أنك يا نهار ستبقى مصرًا على عدم الاعتراف من أجل البراءة، عندها أيقن المجاهد نهار أن الفرج بات قريبًا جدًا وأن صبره وصموده قد آتى أكله.

ما بعد التحقيق

بدأت محاكمة المجاهد نهار حول التهم الموجهة إليه، واستطاع حينها محاميه صالح محاميد الدفاع عنه وإثبات براءته، وتمت إعادته إلى سجن ريمون، وبعد ما يقارب 3 أشهر تفاجأ المجاهد نهار أن له بوسطة إلى سجن آخر، ووصل حينها إلى سجن شطة، واستقبله هناك ضابط الاستخبارات الصهيوني وأخبره بأن هناك قرارًا عزل بحقه.

عزل شطة

مكث الأسير المجاهد نهار في عزل سجن شطة 3 شهور، ثم انتقل إلى عزل سجن ريمون ومكث فيه 6 أشهر، ثم ذهب إلى محكمة التمديد وحضرها المحامي صالح محاميد، ثم اتخذ قرار من قبل المحكمة بتمديده مرة أخرى 6 شهور تحت ذرائع ومسميات كثيرة منها أنه يوجد ملف سري ولا يستطيعون إخباره بالمعلومات السرية ضده، وكان هذا العزل تحت مسمى خطير (أرسيك)، أي معناه العزل المتنقل أي أن كل 6 أشهر يسمح بنقله من عزل لآخر دون اعتراض من قبل الأسير أو المحامي أو القاضي أو حتى المحكمة، ثم ذهب إلى عزل مجدو ثم إلى عزل أيالون وهو عبارة عن عزل مشفى مجانين، وبالطبع هذا العزل مليء بالأسرى الجنائيين الذين قضاياهم عادة تشتهر إما بالاغتصاب أو السرقة أو القتل، وكان هذا العزل سيئًا جدًا وظروفه صعبة، ومكث فيه 6 أشهر وتمكن حينها من أن يخوض إضرابًا عن الطعام لثلاثة مرات الأولى 15 يومًا و5 أيام إضرابًا عن الماء لتحسين شروط الحياة، ثم 8 أيام من أجل زيارة الأهل، ثم مرة ثالثة من أجل تحسين شروط الحياة أيضًا.

الإضراب الأخطر والأهم هو إضراب عام 2014م

كان الهدف من هذا الإضراب زيارة والدته الممنوعة من الزيارة من قبل الشاباك، واستمر هذا الإضراب مدة شهر كامل، لكن هذه المرة لم يكن لوحده في مواجهة ما يسمى مصلحة السجون وإنما وقف إلى جانبه جميع قادة وكوادر وأبناء حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال عبر إعلانهم وخوضهم الاضراب المفتوح عن الطعام مما جعل الاستخبارات التابعة لمصلحة السجون تتخبط ولا تعلم كيف تواجه هذا الجيش المنظّم والمنضبط فداءً ومناصرةً لأخيهم المجاهد نهار ليُتوّج هذا

الإضراب بانتصار المجاهد نهار وبدعم من إخوانه الأسرى وتحقيق مطلبه، وهو زيارة والدته العزيزة،

والدة الأسير القائد/ نهار السعدي
في فعالية تضامنية مع الأسرى بمحافظة جنين

وكان ذلك لمرة واحدة، ثم تم وعده بإمكانية السماح له بزيارة مرة أخرى ليكون ذلك بعد عام في سجن إيشل حيث زارته والدته لمدة ساعة ونصف، ومن ثم انتهى به المطاف في عزل سجن ريمون. وقد تعرض خلال فترة العزل إلى الكثير من المضايقات والاستفزازات الصهيونية ومن قبل إدارة مصلحة السجون وجواسيسهم محاولين بذلك تحطيم نفسيته، ولكن بفضل الله _عز وجل_ تمكّن بعد 3 سنوات من إرسال رسالة إلى قيادة مصلحة السجون مفادها إن بقي في العزل سيقوم بالإضراب المفتوح عن الطعام مرةً أخرى، وأنه سيسانده كل أسرى الجهاد الإسلامي وباقي الفصائل، لتتلقى مصلحة السجون هذه الرسالة ومدير سجن ريمون وغيره من الضباط ويخبروه بشكل مباشر أنه سيتم إخراجه من العزل الانفرادي بالقريب، وهذا ما حصل بتاريخ 20/ 05/ 2016م حيث خرج من العزل الانفرادي إلى سجن هداريم، واستقبله هناك أبطال الجهاد الإسلامي وباقي الفصائل داخل السجن.

مرحلة التعليم

من خلال تواجد المجاهد نهار في سجن هداريم تمكّن من الاندماج من جديد بواقع الحركة الأسيرة، وبدأ يكرّس كل وقته وجهده في الحرص والاهتمام بالتعليم عبر دراسته في جامعة القدس المفتوحة أبو ديس بكالوريوس العلوم السياسية، وذلك بإشراف الدكتور الأسير مروان البرغوثي،

هذا عدا عن عشرات الدورات الثقافية التي حصل عليها في السجن، بالإضافة إلى مطالعة عشرات الكتب المختلفة.

مرحلة استشهاد أخيه سامر

يعتبر الشهيد سامر الأخ الأكبر للمجاهد نهار السعدي، وهو رجل العائلة، ويعتمد عليه في كل شيء وقد كان مطاردًا للعدو الصهيوني من العام 2003م وحتى تاريخ استشهاده في 29/ 09/ 2005م حيث كان من البداية ينتمي إلى حركة الجهاد الإسلامي لمدة عام ونصف، ومن ثم انتقل إلى صفوف حركة فتح وعمل مع كتائب

شهداء الأقصى، وخلال فترة عمله صدر قرار بالعفو عن المطاردين بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية الفلسطينية إلّا أنّه وبعد أسبوع من هذا القرار تم اجتياح مدينة جنين ودار اشتباك مسلح بين المجاهد سامر والقوات الصهيونية في منطقة السيباط في مدينة جنين، وتعرض حينها إلى إطلاق نار بشكل مباشر على رأسه إلّا أنّه لم يستشهد على الفور، وترجل الجنود الصهاينة من دورياتهم وتوجهوا نحو المجاهد الجريح سامر ليتم تصفيته بدمٍ بارد أمام مرأى جميع الأهالي، وتم أخذ سلاحه الذي قاومهم به وهو سلاح من نوع M16، وخرجت جماهير مدينة جنين عن بكرة أبيها تندد بعملية الاغتيال وتُشيّع الشهيد الى مثواه الأخير وسط دعوات بالانتقام لدمائه لاسيما أن هناك قرارًا بعدم التعرض للمطاردين الذين حصلوا على العفو،

الشهيد البطل/ سامر السعدي
استشهد بتاريخ 29/ 09/ 2005م

وفي هذا اليوم الأسود كان المجاهد نهار وأخوه نبيل الذي يكبره في سجن جلبوع حيث سمع الأسير نبيل نبأ استشهاد أخيه سامر وتمالك أعصابه، وتوجه إلى أخيه المجاهد نهار وقال له: عظم الله أجرك بأخيك الشهيد سامر وكان ذلك اليوم يومًا حزينًا على قلوب الإخوة نهار ونبيل وباقي الأسرى إلّا أنّ الأسرى من حوله كعادتهم وقفوا إلى جانبهم وقفة الأبطال والرجال، وفتحوا بيت عزاء لأخيه في إحدى غرف السجن ولمدة 3 أيام متواصلة، وكان هذا الحدث مؤلمًا عليهم، ولاسيما وأن أخاهم الشهيد متزوج ولديه 3 أبناء. وللعلم في أحد الأيام السابقة لاجتياح مخيم جنين وخلال اعتقال أحد كوادر الجهاد الإسلامي، وهو المجاهد أحمد العبوشي عام 2003م حيث دارت اشتباكات عنيفة مع المجاهدين؛ تمكن الشهيد سامر من قتل أحد الجنود الصهاينة، وعلقت في اليوم التالي صحيفة يديعوت أحرونوت على هذا النبأ بأن الشهيد سامر هو أحد رجال كتائب الأقصى ومن المقربين للقائد زكريا الزبيدي، وأن العدو الصهيوني تمكن من قتله بعد أن أيقن بأنه يفكّر في خطف جندي صهيوني لمبادلته بأخيه الأسير نهار. فهل يتحقق حلم الشهيد سامر برؤية أخيه المجاهد نهار السعدي حرًا أبيًا في وسط إخوته وعائلته وشعبه؟ ولاسيما أن والدته أجرت عملية جراحية في رأسها مؤخرًا وبدت أحوالها الصحية تسوء شيئًا فشيئًا وأملها في لقاء واحتضان ابنها المجاهد نهار، وقد انتقلت إلى رحمة الله تعالى بتاريخ 26/ 11/ 2020م فهل هناك فرصة لجمع المجاهد نهار مع أفراد عائلته قبل فوات الأوان؟ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 51].

الأسير المجاهد
أحمد صلاح أحمد صلاح (العزة)

بطلٌ لم تمنعه الإصابة والاعتقال من مواصلة الدرب

تاريخ الميلاد: 1977/01/23م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مخيم الدهيشة – محافظة بيت لحم

عدد أفراد العائلة: 4

تاريخ الاعتقال: 2004/03/08م

الحكم: 21 مؤبدًا و15 عامًا

نقف اليوم لنروي حكاية عاشق للوطن، ينتمي إلى تلك الحركة التي انطلقت في العام 1965م، فأعادت للقضية الفلسطينية هويتها وانتماءها عبر تضحياتها الجسام خلال عقود طويلة مضت، تلك هي حركة فتح صاحبة المشروع الوطني والرصاصة الأولى، وكان مصير هذا العاشق الاعتقال داخل سجون الاحتلال لسنوات عديدة مضت، ولكن فترة حكمه بمدى الحياة لم تنقضِ بعد، فلا يزال على أمل كبير بالحرية والعتق من رقة الاحتلال وسجونه أملًا بانفراج ينساب من بين الأسلاك الشائكة والجدران العالية وقيود الظلم الصهيوني، وليس من تحدث عن بعد كمن ذاق الوجع والمعاناة، وليس من تلهب العصي أطرافه كمن يعدها. إنه الأسير المناضل أحمد صلاح (العزة)، المولود في ذلك المخيم الذي كان ولا يزال قلعة للنضال ومقارعة الاحتلال خاصة لموقعه على الشارع الرئيسي للقدس والخليل، فقدم عشرات الشهداء والأسرى والجرحى، وقد سكنت العائلات الفلسطينية هذا المخيم كما باقي مخيمات الوطن بعد قيام العصابات الصهيونية بتهجير الفلسطينيين من أرضهم ومنازلهم تحت تهديد السلاح وعنجهية

العصابات الصهيونية، فكانت عائلة المناضل أحمد إحدى العائلات التي سكنت هنا، وتم تهجيرها من بلدة تل الصافي التي تقع فوق أحد التلال التي تمثل القواعد الغربية لمرتفعات الخليل، كما يوجد بداخلها العديد من عيون الماء العذبة وجميع أنواع الفاكهة والخضار إلا أن الحياة الجميلة في تلك البلدة الفلسطينية لم تدم طويلًا ليأتي الأغراب إليها ويصنعوا فيها حقدهم الدفين ويعيثوا بها القتل والفساد والهلاك، وخرجت العائلات الفلسطينية منها هربًا إلى مكان آمن بعيدًا عن نيران ورصاص وقنابل العصابات الصهيونية، ومع ذلك بقى هناك جزء أصيل من عائلة صلاح (العزة) لم تقبل أن تُهجَّر كما باقي العائلات الأخرى، آثرت الموت على الحياة البائسة، وكتب الله لها النجاة من ظلم وطغيان الصهاينة فعمَّرت أرضها ومساكنها وبنت مدارسها الخاصة، وبنفس الوقت لا تزال على علاقة مميزة مع أبناء عمهم الذين هاجروا إلى مخيم الدهيشة ومخيم العزة في بيت لحم.

مرحلة الطفولة

كما هو حال كل عائلة فلسطينية لاجئة دومًا تبحث عن مصدر رزقها سواء في داخل مخيمات اللجوء في الوطن المحتل أو في دول المحيط الإقليمي والعربي، كانت عائلة العزة جزء منها يعيش في تل الصافي وجزء آخر في مخيم العزة وآخر في مخيم الدهيشة في بيت لحم، وبعضهم ترك المخيمات وسافر إلى الأردن بحثًا عن مأوى ومأكل وملبس، وبعضهم زاد على ذلك بحثًا عن هوية وانتماء، فكانت النواة بتياراتها المتعددة حضنًا دافئًا له ولعائلته، وفي تلك الظروف عاش مناضلنا أحمد الذي وُلد في مدينة الزرقاء الأردنية عام 1977م، وكان الولد الوحيد لهذه العائلة إلى جانب أخته، عمل والده في مجال الخياطة في مدينة الزرقاء، وما أن بلغ أحمد من عمره 5 سنوات حتى قام والده بتلبية نداء الثورة والوطن فتوجه في العام 1982 إلى لبنان، وكان ينتمي حينها إلى صفوف حركة فتح (أبو موسى) وأصبح مصيره مجهولًا في حرب 1982 في لبنان، وبعد خروجه من لبنان في العام 1995م تبين أنه عاد إلى الأردن وكان لا يملك الوثائق الرسمية وتوفي في نفس العام، وهذا الأمر جعل والدة المناضل أحمد بعد خروج الوالد لمواجهة العدو في حرب 1982م أكثر تمسكًا بولدها أحمد وابنتها، فكانت لهم بمثابة الأب والأم في نفس الوقت، وقررت الانتقال من مدينة الزرقاء من ذلك البيت البسيط المتواضع في غرفتين من الطين والقش وأمامها ساحة صغيرة إلى بيت جدهم من مخيم الدهيشة في بيت لحم،

من ذاكرة مخيم الدهيشة بمحافظة بيت لحم

وهذا البيت الجديد أيضًا لم يكن حاله بأفضل من بيتهم في الأردن، فكانت غرف البيت ومنافعها تدلف شتاءً لكثرة التصدعات في البيت، وكان المناضل أحمد وأمه وأخته وخالته ينامون في غرفة واحدة بينما جده وجدته ينامون في غرفة أخرى، فكان لابد أن يتحمل هذا العبء الكبير في الاهتمام والاعتناء بأحفاده تعويضًا لهم عن حب وحنان وعطاء الأب المفقود في لبنان، وأصر جده على إرساله لكي يتعلم في مدرسة الوكالة في مخيم الدهيشة، وكما كل المخيمات الفلسطينية في الوطن المحتل تكون الشوارع والأزقة مكانًا للعب الأطفال، فكانت لعبته المفضلة هي يهود وعرب، وهذه اللعبة التي تعبِّر تمامًا عن حال تعامل اليهود الإجرامي مع العرب لتبقى ذاكرة الطفل حية على مدار الأجيال والسنوات، ولم تكن حياة هذا الطفل في تلك الظروف عادية، فعلى الرغم من أنه تربطه علاقات جيدة ومميزة مع غيره من الأطفال كان يشعر بأنه وحيد أشبه باليتيم، فالعادة جرت أن الطفل الوحيد يكون مدللًا ومنعمًا، ولكن ذلك لا ينطبق على حال مناضلنا أحمد الذي كان عزيز النفس، وعلى الرغم من اعتناء جده به إلا أنه كان يلاحظ مرارًا وتكرارًا حجم المعاناة والألم والتعب الذي يصيب جده، فحاول حينها الاعتماد على نفسه رغم صغر سنه ليقف إلى جانب جده في تحمل أعباء البيت واستطاع العمل لدى زوج خالته في مجال كماليات السيارات الزهيد، ثم انتقل للعمل مع خاله في مجال القصارة والسباكة، كما عمل مساعدًا للحداد ولم يخجل عندما عمل عتالًا في تحميل وإنزال الخضرة والبضائع من السيارات، وكما باقي الأولاد في سنة لجأ إلى جمع مخلفات الألمونيوم والنحاس؛ لبيعها وليحصل على المال المطلوب لمساعدة جده الذي أدى ما عليه من تعليم وتأديب ورعاية وتربية وحمل عبء النضال الأحمدي منذ الصغر فكان ولي أمره وروحه وعينيه.

بداية الانتساب إلى حركة فتح

دخلت حركة فتح إلى عقول وقلوب الناس في معظم قرى ومدن ومخيمات فلسطين نتيجة لعملياتها العسكرية الشجاعة في مواجهة المحتل، وفي مرحلة الانتفاضة الفلسطينية الأولى والتي شارك فيها الكل الفلسطيني حتى أصبحت أهم حدث لدى وسائل الإعلام المختلفة في كل أنحاء العالم، ولم يبقِ شيخ ولا امرأة وشاب ولا طفل إلا شارك في أحداث الانتفاضة، وانتشرت في تلك الفترة الأغاني والأناشيد الشعبية التي تحرض وتحث الجماهير الفلسطينية على الصمود والتحدي على مواجهة الجيش بكل قوة، وكانت هذه الأغاني والأناشيد الثورية تلهب المشاعر وتؤثر في نفوس الفلسطينيين حيث تأثر البطل أحمد العزة بها كثيرًا ولاسيما الأغاني التالية: "اشهد يا عالم علينا وعلى بيروت"، وقد تأثر بها أكثر من غيرها بسبب فقدان والده في بيروت، وكذلك أغنية عبد الوهاب: "أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا"، وكذلك: "كبروا الثوار يا جبل النار"، بالإضافة إلى أغاني فرقة العاشقين المشهورة، وكان كلما سمع شيئًا من هذه الأغاني يجد نفسه قد خرج من بيته نحو الشارع لمواجهة المحتل، وكانت مشاركته في أحداث

الانتفاضة توصف بأنها عفوية وتلقائية إلى أن تم استشهاد القائد الفلسطيني الكبير خليل الوزير (أبو جهاد) مما جعل الشارع الفلسطيني ينتفض عن بكرة أبيه غضبًا وعنفوانًا وثورة ضد الظلم الصهيوني، هذا الاغتيال أثار لدى المناضل أحمد العديد من الأسئلة من قبيل من هو أبو جهاد؟ وماذا يعني اغتياله؟ ولماذا هذا الحزن الكبير على استشهاده؟ وما هي حركة فتح؟ أما سؤال ماذا يعني فدائي فإنه يعلم معناه علم اليقين لا سيما أن والده كان فدائيًا، وإلى جانب حادثة الشهيدة رفيدة أبو لبن من مخيم الدهيشة التي استشهدت بينما كانت تشارك في تشييع أحد أبناء المخيم الذي قتله الاحتلال أيضًا،

صورة تجمع والدة الشهيدة/ رفيدة أبو لبن مع أمهات شهداء

والأهم أن السياسة الصهيونية المتبعة ضد الانتفاضة الفلسطينية تعدت كل الخطوط الحمراء لاسيما عندما أظهر رئيس الوزراء الصهيوني الهالك إسحاق رابين قراره بتكسير عظام المقاومين والمناضلين، وتعرض أصدقاء المناضل أحمد وهم محمد مهدي ومحمد معالي وعمران معالي الذين كانوا يجلسون على سطح أحد المنازل إلى اقتحام الجنود الصهاينة المكان الذي يتواجدون به حيث تم الاعتداء عليهم وتكسير عظامهم بالحجارة والهراوات، وهذه الأحداث زادت من وعيه الوطني وزاد من شعوره بالانتماء إلى أعدل قضية عرفها التاريخ لاسيما أن لخالته جميلة وخاله خلدون الأثر الكبير من صقل شخصيته الوطنية فقد كانا ينتميان إلى صفوف حركة فتح وقاما بتشكيل خلية عسكرية في مخيم الدهيشة، وتمكنا بعد معاناة طويلة من التدرب في أحد المعسكرات الثورية في العراق، وما أن عادا إلى أرض الوطن وبدأت الملامح الأولى للخلية العسكرية في المخيم حتى تمكن الشاباك الصهيوني من اعتقالهما قبل البدء بالعمل العسكري الفعلي، وكان ذلك عام 1995م، وتعتبر خالة المناضل أحمد هي صاحبة الأثر، وهي التي ضمت وبشكل رسمي المناضل أحمد إلى صفوف حركة فتح وبمستوى أعلى مما كان عليه في السابق، وكانت أولى خطوات العمل التنظيمي والانتماء وهو صغير السن في عمر 12 أو 13 عامًا وكان ذلك في المدرسة، وكانت تنشط أعمال الشبيبة الفتحاوية في المدارس، وكان الفضل يعود في ذلك إلى صديقه محمد جميل الذي يكبره بسنتين، وكان ينظم أشبال حركة فتح عبر نشاطات بسيطة كارتداء اللثام والنزول للشوارع أيام التصعيد والإضرابات ضد العدو خاصة في تاريخ التاسع من كل شهر حيث يكون يوم إضراب شامل، وكانت المدارس تفتح أبوابها لفترة بسيطة وباقي الأيام تكون مغلقة وذلك نتيجة للسياسة الإجرامية الصهيونية المتبعة لخلق جيل فلسطيني غير متعلم يمكن من خلاله كي وعي الفلسطيني، ويؤدي ذلك إلى نسيان شيء اسمه الوطن الفلسطيني التاريخي المحتل لينسى الفلسطيني أرضه وشعبه

وحكاية الألم والمعاناة والنكبة الفلسطينية، وتصبح حيفا وعكا ويافا أسماء في طي النسيان، فخابوا وخاب أملهم.

استمرت العلاقة الوطيدة ما بين المناضل محمد جميل والمناضل أحمد حيث توجه محمد للدراسة في معهد قلنديا، وما أن شارف على إنهاء دراسته حتى التحق المناضل أحمد بمعهد قلنديا، وكان حينها العمل التنظيمي أكثر تطورًا بسبب وضوح الهوية الوطنية والانتماء التنظيمي، كما أن عمره في ذلك الوقت لم يتجاوز 15 عامًا، وكان يعتبر من نشطاء الشبيبة في داخل المعهد الذي ضم العديد من الكتل الطلابية المختلفة، ولكن جمعهم كلهم حب فلسطين إلا أن تحركات المناضل أحمد ونشاطاته سواء كان في المخيم أو المدرسة أو في الشارع لم تكن لتمر دون عقاب من العدو.

الاعتقال الأول

في العام 1991م تم اعتقال المناضل أحمد وكان في عمر 13 عامًا، وتم التحقيق معه لمدة ثلاثة أيام، وكان يحقق معه ضابط شاباك صهيوني اسمه حاييم نحماني ويلقب بـ"عفيف"، وهذا الضابط لا يعرف إلا لغة واحدة وهي لغة العنف والضرب بكل قوة بغض النظر سواء الذي أكان أمامه كبيرًا أم صغيرًا، رجلًا أو امرأة، وتعرض المناضل أحمد للضرب المبرح ولم يكن جسده يتحمل قوة وشراسة الضرب مما جعله يعترف على بعض أصدقائه، وهذا الأمر كان له آثار سلبية وقاسية ومؤلمة على حياة المناضل أحمد، فولَّد لديه تجربة وأعقبه عذاب ضمير لم يكن من السهل تجاوزه إلا عندما انتصر على الشاباك الصهيوني في تجربة الاعتقال الثانية عام 1994م التي صمد خلالها صمودًا جعله يعرف مكامن قوته وضعف عدوه، وللعلم فإن هذا الضابط الصهيوني (عفيف) تم قتله على أيدي المناضلين الكبيرين ناصر ومحمود أبو سرور

الأسيران المناضلان/ ناصر (يمين) ومحمود أبو سرور
برفقة الأسير القائد/ مروان البرغوثي

اللذين استطاعا تتبع سير هذا الضابط والوصول إليه في عقر داره وطرقا باب البيت، وما أن فتح لهما حتى قاما بضربه بالمطارق على رأسه ضربة تلو الأخرى ليكون مصيرهما هو السجن ويحكم عليهما بالمؤبد، وتم استثناؤهما من كل صفقات السلطة لتحرير الأسرى، وكذلك كل صفقات التبادل سواء مع حزب الله أو حماس وحتى من الدفعة الأولى والثانية والثالثة، وها هما الآن يدخلان عامهما الثامن والعشرين في سجون الاحتلال، ويعتبران من أهم قيادات حركة فتح في سجون الاحتلال، وتمكنا من الحصول على شهادة الماجستير في الشئون الصهيونية بمساعدة الدكتور الأسير مروان البرغوثي في سجن هداريم.

بعد الإفراج عن المناضل أحمد من الاعتقال الأول كان ما يزال خاله وخالته في السجن حيث حكم على خاله مدة 15 عامًا أمضى منها 4 سنوات وخالته 7 سنوات أمضت منها 4 سنوات، وأُفرج عنهما في العام 1994م في اتفاقية أوسلو، وقدمت له خالته نصيحة وهي الانتساب إلى الأجهزة الأمنية للسلطة وذلك بعدما رأته يكثر الأسئلة عن الأمور العسكرية والسلاح والتدريبات، وبالفعل قبل النصيحة وانتسب إلى جهاز المخابرات العامة.

الاعتقال الثاني عام 1994م

لطبيعة نشاط مناضلنا أحمد في معهد قلنديا قامت القوات الصهيونية بمرافقة عدد من ضباط الشاباك بمداهمة منزل جده في العام 1992م ووجدوا أشياء يشتبه بها مثل أسلاك وبطاريات إضافة إلى بوسترات وصور شهداء وغيرها، وأصبح حينها مطلوبًا للمحتل واستمر ذلك حتى العام 1994م، لكن لم تكن تلك المطاردة ساخنة، بل اقتصرت على مداهمة المنزل بين الحين والآخر، وفي تلك الفترة برزت لديه فكرة حول تصنيع المتفجرات، وكانت محاولته الأولى من خلال تجربته في تخصص الكهرباء، لكن كان ينقصه الشق الآخر وهو المواد المتفجرة، ومع ذلك حاول تصنيع عبوة باستخدام البارود الذي استخرجه من العيارات النارية التي كان يجمعها من مخلفات الجيش من المكبات والنفايات وميادين الرماية في معسكرات الجيش ومن خلف مناوراتهم، وفي أثناء دراسته في المعهد كان إلى جانب أصدقائه يقومون برشق الحجارة على سيارات المستوطنين، وفي إحدى المرات جاءت قوة خاصة صهيونية وأطلقت نيرانها باتجاه المناضلين مما أدى إلى إصابة المناضل أحمد بشظايا الرصاص في فخذه، وعلى أثر هذه الإصابة داهم الجيش منزله وسلموا العائلة بلاغًا بتوصية أنه يجب تسليم ابنكم أحمد وإلا فإن الغضب الصهيوني سيصيب جده وجدته وعائلته لاسيما أنهم اعتلقوا جده عدة مرات؛ لكي يسلم نفسه ولم يكن حينها ينام في البيت إلا مرات محدودة، ويُذكر أنه عندما اشتاقت له والدته وعائلته قرر أن يزورهم في البيت أثناء دخوله للبيت كان الجواسيس يراقبون عملية دخوله وخروجه، وفي الساعة الثالثة فجرًا بتاريخ 25/ 02/ 1994م في شهر رمضان وفي ذكرى يوم مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل تم اعتقال المناضل أحمد ونقله إلى مركز تحقيق الظاهرية بعد أن نام في مقاطعة بيت لحم ومكث في التحقيق 37 يومًا، وكانت تجربة قاسية ومختلفة جدًا عن التجارب الماضية لاسيما أن عمره أصبح 17 عامًا، وتعرض إلى الشبح في الشتاء القارص ولا يوجد على جسده سوى البنطال والقميص الذي يأخذ من ملابس التحقيق الخاصة، وتم وضعه فيما يسمى بالخزانة وهي عبارة عن غرفة صغيرة أصغر من القبر وبطول أقل من نصف متر وعرض مماثل وارتفاع أقل من مترين، وكان يوضع بها لمدة ساعات طويلة، وكان ضابط المخابرات كلما مر أو خطر على باله أن يفتح الباب على المناضل أحمد يقف على قدميه ويعطي رقم الأسير الخاص به، والأصعب من هذا أن هناك شرطيًا صهيونيًا

وظيفته فقط طوال الوقت هو الطرق على الأبواب بقوة وهراوة لكي لا يستطيع الأسير النوم.

ومن الأمور التي أعطت المناضل أحمد قوة والمعنويات العالية والقدرة على الصمود في وجه الشاباك هو أنه في اليوم الأول الذي دخل فيه إلى التحقيق وإدخاله إلى الخزانة؛ كانت هناك عبارة محفورة على الجدار تقول "الاعتراف خيانة"، وقد وقع تحتها اسم خالد عبيد، وهذا الاسم يعرفه المناضل أحمد، وهو من سكان مخيم الدهيشة ومن قيادات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ولديه تجارب عديدة وصمود وقصص وانتصار على الشاباك في معركة التحقيق، أما أسلوب الشبح فهو عبارة عن تقييد الأسير على كرسي حديد صغير الحجم ومائل إلى الأمام وظهره قصير لا يصل إلى منتصف الظهر، وفوق رأس الأسير كيس لا يرى شيئًا أمامه،

مشهد تمثيلي لأحد أساليب التعذيب في السجون الصهيونية

ويمنع الأسير من النوم عبر أساليب كثيرة منها هزه أو رشقه بالماء البارد أو الساخن، ومنها الشتائم والأصوات المزعجة، ومع ذلك قبل المناضل أحمد التحدي وهو الصمود، ولم يستطع الشاباك الصهيوني أن ينتزع منه اعترافًا، وبعد 37 يومًا قدم للمحكمة ولم يستطع الشاباك أن يقدم أي دليل على إدانته فتم الافراج عنه، وكانت اللحظة من أجمل اللحظات للمناضل أحمد فقد شعر بالانتصار على الجلاد والثقة بالنفس، وتقزم بنظره ضابط الشاباك، وبعد فترة الاعتقال هذه أعد لاستكمال دراسته في معهد قلنديا.

في بداية العام 1996م التحق المناضل أحمد بجهاز المخابرات الفلسطينية، وبعد أسبوع واحد فقط قام بتصنيع عبوة متفجرة وتفجيرها في جيب عسكري صهيوني، وقام جهاز المخابرات الفلسطينية باعتقال المناضل أحمد؛ لأنه لا يجوز عبر القانون الفلسطيني أن يقوم أي فرد من أفراد الأجهزة الأمنية بأي عمل فيه مقاومة للمحتل إلا بقرار من رئيس الجهاز وبدعم من الرئيس الفلسطيني لاسيما أن اتفاق أوسلو ضم العديد من الاتفاقيات الأمنية التي تمنع ممارسة العمل المسلح ضد العدو، ولذلك تم اعتقاله في مكاتب جهاز المخابرات وحكم عليه ثلاثة شهور وكفالة مالية، وبقى بعدها كمصنف عسكري في جهاز المخابرات وأصبح حينها مراقبًا من قبل جهاز مخابرات السلطة، وتم نقله ليكون حارسًا على منزل قائد جهاز المخابرات الفلسطينية في بيت لحم في بيت جالا، وبعد توارد الأخبار والتقارير عن وجود عمليات اطلاق نار على مستوطنة جيلو القريبة من بيت جالا تم وضع المناضل أحمد للمراقبة الدائمة، وقد تمكن جهاز المخابرات من إثبات التهمة على المناضل أحمد عبر اعتراف أحد أصدقائه عما حدث وكان

ذلك في العام 1999م، وتم احتجازه لمدة أسبوع في نقاط مقار جهاز المخابرات حيث شهدت تلك الفترة محاولات عديدة للقيام بعمليات عسكرية ضد المحتل لاسيما أن المناخ العام في ذلك الوقت لم يظهر عليه حالة الاستقرار وحالة من خيبة الأمل لدى الشارع الفلسطيني بعد أن تأكدت المعلومات أن عملية السلام تواجه تعثر وطريقًا مسدودًا؛ لعدم الوصول لحل نهائي ينهي به المعاناة الفلسطينية وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

انتفاضة الأقصى 2000م

في هذا العام ومع بدء الانتفاضة وردت قائمة تضم أسماء المطلوبين لدى جهاز المخابرات الفلسطينية، وأثناء قيام المناضل أحمد بالاطلاع على هذه الأسماء وفرزها تبين أن اسمه من بين هذه الأسماء المطلوبة للاعتقال، وعندها قرر مغادرة مبنى جهاز المخابرات وعدم الذهاب للدوام، ولكن في نفس الوقت استمر في العمل العسكري الفردي حيث كان يقوم باستعارة السلاح من أصحابه تحت ذرائع مختلفة للقيام بعمليات إطلاق نار على الأهداف الصهيونية، وأحيانًا يقوم برمي أجسام متفجرة على سيارات الجنود والمستوطنين، وفي هذه المرحلة كانت حركة فتح قد اتخذت القرار التاريخي والشجاع بتشكيل كتائب شهداء الأقصى لتكون جناحًا مسلحًا ضد العدو، وانضم حينها المناضل أحمد إلى صفوف كتائب الأقصى عن طريق القائد الكبير الأسير أحمد المغربي، ولكن بقي عمله حينها محصورًا في دائرة ضيقة غالبية الأبطال والمناضلين إما استشهدوا وإما جرى اعتقالهم خاصة في حادثة كنيسة المهد.

حكاية حصار كنيسة المهد

نتيجة العمليات الاستشهادية والعسكرية التي خرجت من بيت لحم نحو العدو قررت حكومة الهالك أرئيل شارون اجتياح الضفة الغربية والدخول إلى مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية، وتم ارتكاب المجازر الصهيونية بحق أبناء الشعب وخاصة في مخيم جنين ونابلس وبيت لحم، وتم الترويج بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أن أفضل مكان يتحصن به المجاهدون في بيت لحم هو في كنيسة المهد حيث لا يمكن للاحتلال الصهيوني أن يرتكب أي حماقة تجاه هذه الكنيسة المقدسة والتاريخية، معتقدين أن العالم المسيحي لن يقبل أي اعتداء عليها، وما أن اقتحم الجيش الصهيوني بيت لحم وبدأت الاشتباكات في الشوارع والأزقة والحارات، وكانت العملية غير متكافئة، فالعدو يستخدم دباباته ومجنزراته وجرافاته بمساندة الطائرات الحربية والقناصة الذين انتشروا فوق العمارات السكنية العالية،

مشهد من حصار كنيسة المهد بمدينة بيت لحم (2002م)

وتم حصر المقاتلين الفلسطينيين في السوق المركزي، ولم يكن لديهم أي مخرج سوى مخرج واحد وهو درج السوق بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب المؤدي إلى ساحة كنيسة المهد حيث انسحب الأبطال إلى كنيسة المهد، حاملين معهم جراحهم حيث كان معهم العديد من المقاتلين المصابين، وبقيت جثث الشهداء على الأرض في ساحة السوق المركزي لعدم تمكن أحد من الاقتراب منها بسبب التواجد المكثف للقناصة الصهاينة، وكان الملاذ الوحيد لدى هؤلاء المقاتلين هو كنيسة المهد، ولما وصلوا وجدوا أن الأبواب مقفلة واضطروا حينها لإطلاق النار على الأقفال، وتمكنوا من دخولها، وكان عددهم حينها يقارب 200 مقاتل معظمهم من الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة ومن كافة الفصائل، وبدأ المقاتلون بالاستعداد لتنظيم وترتيب صفوفهم من جديد.

توزيع المقاتلين

لقد تم تقسيم الكنيسة إلى مناطق أمنية بحيث تتولى كل مجموعة من المقاتلين حماية منطقة معينة منها، وتم تقسيم هذه المجموعات حسب معرفة المقاتلين لبعضهم البعض وفي الأماكن السكنية، وكانت إحدى المجموعات تحرس وتحمي الباب الرئيسي للكنيسة، وأخرى في منطقة تمثال سيدنا الخضر أي في مدخل آخر للكنيسة، ومجموعة أخرى من الباب الذي يؤدي إلى فندق بيت لحم وأخرى على مدخل مغارة الحليب، وأخرى تحمي المنطقة الخلفية للكنيسة المطلة على منطقة السيدة، وهي منطقة مطلة على منحدر يوجد به حي السيدة والفندق الروسي الذي كان يتمركز عليه القناصة، وكان حينها المناضل أحمد مع هذه المجموعة.

نصب الكمائن

كان المقاتلون في داخل الكنيسة يقومون على نصب الكمائن للقوات الصهيونية، وذلك لأن تركيبة الكنيسة العمرانية صعبة جدًا وكبيرة المساحة، ولها مداخل متعددة والغرف والزوايا بها تضاريسها صعبة، وكان التخوف الكبير من محاولة تسلل الصهاينة من أعلى المباني أو عبر حفر الجدران، وكان لابد من عمل الكمائن، والكمين هو عبارة عن مجموعة صغيرة موثوق من عناصرها من المقاتلين الجريئين والشجعان يعرفون بعضهم البعض ويعلمون تفاصيل المنطقة التي يقومون بحمايتها، ولديهم خبرة عسكرية معقولة، وكانوا ينصبون الكمائن في ممر ما أو غرفة ما أو ساحة أو غير ذلك لمدة لا تقل عن ساعتين، والتوزيع يتناسب مع المكان دون علم أحد من الموجودين في داخل الكنيسة أو خارجها خاصة ليلًا، ثم تبدأ عملية التنقل من مكان إلى آخر لنصب الكمين،

مشهد من حصار كنيسة المهد بمدينة بيت لحم (2002م)

وكان تحركهم مصحوبًا بالحيطة والحذر الشديد، وقد يكون هذا الحدث هو الأهم في دفع الاحتلال لقبول التفاوض حيث بدأت هذه الحكاية عندما قام المجاهدون بنصب الكمين في منطقة تمثال سيدنا الخضر في الطابق العلوي الذي يحتوي مكتبًا لرجال الدين الذين يخدمون في الكنيسة، وهي منطقة مطرفة وشبه منفصلة عن الكنيسة، وكانت عبارة عن توسعة للكنيسة، وهي المبنى الذي يفصل ما بين المباني الرئيسية للكنيسة والفندق الملاصق لها حيث قامت قوة خاصة بالتسلل من خلال وضع سلالم على الجدار الخارجي في منطقة منخفضة وصعبة الرصد والصعود إلى سطح المبنى، ومجموعة أخرى بالدخول من خلال شباك صغير في الطابق الثاني القريب، والجدير بالذكر أن هذه المنطقة تؤدي إلى الصحن الداخلي للمبنى وهو عبارة عن ممر وكوريدور كبير يشرف على داخل الكنيسة وكاشف لها، وللعلم إن واجهة هذه البناية من الزجاج وبذلك يصبح التجمع الرئيسي للمقاتلين المتحصنين في مركز أو قلب الكنيسة تحت السيطرة وكلهم مكشوفون للقناصة الصهاينة؛ بمعنى أن القوة الصهيونية ستعلو رؤوس المجاهدين ليكونوا عرضة للنيران، وعندما بدأ الحدث كانت الساعة الثالثة فجرًا وأغلبية المقاتلين كانوا نائمين باستثناء من كانوا يقومون بواجب الحراسة والموزعين على المحاور الخاصة بهم، وقام أحد الشباب بالهمس في أذن المناضل أحمد بأن هناك قوة عسكرية تقوم بوضع سلالم في الخارج، ولم يعلم كيف هذا الشاب تمكن من الحصول على هذه المعلومة؛ لأن المكان كان صعبًا رصده، فخطر في باله أنه يمكن ضرب غاز ما، وكان بحوزتهم عدد معين من الأقنعة الواقية من الغازات، وقام بارتداء إحداها على الفور، وتم إيقاظ الشباب النائمين، وبدأ الكل يستعد للمعركة المجهولة، وبدأت القوة الصهيونية بإلقاء القنابل الدخانية من كافة المواقع لإرباك المقاتلون الفلسطينيين، وكان إطلاق النار لا يتوقف والمقاتلين يصدون الهجوم من كافة المحاور، وارتقى في ذلك اليوم الشهداء، ومنهم من يعمل في الأجهزة الأمنية، وسقط العديد من الجرحى، وجاءت الأخبار إلى مسامع المقاتلين بأن هناك قوة صهيونية محاصرة وقعت في كمين محكم لا تستطيع التقدم أو التراجع، فجن جنون العدو الصهيوني وبدؤوا بشن موجة عنيفة من إطلاق النار؛ لإنقاذ قوتهم المحاصرة مما أدى لاندلاع حريق في المبنى المذكور سابقًا، هذا المبنى يحوي ثروة علمية وتاريخية مهمة، وأثناء الاشتباكات الدائرة تم اجتماع بين مجموعة من المقاتلين لتقدير الموقف بعد اتضاح الصورة، وكان التقدير أن القوات الصهيونية تحاول الدخول لسحب قواتها وسحب الجرحى والقتلى من ميدان المعركة، وهذا سيؤدي إلى مجزرة ويمكن استخدام كل إمكانيات العدو، ولم يراعوا حرمة الكنيسة، وهم على استعداد تام لهدم الكنيسة على رؤوس المقاتلين، والأهم هو إخراج قواتهم بسلام تام، فما كان من المقاتلين إلا أن سمحوا للقوات الصهيونية بالتقدم من خلال ثغرات معينة تسحب قواتها، وفي نفس الوقت تمكن المحاصرون من إطفاء الحريق وإتاحة المجال أمام المجتمع الدولي وبلورة مخرج لهذه

الأزمة، وبالفعل نجحت هذه الوساطات الدولية والفاتيكان بإبرام اتفاق وقف إطلاق النار، وعندها تمكنت قوة من الدفاع المدني الفلسطيني من إخماد النيران المشتعلة في المبنى، ولما هدأت الأحوال توجه المناضل أحمد إلى موقع الكمين، وفي الطريق التقى مع المقاتلين، ومنهم الشهيد حسن الكوع ولقب بالكوع؛ لأنه اشتهر بصناعة الأكواع وهي عبارة عن أنبوب معدني محشو بمادة متفجرة مثل البارود ويتم إلقاؤها على العدو فتنفجر؛ فهي إذن أشبه بالقنبلة اليدوية، وأخبره حسن أن هناك مجموعة من الإخوة قد نصبوا كمينًا عشوائيًا في إحدى الغرف عند شعورهم بحركة غريبة على الجدار الخارجي وإذا بقوة صهيونية تدخل إلى الشباك الوحيد في الغرفة الذي لا يتجاوز عرضه مترًا ونصفًا وارتفاع نصف متر والقريب من سقف الغرفة، وبحسب وصف المجاهد حسن أن أحد المقاتلين كان يختبئ خلف خزانة كتب في نفس الغرفة واثنان من المقاتلين على جانبي مدخل الغرفة، وهما في وضعية الاستلقاء على الأرض مع وجود شيء يغطيهما للتمويه، وتبلغ مساحة الغرفة 4*5م، وبدأت عملية القوة الخاصة، وبدأ الجندي الأول ينزل بصعوبة حيث لم يكن يتوقع أن ارتفاع الشباك عن الأرض عال، فوقع على الأرض محدثًا صوتًا، وانتبه المقاتلون، ولكنهم قرروا التحرك، ثم دخل الجندي الثاني والثالث وكانوا من غير سلاح وعتاد وذلك لصعوبة دخولهم من الشباك الضيق مع كامل عتادهم، وبمساعدة بقية الجنود تمكنوا من تمرير السلاح والعتاد لهم عبر الشباك، وما أن بدأ الجنود بالتحرك حتى أعطى أحد المقاتلين إشارة لبدء الهجوم، وهي صوت انفجار قنبلة يدوية، وقام المقاتل الذي يتواجد خلف الخزانة بإسقاط القنبلة من فوق الخزانة، ومع صوت الانفجار بدأ المجاهدون بالتكبير وفتح النيران باتجاه القوة الخاصة، وتم قتل الجنود الثلاثة الصهاينة دون أن يتمكن أي جندي صهيوني من إطلاق رصاصة، وخرج الإخوة من حالة الكمين ووجهوا أسلحتهم باتجاه الشباك حيث ظنت القوة الخاصة التي حاولت الدخول من جديد عبر الشباك لإنقاذ الجنود أن المقاتلين قد غادروا المكان،

الأسير المناضل/ أحمد صلاح
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وما أن يحاول الجندي الصهيوني الدخول من الشباك يتكرر المشهد، وبقيت الحال على ذلك من الساعة الثالثة حتى الخامسة فجرًا، وبعد سماع هذه القصة واصل المناضل أحمد طريقه إلى ساحة المعركة علمًا أن المجاهد حسن قد استشهد بعد ذلك بثلاثة أيام، فلما وصل المناضل أحمد ومن معه إلى موقع المعركة وجدوا أربع قطع سلاح من نوع M16 قصيرة مع كامل التجهيزات من ليزر ونواظير ليلية وكشافات وذخيرة، وكانت من نوع دمدم، إضافة إلى 4 جعب و4 مسدسات جلوك و4 واقيات رصاص و4 خوذ بعضها مسكوبة بداخلها دماء، وقام حينها المناضل أحمد بأخذ خوذة كانت ملطخة بالدماء من الداخل للخارج، أي أن الإصابة كانت في الرأس بمعنى أن الرصاصة قد دخلت من منطقة الذقن واخترقت الرأس، وهذا يشير إلى أن إطلاق النار من مسافة لا تتجاوز مترًا أو مترًا ونصفًا، وكان سلاح الأبطال هو كلاشينكوف، وجمع كل هذا العتاد وأخذه معه، وكان مختومًا على كل شيء اسم وحدة دوفدفان أي القوات الخاصة، وكان ذلك في اليوم الثاني أو الثالث للحصار، وكل ذلك كان له الأثر الكبير في إعلاء همم الرجال والأبطال وأصبح المقاتلون يتسابقون على الحراسة ونصب الكمائن؛ لإيقاع الخسائر في الجيش في حالة اقتحامهم للكنيسة مرة أخرى لاسيما أنه في الأيام الأولى كانت تحركات المقاتلين مكشوفة، وكان الكثير من الحديث حول وجود إشاعات ومحاولات الإحباط وبث الفرقة وغير ذلك من الأعمال التي أثارت الشكوك، فتم الاتفاق بين قادة وكوادر المقاومة، ومنهم من أصحاب الرأي على جمع جميع الأجهزة الخلوية من كل المتواجدين في الكنيسة رغم صعوبة الاتصال بسبب التشويش من قبل الصهاينة، ومع ذلك كان هناك عدة نقاط يمكن من خلالها إجراء الاتصال وخاصة مع الإعلام وقيادة السلطة والجهات الدولية، وتبين أنه عندما تم جمع الأجهزة الخلوية فإن الإشاعات وحادثة الغرفة والإحباط وغيرها قد توقف، وأيقن القادة أن العدو الصهيوني له يد طويلة في الاضطرابات الداخلية، هذا الأمر جعل العدو يتخبط وفي حالة ضغط شديد فلجأ إلى أساليب منها إطلاق النار وإلقاء قنابل الدخان من جهات مختلفة وبشكل مستمر، والهدف هو جعل المقاومة الفلسطينية في الكنيسة في حالة إرهاق دائم، كذلك كانوا يطلقون أصواتًا مزعجة عبر مكبرات الصوت، وتارة أخرى يصدرون أصوات طرق كأن أحدًا ما يحفر في الأرض، وتارة أخرى ينادون عبر مكبرات الصوت على المقاتلين لتسليم أنفسهم كنوع من الحرب النفسية، والأهم أنهم كانوا عبر النداءات يقولون عليك الاتصال بأرقام كذا وكذا، وهذا الأمر أكد مخاوف القادة والكوادر والمقاتلين بأن هناك جواسيس زرعتهم القوات الصهيونية بين المقاتلين في الكنيسة ينقلون كل ما يجري في داخلها، لذلك تم قطع الاتصال بينهم وبين العدو، وأصيب بمقتل بسبب قلة المعلومات حيث إنه من المعروف أن مركب المعلومات الاستخباراتية والتكنولوجية هو مهم لإنجاح أي عمل عسكري ويزود العسكري بكل ما يلزم لتحقيق النصر من بنك الأهداف وعدد وعتاد الخصم وانتشار قواتهم وحركتهم واحتياطهم اللوجستي وحالتهم المعنوية،

وهذه الحالة دخلت بعد كمين القوات الصهيونية الخاصة، ومن المحاولات النوعية قامت القوات المحاصرة بجلب رافعة ضخمة كالتي تستخدم في بناء الأبراج السكنية وحملت هذه الرافعة غرفة إسمنتية محصنة وبداخلها قناصة صهاينة لكشف التحركات داخل الكنيسة، وشل حركة وقطع طرق الإمداد والتواصل ما بين المجموعات والأفراد داخل الكنيسة، وما إن رآهم المقاتلون حتى أمطروهم بالرصاص دون جدوى، وانتبهوا أن هذه الرافعة تعمل عن طريق الأنابيب عبر ضخ الزيت حيث إنها تعمل في نظام الهيدروليك وتم تعطيلها، وبقي الجنود القناصة محاصرين ومعلقين في الهواء ليلة كاملة حيث تم إنزالهم بصعوبة بالغة، ومن المحاولات أيضًا قيام جرافة صهيونية بحمل عدد من الجنود الصهاينة ورفعهم خلف السور الخارجي لسور الكنيسة المطل على الساحة الأمامية عند الباب الرئيسي، وكانت هذه الساحة من المواقع الإستراتيجية، وأيضًا فشلت محاولة الجرافة.

وفي هذه الأيام الصعبة والأليمة ومع طول الوقت والحصار وبروز مسألة الجوع والعطش والإرهاق الجسدي والنفسي كانت النتيجة أن أبرزت أبطالًا تميزوا بجهادهم وشدتهم وصبرهم وشجاعتهم وبطولاتهم، ومع اشتداد الضغط والمحاولات الصهيونية لعملية اختراق المقاتلين الفلسطينيين خاصة في المواجهات التي جرت في منطقة الساحة المؤدية إلى مغارة الحليب المطلة على منطقة وادي معالي خارج الكنيسة، ويوجد في هذه الساحة باب رئيسي حيث إن سقوط هذه الكنيسة يؤدي إلى السيطرة على 70٪ من الكنيسة في الداخل إضافة إلى أن السيطرة عليها تمنع الشباب الثائر المحاصرين من الذهاب للحمام ودورات المياه، وقد اشتدت محاولات الاحتلال المهاجمة على هذه المنطقة بعد حجز كمين القوات الخاصة وظهور حالة الإرهاق والتعب لاسيما أنه كان خارج هذه المنطقة منطاد مزود بأجهزة مراقبة، وبذلك كان أحمد حريصًا على أن يكوم مقنعًا، كما تعرف على الشهيد عبد الله داود أبو القاسم من نابلس الذي كان من مؤسسي الفهد الأسود في الانتفاضة الأولى حيث كان من بين الذين تم محاصرتهم في جامعة النجاح الوطنية من بداية التسعينات، وتم إبعاده إلى خارج فلسطين وعاد إلى أرض الوطن بعد دخول السلطة، وعمل مديرًا عامًا في المخابرات العامة، وتم قصف مكتبه في مطلع انتفاضة الأقصى وكان مطلوبًا للصهاينة، وفي حصار الكنيسة برز دوره القيادي المباشر في توزيع المقاتلين والأمن الداخلي والتخطيط ورفع معنويات المقاتلين والتنسيق مع الجهات المحلية والدولية في الخارج والتفاوض على فك الحصار.

وفي اليوم الـ 27 من الحصار اشتد الجوع وقام أحد المواطنين من خارج الكنيسة بالتسلل من سطح بيته القريب وألقى كيسًا من الطحين حيث جرت عدة محاولات لهذا بعضها فشل لصعوبة المكان، وقام حينها المناضل أحمد والمجموعة التي معه وعددهم 6 أفراد بعجن الدقيق وعملوا منه خبزًا ثم قليه بالزيت، وعندما تم تقديم قرص الخبز إلى عبد الله أبو داود رفض الأكل وقال إنه لن

يأكل طالما أن هناك إخوة له جياعًا حيث إن الكمية كانت لا تكفي لتوزيعها وتكرر منه هذا الموقف في أحداث مشابهة، وكانت بالفعل أحداث صعبة ومؤلمة، ولكن لابد من ذكرها للقارئ ليعلم حقيقة ما جرى داخل كنيسة المهد؛ فقد قرأ الناس سيرة الحبيب محمدﷺ وحصاره مع عائلته والمسلمين في شعب أبي طالب ومنعت عنهم قريش الطعام والشراب حتى أكل حينها الناس لحاء الشجر فكان هذا قبل 1400 عام، أما أن يتكرر في القرن الـ 21 فإن هذا أمر عجيب حيث إن المقاتلين أصابهم الجوع والعطش، وكان هذا في أول يوم من الحصار، كان طعامهم رغيفًا وعلبة تونة لكل 6 أفراد، ثم بدأت بعد ذلك قصة الجوع إلا اليسير جدًا حيث بين الفينة والأخرى يقوم المواطنون بإلقاء معلبات أو شيء من هذا القبيل يكاد يكفي المتواجدين داخل الكنيسة حتى إن ورق الشجر تم أكله، وهذا كان حال الأحياء أما الشهداء فتم وضعهم في سرداب في الساحة المذكورة سابقًا المؤدية إلى مغارة الحليب، وكان عددهم يقارب 5 شهداء وقد تم إخراجهم من الكنيسة بعد أسبوع من استشهادهم عبر تنسيق رجال الدين في الكنيسة ومحافظ بيت لحم محمد المدني، أما الجرحى فليس من السهل وجود جرحى محاصرين في منطقة صغيرة لا يوجد بها أدنى متطلبات الحياة والصمود والرعاية الصحية، هذا عدا عن الضغط النفسي على المقاتلين الذين هم بحاجة إلى كل مقاتل لتأمين الحماية حيث تم تعيين منهم لمساعدة الجرحى الذين ينزفون وبحاجة إلى الغذاء غير المتوفر وفي أي لحظة يمكن استشهاد أي جريح لاسيما بعد نزفهم للدماء، وكانت عملية إخراج الجرحى للمشفى صعبة جدًا حيث إن معظمهم مطلوبون للعدو وسيتم اعتقالهم، ولذلك ترك القرار للجريح نفسه، وذلك تم عبر الوساطة من رجال الدين وشخصيات من السلطة بعد 10 أيام من الحصار حيث قام رجال الدين في الكنيسة بإخراج الجرحى إلى الباب الخارجي واستلمهم الجنود الصهاينة، ومن هؤلاء الجرحى من تم التحقيق معه ونقله للمستشفيات، ومنهم من نقل للمشافي الصهيونية، ومنهم من ترك ينزف حتى الشهادة، ومن هؤلاء الشهداء الجرحى الشهيد عصام جوابرة حيث كان مصابًا في رجله وتم تركه ينزف حتى استشهد، وبعد هذه الحالة توقف إخراج الجرحى حتى تم إعطاء ضمانات وتصوير ووجود صحافة، وبعدها تم إخراج أكثر من 15 جريحًا.

لحظات الإصابة والاعتقال الأول

في تاريخ 2 مايو (أيار) كان الحصار في يومه الـ 30، وفي الساعة التاسعة صباحًا كان المناضل أحمد يتوضأ ويجهز نفسه فسمع صوت إطلاق نار من قناصة صهاينة فتوقع وجود إصابة في منطقة صعبة؛ لأنها مكشوفة للقناصة ويتطلب الوصول إلى الغرفة، وذهب المناضل أحمد لفحص تلك المنطقة فإذا به يتعرض لإطلاق نار من القناصة وأصيب في فخذه الأيمن برصاصة من نوع 250، وكان الألم شديدًا جدًا، ونظر من حوله فإذا بمصاب آخر اسمه محمد أبو عايد وهو من غزة، وكان هو المصاب

الـذي ذهـب إلى إنقـاذه وكان مصابًـا بيـده، وسـأله المناضـل أحمـد عـن حالتـه فأجابـه أنـه بخـير، وحـاول محمـد التحـرك قليـلًا فـإذا برصاصـة قنـاص حاقـد تخـترق طوبـة حجريـة وتدخـل في جسـم محمـد مـن جانـب الصـدر لتخـرج مـن جهـة أخـرى، ومـا هـي إلا لحظـات حتـى استشـهد محمـد، فـازداد الألم عـلى المناضـل أحمـد، ألم الإصابـة وألم شـهادة محمـد، وبـدأ يعـاني مـن الغيبوبـة، واجتمـع المقاتلـون مـن حولـه فقام أحدهـم وهـو المناضـل المبعـد إلى أوروبـا محمـد سـعيد مـن مخيـم الدهيشـة بالاتصـال بوالـدة المناضـل أحمـد، وأخبرهـا ألا تقلـق عليـه في حـال سـماعها في الأخبـار أنـه قـد استشـهد، وهـذا مـن أجـل الإعـلام فقـط حتـى تحـرك ملفهـم عـبر تحـرك جهـات دوليـة للضغـط عـلى القـوات الصهيونيـة، فطلبـت والـدة المناضـل الحديـث معـه، وكان لهـا ذلـك حيـث سـاورها الشـك والقلـق لاسـيما أنـه كان في حالـة صعبـة جـدًا مـا بـين اليقظـة والغيبوبـة، وأثنـاء المكالمـة وقـع مـن يـده جهـاز البلفـون ودخـل في غيبوبـة، ومـن ثـم بمسـاعدة مـن حولـه عـاد إلى وعيـه، وبعـد سـاعة ونصـف شـاء القـدر أن يخـرج الجريـح المناضـل أحمـد العـزة والشـهيد محمـد أبـو عايـد معًـا مـن الحصـار حيـث قـام رجـال الديـن بحملهـم وإخراجهـم إلى بـاب الكنيسـة الخارجـي، وتـم اعتقالـه ووضعـه داخـل ناقلـة الجنـد الصهيونيـة المدرعـة، وراودتـه فكـرة أن العـدو سـيقوم بإعدامـه فقـام عـلى الفـور ضابـط الشـاباك بالتحقيـق معـه داخـل الدبابـة، وكانـت الأسـئلة تـدور حـول عـدد المقاتلـين داخـل الكنيسـة ومـا هـو سـلاحهم؟ ومـا هـي أسـماؤهم؟.. الـخ، ولم يكـن يجيبـه بـشيء سـوى إصـدار صـوت الأنـين، وكان هنـاك حضـور للصحافـة وتـم تصويـره، وهـذا الفيديـو المصـور داخـل الدبابـة تـم إرسـاله إلى عائلتـه منـذ عامـين عـن طريـق صحفـي أمريكـي، ويعـد ذلـك تـم نقلـه إلى موقـع قبـة راحيـل أي مسـجد بـلال بـنربـاح، وهنـاك تـم نقلـه مـن الآليـة العسـكرية إلى سـيارة الإسـعاف وإلى مستشـفى هداسـا عين كارم، وهنـاك جـرت لـه عمليـة إخـراج الرصاصـة، وأخـبروه بعـد أن عـاد إليـه وعيـه أنـه تعـرض لعيارين ناريـين متفجريـن دخـلا مـن أعـلى الفخـذ وانفجـرا في الأمعـاء ووصلـت الشـظايا إلى أعـلى الرئتـين، وجـاءه بعدهـا ضابـط الشـاباك الصهيـوني يسـأله، فـأدرك المناضـل أحمـد أن هـذا الضابـط لا يعـرف عنـه شـيئًا حيـث إن اسـم الشـهرة لـه هـو أحمـد العـزة نسـبة لأخوالـه أمـا اسـمه في الوثائـق فهـو أحمـد صـلاح، وكل المعلومـات لـدى المخابـرات الصهيونيـة عـن أحمـد العـزة، فأنكـر ذلـك وأنكر أنه يعمـل في جهاز المخابرات الفلسـطينية، وقـال لهـم إنـه يعمـل موظفًا في شرطة السـياحة وسـبب دخولـه للكنيسـة هـو حـال مـن ضاقـت عليهـم الطـرق فلـم يجدوا سـوى الكنيسـة، وتحـرك الضابـط الصهيوني وأبقـى عنـده جنديـين للحراسـة، وفي ليلـة الثامـن مـن وجـوده في المستشـفى لاحـظ عـدم وجـود الحـراس ودخـل بعدهـا ثلاثـة مسـتوطنين وبـدأوا بالعبـث بالأجهـزة الموصولـة في جسـمه وهـو مكبـل مـن يديـه ورجليـه بالسرير ولا يقـوى عـلى فعـل شيء أو دفعهـم عنـه، فجـاءت إحـدى الممرضـات وكانـت عربيـة مـن سـكان أم الفحـم وقامـت بإخراجهـم مـن الغرفـة، وتـم تزويـده بـزر إنـذار في حـال تكـرر الحـادث مـرة أخـرى، وبالفعـل تكـرر نفـس الحـادث في اليـوم التـالي،

وبذلك تم نقله إلى غرفة أخرى ولوحده ولتشديد الحراسة عليه، وفي اليوم الخامس والعشرين لوجوده في المشفى جاءه ضابط شرطة ولديه أوراق وطلب منه التوقيع على إفادة جاهزة تدينه ببعض الأعمال ضد العدو الصهيوني فرفض ذلك؛ لأن كل الاعترافات هي على أحمد العزة واسمه أحمد صلاح، وبعدها بيوم جاءه ضابط من الشاباك ومعه قاض صهيوني ومترجم وتم إبلاغه أنه تم تحويله للاعتقال الإداري لمدة 3 شهور، وفي اليوم الـ 40 دخل ضابط الشاباك عليه وطلبوا من الطواقم الطبية إزالة الأجهزة الطبية عنه فرفض الأطباء ذلك، ووافقوا بعد أن وقع الشاباك على أوراق يتحملون فيه المسئولية، وتم نقله إلى سجن عوفر وتدهورت حالته الصحية من جديد لينتقل بعدها مرة أخرى إلى مشفى هداسا لمدة يومين، ثم تم نقله لمشفى الرملة، وبعد تحسن صحته تم نقله مرة أخرى لسجن عوفر وكانت محاولات كثيرة لإثبات أنه أحمد العزة، وبعد أن فشلت كل المحاولات والتي استمرت لمدة عام كامل تم الإفراج عنه بتاريخ 15 مايو (أيار) 2003م.

ما بعد الاعتقال

حاول جهاز الشاباك تتبع أخبار المناضل أحمد خارج السجون، فأرسل وسيطًا من أجل استدراجه ومعرفة إن كان يعمل ضد الاحتلال فتم كشف الجاسوس وسجنه لدى جهاز المخابرات الفلسطينية، وكان لابد حينها من الحذر الشديد واليقظة الدائمة، وبعد أيام من هذه الحادثة تم دعوة المناضل أحمد للاجتماع مع قادة كتائب شهداء الأقصى في بيت لحم، وكان هذا الاجتماع سرّيًا جدًا والهدف هو إعادة تنظيم صفوف الكتائب واحتواء العمل العسكري في مرحلة ما بعد الاجتياحات وما حصل نتيجة لذلك استشهاد مجموعة كبيرة من المقاومة واعتقال وإبعاد آخرين، بالإضافة لدخول مستجد جديد على الأرض يتمثل في المطاردة الساخنة خاصة في منطقة (أ) التي كانت تخضع للسلطة الفلسطينية، ولكن في هذه المرحلة كانت لمدينة بيت لحم ظروف خاصة واستثنائية تتمثل بإبرام اتفاق هدنة غير مكتوبة بين المطاردين والأجهزة الأمنية الفلسطينية من جهة والشاباك من جهة أخرى وبرعاية أطراف دولية، ونص الاتفاق على تواجد المطاردين في مناطق (أ) والامتناع عن حمل السلاح والتصدي للجيش الصهيوني ووقف نشاطاتهم، بينما يمتنع الجيش الصهيوني والشاباك من استهدافهم قتلًا أو أسرًا، وكان هذا الاتفاق أواخر عام 2002م، ولهذا جاء الاجتماع الثالث من أجل منع انهيار هذا الاتفاق واختراقه، وجرى عدة حوارات ونقاشات ساخنة حول الرد على أي خروقات صهيونية في حال اغتيال شخصية هامة أو ارتكاب مجزرة حتى لو كان ذلك في مكان آخر؛ لأن المناضل والمجاهد يدافع عن الكل الفلسطيني، وخرج مناضلنا أحمد من هذا الاجتماع وهو غير راضٍ عما جرى.

إحياء العمل العسكري رغم اتفاق الهدنة

بعد أن خرج مناضلنا أحمد من الاجتماع وهو غير راضٍ عما تم الاتفاق عليه توجه حينها إلى صديقه زاهر مقداد، وهو مناضل يعمل في جهاز

الأمـن الوطنـي وعمـل كمراسـل محافـظ بيـت لحـم، وكان مـن المجموعـة التـي تـم حصارهـا في الكنيسـة، وكان قـد تعـرف عليـه المناضـل أحمـد أثنـاء الحصـار وأصلـه مـن قطـاع غـزة، ويتمتـع بخـيرة عسـكرية وجـرأة ونفـس وطنـي عـالٍ، توجـه إلى هـذا المناضـل وطلـب منـه أن يبحـث لـه عـن قطعـة سـلاح يريـد أن يشـتريها، وهـذا كان لاختبـاره إن كان مسـتعدًا للعمـل العسـكري أم لا؟ وهـل هـو مـع الاتفـاق أم لا؟ فسـأله بعـد فـترة إن كان مسـتعدًا لإعـادة العمـل العسـكري إلى مـا كان عليـه، فوافـق وبـدأ البطـلان بالفعـل أحمـد وزاهـر يعملان معًـا رغـم أنهـما لا يملكان سـوى عـدة قطـع سـلاح بسـيطة، وتـم الاتفـاق عـلى هـدف وهـو اسـتهداف ضابـط الشـاباك المسـئول عـن مدينـة بيـت لحـم، واسـمه الحركـي الكابتـن عوفـر، وبعـد فـترة تـم التفكـير باتجـاه آخـر، فبـدلًا مـن إضاعـة الوقـت ومراقبـة ومتابعـة الكابتـن عوفـر تـم التوجه نحـو تنفيذ عمليـة استشـهادية في قلـب الكيـان الصهيـوني.

العملية الاستشهادية الأولى

اقـترح المجاهـد حلمـي همـاش أحـد أفـراد المجموعـة أن يحـضر لهـم استشـهاديًا، وهـذا الاستشـهادي يعمـل معـه في جهـاز الشرطـة، وأن هـذا الشـاب عـلى خلـق ودين، واسـمه عـلي جعـارة مـن سـكان مخيـم عايـدة، وبالصدفـة فإنـه في تلـك الفـترة توفيـت جـدة عـلي فاسـتغل المناضـلان أحمـد وحلمـي هـذا الحديـث وذهبـا إلى بيـت العـزاء لتعزيـة الشـاب عـلي جعـارة فوجـده المناضـل أحمـد شـابًا رائعًـا وخلوقًـا ومناسـبًا جـدًا للعمليـة الاستشـهادية، وبعـد عـدة أيـام توجـه إليـه المناضـل أحمـد وهـو يعمـل في جهـاز الشرطـة، وعـرض عليـه أن يعمـل في زرع العبـوات ونصـب الكمائـن للعـدو فأجابـه أنـه مسـتعد لأكثـر مـن ذلـك، وأنـه يكـون جاهـزًا لذلـك في حـال أن طلـب منـه، وبعـد الاجتـماع بالمجاهـد زاهـر تـم التخطيـط للعمليـة وتوزيـع المهـام بينهـما، وفي نفـس اليـوم تـم تجهيـز شـنطة المتفجـرات التـي سـيحملها معه الاستشـهادي في يـوم العمليـة، وكانـت مجموعـة مـن المجاهديـن تعمـل مـع المجاهـد زاهـر مقـداد دون علـم المناضـل أحمـد وهـم المجاهـدون الأبطال علي أبو هليل وعـز الديـن حمامـرة وحاتـم الأعـرج وأحمـد سـعد،

وكان لهـم دور مركـزي وهـام وأسـاسي وحيـوي فمنهـم مـن أحـضر مـواد خـام، ومنهـم مـن نقل المـواد، كل منهـم لـه دوره في التصنيـع وغيرهـا، ولكـن دون علمهـم بتفاصيـل هذه العمليـة. وبدأت الاسـتعدادات للعمليـة القادمـة حيـث اسـتلم المناضـل أحمـد شـنطة المتفجـرات حـوالي السـاعة 12 ليـلًا، وقـام البطـلان زاهـر وأحمـد بوضـع الشـبكة الكهربائيـة والشـظايا

في نفس الليلة، واستقل سيارته ومعه شنطة المتفجرات، وتزامنت تلك الليلة مع الليلة التي ارتكبت فيها القوات الصهيونية المجزرة الرهيبة في حي الزيتون في قطاع غزة بتاريخ 28 يناير (كانون الثاني) 2004م، وذهب حينها إلى الاستشهادي علي جعارة وكان حينها في جهاز الشرطة وأبلغه أن مهمته الجهادية هي تنفيذ عملية استشهادية، وأن عليه الخروج للعملية في الصباح الباكر، وطلب حينها الإذن بالذهاب للبيت لإلقاء النظرة الأخيرة وتوديع الأهل دون أن يشعروا بشيء، وهنا برزت المعضلة الحقيقية، هي من سيوصل الاستشهادي إلى موقع العملية في الداخل المحتل، ولكن تحت ضرورة الرد على مجزرة حي الزيتون بغزة بأسرع وقت التقى المناضل أحمد بصديقه المناضل محمد معالي، وهو صديق قديم له من نفس المخيم، وسبق أن قدم له مساعدة أثناء عمله الجهادي، فعرض عليه تقديم المساعدة في تهريب مطلوب إلى مدينة القدس، وكان حينها المناضل محمد معالي متزوجًا منذ فترة بسيطة وأبدى استعداده، وأبلغه المناضل أحمد أن هذا المطلوب يحمل سلاحًا فقال المناضل محمد معالي حتى لو كان معه متفجرات سأوصله حيث يريد، وتم تحديد الموعد وهو الساعة الخامسة فجرًا، وبالفعل اجتمعا الساعة الخامسة وتوجها إلى الاستشهادي علي جعارة فوجدا بانتظارهما، وهذا هو حال الاستشهاديين الذين عشقوا الجهاد والاستشهاد فهانت عليهم الدنيا، وكان حينها الاستشهادي يرتدي ملابسه العسكرية كي لا يثير أي شبهة، وتم أخذ الاستشهادي علي إلى موقع التصوير، وكانت الكاميرا معطلة فأصر حينها الاستشهادي علي على تنفيذ العملية بدون تصوير، وكتب وصيته بخط يده متوجهًا برسالة إلى شعبه وأهله ووطنه وأصحابه، وتوعد العدو على جرائمه وطلب أن يتم تسليم وثائقه وملابسه إلى أهله وأن يكون أهله أول من يعلم بهذه العملية، وكان هذا بعد أن صلى المجاهدون الفجر معًا، وحمل الاستشهادي بيده كتبًا حتى يظهر وكأنه طالب جامعي، وكان الهدف هو الدخول لمدينة القدس والصعود إلى حافلة صهيونية مليئة بالجنود، وإذا لم يتمكن فالهدف يكون الموقف الذي ينتظر به الجنود الحافلة، وبدأ المناضل أحمد يوصيه بعدم الحديث مع السائق، وأن يجلس بالقرب من مكان نزول الركاب، وبعدها تم التوجه إلى بيت المناضل أحمد، وكان هناك ينتظرهم محمد معالي، وخرجوا جميعًا إلى نقطة الانطلاق في موقف جامعة بيت لحم، وتم إعادة فحص الدائرة الكهربائية من جديد داخل السيارة، وتم توديع الإخوة، وانطلق الاستشهادي لمدينة القدس.

ولما أصبحت الساعة الثامنة صباحًا جاء على التلفاز الصهيوني خبر عاجل عن عملية في القدس داخل حافلة صهيونية، وكان منظر الحافلة مروعًا من أثر قوة الانفجار، وكان حينها المجاهد زاهر مقداد لا يعلم عن انطلاق العملية، وحاول الاستفسار عن المناضل أحمد إن كان له علاقة بالعملية أم لا؟! وهل هو نفس الاستشهادي أم لا؟ فكان حينها حذرًا بالإجابة، وبعد نصف ساعة من الخبر تم التواصل مع المناضل محمد معالي وأكد أنه

قد أنهى عمله، وأن الأمور بخير، ولكن بقي في حيرة حتى الساعة الواحدة أو الثانية ظهرًا، وذهب إلى بيت المناضل محمد معالي فوجده غارقًا في النوم فأيقظه، وبدأ يخبره عن التفاصيل وأنه بقي في الموقع حتى رأى الحافلة وهي تنفجر، وكانت الأشلاء تتناثر في كل مكان، ثم غادر المكان وعاد بسلام إلى بيته حامدًا شاكرًا الله -عز وجل- أن مكنه من الرد على مجزرة صهيونية بحق حي الزيتون بغزة، وتلقين العدو الدرس القاسي، وتم حينها الإعلان عن العملية باسم كتائب شهداء الأقصى بعد أن تم التأكد من عدد القتلى الصهاينة، وكان 11 قتيلًا غالبيتهم جنود صهاينة وحوالي 35 إصابة، وللعلم كان مكان الانفجار قريبًا من منزل رئيس الوزراء الهالك أرئيل شارون.

بدأ بعد هذه العملية مسلسل المزايدات على العمل العسكري، وأن هذا العمل يضر بالاتفاق الموقع مع العدو بشأن الهدنة والمطلوبين وأن ما حدث سيؤدي إلى مسلسل الاغتيال والاعتقال والمجازر، وكل ذلك لم يثنِ مناضلنا أحمد عن عزمه في مواصلة الجهاد والاستشهاد حيث بعد أسبوعين أو أكثر قليلًا قرر المجاهد بتاريخ 22 فبراير (شباط) 2004م التجهيز لعملية أخرى.

العملية الثانية

كان هذا العمل الاستشهادي مخالفًا لتوجهات حركة فتح لاسيما العمليات التي تنفذ في الداخل المحتل، وأنه لابد من التركيز على العمل في الأراضي المحتلة عام 1967م، ومع ذلك كان يوجد قلة قليلة معتبرة في حركة فتح تدعم التوجه للعمل العسكري في الداخل المحتل حيث كانت تلك الفترة حرجة جدًا حيث تم تنفيذ الاجتياحات في الضفة مما يعني عمليًا إنهاء اتفاق أوسلو، وأصبح هناك شيء جديد على الأرض، وتبنى العدو سياسة المطاردة الساخنة؛ لتصفية بقايا بؤر المقاومة الفلسطينية، فلم يكن من السهل التجهيز لعملية استشهادية أخرى؛ لأن هذا العمل بحاجة إلى بؤر آمنة يتم فيها تصنيع المتفجرات والتجهيز والتخطيط واللقاء وغير ذلك، إضافة أن المواصلات كانت مقطوعة، وتم قطع الطرق بين المدن وقراها ومخيماتها. وفي هذه الظروف قرر المناضل أحمد وبإصرار شديد تسديد ضربة أخرى تهز الكيان الصهيوني بعد أن ظن العدو أنه قد حقق نجاحات كبيرة في تصفية المقاومة عبر مسلسل الاغتيال والاعتقال المستمر، وأنه ظن أنه سيبدأ بفرض شروط الاستسلام على الشعب الفلسطيني، وكان لابد من لجم تمادي هذا العدو، وبدأ المناضل أحمد بالاتصال بالمجاهد زاهر مقداد، فعلم منه أن لديه استشهاديًا جاهزًا ومستعدًا لتنفيذ عملية استشهادية،

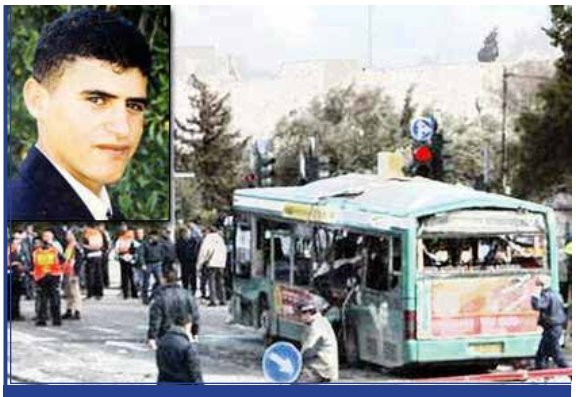

الاستشهادي البطل/ محمد زعول
استشهد بتاريخ 22/ 02/ 2002م

وكان هذا الاستشهادي البطل محمد زعول من قرية حوسان، ومنها بدأ العمل الحثيث لتجهيز كل ما يلزم من متفجرات وتصوير الاستشهادي، وتم وضع الخلفية باسم كتائب أيمن جودة، وهذا الاسم يخص مجموعة تابعة لحركة فتح نشطت في قطاع غزة، وكان الهدف من الإعلان هو توسيع العمل لإظهار أن عددًا من المجموعات العسكرية قد عادت ونظمت نفسها من جديد وأصبحت قادرة على تسديد ضربة قاتلة للعدو، وفي نفس الوقت فإن هذا الأمر يعزز الترابط في العمل العسكري بين الضفة وغزة، ومن ناحية أخرى فإن ذلك يجعل العدو يتخبط ويعيد حساباته من جديد، فما إن انتهت عملية تصوير الاستشهادي حتى تم إخراج العملية إلى حيز التنفيذ وبنفس أسلوب العملية الماضية، والذي قام بإيصال الاستشهادي هو نفسه المجاهد محمد معالي وتمت العملية في مدينة القدس وأدت إلى مقتل 9 صهاينة وإصابة أكثر من 50 مستوطنًا، وتصدر الخبر كل وسائل الإعلام، ونشر شريط التصوير للاستشهادي محمد زعول وهو يلقي الوصية ويؤكد نيته الخروج إلى ميدان المعركة لتنفيذ عملية بطولية نصرة لشعب فلسطين ومقدساته وانتصارًا لدماء شهداء فلسطين، وكانت هذه العملية قد تركت أثرًا كبيرًا في نفوس الجماهير الفلسطينية ورفعت من المعنويات وحطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وتم قهره من أبطال فلسطين أمثال الاستشهاديين علي جعارة ومحمد زعول، وكانت هذه العملية بمناسبة التطور العسكري الذي وصلت إليه كتائب شهداء الأقصى، وعلى أثرها قام المجاهد زاهر بالاجتماع بمجموعة من الإخوة لم يكن بينهم المناضل أحمد، وناقشوا خطة جديدة لتنفيذ عملية خطف حافلة صهيونية وإدخالها إلى مدينة بيت لحم في منطقة الكنيسة، والتحصن بها وزرع العبوات الناسفة في كل مكان، والهدف هو الوصول إلى صفقة لإطلاق سراح الأسرى، وكان التنفيذ والتخطيط لهذه المهمة عبر إدخال مجاهدين واستشهاديين أحدهما يحمل شنطة متفجرة والثاني مسلح، ومن ثم إجبار الحافلة على اتباع تعليمات المجاهدين، وأي خلل سيتم تفجير الحافلة، وقبل تنفيذ هذه العملية بيومين تم اعتقال المجموعة التي ستنفذ هذه العملية بالإضافة إلى من حضر الاجتماع المذكور سابقًا، وبعد يومين تم اعتقال المناضل أحمد.

عملية الاعتقال

في يوم 8 مارس (آذار) 2004م تم اعتقال المناضل أحمد حيث في الساعة الرابعة عصرًا تم محاصرة البيت من قبل القوات الخاصة الصهيونية، وحضرت تعزيزات صهيونية وتم إطلاق النار وبشكل مكثف باتجاه منزله ولمدة ساعة لإرهاب النساء والأطفال في البيت والبيوت المجاورة، وتم اعتقال المناضل أحمد ونقله إلى تحقيق المسكوبية وتقديم الاعترافات والأدلة ضده بسبب اعترافات سابقة، وكان أسلوب التحقيق معه يتركز على المواجهة مع بعض أفراد الخلية بسبب عدم التعاطي مع المحققين وعدم النوم، وتم التركيز على وجود المحققين على مدار الساعة ودون كلل أو ملل، وهذا

الأسلوب نفسي أكثر منه جسديًا، وكان أصعبها أن يتواجه مع أفراد الخلية وهو لا يعترف بهم أو باعترافاتهم، لكن الأدلة والاعترافات أدت لإكمال الملف وإن كانت بالنسبة للمناضل أحمد تجربة جديدة؛

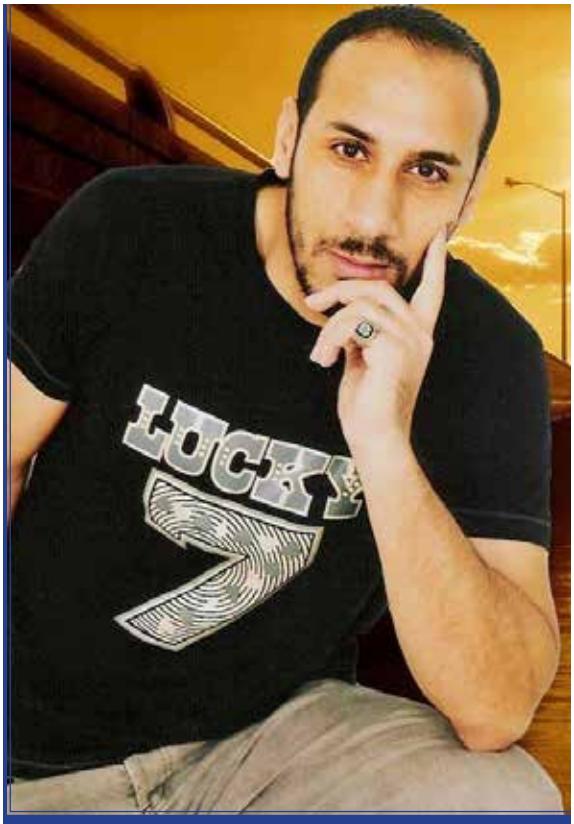

الأسير المناضل/ أحمد صلاح
في سجن "ريمون" الصهيوني (2018م)

لأنه قضى سنوات في تحقيق الظاهرية وكان التحقيق معه جسديًا، ولكن لم يكن له أي اعتراف أو أي شيء يواجهه به أو الاعتراف وجهًا لوجه، وكذلك المطلوب من أي معتقل فلسطيني هو عدم التعاطي مع أي اعتراف أو أي مواجهة مع أي إنسان في التحقيق وحتى لو كان أباه، وعدم التعاطي مع أي محقق مهما كان الثمن، وعليك الخروج من التحقيق وأنت لم تذكر كلمة واحدة، وأنت لا تعرف سوى نفسك في هذا التحقيق، وحاول المناضل أحمد تخفيف الأضرار بقدر الإمكان، ولكن دون جدوى حيث حكم عليه بالحكم المؤبد 21 مرة بالإضافة لعشر سنوات، وباقي المجموعة حكم عليها بما يقارب ذلك، وبدأت رحلة الألم والمعاناة عبر البوسطات والتنقلات من سجن إلى آخر مصحوبة بمعاناة أخرى هي حرمان عائلته من الزيارة، فخاض الإضرابات المتعددة في داخل السجون، ووقف إلى جانب إخوانه المناضلين في كل المراحل الثورية والنضالية في مواجهة السجان، ورغم حالة الحزن التي أصابت المناضل أحمد عندما توفيت والدته الحنونة، ثم جده ولم يبق سوى أخته في هذه الدنيا، وكان عزاؤه الوحيد في هذه المصائب هو أن الوطن أكبر من كل المعاناة والموت والقهر والمصائب، فهل حركة فتح وقادتها وكوادرها سيبقون الأوفياء لهذا المناضل الكبير أحمد الذي كان قد رسم لوحة نضالية مشرّفة في تاريخ حركة فتح أضيفت في سجلها الحافل بالتضحيات والانتصارات والعز والمجد؟!

الأسير المجاهد

أشرف نظمي محمد قيسي

مجاهدٌ أقبل على الله تاركًا متاع الدنيا

تاريخ الميلاد: 1978/09/20م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة باقة الغربية – الداخل المحتل

عدد أفراد العائلة: 7

تاريخ الاعتقال: 2005/02/26م

الحكم: 5 مؤبدات و20 عامًا

نروي اليوم حكاية أحد الأبطال المجاهدين من سكان الأرض المحتلة عام 1948م؛ تلك الأرض التي حلت بها النكبة والكارثة على يد الغدر الصهيوني والعصابات الإجرامية، في الوقت الذي كان العالم قد خرج من الحرب العالمية الثانية تحت شعار مهم (ولد حيًا) وهو مبدأ تقرير المصير حيث ثبت أنه في صراع شعوب العالم الثالث ضد الاستعمار والاستيطان يكتسب مبدأ تقرير المصير قيمة وأهمية رغم أنه لا يضمن إقامة دولة حديثة ذات مؤسسات حديثة، ولكن من ناحية أخرى عالمية هذا المبدأ حولته إلى أداة دولية للتحرك، مما أدى إلى أن تتجاهل الحركة الصهيونية حق تقرير المصير، واعتمدت على ادعاءات توراتية تاريخية لا تنفي حقوق الفلسطينيين فحسب؛ بل تستبدل تاريخ أرض فلسطين متعدد الحضارات والطبقات، ولذلك قام العدو الصهيوني بشطب طريق الاحتلال لفلسطين عبر دباباته وعصاباته الإجرامية المتمثلة بـ (الهاغانا والليخي والإيتسل) وغيرها، عبر سياسة القتل والتدمير بالمجزرة والمصادرة، بالإضافة إلى احتلال "الأعصاب"، مما يجعل الفلسطيني يفكر أن هذا العدو يسير تحت مسامات جلده ولا يمكن

الانفكاك عنه، فكانت تلك الممارسات قد جعلت المواطن الفلسطيني في الأرض المحتلة أكثر وعيًا وأكثر عنفوانًا وأكثر رشدًا وإصرارًا على الحرية والخلاص والانعتاق من ظلم الاحتلال.

صمود رغمًا عن أنف اليهود

ومن هنا برزت قصة مجاهدنا البطل أشرف قيسي، وقصة معاناة أهله التي هاجرت هجرة داخلية في عام 1948م من قرية عرب المفجر بالقرب من قيساريا حتى اضطرت إلى ترك قريتها وترك ما لم يقدروا على حمله معهم، وساروا إلى ثلاثة مناطق وهي: كفر قرع والخضيرة وباقة الغربية، وأما عائلة المجاهد أشرف فقد تنقلت من قرية عرب المفجر إلى الخضيرة واستقر بها الحال في بلدة باقة الغربية،

من آثار قرية عرب المفجّر المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

ولم يكن لهذه العائلة في بداية هجرتها الداخلية سوى أن تفترش الأرض وتلتحف السماء، وضاعف أبناء هذه العائلة من قدراتهم العملية وعملوا بجدٍ واجتهاد في كل مجال من أجل إعالة عائلاتهم وأبنائهم، وتمكنت من الوقوف على قدميها من جديد، ومثلت تحدّيًا صارخًا لسياسة المحتل، فصمود هذه العائلة شكل صفعة للمشروع الاستيطاني الاحتلالي، فلم تكن الحاجة إلى المال والطعام والشراب تجعلهم يرضخون ويستسلمون لظروف الاحتلال الصهيوني الجديد للأرض والإنسان، وبدأت هذه العائلة بالامتداد والاتساع والتكاثر.

النشأة

عمل والد المجاهد أشرف إلى جانب التعليم في إحدى الشركات التي تشرف على الحفريات وتزفيت الشوارع ليتمكن من توفير احتياجات عائلته بشرف وكرامة، وليرزقه الله ولده الذكر الأول الذي أسماه أشرف ليكون رمزًا للشرف والإباء في قابل الأيام القادمة، فعاش هذا الطفل فترة طويلة في ظل دفء عائلته وأقربائه لينعم بينهم بالحب والأمل والتفاؤل، فكانت طفولته جميلة، ورغم طفولته كان مشاكسًا ودائم الحركة ولا يعرف طعمًا للهدوء أو النوم أو الراحة، مما جعل هذه الصفات ملازمة في حياته وإن حملت في بدايتها معاني سلبية، ومع ذلك تمكن من التربع على عرش قلوب أبناء عائلته والأساتذة والطلبة حيث درس جميع مراحل الدراسة من الأساسية إلى الابتدائية إلى الثانوية،

وأثناء فترة دراسته في مدارس باقة الغربية تمكن من الاجتماع بأبناء عمه من الذين يسكنون في مدينة الخضيرة، فبعدما قام المحتل بتهجيرهم وتفرقتهم عن بعضهم إلّا أنّ الأيام قد جمعت أبناءهم في مدرسة واحدة، ليعطي ذلك شيئًا من الأمل، أنه مهما كان هناك من محاولات لطمس الحقائق والسياسة والتهجير إلّا أّن القدر له سياسة أخرى، وهو جمع الأحداث وتصويب العقول نحو هدف ثانٍ، وهو أننا عائدون إلى المكان الذي تم تدميره وتهجير أهله منه، ومع ذلك بقي والد المجاهد أشرف متواصلًا مع مدينة الخضيرة المحتلة عبر دكان للخضرة يملكه في حارة (النبي حاييم)، رغم عدم حاجته إلى المال ليرسل رسالة إلى أبناءه بالتمسك بكل شيء من الأرض وعدم التفريط فيها مهما كان الثمن، كيف لا يعلم أبنائه تلك المعاني وهو أستاذ للغة العربية ويربي الأجيال ويعلي من شأنهم؟!، ولأنه يدرك بأن العلم سلاح فعال لمواجهة الأفكار الصهيونية ومشروعهم الاستعماري؛ أنشأ جيلًا فلسطينيًا متعلمًا قادرًا على تشكيل قوة وعي جمعي يحافظ على الرواية التاريخية للقضية الفلسطينية، ويفند الأفكار والروايات الكاذبة والمضللة والرأي العام وللتاريخ، فهكذا علم أبناءه تاريخهم وأصلهم وجذورهم، كي لا ينسوا في يوم من الأيام ذلك اليوم الذي تم فيه تهجير العائلة من أرضهم ومائهم وهوائهم وأملاكهم في قرية عرب المفجر، فروايتهم التاريخية الشفهية هذه لأبنائهم سدت مكان الفراغ الموجود في التعليم المدرسي والمنهجي الذي يخلو من أي ذكر لما حدث في النكبة عام 1948م، وأي ذكر لأي أمل في العودة، وهذا لا ينفي وجود أساتذة وطنيين كانوا يتحملون المسؤولية تجاه وطنهم وشعبهم وتلاميذهم، فسعوا دومًا لإشراك الطلاب في كل ذكرى ومناسبة تاريخية ووطنية كذكرى يوم الأرض الخالد، وذكرى استشهاد القائد الفتحاوي الكبير (أبو جهاد)، وذكرى النكبة وغيرها من المناسبات، مما ولد الدافع لدى المجاهد أشرف من حب الفضول لمعرفة كل شيء عن وطنه وعن قضيته وعن المدن الفلسطينية المهجرة التي أصبح معظمها إما مدمرًا أو مقامًا على أرضها مستوطنة أو مصنع أو مؤسسة صهيونية، فقرية مجاهدنا أشرف وهي قرية عرب المفجر قد أقيم على أنقاضها محطة للكهرباء، وأقيم بقربها مستوطنة تم تسميتها (حتسيفا) يسكنها اليهود من أصل عربي يمني.

المشاركة في نشاطات الحركة الإسلامية

من هنا أصرت الحركة الإسلامية في الداخل المحتل على إطلاق حملات متعددة لربط المواطن الفلسطيني بتاريخه وأرضه ومدنه وقراه المهجرة والأهم بمسجده الأقصى، وكان حينها مجاهدنا أشرف يتوجه لحضور هذه النشاطات والمهرجانات والاحتفالات الدينية والوطنية، ورغم أن الدنيا خاصة في داخل الأراضي المحتلة، وفي ظل الانفتاح الشديد وفي ظل محاولة المحتل أسرلة المجتمع الفلسطيني في الداخل المحتل، وطمس ثقافة الشباب الفلسطيني والعمل على إفراغ محتواه الديني والثقافي والوطني عبر سلسلة من الإغراءات المادية والثقافية والجنسية وغيرها؛ إلا أن أسيرنا أشرف

وإن جذبته الدنيا إلى حضنها قليلًا سرعان ما يعود لتصحيح مساره وحياته من جديد، فلم يكن ليقبل أن ينام ليلته دون أن ينام إلا على وضوء أو يقرأ القرآن، وهذا يدلل على هداية قلب هذا المجاهد، فحاول كثيرًا التوازن ما بين دراسته وصلاته وعمله حيث كان يعمل إلى جانب عائلته في مجال عملهم الخاص، وهو ومجال الحفريات ولاسيما أنه أنهى 12 سنة دراسية، فلم يرغب بالتوجه نحو الجامعة لمعرفته المسبقة أنه مهما حصل على شهادة عليا فإن أمامه مصيرًا مجهولًا، لن يمكنه العمل بها لتحكم الشاباك الصهيوني في هذا الأمر؛ فلذلك توجه مباشرة نحو العمل في مجال الحفريات ليستمر العمل بمجال الحفريات إلى حين اندلاع انتفاضة الأقصى في عام 2000م، التي جاءت بعفوية جماهيرية كرد فعل على مذبحة الأقصى يوم الجمعة 28/ 09/ 2000م، وعلى استفزاز شارون في اليوم الذي سبقه مما جعل الجماهير الفلسطينية في الداخل المحتل في أكتوبر (تشرين أول) من عام 2000م تهب بالتضامن مع الانتفاضة الفلسطينية.

المجرم الصهيوني شارون خلال اقتحامه باحات المسجد الأقصى (2000م)

مما أدى إلى قيام الشرطة الصهيونية بارتكاب تلك المجازر الإجرامية بحقهم والتي أدت إلى استشهاد 13 شابًا فلسطينيًا، مما أدى إلى تسليط الضوء على مسألة المواطنين الفلسطينيين في الداخل المحتل وعلاقتهم بما يسمى الدولة الإسرائيلية من حيث الحقوق والواجبات والمواطنة، فازداد الوعي الجمعي لدى الفلسطينيين في الداخل المحتل حول العنصرية والتمييز الذي يمارس عليهم من قبل العدو، مما جعلهم يتمسكون بعدم التراجع عن المواقف السياسية والوطنية المبدئية وبحق الشعب في مقاومة المحتل فكانت حادثة استشهاد هؤلاء الأبطال في الداخل المحتل، فتحركت المشاعر الوطنية والثورية الرافضة لسياسة التمييز والعنصرية بحقهم، فأضحى اهتمام الشباب الفلسطيني بدلًا من الانجذاب نحو الملذات والمجون يتحول نحو الاهتمام بما يجري في الشارع الفلسطيني، وكان المجاهد أشرف يتألم كلما حدثت مجزرة أو قتل للفلسطينيين، وكان يشعر بأن يديه مقيدتان ولا يملك سوى الدعاء في ظهر الغيب لهم، فاستمرت الانتفاضة الفلسطينية ما بين الصعود والهبوط في أعمال المقاومة ليأتي العام 2005م الذي كان صعبًا ومؤلمًا على الشعب الفلسطيني، وأشبه ما يكون ما واقعًا بين المطرقة والسندان، ما بين العمل باستمرار الكفاح المسلح وما بين الخضوع للشروط الأمريكية والصهيونية للعودة إلى طاولة المفاوضات لترميم ما تبقى من العملية السلمية وأسلوب جديد ما بين الترغيب والترهيب، وكان الشعب الفلسطيني في ذلك الوقت قد وصل إلى حالة من التعب الحقيقي

لشدة ما يمارسه العدو من أساليب القمع الإجرامي بحق الشعب الفلسطيني، فهذا العام كان المنعطف الخطير في حياة المجاهد أشرف.

نشأة العلاقة مع سرايا القدس

بدأت حكاية مجاهدنا أشرف الجهادية عندما كان في العام 2005م يعمل لدى أحد سكان باقة الغربية في مجال الحفريات، وإذا به يتعرف هناك على مجموعة من الشباب العمال الفلسطينيين من الضفة الغربية وبعضهم من مدينة نابلس وطولكرم، وقال أحدهم إنه يملك جرافة ويريد أن يرسلها بأمان إلى طولكرم ويبحث عمن يساعده في هذا الأمر حيث سمع المجاهد أشرف بهذا الكلام وتوجه إليه أحد العمال وقال المجاهد أشرف بأن هناك من يمكنه تقديم المساعدة في هذا الأمر، وهو من سكان طولكرم، وأعطاه رقم هاتفه وقرر المجاهد أشرف حينها مساعدة ذلك الرجل صاحب الجرافة، وبدأ يتصل بصاحب الرقم وكان صاحبه هو أحد قادة سرايا القدس في طولكرم، ولم يكن حينها يعلم بذلك، والتقى به عدة مرات ودار بينهما نقاش وحوار طويل وعميق، وفي كل مرة ما إن يطلب المجاهد الشهيد نضال أبو سعدة من المجاهد أشرف شيئًا إلا ويتم إحضاره حيث قام المجاهد أشرف بإحضار قطعة سلاح من نوع (M16) وكذلك ذخيرة ونواظير ليلية وغيرها من الأمور المادية واللوجستية إلى أن جاء الدور الهام وهو إيصال استشهادي إلى داخل الأرض المحتلة، وكون المجاهد أشرف من سكان الـ48 وهو يعلم كل شيء عن الطرقات والشوارع والقرى والبلدات والدخول والخروج، يعرف كل شيء عن كافة الأماكن، وعن أماكن تواجد السهرات الليلية للصهاينة وأماكن تجمعهم، ويستطيع أن يختار الهدف الذي يريد بسهولة،

الشهيد القائد/ نضال أبو سعدة
استشهد بتاريخ 31/ 01/ 2006م

مع ذلك حينما عرض عليه هذا الأمر تم رفضه وقال بأنه يستطيع تقديم أي مساعدة مهما كانت باستثناء إيصال الاستشهاديين لما يترتب عليها من عواقب جمة مثل الاعتقال، ومن ثم عقد عدة لقاءات لاحقة بنفس الموضوع، وتم الرفض مجددًا من قبل المجاهد أشرف إلى أن تم عقد اجتماع ما بين المجاهد أشرف وبين المجاهدين القائدين لؤي السعدي وجميل جعار في طولكرم في منطقة علار في أرض زراعية مزروعة بالزيتون في ظل حراسة مشددة من قبل أبناء سرايا القدس، فعلم حينها المجاهد أشرف أنه يجلس مع قادة عسكريين مهمين وأصحاب صلاحية مطلقة، ومع ذلك في أول اجتماع بهم قال لهم انه لا يمكن أن يلبي طلبه هذا ويخاف من مسألة كشف الموضوع لاسيما أن العدو المتربص ينتشر في كل مكان والشاباك الصهيوني يكرس

كل جهده عبر الجواسيس للوصول إلى مسؤولي الأجنحة العسكرية لإحباط العمليات العسكرية والاستشهادية، وفي الاجتماع الثاني مع هؤلاء القادة الشهداء وافق المجاهد أشرف بعد إلحاح شديد من قبلهم وبوعد مطلق بأن لا يعلم أحد بهذه المهمة الخطيرة وبأن يبقى هذا الأمر محل سرية تامة ما أمكن ذلك، وكان له شرط حينها وقال له المجاهدان لؤي وجميل بأنهما موافقان على شرطه وهو أنه في حال إيصال الاستشهادي للمكان المطلوب وتنفيذ العملية ونجاح الأمر ولم يحدث أي عواقب فحينها لا يريد منهما أي مقابل على الإطلاق، ولكن في حال قدر الله أن يتم اعتقاله لسبب أو آخر فعليهما أن يقدمان مساعدة مالية له من أجل توقيف محامٍ جيد للدفاع عنه وتخفيف الحكم عليه، واتفق المجاهد لؤي مع المجاهد أشرف على أن يكون جاهزًا في حال تقرر موعد العملية ليأتي ذلك اليوم الذي كانت تنتظره قيادة سرايا القدس في طولكرم.

ما عند الله خير وأبقى

حيث في شهر فبراير (شباط) من العام 2005م بينما كان المجاهد أشرف في زيارة خطيبته في أم الفحم حيث كان يعد ليوم زفافه في شهر يونيو (حزيران) في نفس العام، وبينما هم في حالة فرح وسرور في حضرة خطيبته فإذا به يطلب الإذن بالخروج حيث كان على موعد مسبق مع هؤلاء الأبطال المجاهدين لؤي وجميل ونضال ومع الاستشهادي عبد الله بدران، فودع خطيبته على أمل اللقاء بها من جديد بعد إنهاء مهمته الجهادية، فهذه مهمة المهمات ولا يمكن أن يقبل عليها إلا من كان قلبه مليئًا بالإيمان، ومفعمًا بالأمل والخلاص من المحتل ويملك جرأة لا يحدها شيء، ففي هذه الليلة ستجتمع أمام عيني المجاهد أشرف كل الصور والتسجيلات والأعمال الإجرامية التي تم ارتكابها بحق الشعب الفلسطيني من قتل وتشريد ودمار وإبعاد ومصادرة للأملاك والأرض وقوانين عنصرية والتمييز بحقهم؛ ليثأر من هذا العدو المجرم عبر هذه المهمة الجهادية التي سيقوم بها ليحدد الموعد وهو الساعة 10 ليلًا ليكون الاستشهادي عبد الله بدران في جهوزية تامة بعد قيام المجاهدين لؤي وجميل ونضال أبو سعدة وأفراد مجموعتهم بتجهيز الحزام، وإعداد كل ما يلزم لهذه العملية سواء الأمور اللوجستية أو المادية أو عبر تصوير شريط فيديو للشهيد عبد الله بدران ليتلو وصيته للأمة والشعب ليقوم شقيق المجاهد الشهيد جميل جعار وهو المجاهد الأسير جمال بإيصال الاستشهادي عبد الله إلى مكان ما في منطقة باقة الغربية تحيطه أشجار مثمرة من الحمضيات والخوخ بعيدًا عن أنظار الناس وينتظر مع الاستشهادي قدوم الفارس البطل أشرف.

التقدم نحو الهدف

ما إن وصل المجاهد أشرف إلى المكان حتى أسرع عبد الله للخروج من بين الأشجار متوجهًا نحو سيارة المجاهد أشرف ليركب معه في سيارته متوكلين على الله ـعز وجلـ وفي ظل دعوات المجاهدين بأن يوفق الله ـعز وجلـ

الاستشهادي عبد الله وأن يوفق الله المجاهد أشرف لإيصاله للهدف بأمن وسلام ودون أن يتعرض لمكروه، وسار البطلان بالسيارة نحو الهدف لينظر الاستشهادي من نوافذ السيارة ليشاهد المشاهد الأخيرة للأرض الفلسطينية التي سرقها المجرمون الصهاينة، ولسان حاله يقول لها ويخاطب أشجارها وزيتونها وليمونها، ويقسم لها بالله العلي العظيم بأنه سيكون أشلاءً بعد قليل ليروي بدمه هذه الأرض لينبت منها أشجار الحرية والأمل، وليكتب بالدم النازف والأشلاء المتناثرة بأن فلسطين إسلامية عربية وستبقى كذلك، وكلما مر بشارع أو ببلدة ومدينة لسان حاله يقول: "بحزن وأسى عميق سامحيني يا بلدي سامحيني يا يافا ويا حيفا ويا عكا ويا طبريا ويا كفر قاسم سامحني يا وطني المغبون، وليس بوسعي أن أصحي الضمير الإسلامي والعربي، وليس بوسعي أن أجمع المجاهدين من كل أنحاء العالم من أجل تحرير الوطن، ولكن بوسعي أن أضحي بروحي لتحيا أمتي بأمنٍ وسلام وحرية وأمل، بفجرٍ مشرق وجميل"، وبينما هما في الطريق وإذا بالجيش الصهيوني يقيم حاجزًا على طريق نتانيا تل أبيب، فظن المجاهد أشرف بأن أمر العملية قد كشف وأنهم يبحثون عنهما، وطلب حينها من الاستشهادي عبد الله بأن يقوم بسياقة السيارة لوحده ليكون جاهزًا لتنفيذ العملية، في حال ثبت أن الجنود الصهاينة على الحاجز يبحثون عنه ليتفاجأ حينها المجاهد أشرف أن الاستشهادي عبد الله لا يعرف أن يسوق، ولم يسبق له أن ساق سيارة في الماضي، فما كان أمام المجاهد أشرف إلا أمران، أما الأول فالعودة وعدم تنفيذ العملية، والثاني الاستمرار في المسير وعدم التراجع وإن أدى ذلك إلى ما لم يكن بالحسبان، فتوكل المجاهدان على الله وعقدا العزم على التقدم ليكون لهم مخرج من الله ـعز وجلـ وهو خيرُ حافظًا وهو أرحم الراحمين، فما أن وصل المجاهدان بسيارتهما بالقرب من الحاجز الصهيوني، فإذا بالجنود الصهاينة يطلبون من السيارات التقدم وعدم الوقوف على الحاجز، فعلما أن معية الله معهما، فيكف لا تكون معهما وقد خرج الاستشهادي عاقدًا النية على أن يضحي بنفسه وماله من أجل الله وفي سبيل الله، ثم من أجل حرية الوطن وأبنائه؟! كيف لا وقد أصر المجاهد أشرف الذي بقي على زواجه أقل من أربعة أشهر ترك خطيبته وماله وكل ما يملك خلفه من أجل القيام بهذه المهمة المقدسة وهي إيصال الاستشهادي إلى مكان العملية؟، ليصلا بسلام إلى شاطئ تل أبيب، ولينزل الاستشهادي من السيارة وقد عانقت روحه روح أخيه المجاهد أشرف، وبدأ الاستشهادي عبد الله بالتقدم، وكان يرتدي حزامًا ناسفًا بالإضافة إلى طاقية سوداء ألبسه إياها المجاهد أشرف قيسي بعد أن كان يضع على رأسه طاقية مكتوبًا عليها بالعربي، وألبسه أيضًا جاكيتًا كان يرتديه سائق الدراجات النارية، وكل ذلك حتى لا يثير الشك من قبل المستوطنين الصهاينة، وكان المجاهد أشرف قد اتفق مع الاستشهادي أن يستمر بالسير على قدميه وأن يجلس على مقعد بالقرب من المكان الذي سيتم استهدافه وهو الملهى الليلي، وينتظر بضع دقائق ليتمكن المجاهد أشرف من الخروج بسلام من تلك

المنطقة، وفي نفس الوقت قام الاستشهادي بإخراج مبلغ من جيبه عبارة عن 50 شيكلًا وطلب من أخيه المجاهد أشرف أن يأخذها ويتبرع بها لمن هو بحاجة إليها، ليكتب الله له في صحيفته يوم القيامة أنه قد ضحى بروحه وجسده وماله ليصدق فيه قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

أول عملية استشهادية نفذتها مجموعة الشهيد لؤي السعدي

ما أن خرج المجاهد أشرف من المكان حتى أسرع المجاهد عبد الله بدران نحو الهدف الصهيوني متسلحًا بإيمانه بالله ـعز وجلـ وبعدالة قضيته، مؤكدًا لكل الأحرار وشرفاء العالم وللأقلام الحرة والصادقة وللضمائر الحية في كل مكان أن المجاهد الفلسطيني يحب الحياة وينعم بها، كما يحبها الآخرون، ولا يقدس ثقافة الموت ويأخذ من الدنيا ويتزود منها للآخرة، ولكن مع هذا العدو الصهيوني الذي لا يرحم شيخًا ولا طفلًا ولا امرأة ولا أمًا، والذي سياسته القتل والهلاك والدمار دون أن يتردد، جعل المجاهد الفلسطيني الذي فقد أرضه وشرد شعبه في كل بقاع العالم، وزُج بأبنائه في غياهب السجون وحُرم أطفاله من أن يعيشوا طفولتهم بحب وسعادة وأمان، أن يبدأ بالعمل الذي يلجم هذا المحتل وهو العمل الاستشهادي، لما له من آثار إيجابية على المقاومة الفلسطينية ومن آثار سلبية على العدو الصهيوني، ومن هنا جاءت تضحية مجاهدنا البطل عبد الله بدران ليثأر لدماء الأطفال والنساء والشيوخ، ليمسح دمعة المسجد الأقصى الحزين ويتقدم نحو الصهاينة بصيحة "الله أكبر" ولسان حاله يقول: "عجلت إليك ربي لترضى"، وفجَّر نفسه الشريفة وسط جموع الصهاينة ليوقع 5 قتلى وإصابة العشرات، وينتشر هذا الخبر في كل وسائل الإعلام، لتزف سرايا القدس شهيدها البطل عبد الله بدران وابن مدرستها الفكرية والدينية والحركية ليكون الاستشهادي الأول في سلسلة الاستشهاديين الذين أعدتهم مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي لتعيد للقضية الفلسطينية قيمتها وأهميتها على الساحة الإقليمية والدولية والعالمية، وليتلقى المجاهد أشرف رسالة من المجاهدين يستفسرون عن مكان وجوده ليخبرهم بأنه بخير وأن العملية قد تمت، وتسير الأمور كما تم التخطيط لها بلا عوائق تذكر، فما أن جاء اليوم الثاني للعملية حتى جاءت رسالة على جهاز البليفون للمجاهد أشرف نصها صباح الخير مبروك، وهنا كان هذا الاتصال مراقبًا لدى جهاز الشاباك الصهيوني، وهذا الاتصال يعود لرقم المجاهد القائد نضال أبو سعدة أحد قادة سرايا القدس إلّا أن هذا الخطأ كان له ثمنًا كبيرًا لا يزال أثره حتى اليوم.

الاستشهادي/ عبد الله بدران
استشهد بتاريخ 25/ 02/ 2005م

بداية الملاحقة والاعتقال

بدأ الشاباك الصهيوني بتحليل وتخطيط لمعرفة التفاصيل، وما هي إلا ساعتان من الزمن حتى تلقى المجاهد أشرف اتصالا من أحد الجواسيس المعروفين اسمه (غالب)، وكان مقيمًا في مدينة الخضيرة المحتلة وهاربًا من طولكرم، وكان قد اتصل بالمجاهد أشرف وقال له: "هل أنت من يوجد لديه جرافة؟" فقال له المجاهد أشرف: نعم، فسمع المجاهد أشرف منه كلامًا حول إمكانية مساعدته في موضوع الجرافة، فقد عرَّف هذا الجاسوس عن نفسه أن اسمه محمد، وكان يراقب كل تحركات المجاهد أشرف من بعيد أولًا بأول، وفي هذا الوقت كان الشاباك والشرطة الصهيونية قد قاموا باقتحام منزل المجاهد أشرف وإجراء تفتيش به، وهناك قد أبلغ الجاسوس الشاباك عن أماكن تواجد المجاهد أشرف حيث تقدمت سيارة صهيونية بيضاء اللون من نوع آودي، وقد نزل منها 3 أشخاص بلباس مدني وتوجهوا نحو المجاهد أشرف ليسألوه عن اسمه، فما أن تأكدوا منه حتى أخرجوا أسلحتهم نحوه لتأتي سيارة أخرى من نوع مرسيدس وينزل منها باقي الجنود والقادة الصهاينة في الوحدة الخاصة، وليتم اعتقال المجاهد أشرف وتفتيش سيارته ليجدوا فيها مسدسًا مع كاتم للصوت، وقال لهم حينها المجاهد أشرف إنه لا يعرف شيئًا عن هذا المسدس وأنكم أنتم من وضعتموه في السيارة، فاقتادوه حينها إلى مركز الشرطة في (عيرون) بين أم الفحم وبلدة عارة في الداخل المحتل، ليبدؤوا بتوجيه الأسئلة إليه، ومنها أنه قد وصلتك رسالة بها كلمة مبروك فمن أين جاءت هذه الكلمة؟، ومن أرسلها لك؟،

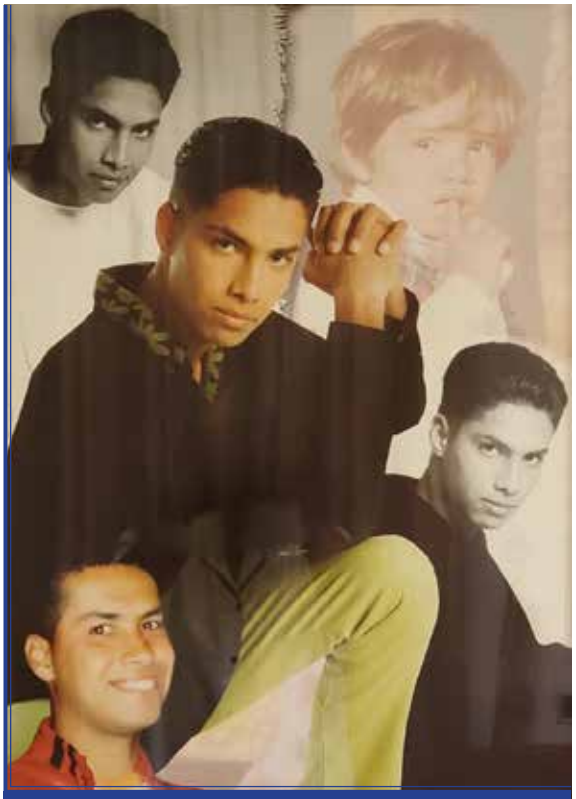

الأسير المجاهد/ أشرف القيسي قبل اعتقاله

وأخذوا منه بصمة للصوت، وتم اقتياده إلى مركز تحقيق (بتاح تكفا) 42 يومًا، حاول خلالها المحققون استخدام كافة الأساليب القمعية والنفسية والجسدية للاندفاع والاعتراف من هذا المجاهد حول العملية، فحاولوا في أحيان كثيرة نزع ملابسه وتعريضه للبرد الشديد حتى يصاب بالمرض والإنفلونزا حتى يصبح جسده ضعيفًا هزيلًا يسهل عليه الاعتراف، ومع ذلك بقي صامدًا، وحاولوا مرارًا وتكرارًا إدخال جواسيس عليه في الزنزانة وقد فشلوا في كل مهماتهم، ليأتي إليه أفراد الشرطة

الصهيونية ويبلغوه أنه منقول إلى أحد السجون وأنه قد أنهى فترة التحقيق.

كمين العصافير

ما إن صعد أشرف إلى سيارة البوسطة حتى وجد بها جاسوسًا وظيفته فقط التمهيد للمجاهد أشرف عن ظروف السجن والاعتقال وأنه شاويش مسؤول عن الأسرى، ولابد للحديث معه بكل صراحة والإجابة على أسئلته مهما كانت، فوصلت سيارة البوسطة إلى مقر المسكوبية في مدينة القدس المحتلة، والتقى هناك بالأسرى وهم عبارة عن (عصافير) وجواسيس يعملون لدى جهاز الشاباك الصهيوني، وعرّفوا عن أنفسهم أنهم من بلدة باقة الشرقية وطولكرم، وسألوه عدة أسئلة روتينية وعن صلاته وعن حياته، وانتهى اليوم الأول دون أي مشكلة تذكر، وفي اليوم الثاني جاءه الشاويش وطلب منه أن يخبره بتفاصيله وبأعماله النضالية، فرفض التعاطي معه إلى أن قالوا له بأن هناك مجاهدين يريدون رؤيتك في الغرفة الثانية، وأن معهم رسائل هامة من حركة الجهاد الإسلامي، فتوجه معهم لتلك الغرفة وكان بها أشخاص ملثمون وبدأوا يسألونه عن العملية فرفض التعاطي معهم، واتهموه أنه الجاسوس ويجب التحقيق معه وربما يقتلونه وبدأوا بالصراخ في أذنيه بأنك يا أشرف جاسوس، وبدأ يتعرض حينها للضرب الشديد، فما كان منه حينها إلا أن يدافع عن نفسه وكرامته وسمعته ويرفض أن يقال له جاسوس، فبدأ يخبرهم أنه المسؤول عن إيصال الاستشهادي إلى موقع العملية في تل أبيب، وكل ما يذكر قصة لهم هزوا برؤوسهم للإيحاء بأنهم فرحون بأن المجاهد أشرف الذي شكوا به أنه جاسوس قد وجدوه رمزًا للبطولة والنضال والجهاد، فما أن أخبرهم بكل شيء حتى قام الملثمون برفع اللثام عن وجوههم، ليجد المجاهد أشرف أن هؤلاء الملثمين هم المحققون الذين حققوا معه في تحقيق (بتاح تكفا)، ليبدأ هؤلاء المحققون بالضحك وإبداء مظاهر الفرح والسرور تعبيرًا عن كشفهم ملابسات وقصة العملية البطولية الاستشهادية التي حيرت الشاباك الصهيوني.

بداية مرحلة جديدة

كان المجاهد أشرف على موعد مع السجن لفترة طويلة حيث حكم عليه بالسجن 5 مؤبدات و20 عامًا، ليدخل إلى سجن جلبوع، ويكون العام 2005م عامًا مفصليًا في حياة المجاهد أشرف،

الأسير المجاهد/ أشرف القيسي خلال جلسة محكمة صهيونية

ويبدأ حياته الجديدة داخل الأسر إلى جانب إخوانه الأسرى والمعتقلين، وكان حينها متواجدًا في أحد الأقسام، وهو قسم 4 في سجن جلبوع يضم به الأسرى والمعتقلين من سكان الأرض المحتلة عام 1948م، وكان لهم تعامل خاص من قبل مصلحة السجون الصهيونية لصفتهم مواطنين يحملون الهوية الإسرائيلية، ولذلك كانت لهم زيارات خاصة ولهم حق إدخال الملابس وبعض أنواع المواد الغذائية من قبل الأهل، بالإضافة إلى أن الكانتينا تحتوي على مواد لا تتواجد في السجون الأخرى، والهدف من كل تلك التسهيلات هو المحاولة الخثيثة من قبل العدو لجعل الأسير الفلسطيني ابن الـ48 يتخلى عن عقليته الثورية والنضالية، ويتم حينها غسل أدمغتهم وإحلال ثقافة جديدة في عقول هؤلاء الأسرى، وهي عبارة عن ثقافة التعايش والإيمان المطلق بحق اليهود بالعيش بأمنٍ وسلام على أرض فلسطين ومحاولة أسرلتهم بكل الوسائل المطلوبة، إلّا أّن هذه المشاريع قد باءت بالفشل، فكان هؤلاء الأبطال ومن بينهم المجاهد أشرف من السباقين في الخطوات النضالية ضد مصلحة السجون غير مبدلين وغير محولين عن ثقافتهم الوطنية ووعيهم بقضيتهم وإيمانهم الراسخ بضرورة إسقاط المشروع الاستيطاني الاستعماري الاحتلالي بكل الطرق، فكان حينها لابد وأن يقوم المجاهد أشرف بالإقبال على العلم عبر الجلسات العملية والفكرية والثقافية، بالإضافة إلى مشاركته إخوانه الأسرى في إضراب عام 2012م والذي استمر لمدة 28 يومًا، وكذلك إضراب عام 2017م الذي استمر 42 يومًا، وحتى كتابتنا لهذه الكلمات فإنه كما بدأ حياته مشاكسًا في طفولته دائم الحركة تراه في السجن كثير الحركة دائم اللعب للرياضة مفعمًا بالأمل والحيوية والنشاط، ترى في وجهه ابتسامة لطيفة تعبّر عن طُهر قلب ومساحة الحب تجاه إخوانه، ودائم الحديث عن عائلته وأمه وأبيه وإخوانه وأخواته ويحفظ ويردد أسماء الأبناء الصغار لإخوته، وتراه يفكر دومًا كيف ينسج معهم علاقة قوية، وكيف يفهمهم؟ وأين يوجد؟ ولماذا سُجن؟ وأحيانًا تراه يفكر بما يفكر فيه كل أسير، بل يحلم بما يحلم به كل الأسرى حول الحرية والانعتاق من سجون الظلم، ليجد نفسه لا يزال بين أربعة جدران تحيط به الأسوار العالية والأسلاك الشائكة، ومع ذلك كلما حنّ إلى أمه وعائلته يلجأ إلى ألبوم الصور ليعيد تنشيط ذاكرته واشباع نظراته برؤية صور عائلته وأبنائهم، وكلما اشتاق إلى بلده يذهب إلى خارطة فلسطين المرسومة في خلايا دماغه ليستحضر صورة بلدته وشوارعها وأرضها ومدارسها وأهلها، وكل ذلك جعل منه مجاهدًا مؤمنًا حقًا بأن من يتق الله يجعل له مخرجًا، وتراه دائم الذكر والتسبيح والعبادة وتلاوة القرآن، وآملًا بأن الغد قادم ويحمل بين ساعاته الفرج والحرية للأسرى والمسرى، فهل يتحقق ذلك في المنظور القريب؟!.

الأسير المجاهد

علي عبد اللطيف مصطفى سايس (القنيري)

فدائي ومقاوم لم تهزمه ملذّات الدنيا

تاريخ الميلاد: 1974/05/01م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه 3 أبناء

مكان السكن: مخيم جنين – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 20

تاريخ الاعتقال: 2005/10/14م

الحكم: مؤبد

حكايتنا اليوم عن أحد قادة حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، ممن كان لهم الدور القيادي في انتفاضة العام 1987م وما تلاها، عاش عنفوان الانتفاضة ومجد الأشخاص في ظل نهضة شعبية متواصلة، ففتح عينيه على قضية وطن وشعب، ولهذا جاء نضاله في شكله ومضمونه تعبيرًا صادقًا وأمينًا عن نضال الشعب الفلسطيني، ولذلك نذَر نفسه منذ الصغر لهذا الوطن الذي كان مسكونًا به لينطلق عليه قول شاعرة فلسطين، فدوى طوقان:

كفاني أموت عليها وأدفن فيها
وتحت ثراها أذوب وأفنى
وأبعث عشبًا على أرضها
وأبعث زهرة إليها
تعبث بها كف طفل نمته بلادي
كفاني أظل بحضن بلادي
ترابًا، وعشبًا، وزهرة

نشأة في أحضان مخيم الثورة

إنه المناضل علي السايس والمشهور بـ علي القنيري (أبو سند)، من مواليد مخيم جنين في العام

1974م، وهذا المخيم يقع شمال فلسطين، يسكنه قرابة 15 ألف نسمة في مساحة جغرافية لا تتجاوز الكيلومتر المربع والذي قدم إليه أهله بعد أن هجّروا من أماكن سكناهم وبلداتهم ومدنهم وقراهم في الداخل المحتل عام 1948م، وكانت عائلة سايس كما حال باقي العائلات الفلسطينية التي هُجِّرت من قرى وبلدات منطقة الكرمل في حيفا وجبال الكرمل وقراها وقرى جنين المحتلة عام 1948، ولجأوا إلى مكان قريب من مدينة جنين ليسكنوا منطقة تسمى جنزور تقع بالقرب من مثلث الشهداء في مدخل بلدة قباطية، ومنذ أن وصلت العائلات الفلسطينية إلى تلك المنطقة سكنوا المغر والكهوف، وافترشوا الأرض والتحفوا السماء، ومن ثم نصبوا الخيام بعد أن قدمتها لهم وكالة الغوث (الأونروا) في ذلك الوقت، وأمضوا فيها فترة من الزمن إلى أن انتقلوا إلى مخيم جنين الذي أقامته وكالة الغوث عبر استئجار قطعة أرض مساحتها 1 كم كانت ملكًا لأحد العائلات المعروفة في مدينة جنين ويمتد عقد الإيجار مائة عام، وبدأ الأهالي بالنزوح من منطقة جنزور إلى مخيم جنين، وكانوا قد تركوا وراءهم في بلدانهم المهجرة كل ما يملكون من مطعم ومشرب وملبس ومأكل وأنعام وغيرها، ولم يكونوا يملكون سوى ما تقدمه لهم وكالة الغوث أو ما يتسرب لهم من مساعدات من قبل المواطنين الفلسطينيين في مدينة جنين، وتم نصب الخيام، وقام البعض ببناء خيام من طين وقشّ وبعضهم من الزينكو، فما أن تسمع عائلة من المخيم بأن هناك عائلة تم تهجيرها من فلسطين المحتلة حتى يتم الإسراع إليهم وإحضارهم إلى المخيم والوقوف إلى جانبهم في تلك البقعة الموحشة والتي كانت كما يقال مسكنًا للضباع إلى أن تكاثروا وازدادت أعدادهم، وبدأوا يعتمدون على أنفسهم بالعمل في مجال الزراعة في أرضٍ ليست أرضهم، ومع ذلك تعايشوا مع الأمر الواقع على أمل انقضاء هذه المحنة والعودة إلى ديارهم، وعلَّموا أولادهم معنى الوطن وكيف سيعود الوطن، واحتفظوا بمفاتيح بيوتهم تمهيدًا للعودة التي لا تزال حلمًا حتى الآن، ولكن ذات يوم سوف يلتحم شق البرتقالة المنفي والنازح والمهجّر الصامد في وجه المؤامرات الصهيونية، بشق البرتقالة الصامدة في فلسطين المحتلة عام 1948م، وتعود بيارات حيفا ويافا الجميلة إلى حضن سكانها الأصليين، فبلدة المناضل علي كانت تسمى قنير ولا تزال وستبقى قنير.

من آثار قرية قنير المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

على الرغم من أن المناضل علي والذي يبلغ من العمر 47 عامًا لم يرَ في يوم من الأيام قريته قنير، ولم يعش فيها لحظة واحدة إلا أنها تعيش في وجدانه حيث هو دائم التفكير بها، ويستطيع وصف تضاريسها وأشجارها وبيوتها ومائها وهوائها

والقرى المحيطة بها كأنه عاش بها طيلة عمره، وهذا الشعور والإحساس يشعر به كل من تم تهجيره عن أرضه وبلده ووطنه، وما محيطنا العربي ببعيد عن هذا المشهد، أما حال الشعب الفلسطيني فليس كحال المحيط فهو أكثر الشعوب على وجه الأرض تعرّضًا للظلم والطغيان والمجازر، فالجيل الأول ورّث الجيل الثاني وصية مفادها أن لا ينسى هذا الجيل ومن بعده أنّ له حقًا تاريخيًا في وطنه التاريخي لا يمكن لأحد أن ينسيه ولا يمكن أن يسقط بالتقادم ولو بعد ألف عام، والحق أبلج والباطل لجلج، والباطل ساعة والحق إلى قيام الساعة، ومنذ النكبة الفلسطينية وحتى اليوم مرَّ شعبنا الفلسطيني بالعديد من المحطات والثورات كثورة الشهيد عز الدين القسام والثورات الفلسطينية الكبرى عام 1936م، ومن ثم انطلاق وبدء العمل العسكري الثوري في انتفاضة العام 1987م والأقصى وهبّة السكاكين، ولا تزال القضية الفلسطينية بحاجة إلى المزيد من الكفاح والنضال بكافة أشكاله.

بداياته المبكرة مع حركة فتح

في عام 1987 بدأت الانتفاضة الأولى كتعبير صادق عن حالة الغضب والشحنة العالية من التحدي والمعنويات والفعل الجهادي والنضالي وإمكانية تحقيق الأهداف، وانتشرت في كل بقاع الوطن، من جباليا شمال قطاع غزة ومن بلاطة والدهيشة إلى كل الوطن، وظنّ حينها البعض أنها ستستمر أسبوعًا أو اثنين وتنتهي، لكنها تواصلت لسنوات مشتعلة وأيام نور وعز ومساحات من الأمل لم ولن تنطفئ، فكان عمر المناضل البطل علي قنيري عندما اندلعت هذه الانتفاضة لم يتجاوز الـ 14 عامًا، وكان حينها يدرس في مدرسة وكالة الغوث في مخيم جنين ومكونة من شعبتين ابتدائي وإعدادي، وكان لهذه المدرسة فضل كبير في التعبير عن المقاومة ضد العدو، وكان المناضل علي بجانب إخوانه الطلبة يقومون دائمًا عند الصباح بإشعال الإطارات، فيما كانت القوات الصهيونية تأتي وبشكل سريع تبدأ الاشتباكات، فالطلاب سلاحهم الحجر والمولوتوف والزجاجات الحارقة وصيحات الله أكبر، والعدو يحرث كل شيء يؤدي إلى قتل الفلسطيني بدم بارد، فيبدأ العدو بإطلاق الغاز المسيل للدموع، ومن ثم تتطور الأمور ويتم إطلاق الرصاص المطاطي، ومن ثم الرصاص الحي، وفي هذه الفترة خرجت الشبيبة الفتحاوية للعمل الاجتماعي فكان جزء من مهامها مساعدة المحتاجين والعمل التطوعي في تنظيف الطرقات وتنظيم الجلسات واللقاءات والارشادات والنصائح ممن هم خبرة في العمل الوطني، وبعدها عرفوا كيفية مواجهة المحتل وطبيعة المقاومة والنضال.

مشهد متكرر للمواجهات مع قوات الاحتلال الصهيوني خلال انتفاضة الحجارة (1987م)

في عام 1988م قرر المناضل علي العمل في المجال العسكري بحيث لا يقتصر نضاله على شكله النضالي الشعبي، وخرج من المدرسة وكان عمره 15 عامًا، وقام بتشكيل خلية مكونة من 3 أفراد وكانت هذه الخلية مختصة بإلقاء المولوتوف، وعملت بشكل سرّي للغاية وغير مكشوفة لأحد، واستمرت في العمل لمدة 3 شهور إلى أن كُشف الأمر إلى قيادات حركة فتح، وتم الاجتماع بهم والاتفاق على أن يعملوا بتثبيت هذه الخلية وأعمالها والقيام بالتنسيق معها، وتم إطلاق اسم الفرسان الثلاثة على هذه المجموعة العسكرية إلى حين تأسيس مجموعات الفهد الأسود عام 1989م، وانضم إليهم المناضل علي القنيري في البدايات وشارك في عدة مهام، وعلى إثر هذه العمليات التي نفّذها تم كشفه وقام العدو بملاحقته ومطاردته لتستمر المطاردة 10 شهور وتنتهي بعملية الاعتقال.

اعتقال نشطاء (الفهد الأسود)

لقد شهد هذا العام 1991م أحداثًا كثيرة حيث في 17/ 01/ 1991م قامت قوات التحالف الدولي الصهيوني الأمريكي في عهد الهالك بوش الأب بقصف العراق بذرائع وحجج واهية وبحجة واقعية وهي اجتياح الكويت، فرد حينها العراقيون بقصف تل أبيب بصواريخ سكود، وهددوا الاحتلال الصهيوني بضربه بسلاح الكيماوي، ففرضت قوات الاحتلال حينها منع التجوال على الضفة الغربية وكثفت نشاطها في مطاردة وملاحقة المطلوبين، وخلال فترة زمنية لا تتجاوز 10 أيام تم اعتقال معظم نشطاء الفهد الأسود في منطقة جنين، ومنهم: حسام ذيب وأحمد جميل من بلدة برقين، وأبو ميشيل وأبو رعد، وتم اعتقال محمد الصباغ ولؤي الناطور وثائر عودة وزياد العامر ووائل أبو سباع وأبو غليون وعبد الكريم عويص بالإضافة للمناضل علي القنيري، وكلهم من مخيم جنين، وكذلك تم اعتقال أسامة السيلاوي ومحمد تركمان وأسامة أبو حنني ومحمد أبو زيزي ويحيى صبح وأيسر أبو سرور ونبيل الجلبوني ومحمود الهصيص وصبح فقهاء وإياد السلفيتي وغيرهم،

مجموعة من مطاردي مجموعات الفهد الأسود في الضفة الغربية

وكل تلك الأسماء تم الحكم عليها بالمؤبد، وأمضوا سنوات طويلة في السجون، وتم الإفراج عن جزء منهم بإفراجات السلطة عام 1994م وبعدها، وبعضهم بعد ذلك عبر صفقة وفاء الأحرار بالعام 2011م، فيما لا يزال بعضهم يقبع في سجون الاحتلال حتى هذه اللحظة.

الاعتقال الأول

أما حكاية اعتقال مناضلنا علي القنيري فكانت بتاريخ 24/ 01/ 1994م على أيدي القوات

الخاصة الصهيونية عندما كان بصحبة اثنان من المناضلين هما إياد السلفيتي وصبح فقهاء، فكانوا يتنقلون في منطقة وادي عز الدين بمحافظة جنين، وكانت الساعة تقارب العاشرة ليلًا، وفي تلك الفترة كان العدو فرض منعًا للتجوال، ودورياته العسكرية وجنوده منتشرون في الشوارع والطرقات والأزقة، وكان حينها هؤلاء المناضلون يجلسون في أحد البيوت، وقرروا الانتقال من مكانهم إلى مكان آخر أكثر أمانًا، فخرجوا من هذا المنزل وساروا في أحد الطرق، وكانت تلك الليلة مظلمة وباردة جدًا، وتم قطع التيار الكهربائي بفعل فاعل وهو أحد الجواسيس حيث ألقى على شبكة الكهرباء قطعة حديد أدت إلى انقطاعها فلم يعد المناضلون يرون شيئًا، وأثناء سيرهم في هذه الظلمة والطريق الوعر إذا بهم يتفاجؤون بوجود شيء أسود يتوارى خلف الصخر فإذا بهم خفافيش الليل المجرمون، وتم حصار المناضلين من كل جانب، وتكبيل أيديهم من الخلف ووضعهم على الأرض، وبعد دقائق تم اقتيادهم إلى الجيبات العسكرية، ومنها إلى مركز توقيف في مقاطعة جنين العسكرية الصهيونية، وتم وضعهم فيها لعدة ساعات، وهنا بدأت مرحلة العذاب والظلم والقهر حيث وضعوهم في الخيمة مقيدي الأيدي إلى الوراء وأعينهم مغطاة بقطعة قماش، وتم إلقاؤهم على الأرض على وجوههم، وكانت الأرض مرصوفة بحجارة صغيرة، وفجأة في لحظة صمت مطبق بدأ صوت موحش لقوة من الجنود ومعهم ضابطهم، وكانوا يصرخون ويتفاخرون أنهم ألقوا القبض عليهم، ورفعوا عن أعينهم العصبات وأوقفوهم على أرجلهم، وتم إحاطتهم من كل جانب، وتقدم أحد الضباط تجاههم وعرَّف عن نفسه أنه الكابتن نير الحاكم العسكري لمدينة جنين، حينها عرفه المناضل علي جيدًا فما أن ذكر اسمه حتى تذكره وهي المرة الثانية التي شاهده بها.

صموده خلال التحقيق

في المرة الأولى من اعتقال المناضل علي كان معه المناضلون المطاردون الذين كانوا يجلسون في مخيم جنين في منطقة تسمى جورة الذهب في المخيم، فداهمتهم قوة صهيونية خاصة من الجنود وبدأوا بإطلاق النار عليهم واستشهد البطل الفتحاوي نجيب حويل، وكان من أبرز المطاردين ومن قادة الفهد الأسود، وكان هذا الضابط نير هو المسؤول عن هذه الوحدة الصهيونية والذي قام بتصفية الشهيد نجيب حويل، وأصرّ الكابتن نير وجنوده أن يأخذ صورًا له مع المناضلين الثلاثة،

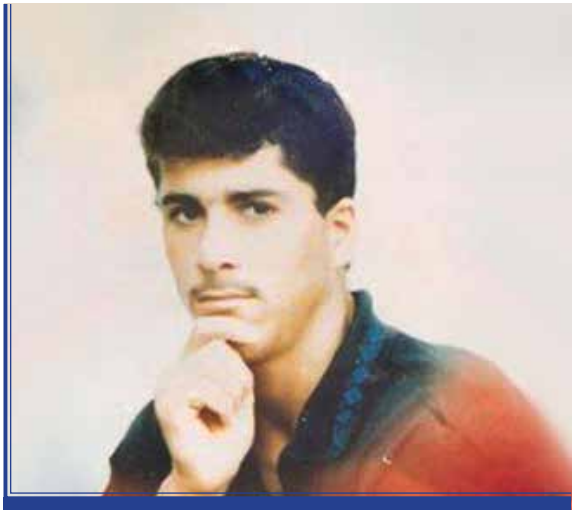

الشهيد البطل/ نجيب حويل
استشهد بتاريخ 01/ 03/ 1991م

ولم يعرفوا حينها المغزى من ذلك، وما أن زارته عائلته في أول زيارة في السجن حتى أبلغوه أن الجنود الصهاينة قد داهموا المنزل في ساعات متأخرة من الليل في نفس ليلة اعتقالهم وأبلغوهم باعتقال ابنهم علي، وأطلعوهم على الصور التي أخذوها معهم في تلك الليلة، وطلبوا حينها هويته من أهله، وفي ساعات الصباح في أول يوم لهم في المعتقل تم إخراجهم من الخيمة واقتيادهم كل مناضل على حدة، وبعد لحظات قليلة وجد المناضل علي نفسه في غرفة كان بها رجل يرتدي ملابس بيضاء، ويسمى الحوفيش، أي الممرض، وفكّ يديه من القيود وسأله هل لديك أمراض مزمنة؟ وهل تعاني من أي شيء؟ فقال له: لا، فصرخ بأعلى صوته خذوه! وتم نقله من زنازين سجن جنين إلى مركز التحقيق، وبعد ساعة من الوقت حيث كان وحده في الزنزانة فتح بابها شرطي وتقدّم تجاهه، وقال له إن المحقق يريده، وكبل يديه وأغمض عينيه وبدأ يجره إلى الأمام بطريقة مزرية، ولم يرَ أي شيء حوله وهو يقول له اصعد درجة درجة، ووصل به إلى غرفة المحقق، وتم إدخاله إليها وأجلسوه على الكرسي ورفعوا العصبة عن عينيه، وكان أمامه رجل في الثلاثينيات من عمره يجلس وراء مكتب عبارة عن طاولة وكرسي يرتدي الزي المدني، قصير القامة أصلع الرأس، عرّف عن نفسه أنه ضابط مخابرات وهو من يتولى التحقيق معه، وبدأ بكم هائل من الأسئلة: ما اسمك؟ وكم عمرك؟ ومن أين أتيت؟ وبعد الإجابة على هذه الأسئلة الروتينية قال له المحقق إلى أي تنظيم تنتمي، وما هو دورك في العمل العسكري، ومن هم الذين تعمل معهم؟ وأصبح يوجه إليه التهم الموجودة عنده، وكان يجيب المناضل علي بالرفض وعدم التعاطي مع المحقق، وبدأ هذا المجرم يصرخ ويتوعد، ثم يضرب على الطاولة ويقول له: إن لم تتكلم هناك الكثير أمثالك جلسوا مكانك أمامي في هذا المكتب وكلهم اعترفوا، ثم خرج هذا الضابط من الغرفة وأغلق الباب وترك المناضل علي وحده مقيد اليدين على كرسي حديدي لعدة ساعات، وشعر حينها المناضل علي أن الزمن توقف ولا يريد التقدم، وبعدها عاود الضابط مرة أخرى التحقيق معه دون جدوى، فأمر الضابط أحد أفراد الشرطة باقتياده إلى الزنزانة، وأمضى بها أسبوعًا كاملًا في أثناء النهار وفي الليل وفي الزنزانة الموحشة إلى أن تم إعادته ليلًا إلى الزنزانة، ووجد بها رجلًا جديدًا، فرفض حينها المناضل علي الدخول، وقال له الشرطي لماذا لا تريد الدخول؟ فقال له إن الزنزانة صغيرة وتكاد لا تتسع لواحد، فرد عليه الشرطي المجرم لا تفكر أنك موجود في فندق، وهذه الزنزانة عبارة عن متر ونصف عرضًا ومترين طولًا، وما أن دخل المناضل في الزنزانة وطرح السلام على هذا الرجل حتى بدأ يرد عليه السلام ويعرّفه عن نفسه وحياته وعن أعماله البطولية، ويشرح له ماذا جرى معه في التحقيق، وقام هذا الرجل بتحذير علي من مسألة العصافير، وأنه قد انتهى من التحقيق، وأنه يوم غدٍ سيتم نقله إلى السجن، وبدأ يتحدث بأن المناضل أولًا على آخر سوف يعترف، وعليه الاعتراف من البداية ويريح نفسه من العذاب، ودعّم رأيه بمقولة

إنـه لا يوجـد أحـد دخـل التحقيـق دون الاعـتراف، واستكمل هـذا الرجـل حديثه للمناضـل عـلي: "نحن إخـوة في عهـد الله، وأريـد مساعدتك فلذلـك لا تتعب نفسـك في التحقيـق واعـترف عـلى كل شيء وأنـت بطـل، والبطـل لا يخـاف مـن شيء، وافتخـر بعملـك"، فقـال لـه المناضـل عـلي: مـن الـذي أخـبرك بـأني بطل؟! وكأنـك تعـرف عنـي كل شيء، وهنـا بـدأت الأمـور تتضـح شـيئًا فشـيئًا، وبـدأ هـذا الرجـل يقـول للمناضل عـلي بأنـه غـدًا سـيذهب إلى السـجن إن كان يريـد أن يوصـل للتنظيـم أو لعائلتـه أي شيء، فأجابـه حينهـا المناضـل عـلي أنـه لا يعـرف شـيئًا ولا يريـد مـن أحـد أي شيء، والـشيء الـذي يعرفـه ويريـده هـو النـوم فقـط وألا يزعجـه أحـد، فهـذا الـرد دليـل عـلى أن المناضـل عـلي كشـف أمـر هـذا الرجـل وأنـه جاسـوس صهيـوني ومبعـوث مـن قبـل الشـاباك للحصـول عـلى المعلومات مـن المناضـل عـلي، وهـذه الحالة تتكـرر دائمًا وبأسـاليب كثـيرة ويصـدق هنـا قـول المنشـد حـين قـال:

دقّيت الباب عليه، علّي أرتاح إليه
فإذا بالمكر فنون، فإذا بالمكر فنون

تـم إعـادة المناضـل عـلي لغرفـة التحقيـق، فقـال لـه المحقـق: بتفكـر يـا عـلي إنـك شـاطر؟! إنـك سـوف تتحـدث إن لم يكـن اليـوم فغـدًا أو الـذي بعـده، وبـدأ ضبـاط الشـاباك يتناوبـون عـلى المناضـل عـلي منهـم مـن يمثـل دور المحقـق العنيـف، ومنهـم مـن يمثـل دور المتعاطـف معـه ومـع القضيـة الفلسـطينية، ومنهـم مـن يمثـل الوجـه الحسـن والـكلام الجميـل، وأمـضى عـلى هـذه الحالـة مـدة 20 يومًـا، ومـن ثـم قالـوا لـه الآن أنهيـت التحقيـق وسـننقلك إلى السـجن، وبالفعـل تـم إدخالـه إلى السـجن، والتفّ حولـه العديد من الشـبان، وقامـوا باسـتقباله والترحيـب بـه وإدخالـه إلى الغرفـة، وأعطـوه الملابـس ووضعـوا لـه الطعـام والـشراب، وأحسـنوا لـه حسـن الضيافـة والـكلام، وبعـد الانتهـاء مـن وجبـة الطعـام قـام أحـد الأسرى بالحديـث مـع المناضـل عـلي بـأن هـذا اليـوم عليـه النـوم جيـدًا؛ لأنـه قـد بـدت علامـات التعـب، وغـدًا سـوف يتحـدث معـه، وطلـب منـه عـدم الخـوف؛ لأنـه أصبـح في أمـنٍ وأمـان، وفي اليـوم التـالي جـاء إلى السـجن شـخص لم يكـن مـن المقيمـين في السـجن وقـام الجميـع بالترحيـب بـه، وتقـدم نحـو المناضـل عـلي، وقـال لـه: أنـت عـلي القنيري؟ قـال: نعـم، فقـال لـه أن هـذا الشـخص جـاء إليـك وبشـكل خـاص ومـن أجلـه سـوف ينـام هـذه الليلـة عندهـم في الغرفـة، ومـا إن أصبحـت السـاعة الثامنـة حتـى طلـب هـذا الشـخص مـن المناضـل عـلي الجلـوس معًـا في زاويـة الغرفـة ومعـه ورقـة وقلـم، وبـدأ يسـأله عـن اسـمه الرباعـي، وكـم عمـره وكـم عـدد أفـراد عائلتـه ومـا هـو تنظيمـه؟ وانتهـى مـن الأسـئلة الاجتماعيـة الروتينيـة، وكانـت هـذه الأسـئلة لإشـعار المناضـل عـلي بالاطمئنـان ليدخـل في صلـب الموضـوع، مـن هـم أفـراد مجموعتـك؟ وغيرهـا مـن الأسـئلة وكانـت الإجابـة مـن المناضـل عـلي أنـه لا يعـرف شـيئًا، ولا يوجـد لديـه قضيـة، فغضـب منـه ذلـك الرجـل، وقـال لـه: "أنـت مبعـوث علينـا لتعـرف كل شيء عنـا، فلـماذا لا نعـرف كل شيء عنـك؟ وكيـف نثـق بـك ونحـن لا نـدري مـن أنـت؟ ومـاذا فعلـت؟ فـإذا لم تتكلـم يـا عـلي سنشـكل لـك لجنـة للتحقيـق"، وعـادة في السـجون عندمـا يقـوم مسـؤول التنظيـم

بتشكيل لجنة للتحقيق مع أي أسير يعني ذلك اتهامه بتهمة كبيرة، ومنها الخيانة والقضايا الأخلاقية، فما أن يسمع الأسير بهذا الكلام حتى يبدأ بالتعاطي الإيجابي مع هذا المسؤول حتى لا يقع في المصائب الكبرى، وبدأ ذلك الرجل يتوعد بأنه في الصباح من اليوم التالي سوف يضع حدًا لسكوت المناضل علي، وقد ذهب حينها للنوم وكأن الأمر لم يحدث، بينما مناضلنا علي لم تعرف عيناه طعم النوم، ولعدم شعوره بالأمن والأمان غير مطمئن من التعرف على ذلك الرجل والمدعوم من الأسرى الذين حوله في الغرفة، فما أن طلع الصباح فإذا بهم ينادون على المناضل علي بأن عيادة السجن تريده للفحص الطبي، وإذا بأفراد الشرطة يتوجهون به إلى الزنازين، ومكث بها ثلاثة أيام متواصلة دون أن يسأله أحد أي سؤال، فقط عليه أن يستقبل الطعام والشراب، وبدأ يتسلل إليه شعور أنه لا أحد يعرف بوجوده في الزنزانة المظلمة والموحشة، وكان يتمنى أن يأتي المحقق ليأخذه إلى التحقيق حتى يطمئن أن هناك من يعلم بمكانه، فهذا الأسلوب خطير جدًا ويتم ممارسته على الأسرى، وهو أن يتم وضع الأسير في إحدى الزنازين لفترة زمنية طويلة وألا يسأله أحد أي سؤال ويُمنع من رؤية أحد، وفي هذه الفترة يبدأ الأسير بحرق أعصابه، وتبدأ الأفكار تتوارد إلى ذهنه، وتكثر حينها أسئلته وهي بلا إجابة، مما يجعل الأسير لا يصمد ويعترف أحيانًا بكل شيء، وبعد اليوم الثالث في الزنزانة إذا بالباب يُفتح فاستبشر المناضل علي الخير، وقال في نفسه لقد جاء الفرج، وإذ يقف أمام ضابط التحقيق، والمحقق يبتسم ويضحك كثيرًا ويضرب كفًا بكف وأمامه أوراق وملفات كثيرة وبها صور، وقال له المحقق اجلس يا علي، انظر هذا ملف فلان، وهذا ملف فلان وفلان، وهذا ملف كذا وكذا، فعلم المناضل علي حينها أن عليه عدة اعترافات، وأنه قد أدانه بكل شيء، فما كان منه إلا التعاطي مع المحقق وأدلى باعترافاته.

أصغر أسير في السجن

بعد أن أمضى المناضل علي فترة التحقيق البالغة 28 يومًا تم نقله إلى سجن جنيد في نابلس، وكان هذا السجن له أقسام كثيرة، وكان يُقسم إلى قسمين: أقسام شرقية وأقسام غربية، ويوجد في هذه الأقسام ما يقارب 700 أسير، أما الأقسام الغربية فكانت ثلاثة أقسام وهي قسم (4، 5، 10) فكانت أقسام (4، 5) للموقوفين الذين يتم محاكمتهم، ودخل المناضل علي إلى قسم (4) ومكث فيه لمدة 3 شهور، وفي الأسبوع الأول خرج إلى المحكمة، ووجهوا له لائحة اتهام وتم تأجيله لمدة شهرين، وتم استدعاؤه لمحكمة سجن جنين، وحكم عليه بالسجن المؤبد ليكون أصغر أسير يحكم عليه بالمؤبد في عمره كأول أسير في منطقة جنين يحاكم بالسجن المؤبد، وكان الأصغر سنًا في سجن جنيد، حيث لا يتجاوز عمره 17 عامًا، ولذلك كان الاهتمام به وبأمثاله داخل السجن كبيرًا حيث في ذكرى يوم الأسير الفلسطيني 17/ 04 من كل عام كان مسؤولو التنظيمات يقدمون الهدايا للمناضل علي؛ لأنه أصغرهم، ويعاملونه معاملة خاصة، فهذه أخلاق المناضلين الذين يحرصون على بناء

جيل ثائر ليحمي الأرض والعرض، وقد استقبله في السجن إخوة لهم باع طويل في العمل الثقافي والتنظيمي، واستفاد منهم كثيرًا عبر برامج التعليم التي تقدم للأسير الفلسطيني، وبدأ يشكِّل علاقات اجتماعية قوية مع الأسرى، وكل ذلك منحه الإرادة والقوة للصمود في وجه المحتل لاسيما في الإضراب المفتوح عن الطعام عام 1994م، والذي تحققت به كافة مطالب الأسرى، ورغم الحكم المؤبد على مناضلنا علي إلّا أنّه لم يشعر أبدًا بحالة من اليأس أو الإحباط، بل كان مفعمًا بالأمل المصحوب باليقين أن باب السجن لم ولن يغلق على أحد أبدًا.

التحرر من الأسر

عقب توقيع اتفاق (أوسلو) عام 1993م وعلى إثره في العام 1994م اتفاق غزة أريحا أولًا، تم أخذ القرار لدى الحكومة الصهيونية بالإفراج عن عدد كبير من الأسرى، وبالفعل تم الإفراج عنهم في شهر مايو (أيار) من العام 1994م، وبعد شهر من هذه الدفعة أبلغت إدارة سجن جنيد أقدم أسيرين لديها داخل السجن بأنه سيتم الإفراج عنهما خلال ساعات بالرغم من أن الأسيرين تاج الدين الحسيني أبو الليل أمضى 25 عامًا وأبو حسين القيسي أمضى 27 عامًا ومحكومان بالمؤبد، فكانت هذه الحالة سابقة ولم يحدث مثلها في تاريخ الحركة الأسيرة إلا في صفقات التبادل، ولذلك شكّلت بقعة ضوء وشعاع أمل في الحرية لدى باقي الأسرى، وبالفعل بعد يوم أو يومين في الساعة الـ 11 ليلًا تفاجأ الأسير علي وإخوانه الأسرى بأن باب القسم الذي يتواجدون به في السجن قد تم فتحه،

مشهد من مراسم توقيع اتفاق أوسلو (1993م)

ودخل منه الضباط الكبار من مصلحة السجون وغيرها، وجاءوا ليتحدثوا مع ممثل المعتقل في ذلك الوقت وهو الأستاذ قدورة فارس حيث أبلغوه أنه يوجد قوائم لمن سيتم الافراج عنهم بعد ساعات وهم من الأحكام المؤبدة والعالية، ومن يسمع اسمه يكن جاهزًا خلال وقت قصير لإخراجه من غرفته، وأخذ ممثل المعتقل على عاتقه المناداة على الأسماء، وبدأ الأسرى يسمعون ولا يسمع لهم همسًا، وتنظر إليهم كأن على رؤوسهم الطير، وكل واحد منهم يدعو الله أن يكون اسمه من ضمن الأسماء المفرج عنهم، وبدأ المناضل قدورة فارس ينادي على الأسرى وبصوت عالٍ جدًا ليتمكن جميع الأسرى من سماع ماذا يريد أن يقول، فعادة في السجن عندما يحدث مثل هذا الأمر لا يكون إلا لأمر خطير جدًا أو فرض عقوبات على الأسرى أو إضراب عن الطعام أو فك الإضراب أو استشهاد أحد الأسرى، وبدأ الأسرى يترقبون ماذا يريد أن يقول قدورة فارس؟ ليتفاجأ الجميع بما سمعوه بأنه سيتم الإفراج عن عدد كبير من الأسرى من ذوي الأحكام العالية والمؤبدة، وأن الإفراج سيكون

هـذه الليلـة، وأنّ لديـه قوائـم بالأسـماء، وأنّ كل أسـير يسـمع اسـمه عليـه أن يكـون جاهـزًا، ومـن لم يحالفـه الحـظ في هـذا الإفـراج سـيكون في دفعـات قادمـة إن شـاء الله، وبـدأ المناضـل قـدورة فـارس بالمنـاداة عـلى الأسرى فمـن يسـمع اسـمه كأنـما ملـك الدنيـا، وكلـما ذكـر اسـمًا تمنّـى كل أسـير أن يكـون هـو الثـاني، فـما أن أصبـح الرقـم 47 حتـى جـاء اسـم الأسـير المناضـل عـلي القنيري، ولـما اكتملـت القائمـة أصبـح كل أسـير يعلـم مصـيره الحريـة، وأن البقـاء في السـجون الظـالم أهلهـا وعزاؤهـم حسـبنا الله ونعـم الوكيـل، وسـارع كل مناضـل بتجهيـز نفسـه، وبـدأت أبـواب السـجن تتفتـح في مشـهد تقشـعر لـه الأبـدان فبالأمـس كانـت مغلقـة، وكان الأمـل ضعيفًـا لـدى الأسرى بالحريـة، وإذا بهـم وفي أقـل مـن سـاعة جاهـزون للحريـة وفتحـت الأصفـاد رغمًا عن السـجّان، وتجمـع الأسرى المفـرج عنهـم في سـاحة السـجن وكان عددهـم 270 أسـيرًا، وفي السـاعة الـواحدة ليـلًا؛ نعـم.. إنـه الليـل ومـا أدراك مـا معنـى الليـل لـدى الأسـير الفلسـطيني؟ فهـو محـروم منـه ومـن التمتـع بمنظـر النجـوم، اسـتلقى حينهـا المناضـل عـلي عـلى الأرض وتوجـه بعينـه نحـو السـماء، وكانـت هـذه المـرة الأولى التـي يـرى فيهـا النجـوم منـذ 4 سـنوات، وبـدأ الأسرى يخرجـون إلى الحافـلات، وتخـرج الحافـلات مـن داخـل سـجن جنيـد عنـد السـاعة الـرابعة صباحًـا تحـت حراسـة مشـددة مـن الجيـش الصهيـوني، وبعـد وقـت طويـل وصلـت الحافـلات إلى مشـارف أريحـا، وعلِـم الأسرى أنهـم قـد دخلـوا إلى منطقـة أريحـا، ولاسـيما وأن بعـض المفـرج عنهـم مـن أريحـا، فـما إن رأوا جبـال وسـهول أريحا حتى بـدأت عليهـم علامـات الفـرح والـسرور، ووقفـت الحافـلات عـلى حاجـز عسـكري صهيـوني ونـزل حينها الجنـود الصهاينـة من الحافـلات، وصعـد مكانهم جنود آخـرون كانـوا يتبعـون للسـلطة الفلسـطينية الوليـدة، وتوجهـوا بهـم إلى مقاطعـة أريحـا، وكانـت السـاعة حـوالي الخامسـة والنصف صباحًـا، وتم إنـزال الأسرى مـن الحافـلات وسـط اسـتقبال وترحيـب مـن قبـل قيـادة السـلطة، وتـم تزويدهـم بالقـرارات التي فرضت عليهـم بعـدم الخـروج مـن مدينـة أريحـا منطقـة (أ)، والامتنـاع عـن القيام بأي عمـل ضد العـدو الصهيوني، وأنـه يجـب عليهـم احـترام الاتفاقيـات الموقعـة مـا بـين الطرفين، ولم يكـن حينهـا وسـائل الاتصـال متوفـرة كما هـي اليـوم، ولذلـك عانـى مناضلنـا عـلي كثيـرًا حتـى تمكّـن مـن إيصـال الخـبر إلى عائلتـه أنـه تـم الافـراج عنه وأنـه موجـود في سـجن أريحـا، وعـلى الفـور تجمعـت عائلتـه وتوجهـت إلى لقائه في أريحا وسـط فـرح وسـرور لا يوصـف، وبعـد عـام مـن تواجـده في أريحـا تمكنـت السـلطة الفلسـطينية مـن نـشر قواتهـا في المناطـق التـي انسـحب منهـا العـدو، وعـاد حينهـا المناضـل عـلي إلى جنين القسـام ومخيمهـا الصامـد في وجـه المحتـل ليلقـى أهلـه وأحبتـه وأصحابـه وسـط الترحـاب والفـرح الشـديد.

الزواج وتكوين الأسرة

بعـد أن تحـرر المناضـل عـلي مـن الأسر وعـاد إلى حضـن عائلتـه ومخيمـه قـرر الانخـراط في الحيـاة والعمـل بـكل جـدٍ واجتهـاد في كل اتجـاه، وخـلال فترة زمنيـة قصـيرة تمكّـن مـن بنـاء بيـت وتـزوج في العـام 1998م، ورزقـه الله المولـود البكـر وأسـماه (سـند)

ليكون له سندًا في المستقبل المجهول، وبذل جهدًا كبيرًا ومضاعفًا لإسعاد عائلته بكل ما أوتي من قوة وقدرة، وعمل في مجال البناء وأتقنه بشكل كبير، ولم يدّخر مالًا أو جهدًا إلّا ولعائلته منه نصيب إلى أن اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة.

انتفاضة الأقصى، ومحاولة الاحتلال اجتثاث المقاومة

لقد جاءت هذه الانتفاضة المباركة لتجرف في بحرها الهادر سياسات العدو الصهيوني عبر حكوماتها المتعددة التي تهربت دومًا من تنفيذ الاتفاقيات الموقعة التي قرنت بحلم الدولة الفلسطينية، وهذا التراجع خلّف حالة من الغضب الفلسطيني باتجاه العدو عبّر عنه بانتفاضة الأقصى حيث واجه الشعب الفلسطيني العدو بالحجر مقابل الرصاص والصدور العارية مقابل الدبابات، وتكبّد الفلسطيني عشرات الشهداء ومئات الجرحى دون أن يُمس الصهيوني، حيث بدأت هذه الانتفاضة هادئة تجاههم فكانت أشبه ما يكون بانتفاضة العام 1987م إلّا أنها قد بدأت تتصاعد الأمور أكثر فأكثر، وانفردت حينها حركة فتح باستراتيجية مقاومة ثابتة وواضحة اتخذت من مساحة الضفة وغزة فقط ميدانًا لعملياتها الأسطورية وغير الاستشهادية سوى بعض العمليات المحدودة، وأصبح المستوطنون غير آمنين على الطرق الالتفافية ومداخل المستوطنات وكذلك الدوريات الصهيونية، بينما تمكنت حركة الجهاد الإسلامي من اتباع استراتيجية أخرى هي ضرب العدو في العمق عبر سلسلة مستمرة من العمليات الاستشهادية وكذلك فعلت حماس، وكان لابد حينها من قيام المناضل علي ومنذ اللحظة الأولى بالتحرك، ولذلك وامتدادًا لخبرته السابقة في مواجهة المحتل جماهيريًا وشعبيًا وعسكريًا؛ امتشق سلاحه وسار مع ركب الثوار والمقاومين في مدينة جنين، وبدأ بالبحث عن قطعان المستوطنين على الطرق الالتفافية ومداخل المستوطنات، فلم يكن لهم تواجد داخل مدينة جنين ومحيطها، وبداية لم يكن الأمر سهلًا عليهم، وفي كل يوم كانت المقاومة تشتد أكثر فأكثر وبدأت العمليات الاستشهادية تحقق أهدافها وكل شهيد فلسطيني يقابل قتيلًا صهيونيًا وأكثر، واعتبرت الحكومة الصهيونية أن العمليات الاستشهادية قد أدت إلى مقتل الكثير من الأرواح الصهيونية ناهيك عن الخسارة الاقتصادية والمادية، وبدأت عمليات هجرة السكان إلى الخارج هربًا من الموت، وأصبحت الحكومة الصهيونية كل يوم تخسر مئات الملايين، وقررت الحكومة الصهيونية إرسال طائراتها الحربية لقصف مقرات السلطة الفلسطينية كرد فعل على ما يحدث، وتم هدم العديد منها إضافة إلى ملاحقة ومطاردة قادة وكوادر وناشطي الانتفاضة عبر إرسال السيارات المفخخة لهم وزرع العبوات الناسفة عبر جواسيسهم، وكان لهم أيضًا محاولات التسلل إلى داخل مناطق السلطة إمّا للتصفية أو لاعتقال المطلوبين الفلسطينيين، وكانت أول محاولة لهم في مدينة جنين عندما تسللت قوة صهيونية خاصة بتاريخ 04/ 03/ 2001م إلى وادي برقين في جنين لاعتقال أو اغتيال الشهيد المجاهد نصر جرار، فتم كشفهم والتصدي لهم عبر المجاهد الشهيد أسامة نغنغية أحد أبطال حركة الجهاد

الإسلامي حيث بادرهم بإطلاق النار وأوقع بينهم الإصابات المؤكدة، فما كان منهم إلا الانسحاب مخلفين وراءهم خيبة الأمل في الوصول إلى هدفهم وبقع الدماء وعتادهم ليكون الاتجاه بعدها نحو عمليات الاغتيال عبر الطائرات الصهيونية كما حدث في مدينة جنين عندما استهدفت الطائرات الصهيونية سيارة كان يستقلها عدد من قادة كتائب الأقصى وهم: عبد الكريم عويس، أبو علي الراشد، ومعتصم الصباغ حيث استشهد في هذا القصف الصهيوني البطل معتصم الصباغ بتاريخ 12/ 05/ 2001م، وتمكن البطلان الأسيران عبد الكريم عويس وأبو علي الراشد من الخروج من السيارة في اللحظة الأخيرة حيث ما إن رأيا طائرة الأباتشي تطلق صاروخها حتى هربا من السيارة بسرعة البرق، وكتب الله _عز وجل_ لهما النجاة، ثم اتجه العدو باستهداف المطاردين والمقاومين عبر زرع الجواسيس في كل مكان كما حدث مع استشهاد القائد الحمساوي الكبير نزيه أبو سباع حيث بتاريخ 16/ 02/ 2002م تم زرع عبوة جانبية له على طريق اعتاد المرور منه مما أدى إلى استشهاده على الفور، وقد أعلن العدو الصهيوني مسؤوليته عن استهدافه بسبب عضويته في كتائب القسام وحملته المسؤولية بنقل صواريخ إلى مدينة جنين، وتم إحباط هذه العملية عبر إلقاء القبض على أفراد الخلية والصواريخ في أثناء الطريق من وادي الباذان إلى مدينة جنين، وكان قد سبق ذلك عملية استهداف أبرز قادة سرايا القدس في جنين وهو الشهيد إياد الحردان الذي تم اغتياله عبر عبوة ناسفة في جهاز الهاتف العمومي والذي اعتاد على استخدامه من أمام مقاطعة مدينة جنين بتاريخ 05/ 04/ 2001م، كما تم استهداف أبطال مخيم جنين الشهيدين القائدين في كتائب الأقصى الشهيد عكرمة ستيتي والشهيد مجدي الطيب وذلك عبر زرع عبوة ناسفة لهم في سيارتهما عبر جواسيسهم مما أدى إلى استشهادهما على الفور بتاريخ 06/ 11/ 2001م.

استبسال مخيم جنين في مقاومة العدو

نتيجة عملية الاستهداف والاغتيال بحق القادة والكوادر الفلسطينية كان لابد من توسيع دائرة العمليات الاستشهادية لتطال كل أنحاء فلسطين المحتلة مما جعل الصهيوني الهالك أرئيل شارون يقرر بناء الجدار الفاصل واجتياح مناطق الضفة الغربية خاصة مخيم جنين حيث كان أحد أهم معاقل المقاومة الفلسطينية الذي أسماه شارون بـ (عش الدبابير)، وأصبح حينها المخيم يشبه ثكنة عسكرية، وبدأت عمليات تصنيع المتفجرات والعبوات والأحزمة الناسفة والأكواع، وتم تشكيل العديد من الخلايا لحراسة مداخل ومخارج مخيم جنين ففي شهر مارس (آذار) من العام 2002م قررت الحكومة الصهيونية اجتياح مخيم جنين بعد أن صنفته بؤرة إرهاب، وتقدّمت القوات الصهيونية تجاه مخيم جنين، واستعد رجال المقاومة الفلسطينية بالتصدي لهم وبدأت الاشتباكات بين المقاومة والعدو، واستمرت لعدة أيام وارتقى خلالها الشهداء والجرحى، وفي نفس الوقت تم مقتل أحد ضباط الجيش الصهيوني، وقد أشيع

حينها أن الجيش الصهيوني سيدخل بدباباته وسط مخيم جنين، ولذلك قرر معظم الأبطال الخروج من المخيم باتجاه منطقة آمنة في جنين لتجنيب أهالي المخيم الويلات والدمار والمجازر والحفاظ على أفراد المقاومة الفلسطينية واستمراريتها، ومع ذلك بقي عدد من أبطال المقاومة رفضوا الخروج، ومن بينهم القائد في سرايا القدس الجنرال محمود طوالبة، وما أن خرج صباح ذلك اليوم حتى انسحب العدو الصهيوني وعاد المقاومون إلى معقلهم في مخيم جنين، وقد اكتسب حينها المقاومون الفلسطينيون خبرة في التعامل مع العدو الصهيوني، ولذلك ازدادت عمليات التصنيع لدى كافة الفصائل استعدادًا لأي اجتياح قادم، وما إن انطلقت العمليات الاستشهادية من مدينة جنين وخاصة عملية الاستشهادي شادي الطوباسي والذي قام الشهداء سائد عواد من طولكرم ومجدي خلوص من بلاطة بإرساله بتاريخ 31/ 03/ 2002م لينفذ عملية في أحد المطاعم في مدينة حيفا حيث أسفرت العملية عن مقتل وإصابة العشرات، وما أن تم الإعلان عن العملية باسم كتائب القسام وأن الاستشهادي من مخيم جنين وتزامن ذلك مع عملية فندق بارك التي نفذها الاستشهادي عبد الباسط عودة بتاريخ 27/ 03/ 2002م والتي أدت إلى مقتل 30 صهيونيًا وإصابة العشرات؛ حتى بدأت محاصرة مخيم جنين، ومع ذلك كانت معنويات المقاومين والأهالي مرتفعة جدًا، وكان التعاضد والتماسك كبيرًا فوقف الجميع وقفة رجل واحد دفاعًا عن مخيم جنين ومقاومته الباسلة، وسجّل مخيم جنين أسطورة في ساحات المواجهة والقتال، وبدأت نساء المخيم بتجهيز الطعام والشراب للمقاومين الفلسطينيين، وكل عائلة تستضيف المقاومين ليشاركوهم الطعام والشراب والمكان.

بدأ الجيش الصهيوني يتقدم نحو مخيم جنين من كافة المحاور بعد أن نشر قناصته في كل مكان، وبدأت الطائرات تحلق فوق مخيم جنين، وترصد تحركاته المقاومة واستعداداتهم، وبدأت الاشتباكات المسلحة في كل مكان في مخيم جنين، وبدأت الطائرات بقصف المنازل، وحاولت قوة صهيونية التسلل من منطقة الجابريات من أعلى مخيم جنين فتصدى لها أبطال المقاومة في المخيم مما جعلهم ينسحبون من المكان مخلفين وراءهم قطعة سلاح لم يتمكن أحد من الوصول إليها بسبب القناصة الصهاينة، وفي ذلك الوقت كان المناضل علي مع مجموعة الشهيد القائد زياد العامر،

الأسير المناضل/ علي سايس
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وقد سمع القائد زياد على جهاز (الميرس) أي المخشير ما جرى في منطقة الجابريات فقرر التوجه إلى تلك المنطقة، وقال لمن معه إنه سيغيب فقط

10 دقائق ثم يعود إليهم، وما أن وصل إلى تلك المنطقة حتى أطلق القناصة الصهاينة الرصاص عليه فاستشهد على الفور، وحاول أحد الشبان أن يسحب جثمانه الطاهر فإذا به يتلقى رصاصة واستشهد على الفور، وبدأ الخبر ينتشر في كل مكان، وكان ذلك بمثابة الصدمة بل الطامة الكبرى، فانتفض حينها الأبطال ليثأروا لروحه، وبدأت الاشتباكات تشتد أكثر فأكثر لمدة 4 أيام متواصلة ليل نهار، وبدأت القوات الصهيونية بالتقدم تحت غطاء طائرات الأباتشي عند ساعات الصباح الباكر، وقام الجنود بإطلاق النار الكثيف وتمشيط المنطقة التي يتواجدون بها، وكانوا يقومون بفتح الثغرات في الجدران والبيوت ليسهل عليهم الحركة من مكان إلى آخر، ومع ذلك كان يتواصل الاشتباك مع المقاومين طوال النهار من بيت إلى بيت وبنفس أسلوب الصهاينة حيث في حارة الشهيد القائد محمود طوالبة تقدمت قوة صهيونية باتجاههم، ودخلت أحد البيوت وبه المقاومون، وما أن كشف أمرهم حتى أطلق الأبطال نيرانهم على القوة مما أدى إلى مقتل ثلاثة جنود وجعلهم ينسحبون بغطاء جوي، وكان هذا في النهار، أما عندما كان يحل الليل فكان الجنود الصهاينة يحافظون على أماكن تواجدهم، وتبدأ الطائرات الحربية بالعمل وتقوم بقصف البيوت على ساكنيها وأي جسم يتحرك حتى لو كان حيوانًا صغيرًا يتم استهدافه بالصواريخ، ولم تكن الصواريخ تتوقف إلا لفترات بسيطة حيث يكمن المجاهدون في الليل ويقسمون أنفسهم إلى مجموعات، بعضهم ينام والبعض الآخر وظيفته الحراسة، ومع كل تقدم للأبطال أو الصهاينة تندلع الاشتباكات العنيفة ما يُعطل تقدم الجنود الصهاينة، ومع ذلك لجأ العدو لاستخدام جرافاته الضخمة ذات القدرة التدميرية، وبدأت أصوات النداءات تقترب وضجيج الحرب يخترق الآذان وبصورة حادة كالسيف، وأخذ الناس بالخروج من منازلهم تاركين وراءهم كل ما يملكون حفاظًا على أرواحهم كأنها النكبة من جديد حلت بهم وكأن التاريخ يعيد نفسه من جديد وحالهم كأنهم من أجداث ينسلون، وبدأت هذه البلدوزرات تهدم المنازل وتقوم بشق الطرق أمام الدبابات الصهيونية.

اجتمع المقاومين والذين انسحبوا من كافة المحاور باتجاه قلب المخيم في منطقة تسمى حارة الحواشين، وكانت هذه الحارة تمتاز بطرقها الضيقة، وبذلك قام الأبطال بزرع عبوات في الطرق، ولم يستطع الجنود حينها التقدم خوفًا مما حدث في حادثة مقتل الثلاثة عشر جنديًا صهيونيًا حيث حاول الجنود في الصباح التنقل من بيت لآخر على بعد أمتار معدودة، واشتد فيما بعد القصف الصهيوني مما أدى إلى استشهاد الأبطال الثلاثة، منهم القائد الكبير نضال النوباني والأخوان البطلان أمجد الفايد وأحمد الفايد، واجتمع حينها من تبقى من المناضلين، ومنهم المناضل علي في بيت واحد، وطلب منهم القائد الشهيد أبو جندل التغطية عليه لانتشال جثة أحد الجنود، وكان يقترب حينها ومعه المناضل علي واثنان من المناضلين، وما أن وصلوا إلى تلك الجثة فإذا بها جثة الشهيد طه الزبيدي فعاد الجميع إلى المكان.

استشهاد المجاهد علام القنيري

أراد بعض الإخوة والمناضلين الكبار جمال حويل وإياد السلفيتي ووائل أبو سباع الانفصال عن المجموعة والتوجه إلى حارة أخرى وهي حارة النورس، وتناول حينها المناضل علي من جيبه ثلاث حبات من الحلوى، وأعطى واحدة لأخيه الشهيد علام والثانية للبطل زكريا الزبيدي وبقي في يده الحبة الثالثة، وقال للجميع أن يسامحوه؛ لأن حبة الحلوى هذه إن شاء الله إن كتب الله له العمر سيعطيها لولده سند، وقرر حينها الخروج مع أخيه الشهيد علام لكي يكشف لهم الطريق ومعهم المناضل زكريا الزبيدي وانطلقوا من بيت لآخر، وكان البطل علي في المقدمة بعد أن دخل من إحدى الغرف ولها شباك يطل على الشارع، وتمكن من اجتياز المنطقة، وكان أخوه علام وراءه فما إن اقترب من الشباك وإذا به يتلقى رصاصة، فصاح المناضل زكريا بأعلى صوته أن علام أصيب، وعاد المناضل علي مسرعًا إلى أخيه فوجده على الأرض ممددًا والدماء تسيل من جسده الطاهر، فوضع يديه تحت رأسه وبدأ يطلب منه نطق الشهادتين، ونطق أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ثم لفظ أنفاسه، وقام المناضل علي يقبل رأس أخيه، وأطلق القناصة الصهاينة عليه رصاصة أصابت طاقيته، ثم رصاصة ثانية اصطدمت بالحائط وارتدت، وأصابت المناضل علي بظهره إصابة خفيفة، وقام حينها المناضل زكريا بسحبه من بين يديه وقال له يا صديقي إن بقينا هنا سوف يطلقون علينا قذيفة صاروخية، وكان مشهدًا صعبًا جدًا ومؤثرًا، فكيف يستطيع المناضل علي من أن يترك جثمان أخيه وراءه، فاضطر حينها تحت الضغط إطلاق النار باتجاههم وأن يغمض عيني أخيه علام، ويعود المناضلان علي وزكريا إلى الموقع الذي خرجا منه، واستقبلهما الأبطال وسألوهما عن علام فأجابوهما أن علام قد استشهد، فحزن الأبطال كثيرًا عليه، وأبدوا تعاطفهم مع المناضل علي، وكان الشهيد علام القنيري قد استشهد بتاريخ 10/ 04/ 2002م وكان آخر شهيد في معركة مخيم جنين في الساعة الواحدة ظهرًا.

الشهيد البطل/ علام سايس (القنيري)
استشهد بتاريخ 10/ 04/ 2002م

قام كافة المقاتلين الفلسطينيين ومن كافة الفصائل بالانتقال إلى منزل مجاور وكان عددهم حينها 35 مقاتلًا، وبدأت المعنويات تنهار شيئًا فشيئًا ولاسيما أن مخيم جنين معظم حاراته ومنازله أصبحت مسواة بالأرض، وأن الجرافات الصهيونية

لا تتوقف أبدًا، وأن القصف الصهيوني مستمر والجنود الصهاينة في كل مكان، والقناصة يكشفون كل متر في مخيم جنين، وبدأ الحديث على أن يقوم المقاتلون بتسليم أنفسهم وبدأ النقاش والحوار، فمنهم من رفض ذلك وأصرّ على القتال حتى آخر نفس، وقال حينها المناضل علي أن من يريد أن يسلّم نفسه فهذا قراره أمّا أنا فلن أسلّم نفسي ولن أعود إلى السجن مرة أخرى، وقد تعرضت للعذاب في السجن وأنا صغير ولن أعود إليه مرة أخرى، وقال له أحد المقاتلين إن أخاك علام قد استشهد فلا تلحق به، فلما وجدوه مصرًا على عدم الاستسلام بدأوا بوضع أسلحتهم على الأرض والخروج لتسليم أنفسهم، بينما بقي وحده في الغرفة، وكان المناضل زكريا إلى جانبه ينظر إليه وما هي إلا لحظات حتى عاد إليه الأبطال بعد أن خرجوا لتسليم أنفسهم، وتعاهدوا على الشهادة في سبيل الله، وانتقلوا إلى بيت مجاور، وكانت جرافة صهيونية قد هدمت البيت الذي كانوا فيه حيث تمكنوا من الخروج عبر شباك من بيت مجاور وتابعوا التنقل من بيت إلى آخر حتى وصلوا إلى مكان محاط بالأطلال من كل جانب، وكان البيت منخفضًا وكان الجنود الصهاينة قد دخلوا المنطقة وقاموا بتمشيطها، وقام المقاومون بالتنقل من بيت إلى آخر بحثًا عن الطعام والأمن والأمان، فدخلوا إلى بيت المواطن هشام الرخ، فوجدوا به دماء كبيرة، ومن ثم إلى منزل المواطن حسن أبو طبيخ، ثم إلى المنزل المجاور ومكثوا به أربعة أيام، وقرر حينها الأبطال إرسال اثنين من المقاتلين لإحضار السلاح والعتاد، وذهب المقاتلان عماد نشرتي وعبد الأمين، وعادا إليهم مصدومين مذهولين يقولان بأن البطل وائل أبو سباع على قيد الحياة وأنه لم يستشهد، فذهب إليه المناضلون وحملوه، وكان له ستة أيام مصابًا دون أن يتمكن أحد من مساعدته ووضعه الصحي صعب جدًا حيث إن الرصاصة التي أصابته قد استقرت بجسده وأحدثت فتحة كبيرة ونزف كمية كبيرة من الدماء، وكان حينها يجلس المناضل علي بقربه ويحاول مساعدته، وعمل مساج ليديه وقدميه حتى يسري الدم في عروقه، وقرأ عليه ما تيسر من القرآن الكريم، وحاول إقناعه أن يتم حمله ووضعه على حافة الطريق حتى يراه أحد ويقوم بإسعافه لكنه رفض ذلك، وبقي معهم في المنزل 5 أيام أخرى، فساور المناضل علي شك في أن يكون أخاه علام حيًا كما حدث مع المناضل أبو سباع، فقرر إلى أن يذهب إليه، وبدأ يتسلل عبر طرق غير مكشوفة من خلال حطام وركام البيوت المدمرة حتى وصل إلى خلف البيت الذي استشهد فيه أخوه علام، ودخل من خلال الشباك، وكان الجنود الصهاينة في البناية المقابلة له، فتوجه له المناضل علي إلى باب الغرفة ومد يده لسحب جثمان أخيه إلى داخل الغرفة ليكون بينه وبين الجنود الصهاينة ساتر وهو حائط الغرفة، ووضع جثمان أخيه بين يديه، وبدأ يقرأ عليه الفاتحة ويدعوا الله _عز وجل_ أن يتقبله مع الشهداء، وكان حينها يرتدي ساعة فأخذها من يده لتكون ذكرى، وكذلك أخذ محفظته، ثم ودّعه بدموع لا تتوقف، وعاد إلى إخوانه في ذلك المنزل فوجد المناضل زكريا يجلس على حافة عتبة البيت ووضع يده على خده وتبدو عليه ملامح الحزن والأسى، فسأله المناضل

علي: "مالي آراك حزينًا يا صاحبي؟" فقال له زكريا: "لا أعلم من أين أتلقّى المصائب، فأمي وأخي قد استشهدا، وابن عمي قد استشهد، وصاحبي ورفيق دربي علام قد استشهد؟" فقال له المناضل علي: "تسأل الله _عز وجل_ أن يرحمهم برحمته الواسعة"، وأصرّ المناضل علي أن يهدي ساعة أخيه علام إلى المناضل زكريا، وقال له أنت أحق بها مني، وهي أمانة معك وذكرى من روح علام، ثم بدأ يفتش في محفظة أخيه الشهيد فوجد ورقة صغيرة مكتوبًا عليها الرجاء من الأهل الأعزاء سداد الدين المتبقي عليه إلى شخصين أحدهما له 170 شيكلًا، والآخر له مبلغ 80 شيكلًا، وكانا يعملون معه في مجال البناء، وعلم المناضل علي أن أخيه علام كان يعلم أنه سيلقى الله _عز وجل_ شهيدًا.

الأسير المناضل/ علي سايس
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

الخروج من المخيم

في اليوم العاشر من المعركة قرر المناضلون الخروج من المنزل الذي يتواجدون فيه عندما يحل الليل، واتفقوا على طريقة معينة لعملية الخروج، ولما خرجوا وتحركوا لمسافة 10 أمتار وجدوا الدبابات الصهيونية أمامهم فعادوا إلى المنزل مرة أخرى، وفي اليوم الـ 11 للمعركة أخبر المناضل علي أنه سيذهب ليكشف لهم الطريق وأصرّ أن يرافقه اثنان من الإخوة هما الشهيد عماد نشرتي ومحمد طوالبة، واتفق الجميع بعدم التحرك إلا بعد نصف ساعة حيث يخرج الأول وبعد نصف ساعة يخرج الآخر، وإذا سمع صوت الرصاص يتوقفون ولا يتقدمون في سيرهم؛ لأنه قد يكون حدث اشتباك مع الجنود، وودّع الإخوة بعضهم بعضًا وسط دعوات بالنصر، وتقدّم المناضل علي ليقود الإخوة عماد ومحمد وساروا بين الركام والأطلال ووصلوا إلى بيت محاط بالركام في كل جانب كأنهم في قاع بئر، وجلس المناضلان علي وعماد على الأرض وسط الركام، وبقي محمد واقفًا على الأطلال، وإذ به يصرخ بأعلى صوته إنها فتاة إنها فتاة، تعالوا فانظروا فقالوا له إنك تتخيل من أين ستأتي الفتاة؟ وبدأ يحلف لهم أنه قد رأى فتاة وأكد أن عمرها يقارب 10 سنوات وترتدي فستانًا أبيض، وبالفعل وأثناء الحديث إذا برجل يقف في ذلك المكان الذي ظهرت فيه الفتاة وسرعان ما عرفوا هذا الرجل إنه أبو محمد الوصفي، فأشار إليه بعلامة سؤال بيده، فأشار إليه أبو محمد الوصفي بيده أن يسكت ويرجع إلى الخلف، ولم

يعد المناضلون يرونه، وبعد 10 دقائق سمعوا صوت أقدام تقترب منهم فاستعدوا لأي طارئ، وكان هو نفسه أبو محمد الوصفي وكأنها معجزة سقطت عليهم من السماء، وقالوا له كيف خرجت ووصلت إلى هنا، فأجاب: قد خرجت من معسكر سالم الصهيوني، وأبلغه المعتقلون بأن هناك إخوة مناضلين محاصرين في بيوت المخيم، وكان يبحث عن مساندتهم ومساعدتهم، فطلبوا منه إخراجهم من المكان، فقال لهم الجيش الصهيوني والقناصة ينتشرون في كل مكان، وقال لهم اتركوا السلاح وانزعوا ملابسكم العسكرية، وسوف أسير أمامكم على بعد أمتار وأنتم تسيرون من خلفي، وأن تكون هناك مسافة بين كل واحد منكم، وبالفعل تم تخبئة السلاح تحت الركام، وقاموا بالتحرك وشاهدوا ما لم يخطر على بالهم، حيث أقرب منزل عليهم يبعد أكثر من 50 مترًا، والمخيم أصبح عبارة عن أكوام حجارة وتلال حيث خلفت ممارسات العدو الصهيوني الضحايا والأشلاء والصراخ والعويل والبكاء والجنازات، وكان ما حدث بالفعل صاعقة وقعت على رؤوس الناس، وما أن وصل المناضلون إلى أول منزل حتى شاهدوا الصحفي وليد العمري مراسل قناة الجزيرة والصحفي علي السمودي ورجال الهلال الأحمر، وانتقلوا حينها إلى مكان آمن في حارة السمران حيث دخلوا إلى منزل أبو هاني الأسمر، وجاءهم مناصرًا ومساعدًا لهم المناضل مؤيد الزبيدي ومعه آخر، وتم إبلاغهم عن أماكن تواجد باقي المناضلين، وأخبروهم عن حالة البطل وائل أبو سباع، فذهبوا إلى ذلك الموقع وتم إخراجهم وحمل المصاب إلى المشفى، وكان هناك الجنود الصهاينة، وأخذوا المصاب منهم ثم عادوا إلى المخيم، وفي اليوم التالي بدأت الصحافة والأطباء والإسعاف في الدخول إلى مخيم جنين.

لحظات عصيبة.. إخبار والدته بارتقاء شقيقه

قرر المناضل علي زيارة عائلته المتواجدة لدى أقربائه في منطقة خروبة في جنين، وكان الهم الكبير له هو إخبار والدته بنبأ استشهاد أخيه علام، فلم يتوقع أحد من عائلته أنه قد بقي على قيد الحياة، ولم يصدقوا عيونهم أنهم يشاهدونه حيًا وفرحتهم بذلك لا توصف، وقامت والدته بسؤاله عن أخيه علام فارتبك حينها، وقال لها أن تدعو الله أن يرحمه ولم يقل لها إنه استشهد، ثم قالت والدته إنها التقت مع شباب قد خرجوا من معسكر سالم وقد شاهدوا علام في المعسكر، فالتزم هنا المناضل علي الصمت للحظات ثم فكّر قليلًا: وقال لها اركبي معي يا أمي في السيارة سوف ندخل إلى المخيم ومعه ابنه سند، وفي الطريق شاهدت حجم الدمار الهائل الذي أصاب المخيم، وجثث الشهداء منتشرة في كل مكان وشرح لها حجم المعاناة والألم لكي يهوّن عليها نبأ استشهاد أخيه علام، وتوجه إلى منزل بالقرب من منزله المهدم وجلسوا فيه وأخرج من جيبه حبة الحلوى التي نذر أن يعطيها ابنه سند إن أحياه الله، ثم ذكر قصتها إلى أمه، وقال لها يا أماه إن أخي علام قد استشهد، فسرعان ما ردت عليه أن الحمد لله رب العالمين أنك قد عدت إليّ يا علي،

وكان هذا الموقف أصعب موقف في حياة المناضل علي حيث شعر أن والدته قد فقدت صوابها ولم تدرك الأمر ثم عاد مرة أخرى "يا أماه إن علام قد استشهد"، فقالت: "إن الناس هُدّمت منازلهم وقد استشهد لها اثنان وأكثر ونحن لسنا بأفضل منهم"، وعلم مدى صبر وجلد والدته، فبدلًا من أن يُصبّرها هي التي صبرته على المصيبة، وبدأ الأهالي بالعودة إلى المخيم وسط حالة من الذهول، وصدق قول المنشد حينما قال:

صاح مخيم جنين يا عرب يا مسلمين
احنا تحت الدمار والشباب مذبحين
الزعامة والملوك
يا مخيم ما حموك

لذلك فإن التاريخ يعيد نفسه، وما حصل في النكبة عام 1948م قد عاد وتكرر مرة أخرى في العام 2002م، فالذين لم يعيشوا حياة النكبة في الـ48 عاشوها رغمًا عنهم في عام 2002م.

والدة الأسير المناضل/ علي سايس
توفاها الله بتاريخ 06/ 01/ 2020م

التجهيز لعملية استشهادية

رغم المجزرة الرهيبة في مخيم جنين وخروج العدو منه إلّا أنه كان يُفرض حظر التجوال من الساعة السادسة مساءً حتى السابعة صباحًا، وكانت قوات الاحتلال تداهم المنازل بحثًا عن المطلوبين، فما كان من المناضل علي إلّا الاختفاء بشكل جيد بعيدًا عن الجواسيس، ولا يخرج إلا لحالة ماسّة، وقرر الانتقام لأرواح الشهداء فاجتمع مع القائد الكبير في كتائب القسام الشيخ نصر جرار وأعلمه أن ما تبقى من مواد وأمور عسكرية من وراء الشهداء قيس عدوان ومجدي بلاسمة وسائد أبو عواد موجود بحوزته، وأنه يريد استخدامها في عمل جهادي ضد العدو الصهيوني، وتم الاتفاق على استئجار مكان للعمل فيه، وكان ذلك في شارع أبو بكر في عمارة النفاع، ومحل آخر مقابل محكمة الصلح في جنين، وبدأ في تجهيز المواد الضرورية إلى أن أتم عمله بشكل كامل، وأخبر حينها الشهيد القائد نصر جرار بأنه يريد تجهيز عملية استشهادية، فأحضر له الأسيرين المحررين عصام ومحمد جرار لمساعدته، وطلب منه إحضار الاستشهاديين فقال له إن هناك اسمين جاهزين لتنفيذ العملية وهما الاستشهاديان عبد الرحمن صلاح وأحمد عيد، وتم الاتفاق على تفاصيل العملية والمكان والتاريخ الذي سينطلقون فيه هو 04/ 06/ 2002م أي بعد شهرين من اجتياح المخيم، وبالفعل انطلقت العملية ووصل الإخوة إلى قرية برطعة ولم يتمكنوا من العبور وعادوا إلى مدينة جنين.

ملاحقة المجموعة المشرفة على التجهيز

كانت الأخبار الصهيونية تتحدث عن إنذارات ساخنة فحاصروا كل الطرقات الرئيسية، واقتحموا مدينة جنين وداهموا البيوت خاصة في مخيم جنين وجمعوا الشباب من أعمار 15 إلى 45 عامًا في مدرسة وكالة الغوث، ووصلوا إلى منزل المجاهد محمد جرار وأبلغوا والده بأن يقوم بتسليم ولده محمد وإلّا فإن الشاباك سيقوم بهدم منزل العائلة وقتله، وفي نفس اليوم وافق المجاهد محمد جرار لتجنيب عائلته هدم البيت مقابل أن يسلّم نفسه، وتم التحقيق معه تحقيقًا عسكريًا، فاعترف على الاستشهاديين وأفراد المجموعة والمعمل والمخزن، وتوجه الجنود الصهاينة حينها إلى المكان الذي تتواجد به المتفجرات في عمارة النفاع، وقاموا بتفجير الشقة، ثم فجروا المخزن وعثروا فيه على 7 صواريخ محلية الصنع، واعتقلوا الاستشهاديين والمجاهد عصام جرار، وداهموا منزل عائلة المناضل علي، وكثّفت من الاقتحامات المنزلية للعائلة وهدّدوا العائلة بتصفية المناضل علي.

استشهاد القائد الشيخ نصر جرار

قرر علي الاختفاء لمدة عام كامل ولا أحد يعلم عنه شيئًا، وتم اقتحام منزله أكثر من 9 مرات وهو مختبئ في المنزل إلّا أنه في تاريخ 10/ 04/ 2003م قرر الظهور لأول مرة، وشارك في إحياء ذكرى مخيم جنين، وبعد الانتهاء من المهرجان وصله خبر من أحد الإخوة أن الشيخ نصر جرار يريد مقابلته، فتوجه إليه في المكان الذي يتواجد به، وعلم منه أنه يريد الانتقال لبلدة طوباس ويريد أن يرافقه، وكان معه ثلاثة شبان لا يعرفهم، ووصلوا إلى مدينة طوباس في موعد مع الغروب، وكان حينها المجاهد الكبير نصر جرار مقعدًا حيث بترت رجلاه في انفجار عبوة في بداية أحداث الانتفاضة عندما قام بزرع عبوة ناسفة ضد هدف صهيوني، ولذلك من الصعوبة التحرك كما الآخرين حيث تم وضعه في أحد المنازل، بينما استمر المناضل علي والشبان الثلاثة وهم من سكان طوباس بالتحرك لقضاء مهمة خاصة، وتم محاصرتهم من قبل الجيش الصهيوني ونجوا بفضل الله _عز وجل_، وفي اليوم التالي عاد إلى المنزل الذي يتواجد به الشيخ نصر جرار وأخبره بما حدث معه فقال له لابد من الخروج من المنزل، وكانت القوات الصهيونية منتشرة في كل مكان، وطائرات الاستطلاع لا تغادر سماء المنطقة،

الشهيد القائد القسامي/ نصر جرار
استشهد بتاريخ 14/ 08/ 2002م

وقال له الشيخ نصر إنه لابد من الالتقاء بأحد الأشخاص للضرورة، فاتصل بأحد الشبان الذين كانوا معه لكي يأخذ المناضل علي لذلك اللقاء، وما أن خرجوا معًا، وما هي إلا بضع دقائق حتى تمت محاصرة المنزل الذي يتواجد به ذلك الشيخ الكسيح، وحاول الأبطال تخفيف الحصار على الشيخ إلّا أن طوباس أصبحت ثكنة عسكرية والاشتباك مع قوات الاحتلال دون جدوى، وبدأت عمليات تفتيش المنازل بحثًا عن المطاردين، ووصلوا إلى المنزل المتواجد به الشيخ نصر، وكان يحمل قطعة سلاحًا من نوع عوزي ففتحوا عليه الباب ومعهم درع بشري عبارة عن رجل، فأطلق عليه الشيخ النار فتراجعت القوة الصهيونية إلى الخارج، وبدأوا بإطلاق الصواريخ على المنزل وهدموه على من فيه، وانسحبوا ووصل المناضل علي إلى المكان، وكان السكان يحيطون بالمنزل المهدوم من كل جانب، ولا يعلم أحد ما الذي حصل، ونادى بأعلى صوته أن يحضروا جرافة؛ لأنه يوجد تحت الركام الشيخ القائد الشهيد نصر جرار، وتم انتشال الجثة الطاهرة ونقله إلى مستشفى جنين، واختفى المناضل علي بعدها لمدة عام آخر.

وكما حدث في السنة الماضية خرج المناضل علي بتاريخ 10/ 04/ 2004م في ذكرى الاجتياح، واختفى عن الأنظار في العام 2005م، وأحيا الذكرى الثالثة لمجزرة المخيم ثم اختفى عن الأنظار، وفي شهر أغسطس (آب) من العام 2005م كان هناك تفاهمات ما بين الجانب الصهيوني والسلطة الفلسطينية من أجل توقيع المطاردين على وثيقة تنص على عدم القيام بأي عمل ونشاط عسكري ضد العدو الصهيوني مقابل العفو العام عن المطاردين، وقدّمت السلطة قائمة بأسماء المطلوبين، وتم استدعاؤه من قبل جهاز الأمن الوقائي في مدينة جنين وأخبره بأن هناك قائمة بالأسماء وأن اسمه لم يكن ضمن الأسماء التي وافق عليها العدو الصهيوني على تقديم العفو عنهم، وقالوا له إنه يوجد قائمة أخرى وأيضًا لم يكن اسمه من ضمنهم، وطلبوا حينها التوقيع منه على عدم القيام بأي عمل ضد العدو فرفض ذلك، وطلب منه التحدث إلى زياد هب الريح قائد جهاز الأمن الوقائي في الضفة الغربية، وحاولوا إقناعه بالأمر إلا أن المناضل علي أصرّ على عدم التوقيع، وبعد أيام تم اقتحام مدينة جنين وتم محاصرة منزل في واد عز الدين حيث تبين أنهم يحاصرون منزل حمزة قعقور ابن حركة الجهاد الإسلامي وأحد كوادرها المعروفين، وبدأت الجرافات بهدم الأجزاء الخارجية من المنزل، وعندها امتشق المجاهد علي سلاحه وهب للدفاع عن المجاهد حمزة، وبدأ بإطلاق النار على الجنود الصهاينة في وضح النهار في الساعة الواحدة ظهرًا وأمام الناس، وبعدها اتصل عليه أحد ضباط الأمن الوقائي وقال له: "أريد مقابلتك على انفراد" وهو صديق له من مخيم جنين، وقابله في شارع أبو بكر وبعيدًا عن أعين الناس، وقال له: "إن السلطة غير راضية عنك وعليك الالتزام بالتهدئة"، فرد عليه المناضل علي: "يوجد شاب محاصر"، فقال له الضابط: "وماذا يعنيك هذا الأمر، فالشاب من الجهاد الإسلامي وأنت ابن فتح وما علاقتك؟!"،

فقال له المناضل علي: "هذا ابن شعبي ووطني"، فقال له ضابط السلطة: "لن نحميك"، فرد عليه: "الله هو الحامي والحافظ" ثم تركه.

عملية الاعتقال

بعد أيام من هذه الحادثة مع الأمن الوقائي ومحاولة المناضل علي التصدي للقوة الصهيونية وضرب الاتفاقيات بعرض الحائط؛ توجه مع مجموعة من أصحابه عبر سيارة إلى منطقة صانور بالقرب من مدينة جنين، فوقع الأبطال في كمين صهيوني محكم وتم إلقاء القبض على المناضل علي الثائر وتركوا باقي الإخوة الذين كانوا معه، ومكث المناضل علي في معسكر سالم ما يقارب 14 يومًا، وكانت التهم بحقه جاهزة وليست بحاجة إلى الاعتراف، وتم نقله إلى السجن مباشرة وبعد ثلاث سنوات حُكم عليه لمدة 30 عامًا، وتم الاستئناف وحكم عليه من جديد بالحكم المؤبد.

الذكريات بين الألم والأمل

تزامن تاريخ الحكم الجديد مع تاريخ ذكرى استشهاد أخيه علام، وبدأ شريط الأحداث والذكريات يمر سريعًا أمام المناضل علي فتذكّر طفولته واعتقاله الأول وحريته بتاريخ 06/ 09/ 1994م ذلك اليوم الذي لا يمكن أن ينساه، ومر شريط من أمامه يتذكّر يوم وفاة والده في العام 1996م وكأن ظهره قد انكسر في ذلك الوقت إلّا أنّ الشريط به شيء من الألم، ولكنه به شيء من الأمل عندما رزقه الله المولود الأول سند بناءً على طلب والدته منه وأصبح عمره الآن 20 عامًا، ويعيش مع جدته الحنونة والتي من بداية عمره قررت الاهتمام والاعتناء به من شدة محبته الشديدة لابنها علي كما يقال "ما أعز من الولد إلا ولد الولد"، وبالفعل كان سند سندًا لأهله فقد أنهى التوجيهي بنجاح وبدأ العمل بتأسيس بيت خاص له ولا يزال ينتظر الإفراج عن والده ليزفه في يوم زفافه، ولم يتوقف شريط الذكريات عند ابنه البكر بل استمر ليصل إلى ابنه محمد وهو من مواليد العام 2002م حيث جاء في خضم الانتفاضة ولم يتمكن والده من احتضانه وضمه إلى صدره كما يجب من شدة عنفوان الانتفاضة وملاحقة العدو الصهيوني له، وها هو اليوم رجل يحمل همّ العائلة، خرج من المدرسة باكرًا وبدأ العمل في مجال الحلويات التي أتقن صناعتها، وبذلك تمكّن من بناء بيت خاص به وأصرّ والده الأسير أن يشتري له سيارة مكافئة لتعبه ومسؤوليته الكبيرة تجاه أهله، فقال له ولده محمد: "يا أبي أريد أن تشتري السيارة لي في عيد ميلادي لأقول للناس وأصحابي أن أبي الحنون وهو أسير في داخل السجون أهداني هذه السيارة في عيد ميلادي"، وعندما سُجن والده كان عمره فقط 5 سنوات، أما ابنته ذكرى وما أجملها من ذكرى وهي اسم على مسمى وذكرى لا تُنسى حيث في يوم ميلادها كانت الظروف صعبة والاحتلال يلاحق المطاردين، وكان يتواجد حينها في مخبأ سري، وكانت والدته هي الوحيدة التي كانت تعرف مكانه، وفي أحد الأيام وفي الساعة الخامسة فجرًا همست والدته في أذنه وهو في داخل المخبأ حيث تعوّد أن يسمع من أمه عبارة أن الجيش يحاصر المنطقة والبيت

فقال لها: "خيرًا يا أمي هل يوجد شيء؟" فقالت له: "نعم إنه خير فقد رزقك الله بطفلة، ماذا تريد أن تسميها؟" وبدون أي تردد وعلى الفور قال لها ذكرى نسبة للموقف الذي هو به، وكان ميلادها بتاريخ ذكرى إعلان الدولة الفلسطينية، ومرت السنوات وكبرت ذكرى وجاءت إلى السجن لزيارة والدها وسألت والدها سؤالًا محيرًا وهو: "يا بابا عندما أنت سُجنت هل كنت أنا في بطن أمي أم مولودة؟" فتأثّر حينها الأسير الأب علي وقال لها وفي داخله حزن وألم كبير وهم لا يوصف: "أنتِ كنتِ مولودة يا بابا"، فقالت له: "ولماذا لا أتذكرك يا بابا؟" فقال لها: "لقد كان عمرك عامًا ونصفًا فقط أما اليوم فتبلغين من العمر 19 عامًا".

الأسير المناضل/ علي سايس
برفقة والدته خلال زيارتها له في السجن

هذا هو الحزن الذي يسيطر على الأسير الفلسطيني الذي ضحّى بكل شيء بأهله وبيته وأبنائه ليحيا الوطن، ولكن الأبناء لا يمكن لهم إلّا أن يفتخروا دومًا بأبيهم المناضل الذي رفع رأسهم وأصبح الجميع يرفع لهم القبعة ويقدم لهم التحية والاحترام والتقدير، وشريط الأحداث لا يتوقف لدى المناضل علي حيث سلّط الضوء على زوجته التي كانت له خير زوجة لخير زوج على وجه الأرض، فهي التي حفظت زوجها في غيابه، وحفظت أبناءه وقامت بتربيتهم والاعتناء بهم إلى أن أصبحوا كبارًا يتحملون المسؤولية، وكذلك فإن عائلته سواء أمه أو إخوانه أو أخواته كانوا سندًا وعونًا لزوجته وأبنائه، فكانوا خير الأعمام والعمات وخير الأبناء، فقد عاش مناضلنا علي (أبو سند) من أجل قضية شعبه ووطنه، وكرّس حياته في داخل الأسر وخارجه مخلصًا لقضايا وطنه المعذّب فلسطين، فهل يتم مكافأة هذا المناضل الوطني الكبير وأن يتم تحريره في صفقة وفاء الأحرار (2) ليعود إلى أرضه ووطنه وشعبه وعائلته بعد أن سرق منه الزمان أجمل أيام شبابه وسعادته؟! نتمنى ذلك.

الأسير المجاهد
عاهد يوسف موسى أبو غلمة

أيقونة ملهمة ورافعة للمقاومة في الضفة

تاريخ الميلاد: 1968/03/13م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ولد وبنت

مكان السكن: بلدة بيت فوريك – محافظة نابلس

عدد أفراد العائلة: 14

تاريخ الاعتقال: 2006/03/14م

الحكم: مؤبد و5 سنوات

إن الحديث عن سيرة الأبطال والمقاومين والمناضلين ليس بالأمر السهل، ولكن عرض التجارب النضالية والإعتقالية يُعدّ تسليطًا للضوء على بعض المفاصل التاريخية الهامة للشعب الفلسطيني في سرديته الملحمية، وإبرازًا للهوية الوطنية الجمعية التي تعتبر رافعةً للنضال الوطني الفلسطيني، فحالة المناضلين وسيرهم متشابهة لاسيما أنهم قد عاشوا جميعًا حالة الصراع مع المحتل في ساحات المواجهة سواء في الجبال أو الوديان أو الغابات أو حتى الزنازين، بالإضافة إلى الأحياء والمدن والمخيمات، وكلها أماكن صاغت الصلابة والتحدي والثبات في مواجهة العدو، فكان لزامًا علينا وبتواضع شديد أن نكتب تجربة أحد أبرز القادة الفلسطينيين الذين ارتقوا إلى مصاف أيقونات نماذج يحتذى بها، وتتصل بحاضر ومسيرة كفاحية متواصلة، وما يرافقها من جدلية الموت والحياة، وإعادة صياغة الوعي الوطني الكفاحي، وغرسها عميقًا في اللاوعي إمعانًا في خلق الأسطورة الدافعة والمحفزة. وكان هذا القائد الكبير عاهد أبو غلمة (أبو قيس) لسانًا حيًا على ما ذكرناه سابقًا، ويحتل مكانة مرموقة في سجل القادة والأبطال والثائرين في

وجه المحتل الغاصب، وأصبح اسمه علمًا ونبراسًا في كل مدن وقرى ومخيمات فلسطين، بل أصبح أيقونة الكفاح والتحدي والمقاومة والصبر، وارتبط اسمه باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي ارتبط اسمها في الضمير الوطني والقومي بنهج العمل المتصف بالتقدمية المجبول بالأيديولوجية الماركسية اللينينية كنظرية علمية للصراع المجتمعي والقومي ضد المحتل، وبحتمية انتصار الاشتراكية العاملة في مواجهة الرأسمالية والبرجوازية والرجعية، فانتماء هذا القائد للجبهة الشعبية شكل له ولها صعودًا مستمرًا أضاف نقلة نوعية إلى الجبهة الشعبية، فانخرط تلاميذه في مدارس الجبهة بعد أن ثقفهم بالأيديولوجية الجبهاوية، فقل نظيرها في الحركات والأحزاب الأخرى، فكتابتنا عن هذا المناضل الكبير أبو قيس جعلنا نتوقف كثيرًا على محطات حياته العامة والخاصة منها للاطلاع على سر تكوين هذه العقلية والذهنية والشخصية بجوانبها المختلفة.

الميلاد والنشأة

ولد الأسير الرفيق عاهد يوسف أبو غلمة في بلدة بيت فوريك، وهذه البلدة تقع في محافظة نابلس جبل النار، وبلغ عدد سكانها هذه الأيام حوالي 15 ألف نسمة، وهي قرية تقع شرق مدينة نابلس، وتبعد عن مركز المدينة حوالي 7 كم، وهي على مشارف السفوح الغربية لجبال (شفا الغور) وتتوسط المسافة ما بين مدينة نابلس والأغوار، وتمتاز هذه البلدة الشامخة بشموخ أبنائها بطبيعة جبلية وعرة تتخللها بعض السهول والوديان العميقة، ويحدّها من الغرب مدينة نابلس، ومن الشرق غور الأردن، ومن الشمال قرية سالم ودير الحطب وعزموط، ومن الجنوب عقربا وعورتا، وتبلغ مساحة أراضي بيت فوريك 36663 دونمًا،

المدخل العام لبلدة بيت فوريك بمحافظة نابلس

وتسكن هذه البلدة عدة عائلات وحمائل، منها حمولة مليطات وخطاطبة ونصاصرة والحج محمد، وتُعد حمولة حنني أكبر الحمولات تعدادًا حيث تشكل حوالي 48 ٪ من عدد سكان البلدة، وتنقسم إلى مجموعة عائلات وهي: عائلة أبو سمرة، دار حسن، دار مصلح، دار صلاح، دار أبو حيط، دار حمود، بالإضافة إلى عائلة أبو غلمة التي تعد من أكثر العائلات معرفة لأصولها وجذورها العائلية، فالجد الأول رحل من مدينة الشوبك الأردنية إلى منطقة غور نابلس.

بيت فوريك، رافعة للمقاومة الفلسطينية

تفرعت عائلة أبو غلمة على الخليل ورام الله ونابلس، وشارك أبناء أبو غلمة الحركة الوطنية الفلسطينية بشكل فاعل حيث انضوى أبناؤها تحت لواء الثورة منذ انطلاقتها، فقدموا عدة شهداء على مذبح الحرية وظهر من بينهم كادر وقيادة العمل الوطني في بلدة بيت فوريك، فكان منهم القادة والأبطال والأسرى وصناع المجد في البلدة، وكان لهذه البلدة صولات وجولات في المقاومة منذ ثورة العام 1936م، وقبلها عندما بدأ رفقاء الدرب والسلاح للشهيد عز الدين القسام بمحاولة نشر الثورة في كل مدن وبلدات فلسطين، فاتخذ عبد الفتاح محمد الحاج مصطفى المعروف بأبي عبد الله السيلاوي من جبال بيت فوريك قاعدة لانطلاق ثورته وعملياته البطولية، وتمكن من تجنيد عدد كبير من أبناء المنطقة في صفوف الثورة ليلقى الله شهيدًا في 10/ 11/ 1938م، مع أربعة من رفاقه بعد معركة بطولية وحصار استمر أربعة أيام، واستمر نضال هذه البلدة حتى ضد التواجد الأردني، فتمردت هذه البلدة على ذلك الواقع عندما وجدت متنفسًا لذلك، فكان الحزب الشيوعي الأردني الذي قاومته الحكومة الأردنية والذي رفع شعارات الديمقراطية الاشتراكية ملاذًا للشباب الفوريكي ومتنفسًا لآرائهم السياسية، وانضمت أعداد غير قليلة من أبناء البلدة للحزب، وهذا الأمر لاقى مقاومة الحكومة الأردنية، فزُج العديد منهم في السجون الأردنية ليأتي احتلال الضفة الغربية في العام 1967م وكان لهذه البلدة الدور الهام والأصيل والتاريخي عندما استقبلت الآلاف من النازحين الفلسطينيين وقد امتلأت جبالها وسهولها وبيوتها وشوارعها، واتجه النازحون بعدها نحو الشرق باتجاه الأردن خوفًا من بطش المحتل الذي نشر الأكاذيب والاشاعات حول من يبقى في أرضه وبيته فإنه سيتعرض للذبح وللنهب، وقد فعلوا ذلك، فما كان من الناس إلا الفرار بأرواحهم حفاظًا على أعراضهم وممتلكاتهم، ولطبيعة تضاريس هذه البلدة وأهلها كعناد حجارتها وصخورها أصبحت نقطة ارتكاز وتجمع للثوار الفلسطينيين ومأوى لمجموعاتهم العسكرية المسلحة، فهذه المجموعات التي وجدت في جبال بلدة بيت فوريك حصنًا منيعًا، وفي أبنائها خير عون وسند سواء عبر الإمداد اللوجستي أو عبر مراصد الثوار أو تأمين طرقهم أو توفير ونقل السلاح لهم مما جعل بلدة بيت فوريك مكانًا آمنًا ومعبرًا للمجموعات الفدائية العابرة من نهر الأردن واتخاذها قاعدة ثورية للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات (أبو عمار)، وهناك وجد الأمن والرعاية والقدرة على التحرك حتى غادر بلدة بيت فوريك بأمان إلى شرق الأردن، وكان لوجود حركة فتح والجبهة الشعبية في هذه البلدة في إذكاء الوعي الوطني والثوري بين أبناء البلد، فاندفع الشباب إلى الانتماء إلى فصائل الثورة الفلسطينية إما حركة فتح أو للجبهة الشعبية، وحملوا السلاح لتكون النتيجة المذهلة خوض خمس معارك على أرض بيت فوريك. ولقد أضافت سجلًا ناصعًا عندما ارتقى خمسة عشر شهيدًا من أبناء البلدة إضافة إلى عشرة أسرى، وكان من بين هؤلاء السادة الشهداء بتلك

المعارك الشهيد محمود صلاح والشهيد عبد الحفيظ أبو غلمة، وهما خال وعم الرفيق عاهد، فكان هذا العمل الفدائي والمقاوم قد جعل العدو الصهيوني يرتكب الجرائم بحق أبناء البلدة إضافة إلى حصارها ومنع أبنائها من السفر، والحرمان من الخدمات العامة كالكهرباء والماء وتعبيد الطرقات وفتح وإنشاء المدارس والمساجد، فظن الاحتلال أن عقابه لهذه البلدة سوف يكسر شوكتهم وإلى الأبد، وإذا بانتفاضة العام 1987م قد كسرت شوكة المحتل وأصبحت حصنًا لهم، فكانت مركزًا للتشكيلات في الانتفاضة مثل الجيش الشعبي وكتائب أبو جهاد والقوات الضاربة ومجموعات التنين الأحمر والنسر الأحمر والنجم الأحمر وغيرها من المجموعات،

وأصبحت هذه البلدة بقادتها وكوادرها ورجالها رائدة ورافعة للمقاومة الفلسطينية مما جعل البلدات التي تحيط بها تسير على دربها في طريق المجد والعز الثوري، وامتدت ثورة هذه البلدة في وجه المحتل إلى انتفاضة الأقصى عام 2000م، لتحقق عبر قيام أبنائها بالعمليات العسكرية النوعية والعمليات الاستشهادية الانتصار تلو الانتصار على المحتل، وارتقى إلى العلا نحو 15 شهيدًا وعشرات الأسرى، ومن الشهداء أمجد مليطات وبشار حنني اللذان استشهدا بعد اشتباك مع المحتل بالإضافة إلى قائمة طويلة من أسرى الحرية من بلدة بيت فوريك الثائرة.

طفولة جبلت بالقهر والأسى

كان ميلاد القائد البطل عاهد أبو غلمة في العام 1968م أي بعد عام على احتلال الضفة الغربية في العام 1967م التي أطلق عليها الزعماء العرب النكسة، ويترافق مع فترة ميلاده استشهاد خاله في شهر مارس (آذار) في معركة الصوانة، وكان ينتمي حينها إلى الجبهة الشعبية حيث كانت تقع على الحدود الغربية للأغوار التي كانت تعتبر مركزًا للثوار والفدائيين من الأردن ما بين الأعوام 1967-1973م ليعيش هذا البطل عاهد طفولته، وأي طفولة، إنها ليست طفولة الحب والهدوء واللعب والضحك والبساطة وجمال الطبيعة، فلم يكن يحلم كما يحلم أي طفل بأن يصبح طيارًا أو طبيبًا أو فنانًا أو رسامًا، وأن يشعر أنه طفل كما باقي الأطفال الذين تروي لهم جداتهم وأمهاتهم قصصًا

خيالية عن كوكب أو حكاية فنان ورياضي أو إنسان مشهور أو قصة مختلفة من قصص الأطفال الشهيرة في العالم، هذا لم يحدث مع البطل عاهد في طفولته، إنه ولد في بلدة مهمة لعائلة مناضلة في زمن مؤلم رافق النكسة بحدث جلل باستشهاد خاله في سنوات شهدت حرب أكتوبر عام 1973م، وكل ذلك جعل من هذا الطفل يتربى منذ نعومة أظفاره على قصص وحكايات روتها له جدته أم الشهيد محمود صلاح حنني عن الثورة الفلسطينية والفدائي الفلسطيني لتزرع في حفيدها معاني الانتماء للوطن الأسير ولترابه المجبول بدم خاله الشهيد، ولركام منزل خالته الذي هدمه المحتل ليصبح ذكرى يجسد ما قالته جدته له ولأقرانه من أبناء عائلته حول فلسطين وحول ضرورة الدفاع عنها وتقديم كل ما يلزم لأجلها، فكانت هذه الجدة نعم الراوية الحقيقية ونعم المعلمة ونعم المربية ليخرج هذا الرفيق القائد هو وأبناء خاله وخالاته أكثر فهمًا ووعيًا لما أوصت به جدته أم الشهيد الذي حتى الآن لا يزال جثمانه الطاهر محجوزًا لدى العدو في مقابر الأرقام في إحدى أراضٍ فلسطين المحتلة المغتصبة من العام 1948م، ونتيجة لذلك كله تعززت شخصية هذا البطل، فمنذ صغره اعتمد على نفسه في ظل عائلة ميسورة الحال، وكما هو حال معظم العائلات كان لهذه العائلة أراضي زراعية بالإضافة إلى عدد من المواشي متخذين من مناطق الأغوار مكانًا لهم، وهذا دفعهم للانتقال حوالي 6 أشهر في السنة إلى الأغوار للاهتمام بمزروعاتهم وتربية مواشيهم مما جعل هذا الطفل يصقل شخصيته بنفسه باعتماده على نفسه. وكان يعيش مع إخوانه والذين كان أكبرهم عمره عشر سنوات خاصة بعد أن التحق بالمدرسة التي طالما حلم أن يكون بها، وأن يصبح الطفل المتعلم والمهتم بدراسته دون تفكير لمرحلة الطفولة إلا أن هذا الأمر في فلسطين لا يمكن له أن يتحقق، فما إن بلغ من عمره 8 سنوات حتى وقع أمامه مشهد حفر في ذاكرته تداعيات امتدت لسنوات طويلة من عمره عندما شاهد منظر هجوم الجيش الصهيوني على بلدتهم ومنزلهم باعتقال شقيقه الأكبر والذي كان عمره حوالي 20 عامًا، وكان ذلك في العام 1976م ولم يحترم هذا العدو حرمة المنزل وعاث الفساد في البلدة والمنزل، وكان شقيقه محمد وزوجته وابنه يسكنون في بيت ملاصق، فشاهد هذا الطفل البريء منظر الوحوش الصهاينة وهم يعتقلون أخاه محمدًا، ولم يسمحوا له حتى بارتداء ملابسه وانتعال حذائه ليتم حينها عصب عينيه وتكبيل يديه ليعيش الحكايات والقصص التي سمعها من جدته عن ظلم وإجرام هذا العدو بشكل واقعي، فعلم حينها أن الواقع الذي شاهده كان أكثر قسوة مما سمعه من جدته، وتم الحكم على أخيه مدة 6 سنوات.

وبدأ هذا البطل في اكتشاف جرائم الاحتلال أكثر فأكثر ليعيش تجربة عائلة الأسير ومعاناتها في الابتعاد عن ابنهم، والمعاناة في زيارة ابنهم في سجون الاحتلال، وبدأت تتشكل هوية هذا البطل شيئًا فشيئًا ويبدأ بالسؤال عن كلمة يسمعها صباح مساء ولا يوجد شخص في بلدته إلا وينطق بها ويعتز بها وهي كلمة فدائي، وزاد هذا الرفيق تطبيق ما

يسمعه ويشاهده ويحاول تقمص دور الفدائي ليقوم إلى جانب رفقائه في الطفولة بتعليق علم فلسطين على مدرستهم أو على أعمدة الكهرباء، وكانت هذه ظاهرة قد أعادت الروح الثورية بمعالمها الجديدة للبلدة بعد طول غياب، والأهم ما أن يسمع هذا البطل أبناء جيله يتحدثون أمامه أن من رفع هذا العلم على المدرسة هو الفدائي، وكان حينها رغم صغر سنه وبساطة العمل الذي قام به وإعجاب الناس الشديد به أصبح يشعر أنه قام بشيء يعجز عنه أشجع الشبان في البلدة، فكبر رفيقنا شيئًا فشيئًا مكتسبًا معرفة وعلمًا جديدًا عن معترك الحياة، ومارس حينها نشاطات جديدة في المظاهرات ضد المحتل، وأصبح أكثر قدرة على فهم ما يحدث وما ينبغي منه أن يفعل، ويتفتح وعيه ليكون أكثر إدراكًا ووعيًا للأحداث وخاصة ما سمعه عن المجازر الصهيونية بحق الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا، وما حدث في اجتياح صهيوني للبنان، وأصبح نشاطه الطلابي واضحًا في قريته، وبدأت النشاطات الطلابية للفصائل الفلسطينية تتسع وتنتشر في كل مكان.

الانضمام لاتحاد لجان الطلبة الثانويين

كان اتحاد لجان الطلبة الثانويين أحد أهم التشكيلات الطلابية للفصائل الفلسطينية، وقد نشط الرفيق عاهد في هذا الاتحاد بكل قوة في منطقة نابلس وفي بلدته حيث وجد به ساحة جديدة لاكتساب المعرفة والعلم الثوري ولزيادة الوعي بالقضية الفلسطينية عبر الأدبيات والمسلكيات والقواعد الثورية، كما كان لانضمامه إلى لجان العمل التطوعي التي كانت حاضرة بقوة في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي أثر في رسم عنوان جديد لشخصيته، وتربى على إغاثة الفقير والمساهمة في رسم البسمة في وجه الطفل الفلسطيني ورسم ملامح العزة والكرامة على وجوه أبناء الوطن، فقدموا المساعدات الكثيرة للفلاحين والتحق بالعمل التطوعي، وتفتحت عيناه على قضايا الكادحين،

مشهد من أنشطة اتحاد لجان الطلبة الثانويين في الضفة الغربية

وظهرت لديه لمعة صغيرة من الأفكار الدالة على العدالة الاجتماعية ومصطلحات المساواة والتوزيع العادل للثروة وغيرها من الأفكار والمصطلحات التي كانت جديدة وصعبًا عليه أن يفهمها بشكل دقيق في حينه.

الاعتقال الأول دافع للاستمرار

في العام 1984م وبعد نشاط وطني وجماهيري وطلابي للرفيق عاهد؛ قام العدو الصهيوني باعتقاله الأول الذي جاء بعد مسلسل طويل من النضال والمواجهة والمظاهرات اليومية ضد جيش الاحتلال الذي يحرس قبر يوسف في مدينة نابلس حيث كان

يدرس في مدرسة ثانوية قريبة من القبر، وتعرض لتحقيق قاسٍ في سجن الفارعة، وقد مكث في السجن عدة أشهر، وخرج أكثر وعيًا وأقوى إرادة وأكثر عزمًا وإصرارًا على استكمال مسيرة الجد والعز والكرامة والنضال الفلسطيني، وأصبح لديه قدرة على قيادة الإطار الطلابي الثانوي في مدينة نابلس، وبدأ بالإعداد والتنظيم والتخطيط وتجنيد وتعبئة الطاقات الشابة ليشكل حالة نضالية فورية ضد المحتل، وفي نفس الوقت لم يكن ليترك مقاعد الدراسة، وقد صمم في العام 1986م على أن يكمل مشواره التعليمي ليحقق النجاح في دراسته الثانوية، وانتقل إلى عاصمة العلم والفكر والسياسة والثورة والوعي جامعة بيرزيت، وكانت هذه الجامعة حلمًا قد تحقق للرفيق القائد عاهد لاسيما أن له تجارب نضالية تطوعية هامة سابقة، واستفاد منها في عمله الطلابي والتطوعي في داخل الجامعة حيث يعتبر ركن العمل التطوعي ركنًا أساسيًا من عمل الطلبة في الجامعة، وبادر الطلبة في مساعدة الفلاحين في قطف ثمار الزيتون وتنظيف المناطق والشوارع، فكانوا يخيمون عادة مدة ثلاثة أيام في بلدته لمساعدة أهالي البلدة في موسم الزيتون حيث يجتمع الفلاح وعائلته وأهالي البلدة والطلبة من كل الجامعات في وسط تفاعل إيجابي، وحالة من التكافل والتضامن بين الجميع بأنهم اجتمعوا على حب فلسطين وعلى ضرورة الاهتمام بالأرض وبالمزروعات المروية بعرق ودماء الفلاحين الفلسطينيين الذين كان لهم الدور الريادي في الحفاظ والتمسك بهذه الأرض لمنع الصهاينة من مصادرتها وامتلاكها، وكان لوجود الرفيق عاهد في الجامعة فرصة كبيرة لتوسيع دائرة العلاقات الاجتماعية والتعرف على مكونات الهوية الجمعية الفلسطينية.

في تلك الفترة كانت تعقد حلقات للنقاش والندوات وحلقات الدبكة والغناء، وهذا النشاط الطلابي المميز عزّز محاربته من قبل المحتل الصهيوني الذي يحاول مرارًا وتكرارًا أن يثبت أن الفلسطينيين عبارة عن شعب بلا تراث وبلا ثقافة ولا حضارة، وحاولوا بالفعل سرقة الأرض والتراث والتاريخ وأصبحت المدن الفلسطينية تسمى بأسماء صهيونية كأم الرشراش التي أصبحت فيما بعد تسمى "إيلات"، ومدينة أم خالد التي أصبحت تسمى "نتانيا"؛ لذلك كانت فترة الجامعة فرصة للعمل السياسي والتنظيمي لحالة الاستقطاب النضالي، وأصبح هذا الرفيق شعلة تنير الطريق أمام الطلبة القادمين الجدد، وكان لهذا الأمر غاية الأهمية حيث تتسابق الفصائل الفلسطينية لتجنيد الطلبة الجدد، وهذا الأمر أتاح للرفيق توسيع نشاطه خارج الحرم الجامعي في بلدة بيرزيت بمدينة رام الله.

الانخراط في التنظيم السري للجبهة الشعبية

أصبح الرفيق عاهد يعمل في مساحة جديدة مكتسبًا مهارات وثقافة ووعيًا وبُعد نظر في كل الأمور، وتدرج في هذا العمل لقيادة بعض اللجان الطلابية في إطار جبهة العمل الطلابي، ولكن جُلّ تفكير هذا القائد هو الهم الوطني والمقاومة مما حدا به إلى أن ينخرط في التنظيم السري الحزبي للجبهة الشعبية الذي يختص بالعمل الكفاحي والتنظيمي

والمشاركة في كل الفعاليات لمقاومة المحتل الصهيوني وأعوانه، وبعد حوالي سنة ونصف من انتسابه لجامعة بيرزيت اندلعت الانتفاضة الأولى في نهاية العام 1987م، وكانت جامعة بيرزيت من أوائل جامعات الوطن التي شاركت في فعاليات هذه الانتفاضة، واستمرت المظاهرات بشكل يومي في الجامعة وحولها وفي مدينة رام الله، مما دفع الاحتلال لإصدار قراره الظالم بإغلاق جامعة بيرزيت مما جعل الطلبة يعودون إلى قراهم ومدنهم ومخيماتهم، فكما يقال في المثل العربي: "رُبّ ضارة نافعة"، فكانت عودة هؤلاء الطلبة وقد فهموا ووعوا حقيقة الانتفاضة وأهدافها وقيمها وأسلوبها وضرورة ديمومتها واستمرارها حيث تم نقل كل ذلك إلى المخيمات والمدن والقرى لتمتد الانتفاضة إلى كل ساحات الوطن من شماله إلى جنوبه، وقام هؤلاء الطلبة بإحياء العمل المقاوم عبر تشكيل وقيادة اللجان الشعبية وتنظيم اللجان الوطنية، وكان لرفيقنا عاهد الدور الريادي والمميز في بلدته في تشكيل وتنظيم الحراسة ولجان التعليم الشعبي واللجان الاجتماعية والاقتصادية،

التعليم الدراسي في جامعة بيرزيت خلال انتفاضة الحجارة

كما ساهم بالمشاركة في تأسيس وتشكيل من تشكيلات المقاومة والقوة الضاربة الذي كان يُسمّى "التنين الأحمر" الذي كان له دور في ملاحقة الاحتلال وعملائه في الريف الفلسطيني ومنطقة نابلس، والذي كان امتدادًا لمجموعات النسر الأحمر التي كانت تعمل في قلب مدينة نابلس، وفي تلك الفترة تعرض القائد الرفيق عاهد إلى الإصابة بعد أن انفجرت قنبلة بالقرب منه في منطقة التدريب العسكري لقوات الاحتلال في الأغوار، وتم نقله على إثرها إلى المشفى فمكث به عدة أسابيع، ومن ثم تم اعتقاله وحوّل للتحقيق إلّا أنه لم يكن للعدو معلومات كافية حوله وحول نشاطه إضافة لامتناعه عن الحديث معهم أو الاعتراف بشيء، وتم إطلاق سراحه، وما هو إلا شهر واحد حتى داهمت سلطات الاحتلال بلدته ومنزله في محاولة منهم لاعتقاله إلّا أن الأمر لم يتم حيث كان الرفيق عاهد قد أخذ احتياطاته الأمنية ولم يكن متواجدًا في المنزل، واستمرت ملاحقة الاحتلال له مدة سنتين كان خلالها يتنقل من مكان إلى آخر ما بين جنين ورام الله وطولكرم وريف نابلس ومخيماتها، وعمل بقوة مع مختلف تشكيلات المقاومة مع الفصائل المختلفة، وكان في تلك الفترة يحاول البحث عن السلاح لتسليح المجموعات العاملة، وتم اعتقاله على طريق نابلس رام الله بعد أن كان عائدًا من مدينة رام الله، كونه كان يحمل بطاقة هوية مزورة وتم اقتياده للتحقيق إلّا أن صموده وصبره وعدم التعاطي مع المحقق لم يمكّن المحتل من إدانته وتم تحويله إلى الاعتقال الإداري وكان خروجه من هذا

السجن قد تزامن مع إعادة افتتاح جامعة بيرزيت بعد فترة إغلاقها من قبل المحتل، فعاد إليها وانتظم في صفوفها، وعاد من جديد لإعادة نشاطه لقيادة التنظيم السري في الجبهة الشعبية.

مرحلة جديدة من الملاحقة (مرحلة الاختفاء)

تمكن رفيقنا عاهد من تنظيم مجموعة للمقاومة في قطاع غزة، وبعد أن تم اعتقالهم من قبل قوات الاحتلال عام 1993م، كان الرفيق عاهد قد أخذ احتياطه وبدأت مرحلة ملاحقة جديدة، ولكن هذه المرة تم اقتحام المنطقة التي يسكن بها الرفيق عاهد في بيرزيت، وتم توجيه صواريخ لاو باتجاه المنزل إلّا أن المعلومة التي حصل عليها الشاباك الصهيوني كانت خاطئة، فلم يكن حينها الرفيق عاهد في المنزل، وتم الانتقام ممن تواجد في المنزل واقتيادهم للتحقيق، وشهدت هذه الفترة دخول الرفيق عاهد مرحلة جديدة تم تسميتها في الجبهة الشعبية مرحلة الاختفاء، أي أن يتم منع الرفيق المطلوب من الحركة أو التنقل من مكان لآخر إلا بقرار من قيادته، ولا يكون ذلك إلا بعد التنسيق، وكان ينتقل بين عدة بيوت حزبية في مدينة رام الله، وهذه الفترة لم تستمر طويلًا حيث كانت السلطة الفلسطينية قد دخلت مدينة أريحا، وبهذا انتقل رفيقنا مع عدد من الرفاق المطلوبين للاحتلال إليها، ولكن بقي أمر الاختفاء أساسيًا لا مفر منه، وكانوا يعيشون ويتنقلون في أريحا بأسماء مستعارة، ومن ضمن هؤلاء القادة الرفاق الأسير القائد الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد سعدات الذي كان مطلوبًا للاحتلال الصهيوني في ذلك الوقت، وخلال مدة سنتين لوجود الرفيق عاهد في أريحا عمل باسم صحفي يملك مكتب صحافة، كما عمل في العمل الحزبي والنقابي في قيادة منطقة أريحا، وتم افتتاح مكتب نقابة للعمل، وعمل حينها في مكتب الجبهة الشعبية الذي تم فتحه أيضًا فيما بعد.

ملاحقة السلطة الفلسطينية للمقاومين

إضافة إلى عمله السرّي إلّا أنّ الاختفاء عن عيون الجواسيس والصهاينة لم يقف حاجزًا أمام تحركاتهم حيث تم اعتقال الرفيق عاهد لأول مرة على يد السلطة الفلسطينية مع رفيقين آخرين هما (ف.غ+ س.ع) وبعد أن تم معرفة هويتهم تم الإفراج عنهم مع بداية انتشار السلطة الفلسطينية في محافظات الضفة، وفي بداية العام 1996م، خرج الرفاق ومن ضمنهم الرفيق عاهد إلى مدينة رام الله التي كانت تتحضر إلى جانب باقي محافظات الضفة وغزة والقدس لإجراء الانتخابات التشريعية لأول مرة في تاريخ الشعب الفلسطيني كاستحقاق رسمي لما أفرزه اتفاق أوسلو، وتمت هذه الانتخابات بتاريخ 20/ 01/ 1996م،

الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة (يمين) برفقة الأسير القائد/ أحمد سعدات

وقبل هذا التاريخ بيومين تم اعتقال الرفيق سعدات ورفيقنا عاهد على يد السلطة الفلسطينية تحت عنوان أنه قد وصل السلطة معلومات مؤكدة أن الجبهة الشعبية تحضر لعمل ضد الاحتلال، وتريد من خلاله التشويش على عملية الانتخابات إلا أن التدخلات من قبل الجبهة والفصائل الفلسطينية المختلفة أدت إلى الإفراج عنهم بعد خمسة أيام من انتهاء الانتخابات، ليقرر هذا القائد عند خروجه من سجن السلطة التوجه للعمل في مجال الدفاع عن الأسرى والمعتقلين حيث كرّس كل جهوده كمتطوع في مؤسسة الضمير لرعاية السجين، وتم تعيينه كموظف رسمي في مؤسسة الضمير، وكان يقسم وقته في العمل في مكتب الجبهة الشعبية في رام الله والعمل في مؤسسة الضمير.

وكان الشارع الفلسطيني حينها منقسمًا بأفكاره وآرائه، منهم من يؤيد وجود السلطة الفلسطينية ومنهم من يعارضها ويعارض وجودها، ومنهم من يؤمن بأن عملية السلام ما هي إلا وهم وسراب يحسبه من يؤمن بها أنها كنز لا يفنى ولا غنى عنه، ومنهم من يؤمن بضرورة الإعداد للمواجهة القادمة مع المحتل إلّا أن الواقع في كل يوم يؤكد أنه لا مجال للتفاوض أو التصالح أو الوثوق بهذا العدو أو بنواياه تجاه الفلسطينيين، ولذلك أصرّ القائد عاهد واستمر في تنظيم وتجهيز وتحضير بنية تحتية للعمل المقاوم لإيمان الجبهة الشعبية ولإيمانه العميق بأن حالة المواجهة والصراع ستبقى وستستمر.

استمرت أجهزة السلطة وتبعًا للاتفاقيات السلمية الموقعة مع الكيان الصهيوني في ملاحقة الرفيق عاهد حيث في نهاية العام 1996م نفذت الجبهة الشعبية عملية ضد المستوطنين في شارع سردا الذي يقطع مدينة رام الله عبر بلدة بيرزيت حيث تم قتل اثنين من المستوطنين، وعلى إثر هذه العملية تم اعتقال الرفيق عاهد مع مجموعة كبيرة من الرفاق لينتقل من مركز تحقيق رام الله إلى تحقيق الظاهرية في الخليل إلى تحقيق سجن أريحا بتهمة مسؤوليته عن العملية، ومكث في سجن السلطة حوالي 6 أشهر على الرغم من أن السلطة الفلسطينية كانت قد اعتقلت من نفذ العملية، وتم الحكم عليهم بالسجن المؤبد، وهم الرفاق الأبطال إبراهيم مسعد هاني وإسماعيل علقم وعبد الناصر القيسي، والأخير تمكن من الهرب من سجن أريحا بعد حوالي أسبوع من خروج رفيقنا من السجن، وتمكن من الوصول إلى غزة ومنها إلى مصر، وبعدها اختفت آثاره حتى اليوم، فكانت حياة هذا القائد الكبير مليئة بالأحداث فلا يخلو يوم إلا وبه قصة وحكاية وألم وعذاب وتعب وشقاء، وكل ذلك من أجل فلسطين، أرضًا، وشعبًا، ورفضًا لوجود المحتل الصهيوني على الأرض الطاهرة الفلسطينية، وإلى جانب كل تلك المعاناة قرر أن يتزوج، فما أن خرج من سجن السلطة حتى قرر الزواج من شريكة حياته الصعبة والمؤلمة التي كانت حياته تخلو من معاني الهدوء والاستقرار والأمن والأمان والطمأنينة، وعكس ما تحتاجه الحياة الزوجية، ومع ذلك تمكن من الارتباط مع شريكة حياته حيث على الرغم من أنه لم يكن مسموحًا للرفيق عاهد بمغادرة حدود مدينة رام الله أي مناطق (أ)

التابعة للسلطة الفلسطينية إلا أنه قد تغلب على هذه الظروف، وحاول أن يعيش في هدوء نسبي حياة زوجية سعيدة مع شريكة حياته التي ضحت وناضلت، بل استعدت لمشاركته في ظروفه الصعبة،

الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة برفقة زوجته وابنه قبل اعتقاله

فما الذي جعلها تقبل أن تعيش بمثل هذه الظروف، فلو كانت امرأة أخرى مكانها من خارج فلسطين لرفضت رفضًا قاطعًا الارتباط بشخص كحال الرفيق عاهد إلا أن المرأة والبنت الفلسطينية على استعداد تام أن تضحي بالغالي والنفيس من أجل كرامة الوطن الفلسطيني، فكيف لا تضحي من أجل زوجها الذي يسعى دومًا لرفع الظلم عن الشعب الفلسطيني لتحيا الأجيال القادمة بالأمن والأمان وبالمستقبل الواعد والمنشود إلا أن أجهزة السلطة والاحتلال الصهيوني لم يقبلا هذا الأمر فتم ملاحقة الرفيق عاهد بشكل دائم، وتم اعتقاله بشكل احترازي في كل ذكرى انطلاقة للجبهة الشعبية حتى العام 2000م، وتحت عنوان وذريعة أن الجبهة الشعبية تحضر لعمليات ضد أهداف صهيونية.

قبل دخول انتفاضة الأقصى المبارك بثلاثة شهور تم اعتقاله من قبل أجهزة السلطة ومصادرة خمس قطع سلاح من بيته وبيوت الجبهة الشعبية في رام الله تحت حجة أنهم يحضرون لعملية انتقام لدماء الشهيد الرفيق عيسى عابد (أبو سريع) الذي استشهد في انتفاضة الأسرى بتاريخ 20/ 05/ 2000م، وبعد اعتقاله في مدينة رام الله تم تحويله إلى مدينة الخليل بواسطة التنسيق الأمني للتحقيق معه في مركز تحقيق الظاهرية مع عدد من رفاقه، ومكث في التحقيق أكثر من شهر، وبعد تدخلات من مستويات حزبية ووطنية تم الإفراج عنه مع رفاقه ونقل إلى مدينة رام الله.

انتخابه لقيادة الجبهة الشعبية

خلال عقد المؤتمر الوطني العام السادس للجبهة الشعبية في رام الله تم انتخاب اللجنة المركزية العامة للجبهة، وتم انتخاب الرفيق الشهيد أبو علي مصطفى أمينًا عامًا للجبهة الشعبية، وتم انتخاب أعضاء المكتب السياسي، وكما تم انتخاب رفيقنا عاهد عضوًا في اللجنة المركزية العامة لأول مرة، وكان حينها أصغر عضو فيها في ذلك الوقت وقبلها في العام 1997م، وكان قد تم عقد مؤتمر لفرع الضفة الغربية للجبهة الشعبية، وقد تم انتخاب الرفيق عاهد عضوًا في اللجنة المركزية الفرعية للفرع في ذلك الوقت، كما أصبح أحد أعضاء قيادة منطقة رام الله، وعمل مسؤولًا للجنة الأسير الفلسطيني التي تتابع شؤون أسرى الجبهة الشعبية في سجون العدو، وعمل أيضًا كعضو للجنة الوطنية والإسلامية العليا لمتابعة شؤون الأسرى في الضفة الغربية ما بين العام 1998م- 2000م، وهذا كان

يُعد استكمالًا لدوره في العمل في مؤسسة الضمير التي كانت تتابع شؤون الأسرى ورعايتهم، ولم يكتفِ بذلك بل عمل على توسيع نشاطه السياسي والاجتماعي والجماهيري ليكون إلى جانب أي مظاهرة أو حراك أو نشاط مهما كان صغيرًا أو كبيرًا؛ لأن هذا القائد لا يعرف طعمًا للراحة أبدًا، فهو عبارة عن كتلة ضخمة من النشاط والحيوية، ولديه من الهمة والنشاط والفعالية والتنظيم ما جعله يحوز على الإعجاب من قبل الجميع، فلاح عَلَمَه الأحمر في كل مكان حتى ما بين الزعتر والشياح في لبنان، فلاح العلم الأحمر في كل شوارع ومخيمات فلسطين، بعد اندلاع انتفاضة الأقصى التي ترافقت مع تقديرات وقراءات للرفاق في الجبهة الشعبية بأن مرحلة الاشتباك والصراع مع هذا المحتل لابد منها، وأن أي رهان على العملية السلمية هو رهان خاسر، وأن كل ما جرى من اتفاقات وتفاهمات في العملية السلمية لم يكن ليُمكِّن الحلم الفلسطيني من إقامة الدولة الفلسطينية، ولهذا كان رفيقنا هو صاحب الخبرة والرؤية وحسن التفكير يعلم أين ستذهب الأمور، ولم ينجرف وراء الأوهام، ولذلك عمل مع رفاقه في مواقع وأماكن مختلفة للاستعداد النفسي واللوجستي والمادي والمعنوي للتحضير لبناء قاعدة على مستوى التنظيم وللاستعدادات لمواجهة أي طارئ، ومؤشر هذا الأمر ملاحقة العدو والأجهزة الأمنية له ولرفاقه على مدار الوقت حيث قبل أقل من ثلاثة أشهر من اندلاع الانتفاضة كان قد أُفرج عنه من سجن السلطة بعد تحقيق دام لأكثر من شهر في سجن الظاهرية في مدينة خليل الرحمن.

دخول انتفاضة الأقصى

ما إن اندلعت انتفاضة الأقصى عام 2000م حتى بدأ القائد عاهد في استخدام فكره وثقافته وعلمه وخبرته السياسية والعسكرية والأمنية، وعلاقاته المحتدة بالعمل مع باقي رفاق الشعبية منذ الشهر الأول للانتفاضة حيث عمل على تشكيل مجموعات تحت اسم قوات المقاومة الشعبية وكتائب وديع حداد التابعة للجبهة الشعبية، فكان قرار الجبهة في ذلك الوقت بالعمل في داخل الأراضي المحتلة عام 1967م ضد وجود قوات العدو وضد المستوطنات الجاثمة على الأرض الفلسطينية وضد قطعان المستوطنين الذين يسيرون في مركباتهم في الطرق الالتفافية في المناطق الفلسطينية، وكان حينها لا يزال العمل محدودًا ومتواضعًا رغم أنه كان ممتدًا من شمال فلسطين إلى جنوبها وقطاعها الحبيب، وتسارعت الأحداث واشتدت الانتفاضة، واستخدم الجيش الصهيوني كل قوته وبطشه لقمع الانتفاضة ليعيد التوازن وقوة الردع لسمعة الجيش القوي الذي لا ينكسر ولا يهزم، ولاسيما أنه كان قد خرج من الجنوب اللبناني منهزمًا مندحرًا فارًا من قوات حزب الله وجنوده وقوة عملياته العسكرية، فأراد أن يعيد العدو لجنوده الهيبة والقوة فأمعن في قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وقام بهدم المنازل وحاصر الشوارع وأغلقها ومنع التواصل الجغرافي ما بين المدن وما بين المدينة وقراها ومخيماتها، وارتقى عدد من الشهداء والجرحى، وكان لابد من استراتيجية جديدة من فصائل المقاومة الإسلامية منها والوطنية، وتم إنشاء الأجنحة العسكرية

للفصائل الفلسطينية، وبدأت قوات المقاومة الشعبية التابعة للجبهة الشعبية تعمل حسب إمكاناتها وقدرتها، واستطاعت أن تسجل حضورًا فاعلًا في مواجهة قوات الاحتلال ومستوطنيه. ولأن رفيقنا عاهد كان مطلوبًا لدى العدو لطبيعة قوة نشاطه في انتفاضة الأقصى قام العدو بنشر قائمة بأسماء المطلوبين في العام 2001م وكان منهم الرفيق القائد عاهد والشهداء محمود طوالبة ومحمود أبو هنود ورائد الكرمي وغيرهم، وكان حينها لابد أن يأخذ الرفيق كل احتياطاته الأمنية حتى لو تعرض للاعتقال أو الاغتيال لاسيما أن صوره قد نُشرت في كل مكان، وأصبح الجواسيس يبحثون عن كل المطلوبين وأماكن تواجدهم لتسليمهم للشاباك الصهيوني، وكان للرفاق خبرة طويلة في عملية التخفي، وكان يلتقي بالرفاق الأبطال في أماكن سرية جدًا وبعيدة عن نظر الناس حتى يتمكن من إنجاح العمل العسكري، وبدأ كما كان في الماضي في استكشاف الأماكن المناسبة للتدريب وتدريب الرفاق على أساليب العمل في الجبال والوديان والإعداد للمواد الأولية بهدف مقاومة هذا المحتل، مما جعل المحتل يتخذ قراره النهائي في استهداف الأمين العام للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى.

اغتيال القائد أبو علي مصطفى

اغتال الاحتلال الصهيوني القائد أبو علي مصطفى في 27/ 08/ 2001م، وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على أبناء الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده، فالشهيد أبو علي لم يكن فقط أمينًا عامًا للجبهة، فكما يقول الكاتب الفلسطيني بكر أبو بكر عن هذا القائد الكبير الشهيد أبو علي إنه لم يترك فلسطين إلا ليعود إليها محملًا لأسباب الكرامة وعيون الانتصار، نعم هكذا كان هذا القائد الذي منذ أيامه الأولى قد انخرط في صفوف حركة القوميين العرب التي أفرزت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بزعامة القائد جورج حبش الذي وقف الشهيد أبو علي إلى جانبه في كافة مواقع النضال عندما أصبح نائبًا له، ثم أمينًا عامًا للجبهة في العام 2000م،

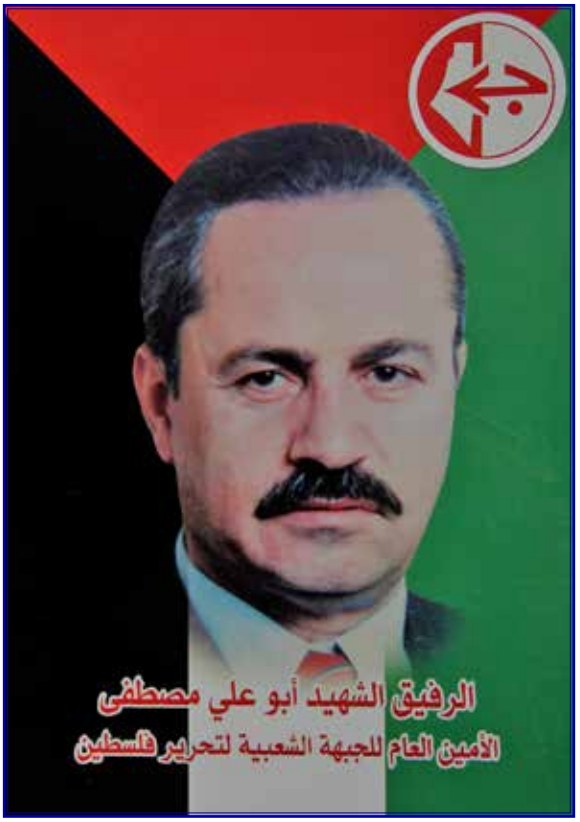

وكان استشهاده قد سبب صدمة للجميع وخاصة إخوته ورفاق دربه وتلاميذه خاصة رفيقنا عاهد الذي يعتبر هذا القائد رمزًا للمقاومة والصبر والصمود والتحدي ومثله الأعلى، وكان رفيقنا

يجتمع دومًا مع قائده أبو علي لمناقشة كافة قضايا الوطن وهمومه وهموم شعبه، وشاركه في اجتماعات اللجنة المركزية العامة للجبهة الشعبية قبل أيام من استشهاده، وبكاه بحرقة شديدة، وكانت هذه المرة الأولى التي يبكي بها رفيقنا عاهد ويذرف الدموع، وتألّم أكثر عندما لم يكن هناك مقدرة على الرد الفوري على جريمة اغتيال هذا القائد ذي القامة والهامة الفلسطينية العالية، فما كان من الرفيق عاهد إلا أن يوجه تعليماته ودعواته إلى كل الرفاق في كل مناطق الضفة الغربية بضرورة العمل بسرعة الرد على الجريمة التي ارتكبها الاحتلال، وتم تنفيذ عدد من العمليات العسكرية التي أوقعت العديد من القتلى والجرحى في صفوف العدو ومستوطنيه بالإضافة إلى زرع العبوات الناسفة والسيارات المفخخة في داخل الأرض المحتلة عام 1948م، وكل ذلك رغم أهميته إلا أنه لم يكن الرد الحقيقي والنوعي المطلوب للرد على اغتيال شخصية هامة كشخصية القائد أبو علي مصطفى، فرأس برأس، وليس كل الرؤوس سواء.

عملية الرد باغتيال وزير السياحة الصهيوني "زئيفي"

بدأت خلايا الجبهة الشعبية بالبحث عن أهداف للعدو تكون نوعية وحساسة جدًا وتهز الكيان الصهيوني وتؤلم أجهزته الأمنية المتغطرسة، ووصلت وتوالت الاقتراحات على الرفيق عاهد من كل الرفاق العاملين في الجناح العسكري كتائب الشهيد أبو علي مصطفى لتصل المعلومة الأهم والأخطر على الإطلاق على الاحتلال، وهي معلومة عن أحد أقطاب متخذي قرار استهداف الرفيق القائد أبو علي مصطفى وهو عضو في المجلس الأمني المصغر (الكابينيت) وهو وزير السياحة في حكومة الهالك "أرئيل شارون"، وهو أيضًا زعيم حزب "موليديت" وهو الوزير رحبعام زئيفي، وبناء على هذه المعلومة الهامة تحركت أجهزة الرصد في كتائب أبو علي لتجمع المعلومات ومراقبة حركة هذا المجرم صاحب الأفكار العنصرية المتطرفة والذي كان يدعو دومًا إلى تهجير الفلسطينيين من كامل الوطن والأرض الفلسطينية، واستطاعوا أن يحصلوا على أماكن تواجده ومكان سكنه ومكان عمله، واستقر الأمر على استهدافه وتصفيته في مدينة القدس في فندق (حياة ريجنسي) الذي يتواجد به أربعة أيام في الأسبوع، وكان اختيارًا دقيقًا لهذا المكان؛

المجرم الصهيوني/ رحبعام زئيفي
تم قتله على أيدي أبطال الجبهة الشعبية بتاريخ 17/ 10/ 2001م

لأنه يقع في شرقي القدس المحتلة، وكان هذا الفندق يُعتبر بؤرة آمنة لعدد من رجالات الأمن والسياسة الصهاينة، وأراد الرفاق في كتائب الشهيد أبو علي أن يرسلوا رسالة قوية مفادها أن القدس هي عاصمة

الدولة الفلسطينية، وأنها غير آمنة لرجالات العدو، وأن الفلسطينيين متجذرون عميقًا في هذه الأرض، ولا يمكن لصاحب مشروع التهجير والترانسفير أن يطردهم من أرضهم، بل هم القادرون بعزم الرجال وقوة الحق وشجاعة الرفاق أن يطردوه ليس فقط من فلسطين بل من الكون كله وبعد استكمال الحصول على كافة البيانات والمعلومات تم وضع خطة عمل للتنفيذ وكان موعدها قبل ذكرى الأربعين لاستشهاد الأمين العام الرفيق أبو علي مصطفى، ولكن قبل التنفيذ بأسبوع واحد اكتشفت وحدة الاستطلاع في كتائب أبو علي أن الوزير الصهيوني رحبعام زئيفي قد غادر الفندق في إجازة لمدة 10 أيام، وكان هناك قلق حقيقي أن يكون الأمر أكثر من إجازة وخاصة أن خلافات كبيرة كانت قد ظهرت في أوساط الحكومة في تلك الأيام، ولكن بعد وقت عاد زئيفي إلى الفندق، وبعد عودته بيومين قام بتقديم استقالته للحكومة الأمر الذي يعني أنه سيغادر الفندق ولا يعود إليه، ولكن الرفاق في كتائب أبو علي مصطفى كانوا له بالمرصاد ويراقبون تحركاته أولًا بأول، وكانت كل الترتيبات لعملية اغتياله في الفندق جاهزة بكل تفاصيلها، من سيصعدون إليه ومن سيطلق النار ونوع المسدس وكيف ستتم عملية الانسحاب ومن أين؟، ولذلك بقي وقت التنفيذ وأرادت قيادة الكتائب أن يكون موعد التنفيذ قبل وصول استقالة الوزير حيز التنفيذ، وانطلق الرفاق وقد عاهدوا الشهيد أبو علي مصطفى أن يثأروا لدمه الطاهر، ولكل دماء شهداء فلسطين.

في صباح يوم 17/ 10/ 2001م توجه الأبطال إلى فندق ريجنسي لتنفيذ حكم الشعب الفلسطيني والثورة على مجرم صهيوني استمر إجرامه بحق الشعب الفلسطيني لأكثر من خمسين عامًا حيث أراد أن يرى فلسطين خالية من أي فلسطيني أو عربي، وكان رد كتائب أبو علي مصطفى أن أخرجوه من الحياة وإلى الأبد، وتم تنفيذ العملية بنجاح محكم، وأعلنت الجبهة الشعبية وكتائب أبو علي مصطفى المسؤولية الكاملة عن مقتل هذا المجرم الصهيوني رحبعام زئيفي، وتم إغلاق الحساب مع المجلس الأمني المصغر الذي اتخذ قرار الاغتيال، واتهم العدو الصهيوني الرفيق عاهد بالمسئولية عن هذه العملية، وبدأ الإعلام الصهيوني يحرض على كل من يقف وراء هذه العملية.

مطاردة منفذي العملية

بدأ مسلسل الملاحقة والمطاردة الساخنة بعد عملية الرد مباشرة، فدخل الجيش الصهيوني إلى مدينة رام الله، وتم محاصرتها واعتقال المئات من رفاق الجبهة في الضفة الغربية إلا أن أجهزة السلطة الفلسطينية قامت هي الأخرى باعتقال العشرات في الضفة الغربية، وتم اعتقال نحو 50 رفيقًا من مدينة رام الله، وبدأت عملية البحث عن الرفاق في المجموعة المسئولة عن قتل زئيفي، وهم بالإضافة إلى القائد عاهد الرفاق: مجدي الريماوي، حمدي القرعان، باسل الأسمر، ومحمد الريماوي الذي تم اعتقاله بعد 4 أيام على تنفيذ العملية، أما باقي الرفاق فبدأت ملاحقتهم في أراضي السلطة

الفلسطينية خاصة بعد أن تمكنوا من الإفلات من ملاحقة جيش العدو وأجهزة أمنه في القدس حيث بعد تنفيذ هذه العملية لم يغادر الرفاق القدس، بل بقوا في بلدة العيزرية القريبة من مكان الحدث، وتم اكتشاف مكان وجودهم، وذلك بعد متابعة أجهزة الشاباك الصهيوني لأجهزة الجوال التي يحملونها إلا أنهم لوعيهم الشديد ورباطة جأشهم استطاعوا أن يفلتوا من ملاحقة جيش الاحتلال ومن اقتحام بلدة العيزرية، ووصل جزء منهم إلى مدينة بيت لحم، وجزء آخر إلى مدينة رام الله، وعندها بدأت الملاحقة من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية، وتم فرض الرقابة على منازل هؤلاء الرفاق الأبطال وعلى عائلاتهم، وكانت هذه الرقابة على مدار الساعة والدقيقة،

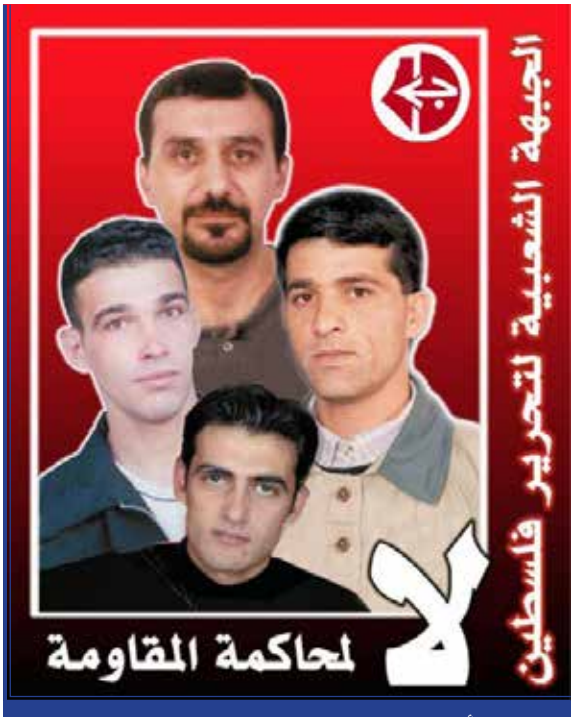

أبطال عملية قتل المجرم الصهيوني/ رحبعام زئيفي

وتم اعتقال عدد من أصدقائهم وأقاربهم وأبناء بلدتهم وبدأت مداهمة أحياء بأكملها، بل عمدت إلى فرض طوق أمني وتفتيش الأحياء المختلفة في مدينة رام الله، ولكن الرفيق عاهد ومجموعته قاموا بالتنقل من بيت لآخر ولاسيما أن اختفاءهم عن الأنظار كان لمدة شهرين كاملين إلا أن السلطة قد بدأت بتشديد الخناق على رفاق الجبهة الشعبية وملاحقة قادتها وكوادرها وأفرادها مما شكل حالة ضغط على المجموعة الثائرة، وقرر الرفيق القائد عاهد أن يخفف الضغط على الجبهة الشعبية في رام الله والانتقال بالرفاق إلى مدينة نابلس اعتقادًا منهم أن نابلس أكثر أمنًا، وذلك لأن معظم المطلوبين للاحتلال الصهيوني متواجدون في قلب مدينة نابلس وبمجموعات كثيرة ومسلحة، ويتمركزون في البلدة القديمة؛ لطبيعة البلدة القديمة بمخابئها وسراديبها وأنفاقها وطرقها الضيّقة جدًا، فلا العدو ولا السلطة يمكنها اقتحامها، ومع ذلك كان واجبًا على هذا القائد عاهد أن يكمل مشواره العسكري وتنظيم المجموعات، وبدأ يجتمع مع المجموعات الثائرة في كتائب أبو علي في كل مكان، وفي كل مرة بأسلوب وبطريقة تختلف عن الأخرى، فمرة يتقمص دور الطبيب، ومرة دور المحامي ومرة دور السائح، والأهم أن كل قادة الجبهة الشعبية يتمتعون بشجاعة فائقة، كيف لا وقد انتقلت المجموعة من رام الله إلى نابلس بكافة أسلحتها، وتمكنوا من عبور نقاط التفتيش، وكانت أيديهم على الزناد تحسبًا لأي طارئ، فما إن وصل الأبطال إلى نابلس حتى تم استقبالهم بحفاوة بالغة، وتم تجهيز المكان لإقامتهم

بها وتجهيزها بكل ما يلزمهم، ولأن القائد عاهد من سكان مدينة نابلس وكان شخصية معروفة في المنطقة سواء من الرفاق أو عدد كبير من الفصائل إضافة إلى أبناء بلدته كذلك طلاب جامعة النجاح الوطنية، فهذا الأمر جعله لا يتحرك بحرية ولا يخرج إلا ليلًا وبشكل سري متخفيًا ملتحفًا ظلمة الليل حتى يتمكن من اللقاء بالمجموعات وتزويدهم بكل ما يلزمهم لاستمرار العمل العسكري والمقاوم ضد المحتل، ومع ذلك كان الاحتلال يبذل قصارى جهده عبر جهاز الشاباك وجواسيسه لمتابعة وملاحقة هذه المجموعة، ووصلت إشارات إلى أجهزة السلطة عن مكان تواجدهم، وفي أحد الأيام وصلت المعلومة إلى المجموعة أن أمركم قد كشف وتم تحديد مكانكم، وقرر حينها الرفيق عاهد إخراج باقي أفراد المجموعة إلى وسط مدينة نابلس معتقدًا أنها أكثر أمنًا وأمانًا.

اعتقال الرفيق عاهد على يد السلطة

في إحدى الليالي كان الجيش الصهيوني يحاول أن يدخل المدينة من مدخلها الشرقي الجنوبي ومدخلها الغربي، وكانت المواجهات تشتد على حدود مخيم بلاطة الوطيس، وفوجئ حينها الرفاق بحصار البيت الذي يقطنون فيه، فاعتقدوا حينها أن من يحاصرهم هو الجيش الصهيوني وأنه قد تمكن من اجتياز كل الحواجز البشرية والحراسات والمطاردين وقام بمحاصرتهم إلا أن ظنهم لم يكن في محله حيث إن من حاصرهم هو أجهزة السلطة الفلسطينية، ورفض الرفاق القادة الأبطال الكبار في شخوصهم وعنفوانهم ووعيهم وعلمهم وثقافتهم أن يشتبكوا بالسلاح مع أبناء جلدتهم من السلطة، وقرروا البحث عن وسيلة أخرى، وقرروا الهروب وكانوا يسكنون في الطابق الرابع في مركز المدينة ولا يوجد طريقه سوى القفز من الطابق الرابع، وعند قفزهم على أحد المخازن بجانب البناية التي يسكنون فيها تعرض القائد عاهد للكسور في قدميه، وتهشمت مفاصل قدميه بالكامل ولم يتمكن حينها من الحركة، وأثناء قفزه من الطابق الرابع إلى الأول بدأ إطلاق النار عليهم من كل مكان إلا أنهم احتموا بسواتر على سطح المخزن الذي قفزوا عليه، ولقد تمكنت أجهزة السلطة الفلسطينية من إحكام السيطرة على المكان واعتقال الرفاق، وتم نقل الرفيق عاهد إلى المشفى،

الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة برفقة أبنائه في سجن أريحا قبل يوم من اعتقاله عند الاحتلال

وأجريت له عملية سريعة، وتم إخراجه بشكل أسرع من المشفى إلى مكان آخر خوفًا من اقتحام العدو للمشفى، وبعد ثلاث ساعات من اعتقالهم قامت قوات الاحتلال بقصف مركز شرطة نابلس معتقدين أن الرفاق لا يزالون فيه، إلا أن السلطة

كانت قد نقلتهم إلى بيوت خاصة لحمايتهم، وما إن أسدل الليل ستره حتى تم نقل الرفيق عاهد وعبر التنسيق الأمني بين السلطة والاحتلال وبحضور قناصل بعض الدول الأوروبية من مدينة نابلس إلى مدينة رام الله، ثم تم نقله إلى مشفى رام الله في ظل حراسة مشددة جدًا، وبعد أقل من أسبوعين بدأت تحركات للجيش الصهيوني لتحوم الشكوك حول احتمالية اقتحامهم للمشفى، فما كان من أجهزة السلطة الفلسطينية إلا نقل الرفيق عاهد من المشفى إلى سجن رام الله، واجتمع الأبطال رفاق الدرب ومن ثأر لدماء القائد أبو علي مصطفى ليلتقي حينها القائد عاهد برفاقه الشجعان، وقد اعتقلت حينها أجهزة السلطة رفيقهم مجدي الريماوي من مدينة رام الله، وأصبح سجن رام الله أشهر مكان يقصده الفلسطينيون ليصبح مزارًا للأبطال والفصائل ورفاق الدرب، وكانت هناك حالة تضامن شعبي ووطني وفصائلي معهم ومع قضيتهم وهجوم إعلامي وتراشق كلامي واشتباك اتهامي مع السلطة الفلسطينية حول قضيتهم.

نقل المعتقلين لمكتب الرئيس عرفات خلال حصار رام الله

كان الأمين العام للجبهة الشعبية الرفيق القائد أحمد سعدات أيضًا محتجزًا في مبنى المقاطعة في رام الله بعد أن تم نصب كمين له قبل شهر من اعتقال القائد عاهد ورفاقه إلّا أنه لم يتمكن من الاجتماع بتلاميذه إخوة الدرب والنضال إلا في شهر مارس (آذار) عام 2002م عندما تم اجتياح رام الله ومبنى المقاطعة وحصار مكتب ومركز الرئيس الراحل ياسر عرفات، هناك كان لقاؤهم مع قائدهم وأمينهم العام في مكتب الرئيس، وقبلها واجه الرفاق ظروفًا قاسية وصعبة ومؤلمة حيث كاد أن يتم الإجهاز على هؤلاء الرفاق عندما اجتاحت الدبابات والآليات العسكرية سجن رام الله الموجود في قلب المقاطعة إلّا أن العناية الإلهية ورحمة الله كانت هي الغالبة، فلم يتمكن الاحتلال من قتلهم أو أسرهم، ولاسيما أنه ما إن سُمِع هدير صوت الدبابات تقترب من أسوار المقاطعة حتى خرج كل حراس السجن ولم يتبق إلا الرفاق وعدد من سجناء الحق العام، وبمبادرة من قائد شرطة رام الله الذي وصل مسرعًا إلى السجن قام بفتح أبوابه لإخراج الرفاق في اللحظات الأخيرة قبل دخول الجيش الصهيوني إلى قلب السجن، وتم نقل الأبطال إلى مكتب الرئيس ياسر عرفات وكان يتواجد في البناية حوالي 400 من العسكريين والإداريين مع الرفيق الأمين العام أحمد سعدات الذي كان محتجزًا في مقر القوة (17) والذي تم نقله أيضًا إلى مكتب الرئيس، لكن كيف كانت المعاملة؟، في الأيام الأولى للحصار تم التعامل معهم بشكل طبيعي وكأنهم جزء من الحالة الموجودة والمحاصرة والتي تتعرض للخطر الشديد خاصة أن التهديد كان يعم الجميع، والاستهداف يطالهم جميعًا إلا أنهم في اليوم الرابع للحصار اختلفت الأمور لاسيما أن التدخلات قد بدأت وحاولت القوى الأجنبية والدولية بوقف الهجوم المباشر على الرئيس الفلسطيني وعودة النشاط الدبلوماسي والوصول للمحاصرين في المقاطعة، وهنا اختلف التعامل مع الرفاق خاصة عندما زار وزير الخارجية الأمريكي كولن باول

الرئيس عرفات، وأثناء خروجه صرح أن الرئيس عرفات يحتفظ بقتلة زئيفي في مكتبه لتعود مرة أخرى الإجراءات المشددة من قبل السلطة بحقهم، ويتم التحفظ عليهم في إحدى غرف المكتب التي كانت مخصصة للعمل الإعلامي في الإذاعة الرسمية للسلطة، وتم إغلاق باب المكتب ووضع الحراس أمامه، وكل دبلوماسي يصل إلى المبنى يتم عرض الرفاق عليه لإثبات أنهم معتقلون وليس ضيوفًا لدى الرئيس مما دفع الكثير من المتضامنين مع الرئيس الفلسطيني إلى تغيير وجهتهم والتعاطف الشديد مع الرفاق، وعدد منهم اختار أن يبقى لوقت طويل داخل الغرف التي يحتجزون بها، وهناك من دعا إلى تقديمهم للمحاكمة لإنهاء الأزمة وإغلاق الملف لتخفيف الضغط على الرئيس ولعدم جدوى ذلك، تقدم أيضًا عدد من الوسطاء المحليين من أقطاب السلطة وقدموا اقتراحًا لوضع الرفاق الأربعة ومعهم الأمين العام والعميد فؤاد الشوبكي في سجن تحت الوصاية الدولية، وهذا ما تم فعله ولكن كانت الوصاية والرقابة بقوات أمريكية وبريطانية وليست دولية.

الوصول لسجن أريحا

تم اختيار سجن أريحا مكانًا يُنقل إليه الرفاق لاحتجازهم فيه، وهنا كان الخوف من وقوعهم في المصيدة وبذلك تمت عملية النقل إلى سجن أريحا بسيارات دبلوماسية أمريكية وبريطانية وبمرافقة احتلالية وعساكر من قبل السلطة الفلسطينية، ومنذ اللحظة الأولى لوصول المعتقلين إلى سجن أريحا أراد المراقبون الأجانب أن يفرضوا سلطتهم وسيطرتهم بإيعاز من الاحتلال الصهيوني على سجن أريحا بل على كامل المقاطعة، وبدأت تدخلاتهم في كل صغيرة وكبيرة في السجن وما يحيط به مما جعل شكل العلاقة مع هؤلاء الرفاق الأسرى تأخذ شكل الاصطدام والمواجهة وخاصة عندما حاول هؤلاء الأبطال الاجتماع بالأمين العام أحمد سعدات والجلوس معه،

الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة برفقة أبطال عملية قتل المجرم الصهيوني/ رحبعام زئيفي، والقائد/ أحمد سعدات والمناضل/ فؤاد الشوبكي في سجن أريحا التابع لسلطة رام الله

وحاول هؤلاء المراقبون التحكم في آلية وشكل الزيارة أي زيارة الأهل أو التفتيش، وتم وضع أجهزة تشويش على أجهزة الاتصال، وكانوا يحاولون تسجيل أسماء الزوار ورفعها للاحتلال الصهيوني، بل وتمادوا أكثر في تدخلهم حتى في ظروف الأسرى المعيشية وحياتهم اليومية، وكان دورهم فقط في الرقابة وليس في إدارة السجن بكل تفاصيله، ومكث الأمين العام أحمد سعدات ورفاقه الأربعة ومعهم عاهد أبو غلمة في هذا السجن مدة أربع سنوات تعرضوا خلالها لتهديدات عديدة من قوات الاحتلال وأجهزة أمنه تحت

ذرائع عديدة منها عدم التزام السلطة بالاتفاق الموقع حولهم، وأن هناك سياسة الباب الدوار، وبدأ التحريض الصهيوني عبر مسؤوليه وإعلامه الكاذب والمخادع بحملة إعلامية صهيونية هدفها تشويه صورة المعتقلين بأنهم يعيشون في فندق خمس نجوم وأن كل ما يطلبونه يتم إحضاره لهم، وفي كل حملة إعلامية تقوم إدارة السجن في أريحا بتشديد قبضتها وسيطرتها وسلطتها وفرض قوانين جديدة على هؤلاء الأبطال وخاصة أن المراقبين الدوليين كانوا بين الفترة والأخرى يهددون بالخروج من الاتفاق، واستمرت هذه المعاناة حتى شهر 2006م بعد الانتخابات التشريعية الفلسطينية وفوز حركة حماس بها، وقد صرّح حينها المسئولون الحمساويون أنهم سيطلقون سراح كافة المعتقلين السياسيين بعد تسلمهم الحكم إضافة إلى تصريحات رئيس السلطة محمود عباس أنه على استعداد لإطلاق سراح المعتقلين السياسيين فورًا إذا تحملت الجبهة الشعبية مسئولية أمنهم مما دفع قيادة الجبهة الشعبية بالرد على هذا التصريح بأنها لم تطلب من السيد أبو مازن أو السلطة وأجهزتها حماية أمينها العام أحمد سعدات ورفاقه، وأنها على استعداد تام لتحمل المسئولية كاملة في حمايتهم.

اقتحام أريحا واعتقال الرفاق

تزامن ما سبق مع وجود انتخابات صهيونية كانت على الأبواب، فأراد المجرم الصهيوني إيهود أولمرت أن يستخدم ورقة انتخابية واضحة كان يحتفظ بها حيث إن تاريخ هؤلاء الصهاينة وفي كل حملة انتخابية يستخدمون جماجم وعظام ودماء أبناء الشعب الفلسطيني جسرًا وممرًا للعبور إلى قبة البرلمان أو لرئاسة الحكومة، بدليل ما حدث في مجزرة قانا في لبنان وما مارسه المحتل في الضفة الغربية وغزة من مجازر عند كل انتخابات صهيونية، ففي 14/ 03/ 2006م كان القرار الصهيوني الظالم باجتياح مدينة أريحا وحصار المقاطعة واقتحام سجن أريحا، وتم استهداف وتدمير كل المباني للتأكد من تدمير كل مكان ممكن أن يختبئ فيه المعتقلون من الرفاق بالإضافة إلى عدد من المعتقلين الذين كانوا محتجزين تحت مسئولية الاستخبارات العسكرية من المطلوبين من كتائب شهداء الأقصى ومن سرايا القدس وكتائب القسام وغيرهم من الأسرى والمعتقلين على خلفية قتل العملاء والجواسيس، كما كان يوجد العديد من العسكريين والموظفين في داخل مبنى المقاطعة، فتم التخطيط الصهيوني بالتعاون الكامل مع المراقبين الدوليين بحيث يقوم هؤلاء المراقبون بالانسحاب تدريجيًا من السجن ودخول القوات الصهيونية مكانهم، ومن دون أن يشعر بهم أحد،

الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة برفقة أبطال عملية قتل المجرم الصهيوني/ رحبعام زئيفي في جلسة محكمة صهيونية

وهـذا مـا حـدث بالفعـل حيـث تمكـن الجيـش الصهيـوني مـن فـرض سـيطرته بالكامـل عـلى مداخـل ومخـارج السـجن بـل المقاطعـة كلهـا، وللعلـم فقـد كانـت القـوات العسـكرية الفلسـطينية الموجـودة في المقاطعـة ومحيطهـا الخارجـي مجـردة مـن السـلاح، الأمـر الـذي تـرك إشـارات اسـتفهام كبـيرة حـول مـا إذا كان هنـاك تنسـيق أمنـي فيـما حـدث مـع المسـئولين الفلسـطينيين، أم أنـه لم يكـن يوجـد سـلاح في يـد رجال أجهـزة الأمـن الفلسـطينية؟ وكيـف خرجـوا بالملابـس الداخليـة فقـط أمـام مسـمع ومـرأى العـالم؟! ومـع ذلـك اسـتمرت هـذه الجريمـة الصهيونيـة بحـق هـؤلاء الأبطـال مـا يقـارب عشر سـاعات مـن التدمـير الكامل للأبنيـة وللطـرق وللسـجن مسـتخدمين صواريخهـم ودباباتهـم وبلدوزراتهـم ورشاشـاتهم وقنابلهـم لمواجهة ثلـة صغـيرة مـن الأبطـال، الأمـين العـام أحمـد سـعدات ورفاقـه الأبطـال عاهـد وأبنـاء مجموعتـه العـزّل مـن أي سـلاح إلا سـلاح واحـد هـو الإيـمان بعدالـة قضيتهـم وإرادتهـم الصلبـة ومعنوياتهـم العاليـة التـي تناطـح عنـان السـماء، واجتمـع كل مـن حولهـم ليواجهـوا مصيرهـم الـذي فـرض عليهـم وهـو مواجهـة هـذا الإجـرام الصهيـوني الإرهـابي بصدورهـم العاريـة، وتـم اعتقالهـم جميعًـا مرفوعـي الـرأس ولم يطأطئوهـا لأحـد، وكان عـدد مـن تـم اعتقالـه نحـو 70 بطـلًا، وتـم تحويـل 35 منهـم إلى السـجون ومراكـز التحقيـق ومنهـم الأمـين العـام أحمـد سـعدات والبطـل عاهـد ومجـدي وباسـل وحمـدي، بالإضافـة إلى اللـواء فـؤاد الشـوبكي، وجميعهـم قـد تـم تحويلهـم إلى تحقيـق المسـكوبية في مدينـة القـدس المحتلـة.

مرحلة التحقيق

ظـن حينهـا الشـاباك الصهيـوني أنـه قـد انتـصر عـلى هـذه المجموعـة الثائـرة التـي نفـذت حكـم الإعـدام بالمجـرم الصهيـوني زئيفـي وإعـادة الاعتبـار للقضيـة الفلسـطينية، فكانـت عمليـة قتـل المجـرم زئيفـي أهـم وأخطـر عمليـة يقـوم بهـا أحـد منـذ عـشرات السـنوات، وكانـت ضربـة قاضيـة للأمـن الصهيـوني، ولذلـك اعتـبر جهـاز الشـاباك مـا تـم مـن عمليـة اعتقـال للأبطـال نـصرًا كبـيرًا جعلهـم يحتفلـون ويرقصـون وخاصـة أن الرفيـق عاهـد مرّ على ملاحقتـه ومطاردتـه نحـو 13 سـنة منذ العـام 1993م، فلـم يتمكـن الشـاباك مـن اعتقالـه إلّا في أريحـا، وأراد الشـاباك كشـف خيـوط هـذه العمليـة وفتـح ملفـات عديـدة للجبهـة الشـعبية، ولعملهـا ونشـاطاتها العسـكرية، وكل ذلـك تـم نسـبه للقائـد عاهـد، وتـم تجهيـز طاقـم خـاص مـن الشـاباك تـم اسـتدعاؤه لمهمـة التحقيـق معهـم والرفيـق عاهـد عـلى وجـه الخصـوص إلّا أن حنكـة وخـبرة الرفيـق عاهـد جعلتـه يسـتخدم اسـتراتيجية واضحـة وثابتـة فهمهـا المحققـون في الجلسـة الأولى حيـث رفـض التعاطـي مـع المحققـين ورفـض الإجابـة عـلى أي سـؤال، وكان الـرد الوحيـد عـلى أي سـؤال خاص بالتحقيـق "إنكـم خطفتمونا من أريحـا وعليكـم إعادتنـا إلى هنـاك"، وتـم الضغـط عـلى الرفيـق كـي يبـدّل هـذه الإجابـة إلا أنّ الشـاباك لم ينجح في ذلـك، وتـم تحويـل التحقيـق إلى إدارة نقـاش سـياسي أو اجتماعـي إلّا أن هـذا القائـد المحنـك لم ينخـدع بهـذا الأسـلوب وتـم نقلـه إلى تحقيق آخـر، وعرضـوا عليه أن يجتمـع مـع الرفـاق الموجوديـن معـه في مراكـز التحقيق،

وكان جوابه الرفض، وحاولوا استخدام الجواسيس لنقل الرسائل بين الرفاق، وكانت خطة محكمة من قبل الشاباك حيث يوجد بهذه الرسائل معلومات ومعطيات عن أحداث معروفة ومعلومات عن مجرى التحقيق وإلى أين وصل بهم الأمر،

الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة خلال جلسة محكمة صهيونية

وأيضًا هذا الأمر لم يخدع الرفيق عاهد، واستمر الشاباك جاهدًا لمدة شهرين لمحاولة فك عقدة لسان الرفيق عاهد، وقاموا بجمع كافة المعلومات التي لديهم من جواسيسهم ومن اعترافات الغير على الرفيق، وتم تقديمها للمحكمة الصورية الصهيونية التي يتحكم بها الشاباك الصهيوني، فتم تقديمه للمحاكمة رغم أن كل المعلومات التي يجمعها الشاباك ضده في مسألة التخطيط والإعداد في قتل الوزير الصهيوني زئيفي لم تكن كافية لإدانته في المحكمة وخاصة أن اللقاءات التي كان يعقدها مع أعضاء المجموعة لم يكن يظهر بها بشخصه أو شخصيته المعروفة، وكان يلتقيهم متخفيًا ويتقمّص شخصيات مختلفة، وكان من الصعب تشخيصه حيث إن المواصفات التي حصل عليها الشاباك لم تكن تنطبق على الرفيق عاهد، وهذا الأمر جعل المحكمة تأخذ سنوات طويلة قبل نطقها بالحكم لتأتي النهاية التي أرادها الشاباك، وقررت المحكمة الصهيونية الحكم على رفيقنا عاهد المسؤول عن التخطيط للعملية وقيادتها ومسؤول الجهاز العسكري للجبهة الشعبية في الضفة الغربية، وجاء الحكم على قناعة جهاز الشاباك وليس ارتباطًا بقرائن وأدلة، وتم تقديمها للمحكمة حيث قدمت المحكمة المركزية في القدس مجموعة كبيرة من المعلومات السرية التي لم يسمح للمحامي الاطلاع عليها، وكان من بينها مواد مسجلة مصورة، وبناء عليها تم الحكم على الرفيق عاهد بالسجن المؤبد، واستغل حينها المحامي كل تلك الثغرات وقدم استئنافًا للمحكمة العليا إلّا أنّ رد هذه المحكمة كان رفض هذا الاستئناف، وهذا يثبت أن الشاباك والمحاكم الصهيونية وجهان لعملة واحدة، والواحد منهم يُكمّل الآخر، وما عملية هدم المنازل وتصفية واغتيال القادة والكوادر والمواطنين إلّا سياسة متفق عليها وتحت غطاء كامل من القضاء الصهيوني.

مرحلة نضالية جديدة في السجون

بعد أكثر من 60 يومًا في مراكز التحقيق تم نقل الرفاق من مراكز التحقيق إلى السجون، وتم نقل الرفيق عاهد إلى سجن هداريم حيث كان يصنف للعزل الجماعي وتحت الرقابة المشددة

من خلال الانتشار الكثيف للكاميرات أو من خلال تسجيل الصوت وتوزيع سماعات على كل الزنازين حيث يستطيع السجان من خلالها سماع كل ما يجري من حوار داخل الزنزانة إلا أن خبرة هذا القائد الكبير عاهد وحنكته الأمنية والسياسية جعلته يدرك أن ساحة المواجهة الجديدة مع المحتل أصبحت أكثر قوة ولاسيما للاحتكاك المباشر مع السجان الصهيوني، فمواجهة السجان تعتمد على عناصر الإرادة والوعي والثقافة والوحدة، فهي أسلحة فتّاكة إذا ما تم استخدامها بشكل صحيح، وكان دخول الأسير عاهد إلى السجن قد جاء بعد فشل الإضراب المفتوح عن الطعام عام 2004م،

والدة الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة
في فعالية تضامنية مع الأسرى بمحافظة نابلس

وما حصل بعده من إجراءات عقابية من قبل إدارة السجون على الأسرى، وكان استعداد الأسرى للمواجهة ضعيفًا نسبيًا، وكان نشاط وحماس هذا القائد الرفيق قد حرّك المياه الراكدة وخاصة في سجن هداريم الذي كان يضم العديد من قيادات العمل الوطني والفلسطيني من كافة الفصائل، ونتيجة لعلاقاته الاجتماعية والتنظيمية تمكّن الرفيق عاهد مع بقية القيادات من إنجاز وثيقة الأسرى التي وقعها الأسرى القادة مروان البرغوثي وعبد الرحيم ملوح وعبد الخالق النتشة والشيخ بسام السعدي ومصطفى بدارنة، وتحفظت حركة الجهاد حينها على بعض ما جاء بها، وأصبحت تسمى هذه الوثيقة فيما بعد (وثيقة الوفاق الوطني)، وكان تقبل وتفاعل الشعب الفلسطيني وقادته مع هذه الوثيقة قد أعطى الحركة الأسيرة دفعة معنويات وأعاد لها ثقتها بنفسها وقدرتها على القيادة حتى وهي في السجون مما أدى إلى حالة من الحوار والنقاش الدائم في الحركة الأسيرة للخروج من أوضاعها الصعبة عبر المشاريع المتفق عليها، وتزامن ذلك مع محاولة فرض إدارة السجون أن يلبس الأسرى الزي البرتقالي بدلًا من الزي البني مما جعل الأسرى يرفضون ذلك بشكل قاطع وخاضوا مواجهة عنيفة مع إدارة السجون، وخرجوا منتصرين في هذه المعركة، واستمرت هذه المعركة قانونيًا حين بدأ الأسرى بتعيين محامين لمتابعة قضاياهم المختلفة في المحاكم وحققوا نجاحات نسبية في ذلك، وبدأت الحركة الأسيرة بتشكيل هيئات قيادية لفصائلها المختلفة، وبدأتها حركة حماس عندما شكلت الهيئة

العامة لحركة حماس في سجون الاحتلال، ثم تبعها حركة الجهاد الإسلامي، ثم كان نجاحهما فرصة هامة للجبهة الشعبية التي هي في الأصل فصيل منظم ومنضبط ومثقف داخل السجون ودفعهم كل ذلك لبدء العمل على تشكيل فرع جديد للجبهة الشعبية، على المستوى العام ثلاثة فروع في الضفة وغزة والخارج، واعتماد فرع جديد للجبهة الشعبية يجعلها أربعة فروع، وبذل الرفيق عاهد جهدًا كبيرًا في هذا الموضوع، وقام بتذليل كافة العقبات أمام تشكيل هذا الجسم الجديد من مركز العمل التنظيمي بحيث تصبح هناك قيادة واحدة للجبهة الشعبية في كل السجون تكون صاحبة القرار في كل ما يخص رفاق الجبهة، وقد عمل الرفيق عاهد تحت مسئولية الأمين العام أحمد سعدات ومساعدة عدد من الرفاق على إنجاز هذا المشروع وكان عضوًا في اللجنة التأسيسية إلى هذه القيادة التي استمرت تقريبًا سنتين حيث تم إنجاز مؤتمر للفرع في السجون انتخب هيئة موسعة وهذه الهيئة الموسعة انتخبت هيئة من 7 أعضاء كانت مهمتها ووظيفتها قيادة الجبهة الشعبية في سجون الاحتلال، ومنذ تأسيس هذا الجسم التنظيمي الجديد والقائد عاهد يعمل بجد ونشاط وفعالية عالية حتى كتابتنا لهذه السطور ممّا جعل جهاز الشاباك الصهيوني واستخبارات إدارة السجون تقوم بعزل الرفيق عاهد في العام 2009م حيث مكث في العزل الانفرادي ما يقارب 30 شهرًا في ظروف صعبة محاولين خنق هذا البطل لقتل الروح المعنوية لديه وتحطيم إرادته وكسر صموده وعنفوانه إلا أنه فاجأهم أنه قلعة من الصمود لا يمكن اختراقها، وكان يتم تمديده للعزل الانفرادي في محكمة صورية كل 6 أشهر، ليأتي يوم 27/ 09/ 2011م وتقرر الجبهة الشعبية في سجون الاحتلال خوض الإضراب المفتوح عن الطعام لإخراج الأسير القائد الأمين العام أحمد سعدات من العزل الانفرادي، واستمر هذا الإضراب مدة 20 يومًا، وكان قد سبق دخوله العزل قبل الرفيق عاهد، وأصر الرفاق على إخراجهما من العزل وباقي المعزولين إلا أن حدثًا هامًا وتاريخيًا منع تحقيق الهدف الذي خاض من أجله الرفاق الإضراب وهو عملية التبادل في صفقة جلعاد شاليط في 18/ 10/ 2011م،

الأسير الرفيق/ عاهد أبو غلمة
في سجن "ريمون" الصهيوني (2018م)

بالإضافة إلى وعود مصلحة السجون بأنها سوف تخرج الرفيق القائد أحمد سعدات من العزل بعد أن يتعافى، وكان حينها في المشفى، أما الرفيق عاهد فقد

أبلغت مديرية مصلحة السجون المسئولين عن هذا الإضراب أنه تم الإفراج عن الرفيق عاهد في صفقة التبادل، وبذلك يكون قد انتهى موضوع عزله، وليؤكد للرفاق أن الأمر حقيقي عرضوا عليهم قائمة الأسماء المفرج عنهم في الصفقة ومنهم اسم الرفيق عاهد، وتبين فيما بعد أن كل ما ذكره ضابط الاستخبارات في مصلحة السجون كان عبارة عن تمثيلية وكذب وخداع لإنهاء هذا الإضراب، وكانت تجربة العزل الانفرادي للأسير عاهد من أصعب التجارب والمحطات ولاسيما أن طبيعة الإنسان مهما كان فإن الهدف من عزله هو عزله عن محيطه الاجتماعي والإنساني لكون الإنسان بطبيعته كائنًا حيًا اجتماعيًا لا يستطيع أن يعيش في العدم أو لوحده، فحالة الفراغ والوقت الطويل التي يشعر بها الأسير تجعله يفتقد للكثير من الأمور الخاصة بها خاصة أنه يترافق مع هذا العزل الانفرادي منع الأسير من زيارة زوجته وأبنائه وعائلته وأحيانًا المحامي وتحديد نوع الكتب المسموح بها والمنع إلى الخروج من ساحة الفورة إلّا في أوقات محددة ولمدة ساعة في اليوم، ولا يخرج من الزنزانة إلّا بعد أن يتم تقييد يديه وقدميه وفي بعض السجون يتم تقييد اليدين عبر إخراجهما من فتحة الباب وهو مغلق خوفًا من ردة فعل الأسير حتى وهو في زنزانته ويدير ظهره لهم، ويخرج يديه من الخلف، فأي كيان صهيوني هذا الذي يدعي الانتصار على الإرادة الصلبة التي يتمتع بها الفلسطينيون حتى وهو مقيد، وإضافة على ذلك فإن الأسير يعزل في حال خروجه إلى البوسطة عن بقية الأسرى، وهذه التجربة القاسية والمؤلمة لم تنته إلا بعد إضراب الكرامة الذي خاضه أبناء حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية والديمقراطية وعدد لا بأس به من قيادة حركة فتح في العام 2012م، وكانت المطالب تتلخص في إخراج حوالي 20 أسيرًا معزولًا بالإضافة للسماح للأهالي من قطاع غزة بزيارة أبنائهم الأسرى التي كانت ممنوعة من العام 2007م وعدد من المطالب المعيشية لتحسين حياة الأسرى، وقد حقق الإضراب الذي بدأ في نيسان 2012م وانتهى بعد 28 يومًا إنجازين أو مطلبين من المطالب الثلاثة وهي إخراج 20 معزولًا بعد 72 ساعة من وقف الإضراب، كان من بينهم الأمين العام أحمد سعدات والرفيق عاهد والسماح بزيارة أهالي قطاع غزة لأبنائهم بعد شهرين من انتهاء الإضراب، أما المطلب الثالث فلم يتحقق منه سوى بعض التحسينات الخفيفة جدًا.

مساهمته العلمية والنهوض بالمستوى الثقافي

استمرت الحركة الأسيرة بالسعي في برامج نضالية وتعليمية للارتقاء بواقعهم الحياتي في السجون فالشعار الذي كان سائدًا طوال الفترة الماضية من قبل الحركة الأسيرة في السجون، وهي أماكن إعداد وتعبئة وتنظيم حولت إلى مدارس ثورية، بل إلى أكثر من ذلك، إلى جامعات يتخرج منها الأبطال بتخصصات مختلفة، وهناك من خرج من السجن خبيرًا في الاقتصاد، ومنهم من خرج عالمًا بالعلوم الشرعية، وهناك من أبدع في فن الكتابة، ومن لديه خبرة في العلوم الإدارية وهكذا، وهناك من تعلم لغة يستفيد منها في مستقبله، وهذا ما كان ليكون لولا الجهود الجبارة التي قام بها قادة

وكـوادر الحركـة الأسـيرة؛ لأنهـم آمنـوا أن كل أسـير يدخـل السـجن عليـه أن يخـرج منـه أفضـل ممـا كان عليـه ثقافـة وعلمًا، ويكـون في خـارج السـجون شـعلة نضاليـة علميـة ولاسـيما ذو المكانـة المحمـودة التـي يكنهـا الشـعب الفلسـطيني للأسـير، وحـاول الأسرى الضغـط عـلى إدارة السـجون عـبر إضراباتهـم العديـدة السـماح لهـم للدراسـة الجامعيـة، وتـم السـماح بالدراسـة بالجامعـة العبريـة المفتوحـة، والتحـق بهـا عـدد لا بـأس بـه مـن الأسرى الفلسـطينيين والعـرب إلا أن عـددًا كبـيرًا لم يتمكنـوا مـن الدراسـة كونهـم لا يتقنـون اللغـة العبريـة، وجـزء آخـر منهـم كان يرفـض الدراسـة؛ لأنها جـزء مـن التطبيـع مـع الاحـتلال، فهـذه كانـت قناعات تختلـف مـن أسـير لآخـر، والأهـم أن الحركـة الأسـيرة بذلـت جهـودًا قويـة للحصـول عـلى دراسـة الدبلـوم أو البكالوريـوس مـن جامعـات فلسـطينية أو عربيـة ليـأتي الاتفـاق الـذي وقعتـه كليـة العلـوم التطبيقيـة في غـزة في العـام 2009م مـع الأسرى حـول السـماح بدراسـة دبلـوم الخدمـة الاجتماعيـة بالإضافـة إلى دبلـوم تأهيـل الدعـاة، وكان الرفيـق عاهـد أحـد رواد وأبطـال هـذا البرنامـج التعليمـي حيـث بـدأ في تدريـس الطلبـة في دبلـوم الخدمـة الاجتماعيـة كونـه متخصصًـا في علـم الاجتـماع والإرشـاد النفـسي والاجتماعـي وخريـج جامعـة بيرزيـت إلّا أنّ الأمـور صـارت عكـس مـا يتمنـى، فـما إن أنهـى الفصـل الأول للدبلـوم حتـى قامـت إدارة السـجون بعزلـه في العـزل الانفـرادي، وقد خـرج بعـد إضراب الكرامـة في العـام 2012م، وحينها وجـد أن هنـاك نقلـة نوعيـة في التعليـم حيث تم السـماح ببرنامـج البكالوريـوس في تخصـص التاريـخ من جامعة الأقصى بقطـاع غزة، وكذلك سـمحت جامعـة القدس أبـو ديـس بتدريـس البكالوريـوس في العلـوم السياسـية بـإشراف خـاص مـن الدكتـور مـروان البرغوثـي،

جامعة القدس
Al-Quds University
دائـرة التـسـجـيـل
Registration Department

مصدقة

العام الأكاديمي

بناءً على نتائج امتحانات الفصل الأول من العام الأكاديمي 2016/2015 قرر مجلس الجامعة في جلسته رقم 329 بتاريخ 2016/02/24 منح عاهد يوسف موسى ابوغلمي المولود في بيت فوريك عام 1968 درجة الماجستير في الدراسات الإقليمية مسار الدراسات الإسرائيلية، بمعدل خمس وثمانون و ثلاثة اعشار (85.3%) وبتقدير جيد جداً.

أبو ديس في 2016/02/27

مدير التسجيل

وما هـي إلا فـترة مـن الزمـن حتـى تـم السـماح مـن قبـل جامعـة القـدس المفتوحـة بدراسـة الماجسـتير بتخصـص الدراسـات الإسرائيليـة، والتحـق حينهـا رفيقنـا عاهـد بـكل قـوة واقتـدار باللجنـة التعليميـة فوضـع كل خبراتـه وقدراتـه وإمكانياتـه وجهـوده لخدمـة الطلبـة حيـث تـم تجسـيد المقولـة التاريخيـة بـأن السـجون هـي جامعـات تخـرج الثـوار والعلـماء والقـادة والكـوادر بعـد أن أرادهـم العـدو الصهيـوني جهلـة لا يقـرأون ولا يكتبـون، والتحـق حينهـا رفيقنـا ببرنامـج الماجسـتير في جامعـة أبـو ديـس، وكان نعـم الطالـب

ونعم المحاضر ونعم المحاور في حلقات الحوار والنقاش في جلسات الماجستير التي كان يعقدها الدكتور مروان البرغوثي في ساحة سجن هداريم في ظل تنافس شديد وجدي بين الطلبة الذين هم في الأساس ينتمون إلى فصائل وطنية وإسلامية ليزداد عدد الطلبة وعيًا وعمقًا في المطالعة والبحث والتحليل السياسي، والأهم أن عددًا كبيرًا من الأسرى الذين كانوا يدرسون في الجامعة العبرية تم منعهم من الدراسة بسبب قانون شاليط، تمكنوا من إكمال البكالوريوس في العلوم السياسية في جامعة القدس أبو ديس بمساعدة المناضل مروان البرغوثي حيث تم احتساب الكثير مما درسه الطلبة مما سهل عليهم عملية التخرج، وكان عدد منهم ممن أمضى عشرات السنوات في السجون وبتخصصات أربعة، وبدأت عملية الإقبال على البرامج التعليمية من قبل الأسرى كبيرة، ما حدا بقادة الحركة الأسيرة إلى انتزاع الموافقة من جامعة القدس المفتوحة بإدخال برنامج البكالوريوس إلى السجون بتخصصات أربعة وبدأ هذا البرنامج عام 2015م، وكان قد بدأ بشكل تجريبي ولمدة محدودة جدًا عام 2011م، وسرعان ما تم إغلاقه ليعود في العام 2015م، وكان للرفيق عاهد الدور الريادي والمميز في افتتاح فروع لجامعة القدس المفتوحة في سجن رامون وفي سجن جلبوع، وحتى كتابتنا لهذه السطور فإن رفيقنا عاهد لا يزال يعمل ليل نهار في تدريس الطلبة وتحفيزهم على الإقبال على العلم والتعلم والحصول على شهادات جامعية، فهناك ما يقارب الـ 100 أسير قد تخرجوا حتى العام 2019م من جامعة القدس المفتوحة إلا أن الالتحاق بالجامعة مرتبط باشتراطات لا تنطبق على كل الأسرى وخاصة الأسرى الذين حكمهم لا يتجاوز ثلاث سنوات، كما أن التخصصات لا تغطي كل المجالات التي تهم شعبنا وأسرانا، وقد لجأ الرفيق عاهد إلى التفكير في آلية جديدة لتعبئة وتوعية الحركة الأسيرة فذهب في اتجاه عقد الدورات التعليمية والثقافية والإدارية في تخصصات كثيرة، منها القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان والإعلام والصحافة المكتوبة والعمل الدبلوماسي، وهذا الأمر استقطب عددًا كبيرًا من الأسرى فكأنهم وجدوا ما يريدون من هذه الدورات، وكان للأسير القائد عاهد فضل كبير لن ينساه أحد ولا سيما أنهم قد حصلوا على شهادات تدريب وتقدير من مراكز كبيرة ومعروفة محليًا وإقليميًا ودوليًا.

مع كل ذلك العطاء اللامحدود للرفيق عاهد لم يقف عطاؤه وإقدامه في التعلم وتثقيف أبناء الجبهة الشعبية التي يتميز أبناؤها في السجون بثقافتهم اللامحدودة فأبدع أكثر وأكثر عندما كان يؤرخ أو يكتب دراسات أو مقالات في مواضيع متعددة، أو عندما يقف محاضرًا أمام مجموع الأسرى في مناسبات أو في احتفالات سياسية أو مناسبات إحتفائية في أمور اجتماعية، فكان محاضرًا ومحاورًا ومتحدثًا ولبقًا في انتقاء كلماته وألفاظه، فهكذا كان ولا يزال رفيقنا عاهد.

إرث عائلة مناضلة

كل ما وصل إليه رفيقنا من مستوى قيادي وفكري وثقافي ما كان ليكون لولا فضل عائلته

عليه وعلى إخوانه الخمسة وأخواته الست، وكان محور ومركز هذه العائلة هو والده ذو السلطة الأبوية في المجتمع الفوريكي، وعمل هذا الأب على تربية أبنائه التربية الوطنية ولاسيما أن بلدة بيت فوريك كانت معقلًا للنضال والمقاومة حيث تم اعتقال والد الرفيق عاهد في بداية السبعينيات بتهمة مساعدة الفدائيين وتوفير الطعام والمسكن لهم، ولم يكن والد عاهد وحده الفدائي في هذه العائلة المناضلة، بل كانت أيضًا والدته من الأوائل اللاتي يوفّرن الطعام والشراب للفدائيين الوافدين من غور الأردن، وكما يقال إن "فرخ البط عوام" ليكون شقيق عاهد الأكبر في رحاب الوطنية والمقاومة حيث ساهم في تشكيل تنظيم سري محلي، وعمل على تصنيع المتفجرات وحيازة الأسلحة والذخيرة وتنظيم أكثر من 40 شابًا من طلاب المدارس والعمال، وعلى إثر ذلك اعتقل هو ومسئول هذا التنظيم الذي كان وهو أيضًا ابن عمته للرفيق عاهد وحكم على شقيق عاهد 6 سنوات ما بين عام 1976م- 1982م، ولا يزال يتذكر الرفيق عاهد عندما اجتمع أشقاؤه الخمسة في السجن في ثمانينيات القرن الماضي، وكان حينها والده ووالدته يجدون صعوبة فيمن سيزورون في السجن، وكانوا أحيانًا يوزعون أنفسهم على السجون ليتمكنوا من زيارة أبنائهم الخمسة حيث كانوا موزعين على ثلاثة سجون وهي سجن جنيد وسجن نابلس وسجن القارعة، وكان صبر والدتهم وصمودها وإصرارها على أن تبدو في الزيارة أمامهم صلبة قوية وهي التي كانت ترفع من معنوياتهم وتشجعهم دومًا على الاستمرار في خط النضال والمواجهة والمقاومة،

الأسير الرفيق/ عاهد أبو غلمة
برفقة والدته خلال زيارتها له في السجن

كيف لا وقد ضحّى إخوانها من أجل هذا الوطن فكانت كلمات والدتهم ولقوة إرادتها وصمودها دافعًا لجعل أبنائها يواصلون مسيرة الكفاح والنضال، فامتد الاعتقال في الانتفاضة الأولى والثانية ليشمل معظم إخوانه وأبنائهم، وقد شمل هذا الاعتقال شقيقتي الرفيق عاهد، وحكم على شقيقته الماجدة الرفيقة ليان بسبع سنوات، وقد تحررت في صفقة جلعاد شاليط عام 2011م، وللعلم فإن زوجها قد استشهد في معركة مع العدو الصهيوني في مدينة نابلس في العام 2003م، وتم فيها قتل الوحدة الصهيونية الخاصة التي هاجمت الرفاق المطلوبين، فكان الرفيق أمجد مليطات وهو زوج شقيقته وابن عمته أحد قادة كتائب الشهيد أبو علي مصطفى، واستشهد معه في هذه المعركة الرفيق يامن فرج مسئول كتائب أبو علي مصطفى في مدينة نابلس في ذلك الوقت، وكانت هذه العائلة النابلسية الفوريكية الشوبكية أصلها ثابت وفرعها في السماء، فنعم النضال نضالها،

ونعم الرجال رجالها، ونعم النساء نساؤها، فليس فقط كانت شقيقة عاهد من المناضلات والمكافحات والمقاومات بل أيضًا زوجة عاهد التي كانت قد ارتبطت به في ظل ظروفه القاسية جدًا، وكان اسمها وفاء وكانت اسمًا على مسمى، وهي وفاء المناضلة الصلبة، وفاء الوفية للوطن وللقضية وللزوج والمقاومة، المؤتمنة على أبنائها،

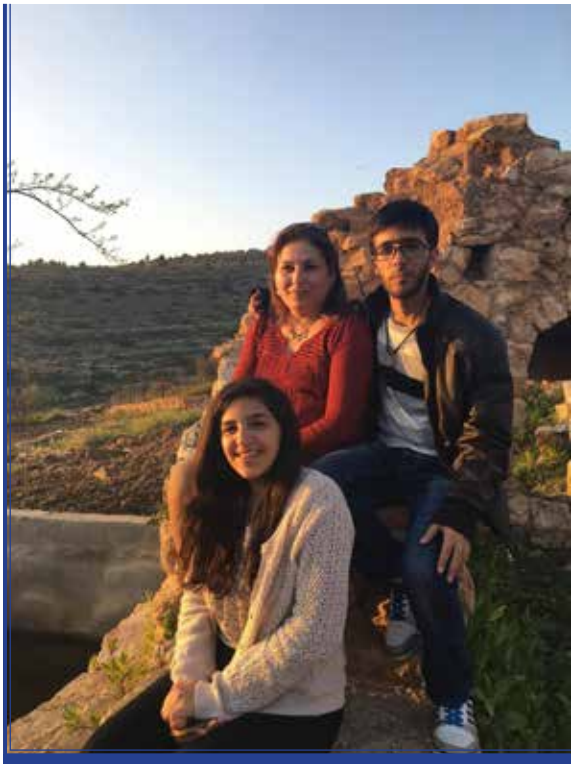

عائلة الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة
على موعد مع الحرية لوالدهم

فربتهم تربية وطنية وعلى الأخلاق الحميدة والقيم والمثل العليا المستمدة من الثقافة العربية الإسلامية، وكانت هذه الزوجة أيقونة بذلت ولا تزال كل جهد مستطاع لخدمة الأسرى والحركة الأسيرة وأهالي الأسرى أيضًا، لا تخلو مظاهرة إلا وشاركت بها، ولا يوجد ساحة من ساحات الوطن إلا وتشهد لها على إقدامها وعطائها اللامحدود، وكان جزاؤها أن قام هذا المحتل بمنعها من زيارة زوجها في سجون الظلم الصهيوني لمدة 9 سنوات، ومنعت من السفر مدة 12 عامًا، وكما فرض عليها الإقامة الجبرية في رام الله لمدة عامين ومنعها من زيارة أريحا، وكل ذلك العطاء والوفاء ولم تتمكن من العيش مع زوجها في ظل سقف البيت سوى سنتين ليرزقه الله مولوده البكر في العام 1998م واسمه قيس، وكان لاختيار هذا الاسم قصة وهو أن هذا الاسم جاء للربط ما بين الماضي والحاضر في الثقافة والحضارة العربية والإسلامية وللتأكيد على أن الموروث العربي فيه العزة والكرامة والأصالة، وهذا يتجسد باسم (قيس)، أما مولودهم الثاني فقد جاء بعد أربع سنوات وكانت بنتًا تم تسميتها (ريتا) وجاءت في انتفاضة الأقصى وسميت بذلك تعبيرًا عن الارتباط النضالي الأممي حيث رفيقنا يؤمن بتكامل حركات التحرر التي تسعى لتحرير الإنسانية والعدالة والمساواة إلّا أن الاسم جاء من الأسماء السوفيتية التي تدعم حركات التحرر العالمية، وليست أغنية ريتا لمارسيل خليفة بعيدة عن ذلك، فأراد الرفيق عاهد وزوجته وفاء الربط بين الماضي باسم قيس والحاضر باسم ريتا على أمل أن يكون المستقبل أجمل من الماضي والحاضر معًا، كما تمنى الرفيق عاهد لو أنه يستطيع العيش مع قيس وريتا على الأقل بضع سنوات ليكبروا أمامه رويدًا رويدًا إلّا أن الظلم الذي حرمه حنان والده عندما تم اعتقاله وعطف أخيه محمد وحب خاله الشهيد وحرمة زيارة إخوانه له في السجن وحرمة زيارة زوجته وحرمة الاحتلال أيضًا من عناق ابنيه وضمهما إلى صدره،

وها هما الآن أصبحا كبيرين في عمريهما كبيرين في نفسيهما وكبيرين في مجد والدهما، وكانا ولا زالا وسيبقيان وفيين لوالدتهما التي ضحّت بكل شيء من أجلهما، ووفيين لوالدهما الذي أصبحت سيرته العطرة على لسان كل حر وشريف جعلهما يمشون بين الناس رافعين رأسيهما وسط احترام شديد من كافة الشعب الفلسطيني والعربي والدولي، وأدركا حقيقة معاناة والدهم وصبره، وأدركا البصمة الرائعة في المقاومة والنضال التي وضعها في تاريخ حافل بالمجد والعزة والفخر، وأيقنا أن لهم رسالة لابد من إكمالها وهي رسالة والدهما، فبدآ مشوار حياتهما ببصمة والدهما وسينهيانها ببصمتهما بالشكل الذي يريدانه هم وهو العلم أو بالتخصص الذي يريدانه، فنعم الابنان كانو، ونعم الرجل عاهد، ونعم الزوجة وفاء، ونعم العائلة عائلة أبو غلمة، فشريط الذكريات والأحداث قد مرّ سريعًا أمام عيني هذا الرفيق القائد عاهد ليذهب إلى ألبوم الصور ويستخرج منه صور قيس وريتا ليكتشف أن على هذه الأرض ما يستحق الحياة، فلجأ إلى مارسيل خليفة ليستمع إلى أغنيته المفضلة أغنية ريتا علّه يحلّق ويخرج من واقع السجن الأسير ليتحرر ولو قليلًا ليكتشف أنه استيقظ من حلم ولا أجمل منه.

قيس وريتا، أبناء الأسير القائد/ عاهد أبو غلمة
في فعالية تضامنية مع الأسرى بمحافظة نابلس (صورة أرشيفية)

الأسير المجاهد
حسام محمد علي سالم مطر (شقيرات)

(صيّاد الجواسيس) كابوس أرّق الشاباك

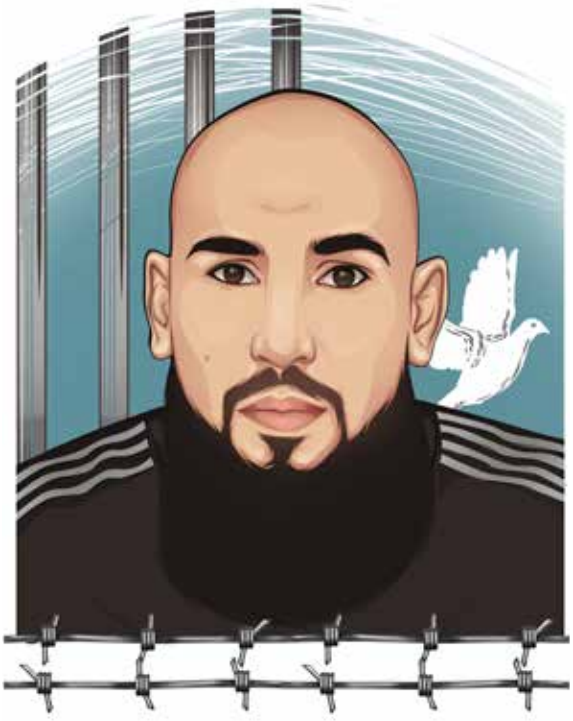

تاريخ الميلاد: 1983/02/15م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ولدان

مكان السكن: بلدة جبل المكبر – محافظة القدس

عدد أفراد العائلة: 4

تاريخ الاعتقال: 2007/10/19م

الحكم: مؤبد

هي كاشفة العورات قديمًا وحديثًا، وهي مركز الكون مركز الصراع، وهي أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين، إليها يُسرج الزيت ومنها تخرج الأرواح لتُخبر رب السماء بأن هناك رجالًا أشداء على الكفار رحماء بينهم، يسعون ليل نهار في التخطيط والإعداد دفاعًا عن هذه المدينة المقدسة، ألا وهي مدينة الله مدينة القدس، والتي من أجلها قاوم وجاهد مجاهدنا البطل حسام مطر (أبو صقر) المحتل الصهيوني، فكان الثمن دخوله إلى سجون العدو الصهيوني.

جبل المكبر أشهر جبال فلسطين

مجاهدنا المقدسي حسام مطر ينتمي إلى تلك الأرض، وإلى تلك الحجارة الكريمة في مدينة القدس، وإلى ذلك الجبل أشهر جبل في فلسطين لقداسته وأهميته التاريخية والسياسية، إنه جبل المكبر الذي وُلد فيه هذا البطل حيث يعتبر جبل المكبر جزءًا مهمًا من منطقة السواحرة الغربية، ويقع في الجنوب الشرقي لمدينة القدس، ومعظم سكان جبل المكبر هم قبائل وعشائر السواحرة والعبيدية، وكما يقع هذا الجبل جنوب القدس والشرق من محطة سكة الحديد العثمانية، ويفصل بينه وبين جبل

الزيتون دار سلوان، وبينه وبين جبل صهيون واد الرايات ويرتفع عن سطح البحر 130م، وأطلق عليه المسلمون هذا الاسم؛ لأن الخليفة عمر بن الخطاب حين جاء إلى مدينة القدس لاستلام مفاتيحها يُقال إنه توقف عندما رأى الأقصى وكبر شاكرًا لله _عز وجل_ ثم واصل طريقه وتسلم المفاتيح من البطريرك صفرونيوس عام 15ه الموافق 637م، ويُقال إنه كان في القدم يطلق على جبل المكبر جبل (المؤامرات) أو جبل (المشورة الفاسدة)؛ لأنه كما يقول المؤرخون بأن يهوذا الاسخريوطي ورؤوس الكهنة وقادة الجيش اتفقوا على تسليم السيد المسيح _عليه السلام_ وكان اجتماعهم في دار المجمع المعروف باسم (السنهدريم)، فبنى الروم على جبل المكبر كنيسة باسم القديس برمزيوس، كما بنى الإنجليز عليه في عهد الاحتلال البريطاني دارًا اتخذوها مقرًا لهم وللمندوب السامي، كما بنوا عليه الكلية العربية؛ لأن هذا الجبل خصوصية هامة، وهي أنه يشرف على معظم أحياء مدينة القدس.

منظر عام لبلدة جبل المكبر بمحافظة القدس

أصل عرب السواحرة

يقول المؤرخون إن أصلهم يعود إلى بني عقبة، وهم فخذٌ من قبيلة لخم إحدى أشهر قبائل جنوب الجزيرة العربية، وهناك من يعتقد أن الصفات التي تشتهر بها هذه العشائر زرقة العيون وبياض اللون تعود لأن عرب السواحرة قد أقاموا قريبًا من القدس مما جعلهم يتزوجون من المدن والقرى المجاورة كما اختلطوا بالسكان من غير العرب وتزوجوا منهم.

جبل المكبر قبل عام 1948م

من المعروف أنه قبل عام 1948م على جبل المكبر أقيمت الكلية العربية والمدرسة الزراعية اليهودية، وقبل مغادرة الإنجليز قام المندوب السامي البريطاني بوضع دار الحكومة والكلية العربية ومنشآت مختلفة أخرى تحت تصرف منظمة الصليب الأحمر الدولية، وفي 17 مايو (أيار) 1948م وقبل نشوب معركة أواسط أغسطس (آب) عام 1948م في جبل المكبر قام أحد أبطال جبل المكبر، وهو أحمد حسين هرماس وكان موظفًا لدى دائرة المعارف بإنقاذ مكتبة الكلية العربية ونقل ما فيها من الكتب والمخطوطات وعددها 13 ألف كتاب حيث كان اليهود يسعون للسيطرة عليها، وبالفعل استولوا على عدد محدود منها قبل احتلال الجزء الغربي من جبل المكبر، وللعلم فإن مقر الأمم المتحدة لا يزال لليوم في جبل المكبر في قصر المندوب السامي، كما قام المحتل الصهيوني بتقسيم جبل المكبر وشراء جزء كبير منه، وهو حي الشيخ سعد والسواحرة الشرقية والغربية من القدس وضمها للضفة الغربية، وقسمت لثلاث مناطق سواحرة غربية وشرقية والشيخ سعد، وبحكم المصادرة تتواجد البلدة ضمن جدار

الفصل العنصري رغم أن نفس العائلات موجودة في المناطق الثلاث التي قسمها الاحتلال قسرًا ومنع التواصل ما بين القسم الشرقي والغربي من خلال الفصل العنصري والحواجز الصهيونية، وأشهر هذه العائلات هي آل شقيرات، آل الجعابيص، آل المشاهرة، آل عويسات، آل جعافرة، آل هلسة، وآل عبيدات وغيرها، ولطبيعة هذه العشائر تميزت البلدة بالمعرفة العميقة بالشؤون العشائرية والقانون العشائري، ومع ذلك كان لهم مساهمة كبيرة في المقاومة حيث أشار إلى ذلك المناضل باسل أبو غربية في مذكراته أن عرب السواحرة كان لهم معقل من معاقل الثوار واستقر فيها قادة زهرة القدس الشهيد عبد القادر الحسيني ومحمد سعد بركات والحاج يوسف الشرفا، كما أن قائد ثورة القدس ومرافقيه قد أقاموا لدى مخاتير السواحرة، ومنهم المختار حسين إبراهيم شقيرات وحمدان حسن علي سرور، وفي سبيل ذلك قدمت بلدة السواحرة الكثير من أبنائها شهداء وأسرى وجرحى ومبعدين، وقد وقف العدو الصهيوني فرحًا ومسرورًا لدى سقوط جبل المكبر في أيديهم في حرب 1967م، وفي نفس الوقت هلل وكبّر رجال جبل المكبر حينما انتصر الثوار في معركة الكرامة عام 1968م فقد سالت هناك دماء الشهداء أمثال محمد علي الغصيني، وشهيد جبل المكبر جميل حمدان زحالقة عام 1936م، ولا تزال القافلة مستمرة.

الميلاد والنشأة

هذه هي الأصول والجذور لعائلة المجاهد حسام مطر الذي ولد عام 1983م أي بعد عام على خروج الأبطال والثوار الفلسطينيين بفصائلهم المختلفة من لبنان بعد حرب ضروس استمرت لأكثر من ثلاثة شهور، حيث لاقت ما لاقت المقاومة الفلسطينية من ويلات وأهوال شديدة في ظل تخلي العرب والمسلمين إلا من رحم الله، وذلك لشدة الضغوط التي مورست عليهم من قبل أمريكا، مما أدى إلى حالة إحباط شديد لدى الجماهير الفلسطينية ولاسيما عندما رأوا القوات الفلسطينية تخرج من لبنان الثائر إلى المحيط العربي والدولي كأن فلسطين قد سقطت مرة أخرى في يد العدو الصهيوني، وهذا الأمر جعل من العدو الصهيوني يشدد من قبضته الأمنية على كل أنحاء فلسطين المحتلة، وكان حينها المجاهد حسام وهو الابن الثالث لهذه العائلة حيث يكبره أخوان وأربع أخوات فما أن أصبح عمره عامًا واحدًا حتى سافر والده إلى السعودية للعمل هناك وعاد في العام 1990م، ومع دخول القوات العراقية للكويت ولم يستطع حينها الحصول على ماله بعد وقوفه فترة من الزمن في الأردن، أنجبت والدته أخاه الأصغر في بداية العام 1991م وتوفيت في العام 1992م وكان عمر والدة المجاهد حسام حينها 45 عامًا فحلت المصيبة على هذه العائلة لاسيما أن أطفالها لا زالوا صغارًا بحاجة إلى أمهم وحنانها وحبها ودفئها وتوجيهاتها، ولضرورة وجود المرأة في حياة الرجل وللعناية بالأبناء اضطر والد المجاهد حسام للزواج بعد عام من وفاة زوجته، فرزقه الله من الزوجة الجديدة ولدين وأصبح لديه ستة أولاد وأربع بنات، يبذل الوالد كل جهد ممكن للاعتناء بأهله

وأبنائه رغم ضيق الحال وقلة الأشغال ومضايقة الاحتلال الذي يسعى ليل نهار لخنق الفلسطينيين في القدس عبر سلسلة طويلة من الإجراءات الأمنية والسياسية والاقتصادية، والهدف هو تهجير الفلسطينيين من مدينة القدس سواء كان ذلك عبر القوانين أو الترغيب والترهيب بإحلال المستوطنين مكانهم لتكون الديموغرافية المقدسية في صالح المستوطنين، ولهذا فإن طفولة المجاهد حسام لم تكن عادية كما هو الطفل بشكل عام في بداية حياته، فما أن ولد حتى سافر والده وما أن عاد حتى توفيت والدته، فاضطر حينها إلى جانب دراسته بأن يدخل إلى سوق العمل وهو لا يزال في عمر الورود، فعمل إلى جانب والده وإخوانه في أيام العطل المدرسية والأعياد واستمر في التعليم الأساسي إلى أن وصل للصف العاشر في الفرع الصناعي وتخصص التجارة، ليبدأ مشوارًا جديدًا من حياته في تأسيس البيت الذي يطمح ويحلم به كل شاب، وفي وقت قياسي تمكن من بناء منزل وتزوج وهو في عمر 21 عامًا ليرزقه الله بالمولود البكر وأسماه صقر ليكون صقرًا على الأعداء وعونًا لوالده في النائبات، وبعد عام ونصف رزق بمولود ثانٍ أسماه نصر الله ليكون بإذن الله _تعالى_ بشرى خير وقرب النصر بإذن الله ليتحرر مسرى رسول الله من ظلم الظالمين، فكان لحياة هذا المجاهد أثر كبير في جعله يتوجه نحو المقاومة حيث ينتمي لتلك العشيرة المقاومة والمناضلة، وهي عائلة مطر التي تتبع عشيرة شقيرات، وكما أنه من سكان جبل المكبر هذا البلد الذي كان له ولا يزال صولات وجولات في مقارعة المحتل حيث كان في انتفاضة الحجارة عام 1987م قدم جبل المكبر كعادته في التضحية والفداء العديد من الشهداء، كان أولهم الشهيد جمال إبراهيم علي سالم مطر الذي كان له قصة غريبة حيث من كرم الله عليه أنه كان رياضيًا ملاكمًا، وفي حادثة ما تعرض للشلل فترة من الزمن وبقدرة الله _عز وجل_ وبفضله ورحمته تعافى من الشلل، فخرج مجاهدًا في سبيل الله حتى ارتقى شهيدًا في بلده، فصدق الله فصدقه الله _عز وجل_ والشهيد الثاني الشهيد الدكتور أحمد مشعل شقيرات ومن بعده الشهيد محمد عبد الرحمن مشعل،

هذا عدا عن عشرات الأسرى والمعتقلين، فامتدت المقاومة لدى جبل المكبر لتشارك أبناء الوطن في انتفاضة الأقصى في العام 2000م، وكان لسكان هذا البلد الفضل الكبير في توصيل الاستشهاديين والمقاومة بكل أشكالها وأنواعها، فارتقى العديد من الشهداء وتم أسر العديد من الأبطال، وهذا ليس فحسب بل هم من ساند المقاومة الفلسطينية عبر عمليات بطولية جديدة وجريئة عبر الدهس بالسيارات والجرافات والشاحنات، وكما شاركوا في هبة القدس مع أبطال السكاكين وأثخنوا في العدو، ومن شهداء تلك المرحلة البطولية، مرحلة الطعن، الشهيد البطل علاء أبو دهيم، والشهيد غسان أبو جمل، والشهيد عدي أبو جمل، والشهيد علاء أبو جمل،والشهيد البطل معتز عويسات، فهذه البطولات لأبناء جبل المكبر كانت ولا تزال تستمر إلى يوم التحرير.

الجهاد في سبيل الله

في العام 2005م شهدت فلسطين أحداثًا وتغيرات كثيرة على صعيد المقاومة الفلسطينية، وظهرت على الساحة الدولية عدة تغييرات خاصة في الساحة العراقية حيث ظهر تنظيم القاعدة أشد وأقوى مما كان عليه مما جلب أنصارًا ومحبين من كل أنحاء العالم حتى إن الشباب الفلسطيني كان بعضهم قد توجه إلى العراق للجهاد في سبيل الله لجهاد الأمريكان، وهذا ما كان سيحدث في قصة مجاهدنا حسام حيث كان للمجاهد حسام صديق طفولة اسمه سهيل شقيرات، ولم يكن في ذلك الوقت قد تعرف على المجاهد إسماعيل حجازي وفيما بعد تعرف عليه في بداية عام 2002م، وكان هو وأخو سهيل الأكبر ناجح ينويان السفر للعراق لمقاومة المحتل الأمريكي إلّا أن هذا الأمر الذي كان قد سيطر على تفكيرهم جوبه بالرفض والمعارضة الشديدة من المحيط بهم حيث إن العدو الواضح والقريب والأساسي للأمة الإسلامية والعربية والسرطان المتغلغل في الأمة هو الاحتلال الصهيوني، ولذلك يجب التركيز على مقاومة المحتل وعملائه فتم حينها العزوف عن هذه الأفكار والاهتمام بقضاياهم الخاصة، وما هي إلا فترة من الزمن من العام 2005م حتى تعرف المجاهد حسام عبر صديقيه سهيل وإسماعيل على المجاهد حسام مطر، وهو من أقربائه فبدأوا بتشكيل خلية سرية مهمتها رصد تحركات العدو وجمع المعلومات عن الجواسيس، وكانت هذه الخلية مكونة من ضياء وحسام مطر وإسماعيل حجازي وسهيل شقيرات، بدأت هذه المجموعة بالتباحث حول أوضاع القضية الفلسطينية وما آلت إليه الأمور، فوجدوا أن العدو الصهيوني استطاع تجنيد عدد كبير من العملاء في مدينة القدس لمساعدته في القضاء على أي مظاهر من مظاهر المقاومة الفلسطينية، أو من أجل شراء المنازل أو بيعها لليهود بالإضافة إلى القيام بكل ما يعجز عنه جهاز الشاباك الصهيوني، وبذلك كانت فكرة هذه المجموعة أنه لابد من تنظيف مدينة القدس من هؤلاء الجواسيس، وبذلك يتم قطع الطريق على جهاز الشاباك الصهيوني في الوصول إلى المقاومين الفلسطينيين، وعندها يتم البدء في العمل

العسكري ضد المحتل الصهيوني وبشكل سري، وبذلك قررت هذه المجموعة تتبع أحد الجواسيس في مدينة القدس حيث في شهر فبراير (شباط) من العام 2005م في يوم ماطر من أيام الشتاء تم إلقاء القبض على أحد الجواسيس وكان يعمل لصالح جهاز الشاباك في بيع الأراضي، بالإضافة لارتباطه مع دائرة الحكم المحلي، ولم يكن هذا الجاسوس عاديًا، ولم يكن يخفي ذلك والكل يعرف حقيقته، فتم اقتياده من قبل المجموعة إلى مكان يقع بين حاجز الشيخ سعد وحاجز السواحرة الشرقية، وكانوا قد جهزوا له مكانًا بعد قتله وما أن تم هذا الأمر حتى قاموا بنقل سيارة هذا الجاسوس إلى منطقة في قرية الزعيم وهي منطقة هامة وحيوية، وبدأ الجيش الصهيوني يجري عمليات البحث والتفتيش عن هذا الجاسوس، كما أنهم رصدوا مبلغًا من المال بقيمة 25 ألف شيكل إلى من يدلي بمعلومة عن مكان وجوده، وكان الرأي العام المقدسي مؤيدًا بكل قوة لظاهرة قتل الجواسيس ولاسيما الذين يبيعون الأراضي والعقارات للعدو، فلم يتمكن حتى ذلك الوقت من معرفة تفاصيل ولغز هذا الجاسوس، وبدأت الأحداث اليومية والاشتباك مع العدو الصهيوني يتصاعد شيئًا فشيئًا في مدينة القدس وضواحيها وبلداتها، وبتاريخ 27/ 07/ 2006م استشهد المجاهد البطل نضال شقيرات شقيق الأسير المجاهد أمين شقيرات، وذلك بعد قيامه بعملية على حاجز السواحرة الشرقية مما أدى إلى مقتل وإصابة عدد من الجنود الصهاينة، ومن هنا انتقلت المجموعة المقدسية من مرحلة تصفية العملاء والجواسيس إلى مرحلة البدء في مواجهة العدو عسكريًا، فلا يفل الحديد إلا الحديد، ولابد من حمل السلاح ولاسيما أن العدو لم يتوقف يومًا عن استهداف الفلسطينيين حيث في تاريخ 26/ 05/ 2007م استشهد البطلان محمود ناجي هلسة ومدحت شقيرات وهو الأخ الشقيق الأصغر للمجاهد سهيل شقيرات، على حاجز الشيخ سعد، وتم التنكيل بجثتيهما الطاهرة بطريقة وحشية، وكل هذه الأحداث وصورها آلمت هذه المجموعة مما زاد من حماسها وإقدامها على شيء ذي قيمة كبيرة، فبدأت بالمحاولة بالحصول على سلاح، وتم وضع سيناريوهات لخطف جنود صهاينة أو قتلهم أو اغتيال شخصيات صهيونية بارزة، وبدأت الإجراءات العملية حيث في تلك الفترة ما بين 2005 – 2007م تم إعداد المكان المخصص لتخبئة الجندي الذي ستقوم المجموعة بخطفه، وكان ذلك بالقرب من حاجز الشيخ سعد، وبدأت المجموعة بالتواصل مع أفراد من حركة حماس في قطاع غزة من أجل عملية التمويل؛ لأن مستلزمات مثل هذه العملية مكلفة جدًا، وحتى تلك اللحظة كانت المجموعة تعمل بشكل شخصي دون أي مسميات تنظيمية، فها هم رجال القدس إنهم فتية آمنوا

الشهيد المجاهد/ نضال شقيرات استشهد بتاريخ 27/ 07/ 2006م

بربهم وزدناهم هدى وكرامة، وتمكن هؤلاء الأبطال من شراء 4 مسدسات ورصاص، وبدأت الخلية تعد العدة للعمل العسكري وأخذت العمل لوحدها، فما إن بدأت حتى ساءت الأمور حيث تم اعتقال المجاهد إسماعيل حجازي ومصادرة المسدس الذي كان بحوزته في 16/ 10/ 2007م، وبعده بثلاثة أيام تم اعتقال المجاهد حسام مطر، أما المجاهد سهيل فتم اعتقاله في 20/ 10/ 2007م، والمجاهد ضياء في 28/ 06/ 2007م، حيث تم كشف تفاصيل المجموعة المقدسية، وكان السبب في ذلك كما ذكر لنا المجاهد حسام هو الاستعجال وعدم التروي، وخاصة بعد استشهاد المجاهدين مدحت ومحمود اللذين كانا مقربين جدًا منهم بالإضافة إلى الثقة الزائدة فيمن باعهم السلاح.

مرحلة الاعتقال وما بعده

بعد اعتقال المجاهد إسماعيل اجتمع المجاهدون حسام وسهيل وضياء للتشاور والتباحث حول مصيرهم هل يختفي المجاهدون عن الأنظار أو يصبحون في عداد المطاردين، أو يتعاملون مع الأمر ببساطة كأن الأمر يتوقف فقط على مسألة السلاح حيث في حال اعتقال المجاهد حسام يذكر أنه هو أحضر المسدس للمجاهد إسماعيل، وعندها يتم سجنه من 6 شهور إلى سنة فيخرج من السجن والاستمرار في العمل إلّا أنّ التفكير السطحي لم يمنع اعتقالهم حيث في ليلة الجمعة 19/ 10/ 2007م في الساعة الـ3 فجرًا تم اعتقال المجاهد حسام من منزله الكائن في جبل المكبر في تلة عبد، وترويع العائلة وزوجته وأبنائه صقر ونصر الله،

أبناء الأسير المجاهد/ حسام مطر
على موعد مع الحرية لوالدهم

وقد دقوا المنزل بصورة إجرامية ووحشية كأنهم أرادوا خلع الباب من مكانه، وتوجه حينها المجاهد حسام نحو الباب فإذا بأعداد كبيرة من الشاباك والجيش الصهيوني يحيطون بالمنزل من كل جانب، ويقفون أمام الباب فتحول جسد المجاهد حسام إلى جسد مضيء لكثرة نقاط الليزر الموجهة إليه كناية عن أن سلاح الجنود الصهاينة موجه لكل جسده في حال تحركه سيقومون بإطلاق النار عليه بعدة طلقات نارية، فتم اعتقاله وتكبيل يديه إلى الخلف وبدأوا يضعون قناعًا على رأسه، وبدأ ينظر إلى زوجته وأبنائه ولكل زاوية في البيت؛ لأنه يعلم يقينًا بأن هذه المرة الأخيرة التي سيراهم بها، وتم اقتياده لتحقيق المسكوبية ووضع في زنزانة انفرادية لا تتجاوز المتر ونصفًا بها فرشات بلاستيكية وبدون وجه لتغطيتها وبجانبها دورة مياه دون أي ساتر وكانت حينها حوالي 5:30 صباحًا، وصلى الفجر الأول في الاعتقال، وأمام ما يقارب الساعة والنصف إذا بالباب يقرع ليتم اقتياد المجاهد حسام

إلى محكمة الصلح وتمديده لعدة أيام، ليعود منها إلى غرفة التحقيق وسط سلسلة طويلة وسريعة ومباشرة من الأسئلة حول نشاطات المجاهد حسام ضد العدو وحول تشكيل الخلية والسلاح، وكان هذا التحقيق عادة يستمر لساعات طويلة مما يجعل الأسير يشعر بالتعب والحاجة الضرورية إلى النوم مما يجعله عاجزًا عن التفكير، وبدأ استخدام أساليب التعذيب مع المجاهد حسام، وتم بعدها اقتياده إلى سجن العصافير أي الجواسيس، وكان ذلك يوم الخميس إلى يوم الأحد فما أن فشل العصافير من سحب الاعتراف من المجاهد حسام حتى تم إعادته مرة أخرى للتحقيق ليواجه هذه المرة بأدلة قاطعة لمشاركته في قتل الجاسوس والتخطيط لعمليات عسكرية، ومنها خطف جندي صهيوني، وحاول الإنكار حينها إلا أنه تفاجأ بوجود صور القتيل الجاسوس وأن أحد أفراد مجموعته قد اعترف على ذلك بالتفاصيل نتيجة تعرضه للتحقيق القاسي والعنيف جدًا، وهنا بدأت الأسئلة للمجاهد حسام كيف قتل الجاسوس؟ ومن الذي قتله؟ وأين سلاحه؟.. إلخ، فلم يكن حينها يستطيع المجاهد حسام بعد أن تم كشفه أن ينكر ذلك وقال لهم لقد كنت أعلم كل شيء، لكني لم أشارك في شيء، ومع ذلك تم إدانته وأمضى حينها 67 يومًا متواصلة في أقبية التحقيق، 30 يومًا انفراديًا يمنع خلالها من حقه في الاستحمام اليومي سوى كل يومين أو ثلاثة، ويمنع من زيارة المحامي ويطفأ النور في الزنزانة لفترات طويلة، ولا يمكن لأحد رؤيته إلا أن هذا الأمر عادة جاء لصالحه، حيث يحب الأسير في العادة أن تكون الغرفة مظلمة قليلًا كي يرتاح في نومه، فيلجأ إلى وضع بعض قطع القماش على مصدر نور الغرفة لتغطيته، ويمنع الأسير من الحصول على ساعة يد لمعرفة الوقت، لكن يعرف الوقت من خلال الوجبات اليومية للطعام، فعادة وجبة الفطور تكون في الساعة 6:30 صباحًا والغداء 1:30 ظهرًا والعشاء الساعة 7 مساءً، ويقدر حينها الأسير الوقت وفقًا لذلك، ومع مرور الوقت والزمن تم نقل المجاهدين إسماعيل وسهيل إلى نفس القسم، وتم جمع المجاهد حسام بالمجاهد إسماعيل في نفس الزنزانة، وفي الأيام الأخيرة تم استدعاء المجاهد حسام مرة أخرى للتحقيق حيث كانوا قد أحضروا صديقًا له قد ذهب معه في أحد الأيام لشراء مسدس، ولم يعرف بهذا الأمر أحد فاستغرب حينها أن هذا الأمر قد وصلهم، وقد بدأ المحقق يسأل المجاهد حسام ويقول له قبل سنتين من الآن ذهبت أنت وشخص آخر لشراء السلاح وكانت الساعة كذا وكذا، وكان حينها المجاهد حسام قد نسي هذا الأمر تمامًا وهذه الحادثة، وحينها لم يتذكر أي شيء، قال له المحقق: هل تعرف شخصًا اسمه إلياس أبو جوهر؟ فتذكر حينها المجاهد حسام هذا الاسم وتلك الحادثة القديمة، وقال له المحقق بأن صديقك أبو جوهر قد اعترف بكل شيء، وفيما بعد حكم عليه بعام ونصف على هذه الحادثة البسيطة بينما الوسيط في شراء السلاح وصاحب السلاح رغم ذكر أسمائهم في التحقيق لم يتم اعتقالهم حتى هذه اللحظة، وساءت أوضاع المجاهدين حسام وضياء في زنازين

المسكوبية فاضطرا في النهاية للإضراب عن الطعام لمدة 6 أيام ليحققا بذلك الإضراب مطلبهما وهو خروجهما من الزنازين إلى داخل السجن.

فترة السجن

بعد الإضراب عن الطعام تم نقل الأسيرين حسام وضياء إلى معبار "أيالون" في سجن الرملة بتاريخ 25/ 12/ 2007م حيث لابد من النوم ليوم واحد ليتم نقلهما إلى داخل سجن الرملة، وكانت تلك الليلة صعبة جدًا عليهما لتعرضهما للبرد الشديد والقارص، ولم يكن بحوزتهما إلا الملابس التي على جسديهما فلم يتمكنا من النوم، ومن أراد النوم فعليه أن يتوسد بيديه ويضم رجليه إلى بطنه ويحاول عبثًا النوم، وشاء القدر في تلك الزنزانة في معبار "أيلون" أن سمعا صوتًا غريبًا ينادي عليهما ويقول لهما "الله يسلم أيديكم" حيث كان أقرباء الجاسوس الذي تم قتله، فعلم حينها البطلان أن ما قاما به كان قد أثلج صدر عائلتيهما أيضًا، ففي صباح يوم 26/ 12/ 2007م تم إدخالهما إلى سجن الرملة وفي العادة من لا يوجد لديه أي انتماء أو حركة أو تنظيم عليه أن يختار التنظيم الذي يريد أن يعيش في كنفه فاختارا في البداية حركة حماس، وكان حينها معهما في الغرفة ثلاثة من أعضاء المجلس التشريعي عن حركة حماس، ونشأت حينها علاقات ما بين المجاهدين حسام وضياء مطر علاقات قوية وصادقة مع أبناء حركة الجهاد الإسلامي في سجن الرملة، وتقدما حينها بكتاب تحويل من حركة حماس إلى صفوف الجهاد الإسلامي، وتوجها للشيخ محمد أبو طير وأحمد عطون وهما أعضاء في المجلس التشريعي، وتفهما الأمر وتمت الموافقة على طلب التحويل، ويصبح الشهر 6 من العام 2008م وهما عضوان رسميان في حركة الجهاد الإسلامي، وما هي إلا عدة أشهر حتى تم الحكم على الأسير المجاهد حسام بالمؤبد ليبدأ مسلسل جديد من المواجهة مع مصلحة السجون، وهناك عمليات النقل التعسفية من سجن لآخر، ولا يوجد حالة نضالية في السجن إلا ويكون المجاهد حسام جزءًا منها سواء في الإضراب عن الطعام أو التضامن مع من يضرب عن الطعام كمشاركته الإسنادية مع الشيخ خضر عدنان صاحب الإضراب الأسطوري،

ابن الأسير المجاهد/ حسام مطر
خلال عيادته للشيخ القيادي/ خضر عدنان

ليس هذا فحسب بل قرر المجاهد حسام هو ومجموعة من الأسرى في سجون الاحتلال ومن كافة الفصائل وعددهم 18 مجاهد خوض إضراب الحرية وعند ساعة الصفر بتاريخ 17/ 04/ 2012م وجد نفسه لوحده في هذه المعركة، فاستمر إضرابه لمدة 90 يومًا تحت شعار إما الحرية وإما الشهادة، وعندما شعر المجاهد حسام أن هذا الإضراب لم يؤتِ أُكُله حاول الانسحاب من الإضراب بأقل الخسائر الممكنة، وتمثل في تحقيق مصالح خاصة له.

معاناة الأهل

كما حال كل عائلة أسير فإن عائلة الأسير المجاهد حسام قد مرت بكل أنواع المعاناة الحقيقية، فكانت زوجته هي الأم والأب وهي العمود الفقري للبيت، ولاسيما أن أبناءه لازالوا صغارًا جدًا، لكن المرأة الفلسطينية وخاصة المقدسية تشارك الرجل في كل أعباء الحياة وتصمد في وجه كل المصائب صمودًا راسخًا لا يتزعزع فما بالك بزوجة أسير، فكان لها الفضل بعد الله _عز وجل_ في تنشئة وتربية أبنائها في حب الوطن والقدس الشريف وأنشأتهم نشأة إيمانية، فاليوم الأخوان الصغيران صقر ونصر الله متفوقان في الدراسة، وفي العام 2016م قد أنهيا حفظ القرآن الكريم وكان عمر صقر 11 عامًا ونصر الله 9 أعوام، وها هما الآن يتجهزان للسفر مع مشايخ إلى أندونيسيا فحفظهما الله _عز وجل_ وعوضهما عن حضن والدهما وحنانه وتوجيهاته بكتاب الله _عز وجل_ الذي تطمئن به القلوب وترتاح النفوس، ولاسيما أنهم صغيران ويذهبان إلى المدرسة وكل طالب يأتي مع والده لإيصاله لداخل المدرسة، وعندما يكون حفل أو ما شابه ذلك يأتي الآباء للوقوف بجانب أبنائهم في المدرسة فيقف ابنا المجاهد حسام ينتظران مجيء أبيهما إليهما مما يشعرهما بالألم والحزن ويثير لديهما العديد من الأسئلة، أين الوالد ليأتي للمدرسة؟ ولماذا نحن محرومان من والدنا؟ ولماذا باقي الأطفال يأتي آباؤهم للمدرسة؟

عائلة الأسير المجاهد/ حسام مطر
في فعالية تضامنية مع الأسرى بالقدس المحتلة

وكان حينها العبء الأكبر على زوجة الأسير المجاهد حسام التي تكون هي الأم والأب فمرت هذه المعاناة حتى اليوم الذي ينتظرون أباهما، وساء الوضع الاقتصادي للعائلة لاسيما أن المجاهد حسام عندما تم اعتقاله دفع مبالغ باهظة للمحامي من أجل أن يحصل على حكم مخففًا، حيث دفع للمحامي مبلغ 100 ألف شيكل قبل وبعد الحكم، بالإضافة لمبلغ 200 ألف شيكل من أجل الحل العشائري الذي ارتكبه في قتل الجاسوس المقدسي وما حصل في إشكاليته، ومع ذلك لم تكن

المعاناة وذلك الألم ليمنع الأسير المجاهد حسام من إشغال وقته في سجون الاحتلال، حيث ملأ فراغه في إكمال تعليمه وحصل على شهادة التوجيهي بالإضافة لعشرات الدورات الثقافية والدينية والعلمية، كما أنه لا يزال يدرس في جامعة القدس المفتوحة وأنهى حتى الآن 70 ساعة دراسية،

شهادة شكر وتقدير

تتقدم مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى والجرحى

بخالص الشكر والتقدير من الأسير المجاهد

حسام محمد علي مطر

وذلك لإتمامه دورة متقدمة في أحكام التلاوة والتجويد، برواية حفص عن عاصم

من طريق الشاطبية في رامون

سائلين المولى عز وجل أن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وأن يفك قيده بقدرته تعالى

مؤسسة مهجة القدس

ولا يزال يحلم المجاهد حسام أن يكتب الله _عز وجل_ له الحرية لينعم بالحياة مع عائلته التي طالما انتظرته وكان ولا زال المجاهد حسام متمسكًا بدينه وعقيدته وحبه لوطنه فلسطين، وإن طال الزمان فيكفيه فخرًا أن يردد ما قاله الشاعر هارون هاشم رشيد:

يا فلسطين وما أحلاكِ في فمنا، ذكرًا وشعرًا وثناءً
يا فلسطين اصبري إن لنا في روابيكِ إلى الثأر اشتهاءً
يا فلسطين اسمعي أصواتنا ملء هذا الكون سخطًا واستياءً
نحن ما زلنا بناة للعلا نملأ الدنيا سموًا وإباءً
لن ترينا غير ما عودتنا بسلاءً أقوياءً أوفياءً

الأسير المجاهد

معتز موفق توفيق طقز

خلوق تغلّب على الأسر بالعلم والعمل

تاريخ الميلاد: 1994/09/15م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة عتّيل – محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2014/11/03م

الحكم: 10 أعوام

تحلّى أسيرنا المجاهد بأخلاق إيمانية عالية ميزته عن أقرانه في طفولته، الأمر الذي انعكس على دراسته منذ صغره، لكنه كباقي أبناء الشعب الفلسطيني عانى من ويلات الاحتلال وقهره، فترك دراسته وانطلق في إعالة أسرته إلى أن شاء الله له الاعتقال والأسر الذي كان له مدرسة وبيتًا وجامعة وجامعًا، حتى اكتسب مزيجًا من الفكر الشرعي والعلمي والأدبي.

لمحة عن طفولته

منذ أن تفتحت عيناه على نور الحياة والناس يغبطونه على ذكائه وفطنته، وظهر ذلك عندما بدأ حياته الدراسية في مدرسة عتّيل الأساسية، ثم مدرسة عتّيل الثانوية للبنين، ونتيجة لإغلاق الاحتلال لهذه المدرسة في محاولة منه لتجهيل الشعب الفلسطيني واختراق أدمغتهم اضطر إلى الالتحاق بمدرسة علّار الأساسية للبنين، ثم عاد إلى مدرسة عتّيل الأساسية العليا للبنين حتى أنهى الصف العاشر فيها، قبل أن يتفرغ للعمل في مجال البناء والقصارة في عدة مناطق داخل أراضينا المحتلة عام 1948م.

خُلقه القرآن

لقد صنع أبوه منه رجلًا قدوةً في الالتزام الديني، طيبَ المعشر قليل الكلام. أغلب وقته صامت حين تكلمه كأنك تنتزع منه الكلام انتزاعًا، متواضع لأبعد الحدود، ومجرد أن تخالطه يبعث الأمل والتفاؤل إلى نفسك، لا يعرف التكبر والغضب إلى قلبه سبيلًا، كما أنّه ينأى بنفسه عن الجدال والنقاشات الساخنة التي تثير ردّات الفعل وتؤدي إلى مشاحنات وبغضاء بين الناس.

من بحر دماء الشهداء استلهم الفداء

منذ طفولته وهو يراقب الأوضاع ويتابع الأخبار، فلا يرى إلا مزيدًا من القتل والاعتقال والدمار، وما من يوم يمر إلا ويسقط فيه الشهيد تلو الشهيد، ترك بعضهم أثرًا بالغًا في نفسه كالشهيد جميل جعار من بلدة عـلّار، والشهيد لؤي السعدي، والشهيد فواز حسان (البلبل)، والشهيد محمد أبو خزنة، والشهيد معتز أبو خليل، والشهيد علي أبو خزنة، والشهيد صالح كركور، والشهيد أمجد العجمي، وجميعهم من أبناء بلدة عتّيل. وتوارد إلى ذهنه سؤال لماذا يذهبون ولا يعودون؟!، فحرك في نفسه مشاعر الصورة المتقدة التي لا تعرف نارها الخمود، وانتظر الفرصة لالتقاطها لتفريغ نار غضبه المتأجج في المحتل الصهيوني.

وفي ظل غياب العمل الجهادي المنظم في الضفة الغربية لم يحتمل التريث كثيرًا، فرأى في العمل الفردي خير وسيلة لأداء واجبه الديني والوطني تجاه شعبه ومقدساته، وبادر في البداية بالنشاطات السياسة والاجتماعية كالخروج في مسيرات الشهداء وإحياء ذكراهم وتأبينهم في المهرجانات التي تثير حماس الجماهير، وحضوره مسيرات الإسناد والدعم مع الأسرى المضربين عن الطعام كالأستاذ طارق قعدان والشيخ خضر عدنان وجعفر عز الدين وبلال ذياب، ومع الأسير المريض معتصم رداد.

الأسير المجاهد/ معتصم رداد (يسار)
برفقة الشهيد القائد/ لؤي السعدي والشهيد المجاهد/ علي أبو خزنة

وبعد الحرب على قطاع غزة عام 2014م تحركت لديه روح العاطفة الفيّاضة، وبدأ يبحث عن وسيلة لنصرتهم حتى اهتدى إلى تشكيل خلية عسكرية مع شقيقه الأسير المجاهد مناضل، والأسير المجاهد عبد الخالق مسيمي، والأسير المجاهد مروان صدقي؛ بجهود ذاتية وتمويل شخصي دون أن يتلقوا مساعدة من أحد، وقد ورد ذكر تفاصيلها آنفًا في قصة شقيقه مناضل.

المجاهد معتز رهن الاعتقال

بعد الفشل الذي منيت به قوات الاحتلال في اعتقال المجاهد معتز أثناء مداهمة منزل عائلته

يـوم اعتقـال شـقيقه مناضـل؛ كثّفـت مـن حملتهـا في البحـث عـن هـذا الليـث، وهـم في تسـابق مـع الزمـن خشـية أن يشـن عليهـم ضربـة قـد تزعـزع أمنهـم واسـتقرارهم وتـصرع عـددًا منهـم، وفي يـوم 03/ 11/ 2014م اقتحمـت وحـدة اليسّـام مـكان السـكن الـذي يتواجـد فيـه في قريـة زلفـة قـرب مدينـة أم الفحـم في أراضينـا المحتلـة عـام 1948م حيـث كان يعمـل هنـاك، وتـم اعتقالـه وتحويلـه مباشرة إلى مركـز تحقيـق مركـز الجلمـة، ومكـث داخـل أقبيـة التحقيـق 47 يومًـا، ومـورس بحقـه شـتّى أسـاليب التعذيـب النفـسي، وبعـد انتهـاء التحقيـق معـه تـم نقلـه إلى معبـار سـجن مجـدو ومـن هنـاك إلى قسـم 10 بنفـس السـجن،

ثـم تنقـل بعدهـا بـين عـدة سـجون نقـلًا تعسـفيًا خـلال فـترات متقاربـة بهـدف إنهـاك جسـده، وبالتـالي التأثـير عـلى روحـه المعنويـة، وخلـق عـدم الاسـتقرار النفـسي لديـه حتـى اسـتقر بـه الحـال في سـجن النقـب الصحـراوي.

رجل العلم والعمل

بعـد دخولـه السـجن وضـع لنفسـه برنامجًـا منظـمًا للنهـوض بنفسـه والتغلـب عـلى فـراغ السـجن القـاسي، فيسـتيقظ مبكـرًا يُصـلي الفجـر ويتلـو مـا تيسـر مـن آيـات الذكـر الحكيـم، وبعـد العـدد الصباحـي يبـدأ بممارسـة الرياضـة بـما لا يقـل عـن سـاعة، ثـم يباشر عمله في الكنتينة لخدمة إخوانه الأسرى حيث يعمـل بدقـة الخبـير وإتقـان المحـترف أثنـاء تدقيقـه في حسـابات الكنتينـة، وأثنـاء الراحـة والفـراغ يذهـب إلى المكتبـة فيتجـول في عـالم الكتـب والروايـات قليلـة العـدد، ولأنـه موضـع ثقـة المجاهديـن فقـد تـم انتخابـه في شـهر 6 مـن العـام 2017م أميـرًا لقسـم (26) في سـجن النقـب لمـدة سـتة شـهور، ثـم تنقـل بعدهـا بـين أقسـام (6) و(16) دون أن تفـتر لـه همّـة أو يتخلى عـن دوره وواجبـه في خدمـة إخوانـه وخاصـة في الأمـور الماليـة المتعلقـة بالكنتينـة امتثـالًا لقولـه تعـالى في الحـث عـلى طلـب العلـم وتبيـان فضلـه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقولـه تعـالى: ﴿يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمـر: 9].

كـرّس المجاهـد معتـز جهـوده ووظّـف طاقاتـه في الانكبـاب عـلى طلـب العلـم، وتسـخير ذلـك برفـد الأسرى ممـا أُوتي مـن العلـم والمعرفـة بعـد أن اجتـاز عـدد مـن الـدورات الثقافيـة المتقدمـة،

منها حصوله على إجازة في تجويد أحكام القرآن الكريم بمعدل 81 ٪، وشهادة في سند القرآن الكريم وشهادة في التنمية البشرية ودورات أخرى في تاريخ القدس، وجغرافيا فلسطين، وتاريخ فلسطين، وعلوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث، واللغة العربية، وفقه العبادات، والعقيدة الإسلامية، والسيرة النبوية، واللغة العبرية، واللغة الإنجليزية والحركيات، كما أكمل مشواره التعليمي الذي بدأه خارج السجن فاجتاز الثانوية العامة داخل السجن بنجاح في سنة 2016م بمعدل 67.9 ٪، ثم انتسب إلى جامعة القدس المفتوحة وتخصص في علم الاجتماعيات، وما زالت همته عالية وإرادته قوية في اكتساب العلم وإكسابه للآخرين.

آراء ومواقف

يتفق الأخوان المجاهدان معتز وشقيقه الأسير مناضل على أن الوحدة الوطنية هي طريق الانتصار، وأن استمرار الانقسام الفلسطيني وحالة التشظّي التي يعاني منها شعبنا قد أوغر الصدور،

الأسير المجاهد/ معتز طقز (يمين)
برفقة شقيقه الأسير/ مناضل طقز (المحكوم 13 عاماً)

وضرب مناعة الحركة الوطنية في مقتل، مما جعلها عُرضةً للأمراض التي استبدّت بها ومكّن العدو من الانقضاض على حقوقها، ورغم ذلك فهم ينظرون بتفاؤل ويتطلعون إلى قيادة فلسطينية جماعية مبدعة وخلّاقة قادرة على توحيد شعبنا وإدارة الصراع وفق مصالح شعبنا العليا، وتعدّ الأجيال الناشئة إعدادًا عقائديًا وتربويًا وثقافيًا ووطنيًا لتكون مؤهلة لقيادة شعبنا مستقبلًا ونهوضه، كما يرون أن حركة الجهاد الإسلامي، هذا الزرع المبارك هي صاحبة الرسالة، والقادرة على تحمل الأمانة، وصون مشروع الأمة التحرري.

الأسير المجاهد
شادي أحمد محمد حسين إمطاوع

ثائرٌ تحدّى المحتل بمفرده

تاريخ الميلاد: 1987/01/22م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه بنتان

مكان السكن: بلدة وادي الهرية – محافظة الخليل

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2015/11/14م

الحكم: مؤبدان

نقف اليوم لنتحدث عن أحد الأبطال منذ كان طفلًا، كان كل من حوله من أصدقاء وأقرباء يشمون فيه رائحة البارود ورائحة المعارك، رائحة الخبز وطين الأرض ورماد العيون وزيت البنادق، كان مولعًا بحب فلسطين يرسم دومًا صورة المسجد الابراهيمي على صفحاته الخاصة ليكون خليل الرحمن مهوى فؤاده ومنطلق جهاده، فلم يحد عن البوصلة، العقيدة فيه صافية راسخة رسوخ الجرمق وجبال الخليل. كانت حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري سرايا القدس وعملياتها العسكرية والاستشهادية قبلته الجهادية، فعشق هذه الحركة كما عشق الأرض، فهما التوأمان السياميان لا ينفصلان أبدًا، إنه العاشق للوطن والبندقية وللحركة الجهادية الأبية، إنه المجاهد شادي أحمد إمطاوع الذي ولد في مدينة إبراهيم الخليل عليه السلام، تلك المدينة التي تستضيف في أراضيها خيرة خلق الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة، وفي الخليل مقام أنبياء الله إسحاق ويوسف عليهما السلام، فبورك كل مولود يولد فيك يا خليل الرحمن، وبورك كل مولودٍ يعرف أن أمامه طريقًا صعبًا وشاقًا في حياته؛ لأنه ولد على أرض تقدست

بأجساد الأنبياء، فكان لزامًا الحفاظ على هذا التراث المقدس، فكان مجاهدنا شادي للأرض والتراب وللأنبياء والشهداء والأسرى والجرحى وفيًا.

نشأة جهادية مباركة

نشأ البطل شادي إمطاوع في ظل عائلة مناضلة وصامدة في وجه المستوطنين من "كريات أربع" المجرمين مؤكدين لأبنائهم أن هذه الأرض للفلسطينيين وفقط هي للفلسطينيين، فالشهد في عنب الخليل والزيتون الإبراهيمي متجذر في أرض الخليل من آلاف السنين، فكان ذلك العام 1987م والذي ولد فيه المجاهد شادي بأول شهر فيه ليكون شاهدًا آخر على ميلاد الثورة الفلسطينية الشعبية العارمة، التي شكلت الضربة المؤلمة للعدو الصهيوني الذي كان يظن بأن الفلسطينيين بعد هزيمتهم في حرب 1967م واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة أصابهم الوهن والضعف وأنهم قد استسلموا لسياسة الأمر الواقع، وأن ما يسمى "إسرائيل" ومستوطنيها وجيشها وقادتها لا يمكن هزيمتهم، فنشأ جيل جديد ولد في حرب العام 1967م وانتفض في العام 1987م في وجه العدو الصهيوني، ذلك المحتل في غطرسته وجبروته ممزق مشتت مهزوم بأسطورة جيوش (يوشع) الدموي وصرخات (يهوا) الغارق في ملذاته وأكاذيبه

مشهد متكرر للمواجهات مع قوات الاحتلال الصهيوني خلال انتفاضة الحجارة (1987م)

وسمفونيته وحقده النازف إرهابًا وشهوة قتل، فهذا الاحتلال الإجرامي الاستيطاني في مظهره سواء كان نفسيًا أو روحيًا أو كليهما معًا هو مهزوم في صدور الأعداء وقلوب المحتلين وعقول المبشرين الذين يخشون إدامة النظر في عيون الأطفال أو التلصص على أحلامهم وألعابهم البسيطة وطموحهم الشفاف، بل يخافون أكثر فأكثر من دعوات العجائز والأمهات الصابرات المحتسبات اللاتي يحملن في عقولهن وقلوبهن فكرة الدفاع عن أبنائهن، فهن حرائر فلسطين ولهن عزائم الرجال والفخر المبتسم، كما يخشى هؤلاء الصهاينة كلمات الطفولة ثورة مقاومة لعب، حتى بات العدو يحسب ألف حساب لكلمات الغزل والحب التي تنطلق من شفاه الأطفال وزهرات فلسطين، فهكذا كانت طفولة بطلنا شادي إمطاوع الذي ما إن تفتحت عيونه على هذا العالم الجميل لمناظره الطبيعية وصفاء سمائه الزرقاء وهوائه النقي وأصوات عصافيره الجميلة ليكبر قليلًا، ليكتشف أن كل ذلك كان عبارة عن لوحة جميلة ومضت، وحلّ مكانها لوحة أخرى مزيفة بألوان من العذاب والألم والقهر والظلم بحق الشعب الفلسطيني، فما كان من والد المجاهد شادي إلا أن ينتصر لمظلومية هذا الشعب، فانتفض إلى جانب أبطال فلسطين مشاركًا معهم في فعاليات ونشاطات الانتفاضة الأولى، وكان من أهم كوادر حركة الجهاد الإسلامي في مدينة الخليل، ولاسيما أن حركة الجهاد الإسلامي بدأت في الانتشار في مدينة الخليل في الانتفاضة الأولى تحديدًا، فعكف المجاهد أحمد إمطاوع والد شادي على القيام بنشاطات خاصة لحركة الجهاد الإسلامي سواء بكتابة الشعارات أو البيانات، ليتم اعتقاله الأول في عام 1991م على يد خفافيش الظلام المجرمين مدة 6 شهور ويعيش المجاهد شادي طفولته وقد حرم من عطف وحنان والده الأسير ليبدأ بالسؤال أين بابا؟ أريد بابا..، وما إن يفتح باب المنزل حتى يسير هذا الطفل شادي صوب الباب لعله يحظى بحضن أبيه الدافئ، وفي كل مرة يكسر قلبه ليكون هذا الفراق ثمنًا باهظًا سيدفعه المحتل في المستقبل، وفي كل سنة تزداد ذاكرته بالامتلاء بالمسلسل الإجرامي الصهيوني، فكثيرة هي الصورة المخزونة في تلك الذاكرة الشاهدة على هذا المحتل وسياسته اللاإنسانية، فصورة مبعدي مرج الزهور لا تزال تمر من أمامه عندما كان صغيرًا، وتم توزيع صورة لهؤلاء الأبطال في شوارع فلسطين ليعثر هذا الطفل على إحدى الصور، فقرر الاحتفاظ بها إلى حين موعد عودتهم إلى بيوتهم.

استشهاد ابن عمه يعقوب إمطاوع

وسريعًا أتت الصورة الثانية في الأعوام 1993، 1994م، حينها كان العدو يقوم بملاحقة ابن عم المجاهد شادي بدعوى انتمائه إلى حركة حماس وهو الشهيد يعقوب إمطاوع، فكان المجاهد شادي في صغره متعلقًا جدًا بابن عمه، وكان لا يفارقه، وكان الشهيد يعقوب دائم الزيارة لأبيه وعائلته إلّا أنّ هذا الاجتماع وهذا اللقاء لم يدم طويلًا حيث أقدم العدو الصهيوني لأكثر من مرة على اقتحام منازل عائلة إمطاوع بحثًا عن الشهيد

المجاهد يعقوب من أجل اعتقاله أو تصفيته لكونه مطاردًا للعدو هو وصديقه الشهيد حاتم المحتسب، وبدأ العدو يطاردهما في كل مكان وبعد عدة أشهر من المطاردة قام المحتل بمحاصرة منزل في وادي (الزرازير) في منطقة تسمى (الدبويا) في الخليل بعشرات الدوريات الصهيونية المدعومة والمسنودة بطائرات الأباتشي ليشتبك المجاهدان حاتم المحتسب ويعقوب إمطاوع مع الجيش الصهيوني واستطاعا الصمود لعدة ساعات في مواجهة عدد وعدة هذا العدو المجرم إلّا أنّ العدو لجأ إلى تصفية المجاهدين عبر قصفهم بالصواريخ، واستشهد المجاهدان ليكون وقع هذا الحدث مؤلمًا على عائلة إمطاوع ليحزن الطفل شادي كثيرًا على ابن عمه الذي أحبه كثيرًا وتعلق به وكأنه كان يعلم أن ابن عمه سوف يصبح شهيدًا.

ملاحقة الوالد القائد

جاءت الضربة الثانية من العدو الصهيوني، وهي اعتقال والد المجاهد شادي في العام 1995م بتهمة أنه أحد أبرز قيادات حركة الجهاد الإسلامي في جنوب الضفة الغربية، ولم يتمكن حينها الشاباك الصهيوني من انتزاع أي اعتراف منه ليصبح حينها أميرًا للجهاد في سجن الفارعة، وما أن خرج من السجن حتى بدأ أصدقاؤه ومعارفه يأتون إليه من كل مكان ولاسيما الأسير المجاهد رائد أبو حمدية، وكذلك المجاهد الشهيد عبد الباسط أبو سنينة، ولا يزال المجاهد شادي يتذكر ذلك اليوم وهو عائد من مدرسته إلى البيت حيث كان يدرس في مدرسة النهضة التي تقع في المنطقة الجنوبية من الخليل حيث العشرات من الثكنات العسكرية الصهيونية تحيط بها وبمقابلها، دعاه والده وكان في يده جريدة وقال له: انظر يا بني.. فإذا بصورة الأسير القائد المجاهد رائد أبو حمدية مقيد اليدين ويمسك به الجنود الصهاينة وهو يشير بإصبعه إلى مكان دفن الجندي الصهيوني، ليكتشف بعدها أن الأسير رائد قام بخطف جندي صهيوني مع مجموعة من المجاهدين وتم قتله ثم دفنه، وعرفت هذه الخلية بخلية (صوريف) الحمساوية، فتفاجأ حينها المجاهد شادي بما قام به المجاهد رائد؛ لأنه لم يكن متوقعًا بأن له علاقات جهادية متقدمة، وليستمر شريط الأحزان ليصل للعام 1998م حيث كان والد المجاهد شادي في طريقه إلى مدينة الخليل للعمل في مجال صناعة الأحذية التي تنتشر في كل مكان في خليل الرحمن وأصبحت منتجاتها تضاهي منتجات وماركات على مستوى متقدم في العالم ليطور نفسه بعد ذلك وليعمل في مجال التجارة المفتوحة حيث تفاجأ في الطريق بوجود قوة صهيونية تضع حاجزًا عسكريًا كان بانتظار السيارة التي كانت تقل والد المجاهد شادي ليتم اعتقاله واقتياده إلى تحقيق سجن عسقلان، وقد خضع للتحقيق العنيف جدًا ولاسيما أن التهمة له هذه المرة هي إعطاؤه مبلغ 2000 شيكل لأحد الأشخاص الذي قام بدوره بإعطائه إلى شخص آخر ليشتري به قنابل يدوية تم استخدامها ضد العدو، فكان هذا المجاهد هو الشهيد ذياب الشويكي إلا أن والد المجاهد شادي طيلة 38 يومًا من التحقيق القاسي والعنيف لم يعترف إلا بالحقيقة وحدها وهي أنه قد أعطى ذلك المجاهد المبلغ دينًا فقط ولابد من سداده لا أقل ولا أكثر،

فلما تأكد الشاباك من هذا الأمر كان حينها والد المجاهد شادي أُنهك جسده وأصبح يعاني من أمراض كثيرة، منها ما أصاب قلبه حيث لا تزال معاناته من عدم النوم الهنيء تلاحقه حتى اللحظة نتيجة مرضه بالقلب.

المشاركة في فعاليات حركة الجهاد الإسلامي

استمرت هذه العائلة في المعاناة إلى حين اندلاع الانتفاضة الثانية في عام 2000م حيث كان عمر المجاهد شادي حينها 13 عامًا ونصفًا، وأصبح في كل يوم يزداد حبًا واحترامًا لحركة الجهاد الإسلامي التي أصبحت جزءًا من حياته وكيانه ومن روحه وجسده وتتربع على عرش قلبه، ولا يوجد مهرجان أو مسيرة أو مناسبة تدعو إليها حركة الجهاد الإسلامي إلا ويكون من أوائل الملبين لها، فعشق البطولات والتضحيات لكوادرها، وازداد إعجابًا بعمليات سرايا القدس العسكرية والاستشهادية، وحرص دومًا على مشاركة طلاب المدرسة في مواجهتهم للاحتلال الصهيوني، ولا يزال يذكر العام 2001م عندما توجه لحضور مهرجان لحركة الجهاد الإسلامي في مدرسة الحسين بن علي حيث بدأ المجاهد ذياب الشويكي بتلاوة آيات عطرة من كتاب الله _عز وجل_ بصوته الجميل الندي من أجل افتتاح المهرجان الكبير والحاشد، وقبل هذا المهرجان بقليل كان قد سمع صوت انفجار كبير في منطقة ضاحية الإسكان في أحد المنازل ولحق بذلك دمار شديد، وأُعلن حينها استشهاد المجاهد ياسر الأدهمي أحد أبطال سرايا القدس في خليل الرحمن، وبعد هذا المهرجان بأقل من أسبوع تناقلت وسائل الاعلام خبرًا مفاده أن حافلة صهيونية قد تعرضت لإطلاق نار في منطقة التلة الفرنسية في القدس المحتلة، وأن هناك العشرات من الإصابات لتكون النتيجة النهائية مقتل اثنين وإصابة 36 بجراح مختلفة، وقد تبنت سرايا القدس حينها العملية الفدائية والجريئة والجديدة في أسلوبها وشكلها واختيار هدفها، وكان المنفذ هو الاستشهادي حاتم الشويكي من مدينة الخليل،

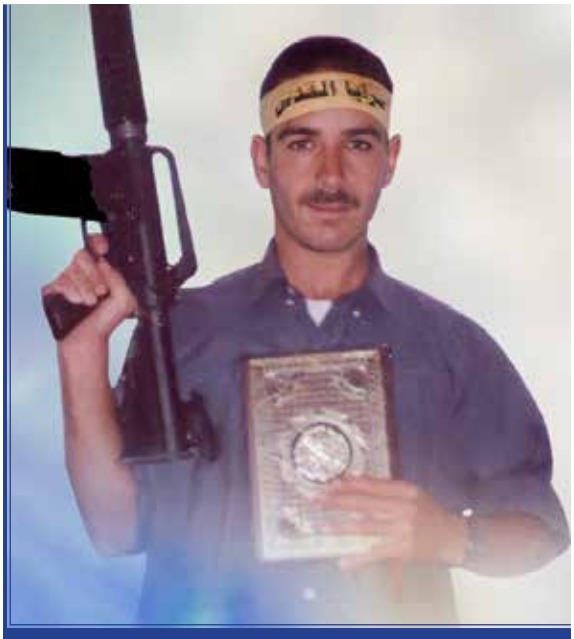

الاستشهادي البطل/ حاتم الشويكي
استشهد بتاريخ 04/ 11/ 2001م

وكان من ضمن المجاهدين الفاعلين في ذلك المهرجان الكبير، وكانت تلك الفترة صعبة على المقاومين الفلسطينيين الذين كان العدو يستهدفهم بالاعتقال أو بالتصفية الجسدية وبأساليب شتى، كما كاد أن يحدث مع الشهيد القائد الكبير في سرايا القدس محمد سدر حيث قامت طائرات صهيونية بإطلاق صواريخها على سيارة المجاهد الشهيد محمد مما أدى إلى استشهاد اثنين وإصابة الشهيد محمد إصابة خطيرة أدت إلى فقدانه للسمع في إحدى أذنيه وحروق في أنحاء متعددة من جسده.

ملاحقة السلطة للمجاهدين

كما تم اعتقال العشرات من نشطاء الانتفاضة على أيدي الأجهزة الأمنية الفلسطينية، فقد شملت مقاومين من جميع أنحاء الضفة الغربية ومن كافة الفصائل وكان من بين المعتقلين في مدينة الخليل عم المجاهد شادي إسحاق إمطاوع والمجاهدان أيمن الهشلمون الذي كان يعمل إلى جانب والد شادي في مجال التجارة والشهيد ذياب الشويكي، والشهيد محمد سدر والشهيد ذياب المحتسب الذي نفذ عملية وادي النصارى فيما بعد، والأسير القسامي محمد أبو وردة. وقرر حينها المجاهد شادي زيارة عمه إسحاق في مقر مقاطعة الخليل للاطمئنان عليه والتعرف على الشهيد القائد محمد سدر وفي إحدى زياراته مع والده إلى المقاطعة تمكن المجاهد شادي من رؤية المجاهد محمد سدر، وكان يضع فوق رأسه صورة للشهيدين اللذين استشهدا معه أثناء محاولة الاغتيال، لكن رغم هذا الشوق ورغم تحقق أمنية المجاهد شادي إلّا أنه وفي لحظة ما قد عجز وفقد شجاعته وجرأته في الحديث مع المجاهد محمد سدر، فهكذا هم القادة والسادة لهم هيبة ووقار أمام كل من يراهم.

سلسلة عمليات سرايا القدس في الخليل

لا يزال يتذكر المجاهد شادي البطلين عبد الباسط أبو سنينة وأسعد أبو تركي فكان الشهيد عبد الباسط من أصدقاء المجاهد شادي، وكان يحب الجلوس معه والاستماع إليه، وكان يقضي عنده الساعات، ولا يزال يتذكر ذلك اليوم الذي كان فيه المجاهد عبد الباسط يتعبد في المسجد، وكان يكثر من تلاوة القرآن والصلاة، وكان في ذلك المسجد جماعة من رجال الدعوة، فإذا بالمجاهد عبد الباسط يصيح بهم قائلًا لهم بأن فلسطين والإسلام ليسا

بحاجة إلى أقوال بل إلى أفعال، لتمر الأيام والأشهر ويأتي شهر رمضان المبارك في العام 2002م، وكان حينها المجاهد قد لبّى دعوة الإفطار عند بيت جدته أم أبيه ليأتي خبر أن قوات الاحتلال تحاصر منزلًا في مدينة جنين وبه أحد أبرز قادة سرايا القدس في الضفة، وهو المجاهد إياد صوالحة لينتهي هذا الحصار باستشهاد هذا الأسطورة في المقاومة والمواجهة ليبدأ المجاهد شادي يتمنى أن يكون بفعله كالقائد إياد صوالحة، بل وكان يوميًا يدعو الله _عز وجل_ أن يهيئ رجال سرايا القدس للرد على هذه الجريمة ليكون له ما أراد وما تمنى بأن هيأ الله بتاريخ 15/ 11/ 2002م ثلاثة فرسان من سرايا القدس من مدينة الخليل لينفذوا عملية وادي النصارى التي كانت من أهم العمليات العسكرية في تاريخ الثورة الفلسطينية، وقد أعلن عن هذه العملية الأمين العام السابق الدكتور رمضان عبد الله شلّح بشكل مباشرة على قناة الجزيرة، وكانت الاشتباكات لا تزال مستمرة، فهكذا هي سرايا القدس لم ولن تنسى دماء أبنائها وقادتها، فما أن يتم اغتيال قائد حتى يكون هناك رد قاسٍ وسريع على جرائم المحتل، وكما تكرر هذا المشهد عندما تم تصفية أحد قادة سرايا القدس في شمال الضفة، وهو حمزة أبو الرب أبو اسلام حيث لبت سرايا القدس في خليل الرحمن نداء سرايا القدس في شمال فلسطين بأن ينتقموا لدماء الشهيد، فكانت عملية "عتنائيل" التي نفذها استشهاديان من سرايا القدس من مدينة دورا في خليل الرحمن، وكانت تلك العمليات الرائعة قد جعلت المجاهد شادي يعتز بانتمائه لخير حركة على وجه الأرض.

بداية العمل العسكري

بعدها قام العدو باغتيال قادة الجهاد الإسلامي في خليل الرحمن حيث تم اغتيال القادة محمد سدر الذي كان له مكانة لا توصف في وجدان وعقل وقلب وكيان المجاهد شادي،

وكذا تم اغتيال المجاهدين عبد الرحيم تلاحمة وذياب الشويكي، فما كان من المجاهد شادي حينها إلّا أن بدأ بتنظيم المجاهدين من أبناء منطقته وحارته ومدرسته في صفوف حركة الجهاد الإسلامي لينتقي منهم مجموعة تكون نواة لخلية عسكرية للرد على مسلسل الاغتيالات الصهيونية بحق قادة وكوادر سرايا القدس في خليل الرحمن والضفة، فتم تنظيم المجاهد ثائر أبو دية وبدوره قام بتنظيم المجاهد مهند العبيدي ومنتصر أبو حمدية، وكما نظم المجاهد شادي المجاهدين لؤي عليان الطويل وعز الدين أبو حمدية، وهما بدورهما نظما ثلاثة إخوة من طلاب المساجد، وكما تم تنظيم مهند الحموز من مخيم الفوار، وعرض المجاهد شادي حينها هذه الأسماء على المجاهد أيمن الهشلمون أحد كوادر حركة الجهاد في الخليل، واجتمع به عدة مرات إحداها كانت في زيارة للجريح الأسير المحرر معتز عبيدو، وكان معتز حينها يضع على باب غرفة الضيوف صورة للشهيد القائد محمد سدر حتى لا ينساه أحد، وكانت عيون المجاهد شادي تتجه صوب تلك الصورة ويقول في عقله: لا تقلق يا شهيدنا محمد فنم قرير العين ولا تحزن إننا نعاهدك بالرد على جريمة اغتيالك.

بينما كان حديث المجاهدين أيمن الهشلمون ومعتز عبيدو للمجاهد شادي بأن هذه الفترة والنشاط المطلوب والنشاط الشعبي والجماهيري كالبوسترات والمنشورات ليست المطلوب لهذه المجموعة الجديدة، وقرر حينها المجاهد شادي ومن معه الاعتماد على أنفسهم رغم افتقارهم للمال والخبرة والتخطيط، وقاموا بتصنيع عبوة أنبوبية بحجم كبير، وكان دوره أن يذهب إلى المجاهد أيمن ويخبره عن ذلك حتى يقوم بالإعلان عن العملية في حال تمت بنجاح، والهدف هو سيارة للمستوطنين على الطريق الالتفافي وكان دور المجاهد ثائر أبو دية

ومهند عبيدو إلقاء العبوة الناسفة على السيارة، فما أن استعد البطلان إلى الأهداف المنشودة حتى تفاجآ بوجود عدد ضخم من الآليات العسكرية والجنود الصهاينة منتشرين في كل مكان، فغادرا إلى المكان خرجا ولم يكتب لهذه العملية النجاح، مما أدى إلى حالة إحباط شديدة لهؤلاء الأبطال، وتفرق الأبطال كلٌ إلى مسعاه ومبتغاه، وبعد فترة من الزمن تم اعتقال الأبطال لؤي وعز الدين أبو حمدية بتهمة الانتماء لحركة حماس، وكذلك الإخوة مهند الحموز ومهند عبيدو بتهمة الانتماء لحركة فتح، وكذلك منتصر أبو قحيطة الذي اعتقل بتهمة إلقاء عبوة ناسفة على دوريات صهيونية في منطقة وادي نهاريا في الخليل، وكانت مدة اعتقاله هي الأطول من بين الإخوة السابقين، أما مجاهدنا شادي فالتزم بانتمائه وعشقه السرمدي لحركة الجهاد الإسلامي وتمكن في العام 2005م من إكمال دراسته الثانوية بنجاح في الفرع الأدبي، وبالتنسيق مع قيادة الحركة تم تأمين مقعد دراسي له تخصص الاقتصاد في سوريا إلّا أن والده من خوفه على ولده شادي أصرّ أن يكمل ولده مشواره الجامعي في مدينة الخليل بينما كانت رغبة المجاهد شادي حينها العزوف عن فكرة الجامعة والتوجه إلى سوق العمل ولاسيما أن تجارة والده أصبحت تتوسع شيئًا فشيئًا وبحاجة إلى من يدير أعمال والده.

الثأر بمفرده

وفي نفس العام قرر قراره الشجاع بأن يعمل لوحده في مقاومة المحتل، وتمكن من الحصول على رقم هاتف أحد مجاهدي سرايا القدس في قطاع غزة ليجري اتصالًا معه عبر الهاتف العمومي من أحد الشوارع في خليل الرحمن، فصادف ذلك اليوم حدوث جريمة أدت إلى تصفية الشهداء رائد عجاج وسعيد الأشقر وجميل جعار، ولم يكن حينها مجاهدنا شادي قد سمع الأخبار في ذلك اليوم، وأثناء الحديث مع ذلك المجاهد طلب منه المجاهد شادي أن يرسل له أوراق تعليم المتفجرات وصناعة الأحزمة والعبوات الناسفة فسأله حينها: لماذا تطلب ذلك؟ فقال له المجاهد شادي أريد أن أثأر لدماء الشهداء وعلى رأسهم الشهيد القائد محمد سدر، فقال له على ما يبدو أنك غضبان على ما حصل في طولكرم، فقال له شادي لا أعلم ما حصل في طولكرم، وقال له إن شاء الله تكون راضي، ليرسل المجاهد شادي لذلك المجاهد رسالة بعد يومين من جواله الخاص مذكرًا إياه بالموضوع الذي تحدثا به، ومرة أخرى فإن هذا الجهد لم يثمر كما توقع المجاهد ليأتي العام 2006م ليقدم المحتل على اعتقال أخيه مجدي بتهمة الانتماء للجهاد الإسلامي وتنظيم أكثر من 20 شخصًا من طلبة التوجيهي للعمل في صفوف الحركة، وقد حكم عليه لمدة 16 شهرًا لتعيش عائلة إمطاوع الحزن والغضب على هذا المحتل الذي غيب ولدهم مجدي عن مقاعد الدراسة، وأنهى مستقبله التعليمي أو غيبه لفترة من الزمن لتمتد المعاناة إلى كل بيت فلسطيني حيث أقدم العدو في العام 2008م على شن هجومه الإجرامي والإرهابي على قطاع غزة المحاصر، فلم يعلم حينها المجاهد شادي كيف ينتصر لهذه الدماء

ولهؤلاء الشهداء ولهؤلاء الأطفال الذين كانوا ينامون في أحضان أمهاتهم الدافئة ليجدوا أنفسهم جثثًا هامدة مقطعة متناثرة ما بين ألعابهم الممزقة وما بين بنايات المنازل المدمرة.

قام على الفور المجاهد شادي بشراء سلاح من نوع كاربينا وثلاثة مخازن ونحو 200 رصاصة، وحدد موعدًا لتنفيذ العملية على مستوطنة خارصينا، وكان سيتم التنفيذ يوم الخميس إلّا أنه في يوم الثلاثاء قبل موعد العملية بيومين جاءته والدته مخبرةً إياه أنها قد حددت موعدًا مع عائلة فتاة، وعليه أن يجهز نفسه للذهاب لرؤيتها من أجل خطبتها إن حدث النصيب، فتردد حينها المجاهد شادي كثيرًا ولاسيما أن كل ما يفكر به هو العملية وتحت إصرار والدته وأبيه وحبًا لها وإكرامًا له قرر الذهاب معها لرؤية تلك الفتاة، فقدر الله _عزوجل_ أن تتم هذه الخطبة ويتم الزواج بعد ذلك ليرزقه الله _عز وجل_ بطفلين ملآ دنياه حبًا وسعادة ويقينًا بأن الله قد هيأه لأمر لا يعلمه إلّا هو لتمضي الأيام والأشهر ولا تزال عينا المجاهد شادي شاخصتين باتجاه العمل العسكري والثأر لدماء الشهداء ولدمعات أمهاتهم وزوجاتهم، ليأتي العام 2014م وقد حمل معه الظلم والاضطهاد والقتل والدماء لأهالي قطاع غزة المحاصر، وقام العدو بإبادة جماعية للمواطنين العزل في القطاع، كما تم تدمير منطقة كاملة في الشجاعية، ومع ذلك فقد تمكنت المقاومة الفلسطينية من اختطاف الجندي الصهيوني (شاؤول أرون)، فكان هذا الخبر قد أثلج صدر الشعب الفلسطيني ففرح الأطفال والأمهات

أبناء الأسير المجاهد/ شادي إمطاوع
على موعد مع الحرية لوالدهم

وفرح الأسرى في سجونهم وفرح أبناء الضفة لهذا الانتصار الفريد من نوعه، فما كان من المجاهد شادي حينها إلا أن يخرج مسدسه ويطلق النار في الهواء فرحًا وسرورًا لهذا الخبر وهو خطف الجندي، فلم يكن يعلم حينها أن هذا الجندي الصهيوني المخطوف ربما يكون إن شاء الله سببًا في حريته القادمة.

أول عملية مسلحة في انتفاضة القدس

وبعدما اندلعت انتفاضة القدس وبدأ أبطال السكاكين بتنفيذ عملياتهم البطولية في مدينة القدس وباقي المناطق، وبدأ العدو الصهيوني بإطلاق النار تجاه كل من يثير شبهة أمنية أو يتصورون أنه ربما يشكل خطرًا عليهم، فتم إعدام الشهيدة هديل الهشلمون، وانتصر المجاهدان الشهيدان ضياء التلاحمة ومهند الحلبي لدماء الشهداء، وأقدم العدو

على ملاحقة ومطاردة أبطال السكاكين، وتعدّى ذلك لاقتحام العدو للمشفى الأهلي في خليل الرحمن ليعدم الجريح عبد الله الشلايدة، وكل تلك المذابح والظلم بينما الضمير العربي والدولي في سبات عميق.

قرر المجاهد البطل شادي إمطاوع أن يكون أول من يستخدم السلاح ويطلق النار في انتفاضة السكاكين حيث في تاريخ 13/ 11/ 2015م؛ أن يكون هذا اليوم هو موعد تنفيذ العملية العسكرية عبر إطلاق نار على قطعان المستوطنين، فصلّى حينها الظهر داخل منزله ودعا الله _عز وجل_ أن يلهمه الرشد والصواب وأن يوفقه في هذه العملية، فامتشق سلاحه المميز الذي يعشق إطلاق النار من وهو كلاشينكوف ومعه مسدس بريتا إيطالي الصنع وانطلق في أرض لهم في دورا وصلى لله _عز وجل_ ركعتين وبدأ يدعو الله _عز وجل_ وقرر الاتصال بأحد مجاهدي سرايا القدس في قطاع غزة، فأخبره أنه سيقوم بتنفيذ عملية وطلب منه تبني هذه العملية باسم سرايا القدس وحدد الهدف، وهو مستوطنة "عتنائيل" المقامة على أرض مدينة الخليل، تلك المستوطنة التي يعلم المجاهد شادي كل تضاريسها وخفاياها وشوارعها وبيوتها وأماكن الدخول والخروج منها وإليها، وكانت في بداية انتفاضة الأقصى هدفًا أساسيًا لعمليات سرايا القدس، ولاسيما أن هؤلاء المستوطنين الساكنين فيها من أكثر اليهود حقدًا وكراهية وتطرفًا وعداوة للمسلمين والعرب والفلسطينيين.

"يا أماه سأثأر لك"

استقل المجاهد شادي سيارته وتوجه إلى هدفه، فإذا به يستمع لجهاز الراديو أثناء الطريق إلى والدة الشهيد حسن البو من سكان حلحول وهي تبكي على راديو محلي، ويقول المذيع بصوت حزين من يأخذ بثأر هذه الأم؟ من يثأر للشهيد؟ فكان قد قدر الله _عز وجل_ أن يستمع المجاهد شادي هذه المكالمة ولسان حاله يقول مبتسمًا: "يا أماه سأثأر لك ولولدك الشهيد ولكل أم فقدت ولدها ولكل دمعة طفل أو طفلة اشتاق أو اشتاقت لوالدها الأسير"، وبدأ المجاهد شادي بالتوجه نحو المستوطنة فلم يجد أحدًا من المستوطنين على الطريق فقرر تغيير الخطة، فتوجه نحو "كريات أربع" وما أن غير اتجاه سيارته التي كانت من نوع جولف إذا بباص صهيوني للمستوطنين صغير يسير باتجاه معاكس لسيارته، فقام على وجه السرعة باللحاق بالباص وتجاوز عنه بمسافة 500م ليتوقف بسيارته في الجانب الأيمن للطريق، فاستعد حينها للحظة وصول الباص، وما أن اقترب الباص منه حتى نزل مسرعًا من السيارة ووقف في وسط الشارع وكان الباص بعيدًا عنه ما يقارب 15م، فأطلق المجاهد شادي رصاصة واحدة على السائق وهو يقول ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] فإذا بهذه الرصاصة تخترق قلب سائق الباص المجرم لتقتله على الفور، وكان حينها قد وضع هذا السائق قدمه على دعسة البنزين فاستمر الباص بالسير مسرعًا، ظن حينها المجاهد شادي لحظة أن العملية

قد فشلت وأن الرصاصة قد أخطأت ذلك المستوطن الإرهابي، وأطلق رصاصته الثانية من خلف الباص وأصابته في كتفه، فما إن التفت المجاهد شادي قليلًا فإذا بسيارة تمر بالقرب منه تحمل لوحة تسجيل صهيونية، فوقف حينها كالأسد الهصور في وسط الشارع ومسدسه على جنبه وسلاحه الكلاشينكوف مصوب باتجاه هذه السيارة ليأمر صاحبها بالتوقف ووضع الكلاشينكوف في رأس السائق فعرف حينها أنه ليس يهوديًا، وتأكد من ذلك وسأله هل أنت مسلم؟ فأجابه: "نعم.. مسلم مسلم مسلم" وهو خائف جدًا فتركه في سبيله، وإذا بهذا المسلم الذي نجا من موت مؤكد ومحقق يتوجه إلى مقر الشرطة الصهيونية، ويبلغ عن المجاهد شادي وأعطاهم مواصفاته، وما إن التفت مرة أخرى قليلًا فإذا بالباص الصهيوني قد اصطدم بصخرة كبيرة على الرصيف، وكان الدخان يخرج من الباص وكان يبعد مسافة 150م.

أخلاق جهادية في ساح الوغى

هرول البطل مصوبًا سلاحه نحو ذلك الباص فوجد سائق الباص مقتولًا، فإذا بالمستوطن الآخر يحاول استخدام هاتفه، فأسرع المجاهد شادي ووضع سلاحه في رأسه وأطلق النار عليه فقتله على الفور، ثم توجه مسرعًا نحو الباب الخلفي للباص ليجهز على من تبقى فيه فكان هناك مستوطن آخر مصاب وتظاهر بأنه ميت ففتح الباب الخلفي والسلاح موجه إلى من به، فإذا بهم أطفال يبكون ويتوسلون ويصيحون من شدة خوفهم، فقال لهم المجاهد شادي: لا تخافوا ولا تبكوا فأنا لست إرهابيًا ولا قاتلًا ولا مجرمًا، فأنا ألتزم بإسلامي ولا أقتل الأطفال أبدًا هكذا هم أبطال فلسطين يرحمون أطفال وصغار العدو رغم أنهم عندما يبلغون 18 من عمرهم، تراهم يحملون السلاح ويتجندون في الجيش استعدادًا لقتل الفلسطينيين سواء كانوا كبارًا أم صغارًا دون رحمة وعاد مجاهدنا البطل مستقلًا سيارته من أرض العملية فإذا به أثناء الطريق يسمع في أحد الراديوهات المحلية في الخليل خبرًا مفاده وقوع عملية عسكرية وأن هناك اثنين من القتلى المستوطنين وأن مستوطنًا آخر مصابًا بحالة خطرة، ففرح حينها المجاهد شادي وكأنه ليس هو الذي نفذ العملية،

القتلى الصهاينة في عملية الأسير المجاهد/ شادي إمطاوع

فأطلق النار في الهواء تعبيرًا عن فرحه وابتهاجه لنجاح العملية البطولية والجريئة، ثم توجه نحو مستوطنة كريات أربع على أمل أن ينفذ عملية أخرى هناك إلّا أن الله ـ عز وجل ـ لم يكتب له أن ينفذ هذه العملية لأسباب كثيرة، منها ضيق الشارع وطول المسافة ووجود العدد الكبير من الجيش الصهيوني هناك، فقرر حينها العودة إلى المنزل ليتابع نشرات الأخبار حيث بدأ المحللون الصهاينة

بالحديث حول ما حدث عن هذه العملية الجريئة وأن الذين نفذوها هم محترفون جدًا بإطلاق النار ولديهم خبرة في ذلك، ومن نفذها إمّا خلية تابعة لحركة الجهاد الإسلامي أو حركة حماس، هكذا تناول الإعلام العبري الخبر، فكانت أول عملية في انتفاضة القدس تتم بواسطة إطلاق نار، ففرح حينها الشعب الفلسطيني بهذه العملية وقام أبطال المقاومة في قطاع غزة بتوزيع الحلويات ابتهاجًا بما حدث حتّى إن مقدم البرامج في فضائية الأقصى واسمه راجي الهمص قام بالوقوف وقدم التحية لأهل الخليل ولمن نفذ هذه العملية.

الاعتقال

في صبيحة اليوم التالي تواصل المجاهد شادي مع الإخوة في حركة الجهاد الإسلامي في قطاع غزة ليعلمهم ما حدث في الضفة، ثم توجه للبحث عن هدف آخر لتنفيذ عملية أخرى، وكان الجيش الصهيوني قد نشر قواته في معظم أحياء وقرى الخليل، فأراد حينها المجاهد شادي تنفيذ عملية إطلاق نار على مجموعة من الجنود كانوا يجلسون على تلة في منطقة ما في الخليل، اتصل المجاهد شادي حينها بأبطال سرايا القدس في قطاع غزة بأنه سينفذ عملية ثانية بعد قليل، وعليهم أن يعلنوا عن هذه العملية باسم سرايا القدس، فتوجه إلى ذلك الموقع ليجد أن هناك مسافة كبيرة بين الجنود ولا يمكن تنفيذ هذه العملية وفق ما كان قد خطط له ولاسيما أن المنطقة كانت مليئة بالجنود والقناصة والآليات العسكرية، فقرر العودة للمنزل وعدم تنفيذ العملية، وبعد هذا الحدث قام العدو بآلياته وجنوده وضباطه بمحاصرة منزل المجاهد شادي واعتقاله واقتياده إلى تحقيق سجن عسقلان.

تحدّي الشاباك الصهيوني

تعرض أسيرنا المجاهد شادي للضرب الشديد من لحظة وصوله إلى تحقيق عسقلان، ليعلم المجاهد أن الشاباك الصهيوني كان متأكدًا أن مثل هذه العمليات لا يمكن أن ينفذها شخص واحد بل لابد من وجود عدة أشخاص وأن المنفذين لهم حرفية عالية في عملية إطلاق النار والاختفاء، ولذلك قام الشاباك باعتقال اثنين من أصدقاء المجاهد شادي، وهما محمد الجعبري ورأفت حجة، واتهموهما أنهما ساعدا المجاهد شادي في العملية، وقد شدد المجاهد شادي أنه لوحده من نفذ هذه العملية وبلا مساعدة من أحد، فقام حينها المحققون بأداء لعبة خطيرة مع المجاهد شادي، وهي وضع المجاهد في زنزانة ووضع محمد ورأفت في زنزانة أخرى والمحققون الصهاينة يقفون بين الزنازين يستمعون لهم، وطلب المحققون من المجاهد شادي أن ينادي على صاحبيه محمد ورأفت وأن يشكرهما على مساعدته في تنفيذ العملية ويخبرهما أنه لم يعترف عليهما، فكان هذا امتحانًا حقيقيًا وصعبًا جدًا؛ لأنّ عادة الشاباك الصهيوني الغدر وتلفيق التهم جزافًا، وقام حينها المجاهد شادي بالرفض إلا أنه أجبر على ذلك بالقوة والعنف الجسدي، وعلم حينها أنه لا مناص له ولا مفر له سوى تنفيذ هذه الخطة لكي يقتنعوا بروايته، فوضع شروطًا حينها للموافقة وهو أن يسمحوا له بالاجتماع مع صديقه وتوديعهما، وأن يقوم المحقق بإخبارهما أن

مـا حـدث عبـارة عـن تمثيليـة بالإضافـة إلى أن تتـم المناداة على المجاهـد الأول، ثـم يجتمـع بـه، ثـم المناداة عـلى المجاهـد الثـاني، ثـم يجتمـع بـه، فوافـق الشـاباك عـلى هـذا العـرض، وبـدأ المجاهـد شـادي بالمناداة عـلى الأخ محمـد الجعـبري وقـال لـه لا تقلـق فأنـا لم أعـترف عليـك ولا تخـشَ شـيئًا، فـكان المحقق الصهيـوني ينتظر بلهفـة الإجابـة، فـرد عليـه محمـد الجعـبري قائـلًا لـه مـا الـذي تقولـه أصـلًا يـا شـادي، فأنـا لم أكـن معـك أبـدًا ولا أعلـم مـاذا تقـول وعـن أي شيء تتكلـم، وكذلـك هـذا مـا حـدث مـع رأفـت، واجتمـع المجاهـد شـادي مـع كلٍ منهـما عـلى انفـراد وقـال لهـما حينهـا المحققـون بأنهـا تمثيليـة لإثبـات براءتهـما، فودّعهـما حينهـا المجاهـد شـادي وفي يقينـه أن سـيأتي ذلـك اليـوم الـذي بدورهـما سيسـتقبلانه وقـد تحـرر مـن الأسر، فمكـث حينهـا في التحقيـق مـدة 46 يومًـا لينتهـي بـه المطـاف في سـجون الاحتـلال، فـما أن مكـث 7 أشـهر في سـجن إيشـل حتـى جـاءه الخـبر المـؤلم وهـو اقتحـام منزلـه واعتقـال ابـن عمـه أيمـن وأخيـه محمـود، وحكـم عـلى أخيـه محمـود 16 شـهرًا بتهمـة التخطيـط لتنفيـذ عمليـة، ولم يسـمح المجاهـد شـادي منـذ اليـوم الأول لاعتقالـه بـأن يكـون المحتـل الصهيـوني نـارًا تطـوق عنقـه وموتًـا يداهمـه؛ لأنـه عـلى يقـين كـما انتـصر في العمليـة سـينتصر عليـه وهـو في السـجن مهـما طـال الأمـد وكثـر الجهـد وقـل المـدد، فإننـا متحـررون ومنتـصرون وكلـما اقـترب الأبطـال الأسرى مـن نبـض الأجـداد وأحـلام الأطفال يحملـون القناديـل وعناقيـد العنـب عندهـا سـننتصر، فبـدأ المجاهـد شـادي مشـواره في خدمـة إخوانـه وأحبتـه مـن الأسرى، وأينـما يضعـه إخوانـه يجـدوه قـادرًا عـلى تحمـل المسـؤولية وأينـما يحتاجـوه الأسرى يجـدوه يعطي مثـالًا رائعًـا في الالتـزام والانضبـاط والعطـاء، ممـا جعـل لـه ثقـلًا في إخوانـه الأسرى والكثـير مـن الحـب والاحـترام والتقديـر، ولا يـزال مجاهدنـا شـادي رغـم عـذاب السـجن وظلامـه وعلـو أسـواره يحلـق بروحـه ونظـره إلى هنـاك، إلى خليـل الرحمـن، إلى ابنتيـه ليشـعر أنـه بقربهـما يقـدم لهـما حبـه وحنانـه وعطفـه واشـتياقه، فهـل كـما فـرح باختطـاف الجنـدي الصهيـوني شـاؤول سـيفرح بالإفـراج عنـه عـبر التبـادل القـادم لهـذا الجنـدي ليعيـش واقعًـا حقيقيًـا مـع ابنتيـه اللتين حرمتـا مـن أبيهـما حتـى اليـوم؟!

فنعـم المجاهـد أنـت، ونعـم الثائـر، ونعـم البطـل، ونعـم الأب، ونعـم الـوفي لشـعبٍ اشـتاق للوفـاء في زمـنٍ كثـر فيه التفريـط بالحقوق والمقدسـات.

فهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	7
شكر وتقدير	9
تقديم: الإنسان مفطور على حب الحرية . أ. قدورة فارس	11
تقديم: الاحتلال يخشى من التاريخ وليس المستقبل. أ. حسام بدران	13
مقدمة: الأسير الفلسطيني شعلة الحرية لفلسطين. أ. محمد أبو طبيخ	15
أسماء الأسرى المجاهدين (مرتبة هجائيًا حسب تاريخ الأسر لدى العدو الصهيوني)	
الأسير المجاهد محمد أحمد عبد الحميد الطوس مناضل لم تهزمه السجون وكثرة الاعتقالات	19
الأسير المجاهد إبراهيم حسن محمود إغبارية روحٌ فلسطينية ثائرة لم تبدّل تبديلًا	49
الأسير المجاهد محمد سعيد حسن محمود إغبارية الواجب فوق الإمكان حفاظًا على فلسطين	69
الأسير المجاهد أيمن عبد المجيد عاشور سدر قائد قسامي صنديد أبدع في جهاده	81
الأسير المجاهد محمود عبد الله علي عارضة القائد العنيد، مُحطّم نظرية الأمن الصهيونية	105
الأسير المجاهد ربيع رفيق شريف أبو الرُب قائد جهادي ورفيق الشهداء	121
الأسير المجاهد هيثم أحمد سمارة عنتري مناضل ترعرع على حب فلسطين	169
الأسير المجاهد عبد الله غالي عبد الله البرغوثي (أمير الظل) صاحب أعلى حكم في سجون الاحتلال	181

الأسير المجاهد كميل سعيد حسن أبو حنيش رفيق فلسطين المثقّف والأديب	197
الأسير المجاهد يوسف عبد اللطيف خضر مهداوي فارس مقدام وأحد مهندسي عملية استشهادية	217
الأسير المجاهد نهار أحمد عبد الله السعدي بصمات جهادية نوعية	227
الأسير المجاهد أحمد صلاح أحمد صلاح (العزة) بطلٌ لم تمنعه الإصابة والاعتقال من مواصلة الدرب	241
الأسير المجاهد أشرف نظمي محمد قيسي مجاهدٌ أقبل على الله تاركًا متاع الدنيا	263
الأسير المجاهد علي عبد اللطيف مصطفى سايس (القنيري) فدائي ومقاوم لم تهزمه ملذّات الدنيا	275
الأسير المجاهد عاهد يوسف موسى أبو غلمة أيقونة ملهمة ورافعة للمقاومة في الضفة	299
الأسير المجاهد حسام محمد علي سالم مطر (شقيرات) (صيّاد الجواسيس) كابوس أرّق الشاباك	329
الأسير المجاهد معتز موفق توفيق طقز خلوق تغلّب على الأسر بالعلم والعمل	341
الأسير المجاهد شادي أحمد محمد حسين إمطاوع ثائرٌ تحدّى المحتل بمفرده	345

سيرة وصورة

الأسير المجاهد
محمد صبحي أبو طبيخ

- من مواليد مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين بمحافظة جنين بتاريخ 23/ 02/ 1980م.
- تعود أصوله إلى بلدة "صبارين" التابعة لقضاء حيفا والتي هُجِّر أهلها منها في نكبة العام 1948م.
- أعزب وتتكون أسرته من 7 أفراد.
- حاصل على دبلوم خدمة اجتماعية من الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بغزة في العام 2014م، وبكالوريوس تاريخ من جامعة الأقصى في العام 2016م، وبكالوريوس علوم سياسية من جامعة القدس (أبو ديس) في العام 2018م، وهو حاليًا طالب ماجستير في تخصص الاقتصاد الإسلامي في كلية الدعوة الجامعية بلبنان.
- حصل على عشرات الدورات التعليمية في تخصصات مختلفة داخل سجون الاحتلال، وله خمسة أبحاث غير منشورة وهي:
  1. يهودية الدولة ومسار المفاوضات الفلسطينية "الإسرائيلية".
  2. الأكاديميا والبحث العلمي والتطوير في "إسرائيل" ومحيط التعاون الدولي.
  3. أهداف وتداعيات حرب 2006م على "إسرائيل".
  4. الولايات المتحدة الأمريكية وثورة 25 يناير.
  5. "إسرائيل" وتمايز استيعاب وانصهار المهاجرين (دراسة مقارنة بين اليهود الشرقيين واليهود الروس 1948 –2000).
- انتمى مبكرًا إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي، وعمل في الإطار الطلابي لها (الجماعة الإسلامية) في جامعة بوليتكنيك الخليل، واعتقل على أثرها في العام 1999م في سجون الاحتلال لمدة 18 شهرًا وتحرر في 05/ 04/ 2001م.
- أُعتقل في سجون السلطة الفلسطينية لمدة 4 شهور في الأعوام 2001/ 2002م بسبب نشاطه السياسي والعسكري في حركة الجهاد الإسلامي.
- من أبطال تجهيزات معركة مخيم جنين في العام 2002م، وتعرض منزل الأسرة للهدم من قبل قوات الاحتلال بعد اعتقاله مباشرة.
- تعرض لأكثر من محاولة اغتيال من قوات الاحتلال واعتقل بتاريخ 28/ 07/ 2002م في عملية عسكرية واسعة ببلدة برقين بمحافظة جنين.
- أصدرت قوات الاحتلال الصهيوني حكمًا جائرًا عليه مؤبدين و15 عامًا على خلفية نشاطه وقيادته في سرايا القدس (الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي) بمحافظة جنين ووقوفه خلف عمليات جهادية بطولية.
- انتخب عضوًا في الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال الصهيوني لدورة 2019–2021م.

ISBN 978-9950-8523-3-4

دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع
Email: dar.nomaan@gmail.com